

فرسان العروبة



مذكرات الشهيد العقيد الركن صلاح الدين الصباغ

التبعية...

وزارة رشيد عالي الكيلاني

اسرار الحرب العراقية - الانكليزية

تقديم ومراجعة : سمير السعيد

عيسى يوسف (البرقي)

مذكرات الشهيد العقيد الركن

صلاح الدين الصبّاغ

Δ تانيث للنشر

اسم الكتاب : فرسان العروبة
مذكرات الشهيد العقيد الركن صلاح الدين الصَّبَّاح
المؤلف : صلاح الدين الصَّبَّاح
الطبعة الأولى : ١٠٠٠ / ٥ / ١٩٩٤
إشراف وتنفيذ : تانيت للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

Δ تانيت للنشر

رقم الإيداع: الرباط - المغرب

9981-817-01-5. 1994 - 179



الشهيد العربي صلاح الدين الصَّبَاغ.

من كلمات الشهيد العربي:

- * إن العالم كله يقاوم الوحدة العربية ويمنعها، ويقيم العراقيل أمام تحقيقها. إن الوحدة العربية إذا تحققت، ستقلب كل المخططات والسياسات العالمية رأساً على عقب.
- * دمت يا رايتي العربية رمزاً أبدياً فوق قبري، فقد ضحيت بنفسي لأجلك.
- * علينا بمثل هذه الظروف العالمية أن نستغل الفرصة لانتزاع حقوقنا من غاصبها.
- * إن البلاد العربية مترامية الأطراف، زاخرة بالخيرات. فهي تمتد من المحيط الأطلسي إلى بحر عمان، وتلتقي فيها الطرق بين ثلاث قارات.... ومن العجيب أن العرب يتمتعون بكل هذه الأسباب التي تخلق الأمم العظيمة، ومع ذلك فإن بلادهم مازالت ملكاً لغيرهم!!!
- * اللهم، أعد للعرب قويم الأخلاق، ومتعمهم بالاستقلال والحرية.
- * إن العروبة، أعزّ عزيز عندي.
- * ليتأكد كل عربي أنني وإخواني، ضحينا في سبيل الوطن بكل عزيز لدينا. بمالنا وبأنفسنا وبسمعتنا...

المقدمة

فقه العروبة

في الوقت الذي شهد فيه العراق، وباقي البلدان العربية المجاورة أسوأ الأوضاع السياسية والاقتصادية في ظل عهود ومواثيق وقيود الانكليز والفرنسيين، كان صلاح الدين الصبّاغ يردد مع نفسه "عاهدت الله أن أشرب الحنظل، مابقيت البلاد العربية طريقاً لأمبراطورية الانكليز، وما بقيت حياً".

وكان يردد مع رفاقه الوطنيين قول الشاعر :

ولي وطنٌ أليتُ ألاّ أبيعهُ وان لا أرى غيري له الدهر مالكا

كما أن التذمر الشعبي والانتفاضات الجماهيرية قد تبلورت وانبثقت هنا وهناك، على أثر معاهدة "الاستقلال الناجز" عام ١٩٣٠ والتي قيّدت العراق بمعاهدة مشبوهة، أبرمها الانكليز مع حكومة ذلك العهد. وسرعان ما ازداد نشاط العشائر كظاهرة سياسية تسعى الى اسقاط التشكيلات الوزارية والسيطرة على الحكم. وفي موازاة هذه الظاهرة سادت حالة قصوى من الفساد والتحلل داخل المجلس النيابي، ووهنٌ وعجزٌ واضحان في قوى التنظيمات السياسية المعارضة في منتصف الثلاثينات..

وفي ظل تفاقم الأوضاع، تعددت الأسباب الداعية الى أن يستلم الجيش زمام المبادرة، ويتصدّر واجهة الحياة السياسية كوسيلة للتغيير واستلام السلطة. وقد كان ايمان العقيد الركن صلاح الدين الصبّاغ من بين رفاقه وزملائه لا يحدّ، بإمكانية بناء دولة عربية قوية موحدة في المشرق العربي. أساسها ومنطلقاتها المثل القومية العليا، وتاريخها، تراث المنطقة وارث الأنبياء..

وفي شعلة هذه الأصالة والحماس، كان يعمل صلاح الدين الصبّاغ وإخوانه على تدريب الثوار الوطنيين من أبناء فلسطين وسوريا في المعسكرات العراقية. كما قدّموا مايسطيعون من المساندة العسكرية الى ثورة ١٩٣٨ الفلسطينية وثوارها. ويوم قدم الزعيم الفلسطيني أمين الحسيني الى العراق عام ١٩٣٩، نشأت رابطة علاقة قوية، متينة، بين

الحسيني وصلاح الدين وزملائه الآخرين، ممن تتأجج في صدورهم مشاعر الوطنية والاستعداد للفداء من أجل التحرر والاستقلال والوحدة. فنتج عن هذه الروابط والحوارات المتكررة لجنة سرية يقودها الحسيني، وتضم العديد من قياديي الحركة القومية في كل من سوريا وفلسطين.. لقد سميت هذه اللجنة بـ"اللجنة العربية" وكان العقيد الركن الصبّاغ، من أهم وأبرز أصواتها وأعضائها.

كان الانكليز حريصين كل الحرص على إبقاء الجيش العراقي دون أسلحة حديثة متطورة. وكان صلاح الدين ورفاقه يسعون بشتى الطرق الى امداد الجيش بالسلاح تحسباً للمواجهة، وترقباً للمهام الوطنية والقومية الملقاة على عاتقهم. وفي ذات الوقت كان العملاء والخونة يسعون الى نسج شتى التبريرات والخدع والأباطيل للحيلولة دون ذلك، واثاحة الفرص والسبل للانكليز لإحتلال البلاد العربية وبسط امبراطوريتهم ..

وكانت من مطالب الانكليز على مجلس الدفاع الأعلى أن يفتح العراق أبوابه أمام الجيوش البريطانية، وأن تشترك فرقتان عسكريتان عراقيتان في الحرب العالمية الثانية ضد الحلفاء في ليبيا. وقد اقترح نوري بن سعيد أن يترأس الفرقتين العقيد الركن صلاح الدين وقد حاول بكل السبل اقناعه بذلك.

كما تكررت محاولاته لاقناع بعض قادة الجيش بذلك، ولكن عبثاً. ويستحضر العقيد المرحوم قول الفريق حسين فوزي لـ"نوري السعيد" تعقيباً على الحاحه في هذا المسعى: "لو مرّت الفرقتان العراقيتان بحلب، وسال حليبي جندياً عراقياً:.. (خيويون رايعين؟)، فهل يجيبه الجندي، بأنه في طريقه الى قتال الالمان، بينما سوريا وفلسطين تنن تحت جور الفرنسيين والانكليز؟

كان يطالب الشهيد صلاح الدين الصبّاغ عكس ما يبيّث له المتآمرون. حيث طالب هنا مثلاً بارسال هاتين الفرقتين الى سوريا وفلسطين للمساهمة في تحرير هذين البلدين من جور الاحتلال الفرنسي والانكليزي. وكان أن قصفت القوات الانكليزية بغداد وسائر المدن العراقية أثر عدم استجابة الجيش لمطالبهم. وقد قاد صلاح الدين الجبهة الغربية في المواجهة عام ١٩٤١ عند اندلاع الحرب العراقية البريطانية. ولكن عدم اطاعة الأوامر والخطط العسكرية، وانهيار معنويات البعض، وعدم موافقة الضباط على قيادة الفرق، أدى الى ضعضة صلابة الجبهات، فتمكّنت القوات البريطانية من احتلال أغلب المواقع. ومع ذلك قدم الشهيد الصبّاغ واخوانه (رشيد عالي الكيلاني وفهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب ويونس سباعوي) أبلغ الدروس للمحتل الأجنبي، وأسّطع صور البطولة والفداء من أجل الاستقلال والتحرر،

ومن أجل المثل القومية العليا، ان حماسة العقيد الركن صلاح الدين القومية والوطنية دفعته لأن يقاوم مع نفرٍ عديدٍ من اخوانه حشود هائلة من القوات البريطانية بكل أسلحتها المتطورة. وفي ذلك تكمن ترجمته الواقعية للحلم بالاستقلال والحرية وانشاء نواة الدولة العربية القوية الواحدة. كما يكمن في ذلك معنى فقه العروبة عند فرسانها الأوائل الذين ساهموا أمام الملأ بتأجيح وتأسيس المشاعر القومية عند سائر أبناء الجيل العربي في الثلاثينات والأربعينات. ومن الطبيعي أن يطارد الانكليز وعملاؤهم صلاح الدين الصبّاغ وأخوانه، ويحكمون عليهم بالاعدام وهنا نشترك مع العقيد الصبّاغ في طرح الأسئلة، كما جاءت على لسانه في هذا الكتاب:

من هو الخائن؟

من الذي سلّم العراق ومقدراته الى المستعمر المحتل؟

من صافح الجنرال الفرنسي "غورو" عند احتلاله دمشق؟

من سعى الى تعطيل مهمة القادة الوطنيين في الجيش، وأبعدهم عن سوح المواجهة ضد المستعمر الانكليزي والفرنسي؟ وهل يكفي أن نقول أنهم عملاء الاستعمار وزبانيته، أم أنها ارادة المستعمر وخططه، وهم الأدوات المنفذة والعبيد؟؟ والى متى يعيش مثل هؤلاء الخونة، والأحرار يقتلون؟ انه سؤال الشهيد يوسف العظمة حين رأى نوري بن سعيد...

لايمكن أن تتعايش الوطنية مع الاستعمار. ويعقّب الشهيد صلاح الدين: "انني مذنّب لأنني وطني... وكفى ذنباً في شريعة المستعمر المحتل". مما اضطرّه الى هجرة العراق عام ١٩٤١ الى ايران. وهناك أيضاً طرق الانكليز كل الأبواب في محاولاتهم لاحتواء العقيد الصبّاغ، مستغلّين صعوبة وقساوة ظروفه الصحية والنفسية والعائلية، ولكن الردّ كان دائماً حاداً وقاصلاً. وقد عبّ أحد الأجانب الذين اتصلوا بصلاح الدين الصبّاغ في طهران على موقفه: أرى أن خصومكم أحرص من الانكليز على ملاحقتكم (ويقصد نوري وأتباعه)، وأرى أن بريطانیا لاتتردد في تفضيلكم عليهم، لو وجدت فيك ميلاً للتفاهم معها، وأرى أن خصومكم يبذلون أقصى الجهود للقضاء عليكم وبسرعة..

ورغم ظروف النفي والحكم الغيابي المعلن بإعدام صلاح الدين، كانت إجابته على تلك

المغريات بمايلي: لا والله:

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل

ومن ايران الى تركيا كلاجئ سياسي، وقد اتفق العملاء هنا وهناك على مطاردته أينما حلّ

وقد تم تسليم العقيد الركن صلاح الدين الصبّاغ الى السلطات البريطانية في ميدان "اكبس" على الحدود التركية - السورية، في يوم الأحد ١٩٤٥/٩/٣٠ ثم ارسل الى بغداد واستشهد محكوماً بالاعدام في ١٦ تشرين الأول من عام ١٩٤٥ بتهمة باطلة ملفقة من قبل الانكليز وأتباعهم. لكنه في الحقيقة ازداد انتساباً بشهادته الى الأرض العربية وتاريخها البطولي من أجل قيم الحق والعدالة والتحرر.

فالتحق بموكب رفاقه (فهمي سعيد ومحمود سلمان ويونس السبعائي وكامل شبيب) وغيرهم ممن اغتيلوا وقتلوا واعدموا.

ان ماثونه العقيد الصبّاغ في هذا الكتاب هو أقرب فعلاً الى الاعترافات منه الى المذكرات كما جاء على لسانه. وفيها سرد دقيق لتفاصيل واقعية حصلت في أخطر مرحلة من مراحل النضال ضد الاستعمار البريطاني في العراق بشكل خاص. ويقول الشهيد - الكاتب، بأن أفكار الكتاب لاتشير الى ماستكون عليه أفكاره مستقبلاً، فيما لو قدرّت له الحياة عمراً آخر، وفي ذلك ايضاً نجد اعترافاً ضمناً بأحقية تطور التجربة الفكرية والعسكرية والاجتماعية بتطور الحياة التي يؤمن بها الشهيد، ويؤمن بحرية أبنائها بالاستقلال والانعقاد.

كما نجد في لغة تدوين الكتاب صيغة المتكلم والمخاطب في ذات الان، مما أعطى المفردات حيوية تنبض بالعفوية والصدق، مهما امتد الزمن، ومهما تبدلت المراحل.

هي لغة الأعماق والحرص والمحبة القصوى للشعب والوطن، كاللغة التي عبر بها العراقيون عن مدى انشداهم إلى وطنية الملك غازي. حتّى كانوا يتوجسون مؤامرة ضده وهو حي يرزق قبل حادثة السيارة الشهيرة. وكانوا يرددون هذه المخاوف في أهازيجهم: «ها.. ها.. ها.. غازينه بس لايتبدل»، على سبيل المثال...

ونحن هنا في سعيينا لإعادة طباعة هذا الكتاب، لم يخطر ببالنا مطلقاً، إعادة التشهير بمن وردت أسمائهم بين صفحات المذكرات... بل غرضنا التركيز على تفاصيل الأحداث قبل وبعد عام ١٩٤١، ومايمر به وطننا العربي الآن من ظروف تكاد تكون مشابهة للأحداث التي تناولها المؤلف حينئذٍ. ونجد في تكرار الحقائق فائدة للجميع وتعميم درس هام من دروس الوطنية للأجيال العربية اللاحقة، التي تسعى إلى ذات القيم والمبادئ التي ضحّى من أجلها بحياته كاتب هذه المذكرات وكذلك رفاقه الآخرون... ولكي ننجز الكتاب طبعة أكثر الماماً وتوثيقاً وازافة «باعقادنا» ارتأينا أن نختار بعضاً مما كتب وقيل ونشر حول تجربة صلاح الدين الصبّاغ النضالية. خصوصاً في المرحلة الصعبة الأخيرة من حياته، وبعد

استشهاده. وقد جاء أغلبها في كتاب «شهود العروبة». وقد أدرجناها كوئائق أو شهادات مرقمة بين فصول هذا الكتاب، علماً أنها «الشهادات»، لم تكن ضمن مذكرات الشهيد الأصلية بالطبع.

ويأتي الكتاب في مثل هذه المرحلة من الانكسار العربي، ليضيء صورة ناصعة من أبجدية القيم الوطنية والقومية العربية. ويشير إلى أهمية قراءة التاريخ السياسي في العراق مرة أخرى وأخرى، وبصورة حيادية خالية من الأحكام المسبقة الصنع والتوصيفات الجاهزة.

سمير السعيد

١٩٩٤

ياصِيحَةَ الصَّبَاغِ

ياصِيحَةَ الصَّبَاغِ ، يادَمَةُ الزَّكِيِّ عَلَى الصَّعِيدِ
ياثَارَ يونسَ ، وَ الدَّمِ الْعَرَبِيِّ مَبْخَرَةَ الْخُلُودِ
ياشَهْقَةَ الشَّهْدَاءِ بَيْنَ النَّارِ تَزَارُ وَالْحَدِيدِ
ياْمَرْكَبِ الْأَبْطَالِ فِي بَغْدَادِ ، يَا سُمْرَ الْفُهْودِ
ياصَاعِدِينَ عَلَى الْمَشَاتِقِ زَهْرَ تَيْجَانِ " الْعَبِيدِ "
شَقُّوا الْقُبُورَ ، تَطَلَّعُوا بَغْدَادَ تَبْعُثُ مِنْ جَدِيدِ
كَحَلِّ جَفُونِكَ يَا صِلَاحَ الدِّينِ بِالْفَجْرِ الْوَلِيدِ
وَانْظُرْ ، دِمَاؤُكَ فِي نَشِيدِ الشَّارِ عُنْوَانِ النُّشِيدِ
انْظُرْ ، هُنَا صَلْبُ الشَّهِيدِ ، فَمَنْ تَرَى بَعْدَ الشَّهِيدِ
مَاذَا عَلَى مَبْنَى الدِّفَاعِ ، وَعَبْرَ سَاحَاتِ الرُّشِيدِ ؟
مَوْجُ ، كَقَاصِفَةِ الرُّعُودِ ، بَلَى كَقَاصِفَةِ الرُّعُودِ
وَنَارَ أَشْلَاءِ الْخِيَانَةِ تَحْتَ أَقْدَامِ الْحَشُودِ
وَالْعَرْشِ ، عَرْشِ الْعَارِ ، أَنْقَاضُ عَلَى جَنْبَاتِ عِيدِ
يَاثَارَ يونسَ ، يَادَمُ الصَّبَاغِ ، يَا أَرْضَ الْجُدُودِ
عُودِي ، تَمَزَقَتِ السُّدُودُ . وَطُهِرَتِ بَغْدَادُ ، عُودِي
الشَّاعِرُ الْعَرَبِيُّ الْكَبِيرُ

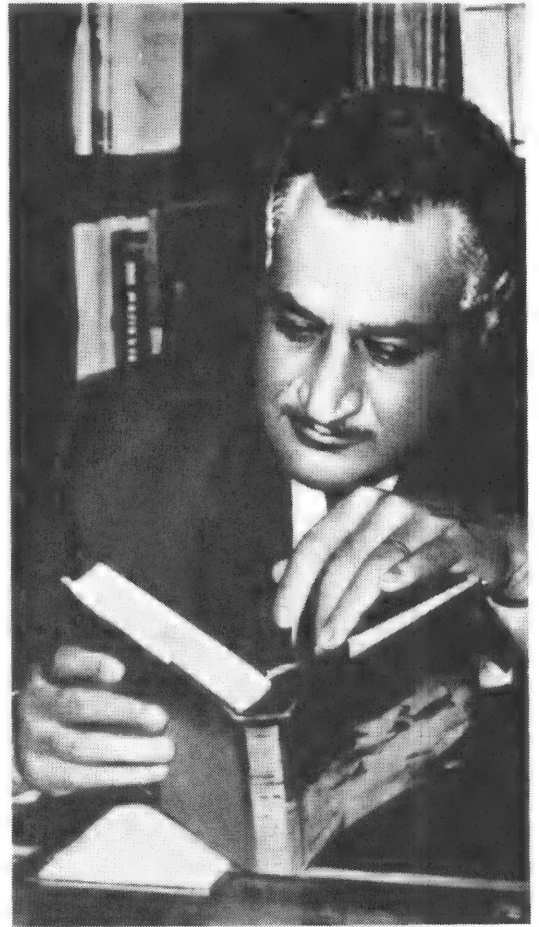
سَلِيمَانُ الْعَيْسَى

"عند اعلان ثورة العراق"

لا شك أن في تسجيل
حياة بطلنا الشهيد ابراز
للمثل العليا وتسجيل
للقدوة، وافادة من ذكرى
الحالدين بدراسة معالم
البطولة في تاريخهم،
وعرض جوانب المجد من
أعمالهم حتى يهتدي بها
شباب الأمة العربية فيحققوا
للقومية العربية آمالها
الكبار...

الرئيس

جمال عبد الناصر



الإلهـــــــــــــاء

إلى الجندي الذي تأبى حميته الوطنية أن تحتاح الجيوش الأجنبية
ببلاده، فتتهتك حرماؤها وتسبي نساءها، فيحمل بندقيته، مفضلاً الموت
على خدمة الأجنبي، وحراسة خطوط مواصلاته ومد آخر تمونه .
إلى الضابط الملم بصناعته، الخبير بالأركان الحربية .
إلى العربية التي ترضع طفلها حب الوطن والعروبة .
إلى كل مواطن عراقي مخلص .
إلى كل عربي قومي .

صلاح الدين الصباغ

الوصية

زوجتي العزيزة والدة نزار وربيعه،

زوجتي العزيزة والدة انمار،

أولادي الأعزاء نزار وربيعه وأنمار.

كنا مكتفين قانعين بعيشنا البسيط الهنيء ولا سوء لنا على غيرنا، ثم قدّر الله أن يفرّق بيننا إلى الأبد. وهذه مقادير الله لا يمكن ردها، وليس لنا إلا أن نطلب منه الرحمة، وابقاء عائلتنا حصينة الشرف، فلا يطعن بها ولا تطعن بأحد. وكل ما أبتغي هو أن تبقى عائلتي مصونة الكرامة بعيدة عن المكاره والأعمال المشينة بسمعتها. فأوصيكما بتربية أطفالنا على نهج القومية الحقّة، وأن لا يؤذوا بشراً مهما كانت قوميتهم.

أنا أسف يا أولادي الأعزاء ويا زوجتي لأنّي أترككم وأنتم لا تملكون داراً أو درهماً أو عقاراً. والله يعينكم، وبنو جلدتي كرام وإن جاروا علينا.

ولدي نزار: أوصيك بإخوتك، وأرجو أن تجتمعوا في بلد واحد، وإذا أمكن ففي دارٍ واحدة، أنتم وأزواجكم وأولادكم. وأن تكون أنت الوصيّ على تربية إخوتك تربية تشرف سمعة العائلة التي انحدرت منها. واسكن صيدا قرب بيروت، ولا تكن مثلي وحيداً بلا معين، بلا أخٍ أو خالٍ أو أم، بذلك تتألون من أقربائكم المعونة، وإن انقطعت الصلة منذ أمد بعيد.

وأوصيك يا أولادي أن لا تنتخبوا مسلماً غير المسلك الحر. ليكفيكم شر وسواس الناس ومكرهم وخداعهم، كما حدث لي، فكان أن حلّت بكم النكبة، ففقدتم والدكم وسندكم الوحيد بعد الله.

ما أكثر شوقي لرؤيتكم، إني سأذهب بهذه الحسرة، فقد تركتكم أطفالاً، وقد مضت مدة تتجاوز أربع سنين ونصف، فلا بد أنكم ترعرعتم وأن أشكالكم قد تبدّلت، وقد كنت تواقاً إلى رؤيتكم قبل أن أفارقكم الفراق الأبدي، وهذه مقادير الله.

لا بد وأن تجدوا من رجالات العرب بعض المساعدة إذا راجعتموهم، فقد فدّيت نفسي في سبيل الغايات التي يستهدفونها. كونوا مع الله يا أعزائي، واسأل الله أن يعينكم ويحفظكم ويبقيكم خير خلف.

الوداع زوجتي العزيزتين وأقبلكما، وأقبلكم يا أعزائي نزار وربيعة وأنمار

والدكم صلاح الدين الصباغ

بغداد ١٥ تشرين الأول ١٩٤٥



غلاف الطبعة الاولى عام ١٩٥٦ (الشباب العربي)

الفصل الأول

الفاتحة

- ◆ الأهداف .
- ◆ السجل .
- ◆ لماذا نستعمر؟
- ◆ العربي بين العقيدة والأنانية .
- ◆ من قيود المعاهدة العراقية الإنكليزية .
- ◆ مبادئ الإنكليز في العراق .
- ◆ رأي أجنبي .
- ◆ في تعريف الخائن .
- ◆ نحن والإنكليز .
- ◆ نحن والألمان .
- ◆ قصر أعمار الوزارات .

بسم الله الرحمن الرحيم

في سبيل مبادئ محمد العربية السامية

في سبيل الراية العربية

يطاردني اليوم في إيران الإنكليز والروس والإيرانيون والعراقيون، جنودهم وشرطتهم
وعيونهم وسفاراتهم.

لقد أقصيت اليوم من إيران، ولا أدري ماذا حل بإخواني الأبرار. وإني لأجوب الآن
القرى والأكواخ النائية، فلا أرى من حولي غير الهول والدمار، ومن ورأي ذئاب البر وذئاب
البشر.

إن البرد قارس، وماعلي من لباس قد تمزق، وأنا لأملك ما أسد به الرمق.

لا معين ولا مغيث سواك يا متعال، فإن كتب علي الموت، فصن يا إلهي مادنوت من حقائق،
وأهد إليها من يتقي الله، ويشفق على الإنسانية، ليودعها عربياً باراً، فتكون حجة لقومي، وعبرة
للأجيال القادمة.

. . مازلت مؤمناً أنك منقذي من هذه المحنة، وماداً في عمري، وأخذاً بيدي لأتمم
رسالتي ومذكراتي. وأنا من أمة باركت فيها وخاطبتها بقولك: «كنتم خير أمة أخرجت للناس».

أنت العليم، وأنت أحكم الحاكمين.

لئن حكمت علي محكمة عبيد الإنكليز التي يرأسها عبد الإله بالإعدام حكماً غيبياً، فإنني
اليوم ماثل أمام ربي الذي أخشاه، وفي أشد ما يتصور الإنسان من ضيق وحرَج. وهذه
الصفحات سرد لما بقي عالقاً في ذاكرتي من الحوادث قبل أن يحاربنا الإنكليز الطغاة. وما
دونتها لأبرر موقفني أو لأبرئ ساحتي وساحة اخواني. لكنني عرضت فيها حالتنا، وكيف كانت،
وشرحت شعورنا ماهو، وأوردت أقوالنا بالنص والحرف بدون تعليق على الحوادث، وبدون
مناقشة لما كان علينا أن نفعل أو ألا نفعل.

ثم إن هذه الصفحات، لاتصور أفكارني اليوم وأنا في حالتي الراهنة، ولا تنبئ بما

أولاً: الأهداف

من أهدافنا ...

الأخلاق المساواة الرأي للأمة العروبة القوة

أ- الأخلاق:

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». ومن مكارم الأخلاق الصدق في القول والعمل، والطهر في الظاهر والباطن. لا تؤذ غيرك، ولا تعتد عليه لا بالقول ولا بالفعل وإن كان حيواناً. لا تحجم عما يعود على المجتمع بالخير.

ب- المساواة:

«إنما المؤمنون أخوة». ومن الأخوة التساوي. فلا فرق بين قوي وضعيف ولا بين غني وفقير، ولا بين أبيض وأسود. «إن أكرمكم عند الله أتقاكم». ومن الأخوة التواصل بالعدل. فلا يجوع الفقير ويتعري، وأخوه الغني ينعم بالطيبات.

بلاد العرب ملك العرب. على أن من سكن بيتي وكان معي، لا علي، كان مني وكان آمناً.

ج- الرأي للأمة:

«وشاورهم في الأمر»، وأمرهم شورى بينهم» ولا رأي ولا مشورة بلا حرية. وهي حرية الفرد في نطاق الأخلاق والأخوة. قال عمر «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أماتهم أحراراً» فنعم القول ونعم الديمقراطية.

د- العروبة:

«إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون» ومن ذلك التفاني لمجد العروبة وصفاء جوهرها. ومن ذلك أن يعرف العربي نفسه وسمو مكانته بسمو مبادئه.

فينود عنها، على أن لا يتعدى حق غيره، ورحم الله من عرف ماله وما عليه. يمثل هذا «كنتم خير أمة أخرجت للناس».

و- القوة:

«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم»
 لا لنعتدي، بل لنرد الاعتداء. «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم».
 والقوة بالتسلح مادة ومعنى، علماً وفناً. ومن القوة، العمل وتسخير الطبيعة واستثمار مواردها
 «فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور»

«ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون». فمن لا يعمل
 فإنه لا يكون جديراً بوراثة أرضه ولا يستطيع أن يحمي حماه أو يذود عن مبادئه.

١- في الأخلاق:

مبادئنا هذه تحارب التعصب الأعمى وعادات الجاهلية، وترحب بكل اجتهاد جديد يسعد
 العائلة ويبقى على جوهر العروبة (الملحق ١)

نريد تعليم المرأة لتقوم بأعباء الحياة الاجتماعية، على أن لا يدنس ذلك عفافها ولا
 يصرفها عن واجبات البيت وحنان الأم. وأن تستمتع كالرجال بمحاسن الطبيعة وبملذات الحياة،
 في حدود الأخلاق والسجيا العربية.

نريد إزالة ماعلق بعباداتنا من شوائب لاتليق بالحضارة ورقى العقل، وأن تقوم في بلادنا
 مصانع ومعاهد تضم علماء ومخترعين ينقطعون إلى البحث العلمي ويحاولون الصعود إلى
 القمر ليكبروا قدرة الخالق وليتأكدوا من كروية الأرض، ويتفهموا آيات الكتاب بأنهم وأرضهم
 في فلك يسبحون.

نريد إنشاء المصححات وإشادة بيوت الأمة في أصغر القرى وأبعد النواحي.

نريد ادخال التعليم في كل دار، وطرد الأمية من كل زاوية.

نريد احياء ملاحينا وألعابنا القومية وتشذيبها. مراعين في ذلك الذوق السليم والخلق
 القويم، ومستخدمين مبتكرات الفنون العصرية.

نريد مقاومة الإلحاد وتحقيق حرية العبادة وتنظيم المعابد وجعلها جذابة، تحيظها
 الجنائن الغناء لتذيع على الأنام مبادئ السلام والإسلام.

نريد ونريد، ولكن الإستعمار لا يريد.

٢- في المساواة:

مبادؤنا هذه تحارب الإستعمار، وتتاضل ضد الإستعباد، وتناحر التفاخر بسمو العنصر. فالإنكليز والألمان يعتبرون غيرهم حيوانات سائمة، والأمريكيون يرهقون الهنود الحمر ويريدون محقهم، والفرنسيون يريدون مسح أبناء المستعمرات إلى عنصر آخر، كما يفعلون بعرب المغرب «واقوماه».

أما نحن فالناس عندنا سواسية، لا فرق بين الأسود والأبيض، فهم جميعاً عباد الله. وعبد الله لا يستعبد ولا يستعبده أحد. على أن من سنة الطبيعة التنوع في المخلوقات والعناصر، والإختلاف في المزايا والمشارب. مثلها كجنة تنوعت أزهارها فزادت بهاءً. وهكذا كان البشر عناصر مختلفة الخواص والميول، وكذلك كان الحيوان والنبات.

واختلاف العناصر، سنة طبيعية، نراها واضحة فيما تصنعه يد الإنسان، فالمدافع والطائرات مثلاً أصناف، وكل صنف مزية وطاقية. لذلك فإن إزالة الفوارق العنصرية بين البشر وأفراغهم في قالب واحد، أو محو عنصر ليعيش على رفاته آخر، ماهي إلا محاولات تتحدى التكوين الطبيعي وتنتشر الإضطراب في الحياة الاجتماعية، بل إنها توحش حيواني تحاربه المثل العليا.

٣- في الرأي:

ماكان محمد (ص) ليستخلف ولده لو كان له ولد، بل إن محمداً لم يركُ لخلافته أحداً، كي لا تنتقص حرية الرأي إذا هو فتح الباب لمحابة الأقربين.

وفي كتاب الله آيات تقضي بأخذ رأي الجماعة بحرية مطلقة. «وشاورهم في الأمر» - «وأمرهم شورى بينهم» فحرية الجماعات والأفراد تنعدم إذا كان الحكم «لابن الدلال» أمراً مقضياً وكان العرش له مجلساً مرتقباً يعتليه بلا تعب أو نصب، بلا رأي ولا انتخاب، فهو يصرف الأمور كما يشاء هواه لا كما يزيد الشعب، وهو صاحب الحول والطول.

هذا السلطان الوراثي هو أشنع ضروب الرجعية، وأظلم بقايا العصبية القبلية، لأنه لا يماشي تطور العقل ومدنية العصر. فالتاريخ يؤكد أن الأمة ليست بضاعة تورث، وأن الملوك ليس لهم حق إلهي في الحكم. والطبيعة تقرر أن الإبن قد لا يرث محاسن أبيه البطل، وأن الملوك وألهم من طينة البشر.

أما السلطان الصحيح، فهو سلطان العصاميين الأكفاء الذين يقيمونه بالعمل لا بالوراثة. هؤلاء العصاميون هم وحدهم الجديرون بالتكريم والإشادة بأسمائهم والاعتراف بأعمالهم الخالدة والاحتفاظ بتراتهم الجليل.

أما ادعاء الخلف لملك السلف، فهو أمر مجحف بحقوق الأفراد، ويردي البلاد في وهدة التأخر. ومن عجب أن يقوم بين الناس غرٌ غمر لا يفرق كوعاً من بوع، فيقول: (أنا ربكم وولي أمركم، ذلك حق ورثته عن آبائي وأجدادي) ثم لا نجد بين الناس معترضاً يعترض أن (ليس لك من أبائك يا هذا غير الجسد، فإن ابتغيت مجداً، فدونك الميدان تعمل فيه مع العاملين من بني قومك، وتناضل، فتفوز أو يفوز أكفاً منك). وإن شبه الملك هذا ليرتدي حلة الزعماء والحكام، ويزن القواد العظماء، والكل يعلم أنه صنم لا خير فيه ولا كرامة. لكن لا كرامة لمن ورث ملكاً وإمارة، فطغى على قومه وتكبر، وأحنى للأجنبي هامته وتذلل، وهو إلى ذلك جاهل أحمق. ويل لأمة تولي أمورها لمثل هذا، وهيهات أن تحيا.

٤- في العروبة:

٥- وفي القوة:

مبادئنا من تراث الأنبياء ومن وحي الإله، لإسعاد كل حي على وجه الأرض. وهي تكفينا شر البلشفية والنازية والديمقراطية الإنكليزية. فإن هذه أسماء بَراقة تخفي وراءها تيارات همجية من الأخلاق المادية الغربية. تعمل على القضاء على المثل القومية العليا، التي كان أسلافنا مبدعيها وحاملي مشعلها. فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة. تمسكوا بالفضيلة، وأصلحوا من أمركم، ولينظر كل منكم لمصلحة أخيه كما ينظر لمصلحته هو. بذلك تصونون جوهركم، وتحفظون تراثكم، وترثون أرضكم.

ملحق رقم - ١ -

يعيبنا غير المسلمين من المستشرقين المغرضين، وبعض المفكرين المضللين، على تعدد الزوجات، مع أن السفاح في الغرب مباح أو يكاد. وفي هذا أقول بعد مراجعة الآية «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم ألا تعدلوا، فواحدة». إن السلف أساء التصرف ومازلنا نسيء الفهم. فالمتيم الذي سلب الحب مشاعره وأعمى بصائرهم، والنهم الذي يريد إشباع رغباته وأطماعه، لا يمكن أن يعدل. والعدل عموماً لا يطلب من الأفراد، وإلا لما كان هناك سبب لإقامة القضاء وتنصيب القضاة، لتطبيق الشرائع الإلهية والقوانين المدنية، ولوضع أنظمة القيود والمعاملات. فأولى بالأمور التي تمس سيادة العائلة، أن يتبع في حلها طرق المراجعة والفتوى، لأن سعادة العائلة من أهم مقومات الحياة الاجتماعية.

لماذا لا يكون القضاء هو المرجع والأمر في تعدد الزوجات، بعد أن تدرس العلة، ويفهم السبب في كل مسألة على انفراد. فإن وجد القضاء ضرورة اجتماعية، كأن تكون المرأة عاقراً، أو ضرورة صحية، كأن تصاب المرأة بمرض مزمن من بعد ولادتها الأولى، أو بعد عملية جراحية، سمح بالتعدد بشرط أن يكون الزوج ذا سعة وقدرة.

فأنا لا أقول بمنع التعدد، بل أنادي به ضمن هذه الحدود التي تتفق مع العدل ومصلحة المجموع، فإن ذلك خير من السفاح. وما هي حالة المجتمع إذا كان عدد الإناث يزيد على عدد الذكور وكن سافرات، والسفور من حقهن طبعاً، وكانت لهن كل الحرية. كما هي الحال في بريطانيا مثلاً.

ثانياً: السجل

١- الساسة الوطنيون أصدقاء الشعب والجيش:



فهد الهاشمي



الملك غازي



رشيد عالي الكيلاني



ناجي السويدي



يونس السباعي



ناجي شوكيت

الملك غازي:

نجل المغفور له الملك فيصل الأول وابن عم عبد الإله وصهره. قضت المصالح البريطانية اغتياله فتم ذلك في ليلة ٤/٥/نيسان عام ١٩٣٩، وهو في السابعة والعشرين من العمر، وخلفه ابنه فيصل الثاني طفلاً في السادسة من عمره.

رستم حيدر:

من بعلبك. قتل غيلة في وزارة المالية بتاريخ ١٨/كانون الثاني سنة ١٩٤٠ تطبيقاً لما تقتضيه المصالح البريطانية في العراق. كان لامع الشخصية واسع الثقافة، فاستوزره فيصل الأول مراراً وجعله عضداً له وكاتماً لسره.

رشيد عالي الكيلاني:

عربي قرشي، من سلالة الشيخ عبد القادر الكيلاني. وهو شجاع مقدام، واسع الثراء عريض الجاه. تقلد الوزارة ورئاستها مراراً، وكان قبل ذلك استاذاً في كلية الحقوق.

طه الهاشمي (العميد الركن):

أخو المرحوم يس الهاشمي. وهو شريف النسب عربي المبدأ، له اليد الطولى في تأسيس الجيش العراقي وتعزيزه، وكان رئيساً لأركانه خمسة عشر عاماً حتى انقلاب بكر صدقي سنة ١٩٣٦، ثم تولى وزارة الدفاع، ثم رئاسة الوزارة في أوائل عام ١٩٤١.

ناجي شوكت:

عربي الأصل والمبدأ. تخرج من الملكية الشاهانية في الأستانة واشترك في الثورة العربية بعد أن وقع أسيراً وهو ضابط احتياط في الجيش العثماني. تقلد الوزارة ورئاستها وكان سفيراً للعراق لدى الجمهورية التركية، ثم وزيراً للدفاع أيام الحرب العراقية الانكليزية.

ناجي السويدي:

عربي عباسي قومي النزعة، ولوالده المرحوم يوسف السويدي مجد خالد في الثورة العراقية. كان أستاذاً في كلية الحقوق ووزيراً ورئيساً للوزراء في العراق، وأخيراً تولى وزارة المالية في وزارة الكيلاني خلال الحرب العراقية الانكليزية، ثم لجأ إلى إيران وتركته فيها.

يونس السبعائي:

من طي. عربي قومي وشعلة من الذكاء. شجاع مقدام، وغيور لا يتوانى عن التضحية بكل شيء في سبيل العروبة. نشأ يتيماً فقيراً لكنه كان الأول ترتيباً في المدارس العراقية حتى

تخرج من كلية الحقوق، ثم انتخب نائباً في المجلس النيابي. ثم تقلد الوزارة في وزارتي الكيلاني الأخيرتين وهو في الخامسة والثلاثين، فكان أصغر الوزراء سناً في تاريخ العراق. لجأ إلى إيران، وكنا سوياً في زنجان. ثم غادرها إلى طهران.

علي محمود الشيخ علي:

عربي بغدادي. كان استاذاً في كلية الحقوق ووزيراً أكثر من مرة وله مواقف وطنية ضد الانكليز وأذئابهم. وكان يوم حاربنا الانكليز وزيراً للعدلية. لجأ إلى إيران وتركته في طهران.



علي محمود الشيخ علي.

٢- المتزعمون بقوة الانكليز من أعوان الاستعمار:



جميل أحمد آغا،



نوري بن سعيد



صالح جبر



علي جودت أيوب،



محمد الناصر

نوري بن سعيد:

ويعرف بالسعيد، لكنه ليس عربياً من بني سعيد ولا من آل سعيد، بل تركياً من قونية كان ضابطاً للإعاشة في لواء الخيالة العثماني في بغداد، والتحق بكلية الأركان بالأسطانة ثم فر منها ملتجئاً إلى السيد طالب النقيب في البصرة، ثم ترامي في أحضان الانكليز وكان انكليزي النزعة قبل الحرب العالمية الأولى. فزجوه برفقة لورنس ليعيث ويفسد كما يفعل في العراق الآن، وكما فعل في سوريا من قبل، والتفاصيل عند بطل مصر عزيز علي وعند السيد طالب رحمه الله. وفي مقتل توفيق الخالدي وغازي ورستم، وفي تسليم دمشق إلى غورو الخ. كان نوري رئيساً للوزارة عدة مرات، وهو وزير تقليدي للخارجية.

جميل بن أحمد أغا:

المشهور بالمدفعي. وقد جاءه الاسم اكتساباً لأنه كان ملازماً مدفعياً في العهد العثماني. وهو في عبادة الانكليز أكثر اعتدالاً من نوري. عاش أبوه فقيراً ومات وهو لا يجيد العربية لأنه لم يكن عربياً. لكن أمه عربية خالصة. سكن أبوه قرية نينوي في ضواحي الموصل بدار مؤجرة. ويعرفه كهولها الذين تجاوزوا الخمسين. التحق جميل بالثورة العربية بعد أن وقع أسيراً بيد الروس وقد زجه الانكليز في الثورة العربية ثم تقلد الوزارة ورئاستها في العراق. وهو اليوم من أصحاب القصور والأطيان.

علي جودت بن أيوب:

المشهور بالأيوبي، لكنه لا يتصل بصلاح الدين الأيوبي ولا بعهد الصليبيين، إنما هو ابن أيوب شاويش الدركي في عهد العثمانيين. ولد في محلة (الصاغة) بالموصل لذلك فإنه قد يكون عربياً، وكان ملازماً في العهد العثماني ووقع في الأسر أثناء الحرب العالمية الأولى فزجه الانكليز في الثورة العربية، وتقلد بعد ذلك الوزارة ورئاستها في العراق.

محمد الصدر:

أبلى والده في الثورة بلاءً حسناً وتوفي رحمه الله وهو على مناواتهم. لكن محمد الصدر على نقیض أبيه، لذلك أوقف له الانكليز رئاسة مجلس الأعيان العراقي هدية منهم. له في قصر الوصي عبد الإله نفوذ وحظوة، حتى لقبوه راسبوتين.

صالح جبر:

عربي من الفرات. كان في الحرب العالمية الأولى يعمل جاسوساً لحساب الانكليز ومازال خادهم الأول. هذه هي مزاياه وخصاله كلها، وهي كافية لجعله ذا وزارة ورأي.

داود حيدر:

المعروف بالحيدري. لم يأت الاسم لصلة بعلي كرم الله وجهه لأنه لا تجري في عروقه دماء عربية. بل إن جده حيدر كان درويشاً من أربيل، فهاجر إلى بغداد حيث أوت أولاده عائلة الربيعي ذات النسب العريق، ثم استكبر الأولاد على العرب بمر الزمن. يعمل داود محامياً لشركة النفط الانكليزية ويمتاز على نوري سعيد بأنه لا يتورع عن المجاهرة بنزعته الانكليزية والتصريح بالمرتب الضخم الذي يتقاضاه منهم مدى الحياة. نشأت ذريته على التربية الانكليزية.

هو من عائلة من عائلة الدرويشين الذين هاجروا من أربيل إلى بغداد في القرن التاسع عشر. وكانوا من الدرويشين الذين هاجروا من أربيل إلى بغداد في القرن التاسع عشر. وكانوا من الدرويشين الذين هاجروا من أربيل إلى بغداد في القرن التاسع عشر.

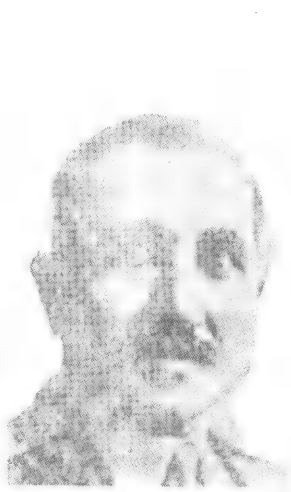
هو من عائلة من عائلة الدرويشين الذين هاجروا من أربيل إلى بغداد في القرن التاسع عشر. وكانوا من الدرويشين الذين هاجروا من أربيل إلى بغداد في القرن التاسع عشر. وكانوا من الدرويشين الذين هاجروا من أربيل إلى بغداد في القرن التاسع عشر.

هو من عائلة من عائلة الدرويشين الذين هاجروا من أربيل إلى بغداد في القرن التاسع عشر. وكانوا من الدرويشين الذين هاجروا من أربيل إلى بغداد في القرن التاسع عشر. وكانوا من الدرويشين الذين هاجروا من أربيل إلى بغداد في القرن التاسع عشر.

هو من عائلة من عائلة الدرويشين الذين هاجروا من أربيل إلى بغداد في القرن التاسع عشر. وكانوا من الدرويشين الذين هاجروا من أربيل إلى بغداد في القرن التاسع عشر. وكانوا من الدرويشين الذين هاجروا من أربيل إلى بغداد في القرن التاسع عشر.

هو من عائلة من عائلة الدرويشين الذين هاجروا من أربيل إلى بغداد في القرن التاسع عشر. وكانوا من الدرويشين الذين هاجروا من أربيل إلى بغداد في القرن التاسع عشر. وكانوا من الدرويشين الذين هاجروا من أربيل إلى بغداد في القرن التاسع عشر.

٣- قادة الجيش العراقي:



حسين فوزي



بكر صدقي



أمين العمري



ابراهيم الراوي



أمين زكي



صلاح الدين الصباغ.

بكر صدقي:

أطلق على نفسه اسم العسكري قائلاً: «لماذا يكون جعفر عسكرياً ولا اكون كذلك وكلانا من قرية عسكري؟» لما غادر رئيس اركان الجيش طه الهاشمي العراق الى اوروىا عام ١٩٣٦، صار بكر صدقي وكيله فانتتهز الفرصة وقام بانقلابه المعروف، بعد ان اغتال وزير الدفاع جعفر العسكري صهر نوري بن سعيد. بكر صدقي ضابط ركن قدير في الجيش العراقي والعثماني وكان كثير الطموح يكره الاستعمار، يمقت الانكليز واذنابهم. كان في بادىء الامر رئيسا للحركة الكردية، وكان توفيق وهبي معه، والميجورايدى يؤيده في الخفاء، فلما نال بكر بغيته، نبذ الانكليز وتنكر لهم خاصة بعد ثورة الآشوريين. لكنه كان ينكر الدين ولا يعترف بعروبة العراق، لذلك أودت به هذه النزاعات الى حتفه اذ قتله الجيش عام ١٩٣٧ بسببها، حفظا لعروبة العراق. وما اكثر الضحايا العريزة التي تقتل وتفننى ما دامت يد الاجنبي في البلاد.

حسين فوزي (الفريق الركن):

هو الفاضل النبيل، والمسلم الصادق. ولد في بغداد من أب كردي وأم عربية، ونشأة اسلامية، فاحب العرب شأن الاكثرية الساحقة من اخواننا الاكراد الذين وقاهم الله من دس الاجانب، وكره الاستعمار، ومقت الانكليز واذنابهم.

فطوبى له وبورك به. وهو ضابط ركن في الجيشين العراقي والعثماني، فلما أصبح رئيساً لأركان الجيش، جمعتني به وحدة الفكر والعمل، فوجدته مثلاً للنبل والنزاهة، فتوسع الجيش على عهده، حتى بلغ الارج تنظيماً وتدريباً وتسليحاً. احيل على التقاعد قسراً ففقدت صديقاً على الرغم مني، إذ كان ضحية لشراك نوري بن سعيد واحابيله المقررة في خطة الاستعداد للحرب.

أمين العمري:

من آل العمري في الموصل. عربي الأصل لكنه ربما قال بالعراقية إذا خلا بغير العرب. والواقع أنه موصللي النزعة، وهو نو خلق وفضل، يبادله الأنكليز مقتاً بمقت شديد {قبل أن يحال على التقاعد} لم يناهض أمين العمري بكر صدقي لعقيدة، بل لكرائية شخصية، فلما قتل بكر صدقي صار قائداً للفرقة الأولى، وهو ضابط ركن في الجيشين العراقي والعثماني. له في الكتابة العسكرية أسلوب طلي، لكن مادته قليلة. غلب به الطموح حدود قابليته حتى دفعه ذلك إلى أن ينقلب على أصدقائه ونحن منهم، وأن يكيد له نوري، فيحيله على التقاعد ونحن صاغرون.

أمين زكي:

ولد في بغداد من أب كردي، بيد أنه يعطف على العروبة ويتعصب للإسلام، ويمقت الاستعمار وسماسرته، فبورك به. رشحه طه الهاشمي لرئاسة أركان الجيش بعد حسين فوزي، وكان قبل ذلك قائداً للفرقة الثانية. ثم التجأ إلى إيران بعد أن حاربنا الأنكليز وتركته في طهران.

اسماعيل نامق:

يميل إلى الأنكليز وإن كان عربياً، ويرضى استعمارهم بدعوى أنهم خير من سواهم، لكنه مع ذلك لم يكن جاسوساً للأنكليز ولا سمساراً لهم، ولم يعاد عدوهم. فليت نوري وعبد الإله وغيرهما كانوا مثله. ثابر على عمله ونحن نحارب الأنكليز برغم ميله إليهم لأنه مطبوع على مماشاة القوة، وبذلك اكتسب عطف نوري. كان صديقاً لي لفهمي ولست أدري الآن ماهو. كان اسماعيل ضابطاً خيلاً في الجيشين العراقي والعثماني وعملنا معاً في الخيالة مدة طويلة، ثم أصبح أمراً للقوة الجوية، ثم أمراً للخيالة، ثم قائداً للفرقة الثالثة، ثم استلمت قيادة هذه الفرقة منه في أوائل سنة ١٩٤٠ وأصبح مديراً لشؤون الدفاع. اشترك اسماعيل في الثورة العربية بعد أن وقع أسيراً بيد الانكليز، وهو حسن الاخلاق والسييرة.

ابراهيم الراوي:

عربي الاصل والعقيدة. كان ملازماً بالمدفعية في الجيش العثماني ثم اشترك في معارك الحجاز وجرح في موقعة (تربة)، وكان مرافقاً للمرحوم الملك علي والد عبد الإله. وهو ضابط خيال في الجيش العراقي وضابط ركن. تدرج في الخيالة حتى أصبح أمرها ثم أصبح قائداً للفرقة الرابعة، وهو فاضل الاخلاق حسن السييرة.

صلاح الدين الصباغ:

انا عربي من ابي وامي، من آل الصباغ بصيدا القريبة من بيروت (راجع رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي في كتاب تاريخ صيدا الصحائف ٦٩ و ٧٠ و ٧١) اسمي صلاح الدين علي بن ابراهيم بن مصطفى بن الشيخ يوسف بن الحاج رضوان الصباغ المصري الدمياطي مفتي السادة الشافعية بصيدا، قطن والدي الموصل قبل أكثر من خمسين سنة وكان يُعرف بالحاج علي الشامي، واقترن بوالدتي وهي موصلية الأم نجدية الأب من عقيل بغداد اسمه مهدي. وكان والدي يعمل بالتجارة والزراعة وتوفي عام ١٩١٦ في بغداد، وتوفيت والدتي في الموصل عام ١٩٤٩

ولدت في شهر رجب من عام ١٣١٦ هجرية الموافقة ١٨٩٩ ميلادية في الموصل، وسكن والداي قرية نينوى لإدارة اطيانها. ودرست في المدرسة الأعدادية السلطانية في بيروت مع أخي الأكبر رحمه الله بعد أن اتممت دراستي الابتدائية والرشدية في الموصل، وفي سنة ١٩١٤ (١) أوفدت إلى المدرسة الحربية بالأستانة، ثم التحقت بعد سنة بالقطعات المحاربة برتبة وكيل ضابط، وكان فوجي ينتسب إلى اللواء ١٤٦ والفرقة ٤٦، ثم أصبحت برتبة ملازم ثان عام ١٩١٧ واشتركت في الحرب العالمية الأولى في جبهتي مكدونيا وفلسطين. وقبل أن تضع الحرب أوزارها انيطت بي قيادة سرية مشاة بعد أن كنت قائد فصيل، ثم التحقت بالجيش السوري العربي في حكومة الملك فيصل الأول برتبة ملازم ثان وخدمت في هذا الجيش حتى احتل الفرنسيون سوريا بالقوة، وبقيت أسيراً في جزيرة أرواد ثلاثة اشهر فلما أرغمت الثورة العراقية الانكليز على اقامة حكومة في العراق، أوفدت اليه مع باقي الضباط العراقيين سنة ١٩٢١ وفيه تخرجت من دورة ضباط الأعوان الأولى التي أسسها الانكليز. وكنت أول معلم للخيالة في الجيش العراقي. درست في مدرسة الخيالة بالهند، والتحقت بوحدات الخيالة البريطانية المرافطة في انكلترا. كما درست في عدة معاهد عسكرية هناك، وتخرجت من كلية الأركان الحربية في بغداد، وكلية الأركان الأنكليزية في كامبرلي، ومن دورة الضباط الأقدمين في شيرلسن، ثم عيّنت معلماً في الكلية العسكرية، وفي كلية الأركان، فأمرأ للقوة الجوية، فمعاوناً لرئيس أركان الجيش، ومديراً للحركات عام ١٩٣٧ فقادراً للفرقة الثالثة. ثم توليت قيادة فيلق قوامه الفرقتان الأولى والثالثة والفرقة المصفحة لما أصبحت قائداً للجبهة الغربية أيام الحرب العراقية الانكليزية.

وكنت ممن تهاضوا بكر صدقي في سبيل العروبة رغم ما بيننا من صداقة شخصية. وقد نشر الناصري في جريدته مقالاً، كما ألفت الطائرات الانكليزية مناشيراً، تزعم فيها بأن والدي من حلب ووالدتي من فلسطين، وكان ذلك بايعاز من نوري بن سعيد وجميل بن أحمد أغا. فهل اكون لو صرح زعمهم دخيلاً في العراق، وهو عراق العرب. ام يكونون هم الدخلاء، وهم الذين لا يمتّون إلى العروبة بصلة. **كامل شبيب:**

ولد في بغداد عام ١٨٩٥ وكان ملازماً في الجيشين العثماني والسوري العربي، والتحق بالجيش العراقي منذ تشكيله. تخرج من كلية الأركان العراقية ومازال حتى بلغ قيادة الفرقة الأولى عام ١٩٤٠. وهو عربي الأصل والشعور، يمقت الاستعمار والانكليز. لكنه أناني، فردي،

يغدر بصاحبه، وينقلب حية سامية في أقل من لمح البصر إذا أوجس خطراً. وهوفي ساعة المحنة ثعلب جبان، وبعد النصر غضنفر هصور. وقد يخون مبادئه ويتناسى معتقده لفرط جبنه وأنانيته. تلك الخصال دفعته إلى خيانة مبادئه والتأثير على جنود فرقته والكيد لأصدقائه، فكان أحد عوامل فشلنا في قتال الأنكليز وعدم استمرارنا فيه. (*)

فهمي سعيد . (العنبيكي):

اللهم أكثر من أمثال فهمي في صفوف العرب والاسلام، وطوبى له في حله وترحاله، فهو العربي الصادق. فهمي من قبيلة العنكب بجوار بعقوبة وكان أبوه ملازماً أول في الجيش العثماني، وأمه ولدت في السلیمانیة وهي من أصل تركي. ولد فهمي في السلیمانیة عام ١٨٩٨ وبقي من بعد موت إخوته وحيد أبويه فكان أخا لي. وهو شجاع ذكي، يتمسك برأيه، ويعتد بمعلوماته، وإن كانت أكثر من قابليته. وهذا ما ساق فهمي إلى ارتكاب غلطة سوقية فاحشة، مخالفاً أوامري، فتعذر على تلافي الأمر وكان ذلك من اسباب اندحار الجيش العراقي في سن الذبان، وعدم مواصلة القتال.

كان فهمي ملازماً في الجيش العثماني والسوري العربي. فلما تشكل الجيش العراقي، التحق به وانخرط في الخيالة، ثم أصبح أمراً للقوات الآلية المدرعة. وكان قائداً للفرقة الثالثة أيام حربنا مع الأنكليز. وكان أصلب عدو ليكر صدقي. وهو مستعد دائماً للتضحية بكل عزيز في سبيل قومه ومبادئ محمد. تركته في طهران ولست أدري ماذا حل به الآن. حفظه الله ووقاه شر أعدائه.

محمود سلمان:

عربي الأصل والشعور، وله بالجنابيين صلة رحم. ولد ببغداد عام ١٨٩٨، وكان ملازماً في الجيشين العثماني والسوري العربي، والتحق بالجيش العراقي بعد تشكيله بأربع سنوات، وكان مرافقاً لجلالتي الملكين فيصل وغازي، لذلك عرفه أفراد العائلة المالكة. انتسب إلى الخيالة وتدرج فيها حتى صار أمر كتيبة، ثم عين قائداً للقوة الجوية في أوائل عام ١٩٤٠، وهو شجاع يضحى في سبيل قومه ومبادئ محمد، ويكره الاستعمار والأنكليز. وكان هو الداعية لعبد الآلهة ولتنصيبه وصياً على العرش. وكان ممن ناهضوا بكر صدقي. محمود، فارس جيد، ولاعب بالصولجان ماهر، وطيّار. تركته في طهران وأجهل مصيره الآن. وقاه الله شر أعدائه.

* إن هذه الملاحظة مكتوبة تحت تأثير الظروف القاسية التي عاشها المرحوم -كاتب المذكرات- من نفي وتشريد ومطاردة، وكما كان بؤده لاحقاً أن يصححها مسجلاً اعتذاره بروح سمحة جريئة، ولكن أوراق مذكراته لم تكن حينئذ بين يديه. (الناشر)

ملحق رقم -٢-

لما اعتدى الانكليز على العراق، ألقت طائراتهم على بغداد والمدن العراقية الأخرى مناشير من صنع جميل ونوري وجودت، جاء فيها: «إن قائدكم صلاح الدين الصباغ دخيل على العراق، فلا تطيعوه واقتلوه ايها العراقيون». نسي هؤلاء أن عبد الإله - وهو يقيم في معسكر الانكليز بالحبانية - لا يحمل جنسية عراقية لأنه حجازي، وزعموا أن والذي حلبي ووالدتي فلسطينية وبذلك كنت في نظرهم دخيلاً وكانوا هم المواطنون الأصلاء. وعجبي لو صح زعمهم، كيف يوصم الحلبي في العراق بالدخيل، ويعتبر الآشوري والأعجمي أصيلاً، بمجرد اكتسابه الجنسية العراقية (١).

أيها العربي: هذه مزاعم الذين يدعون أنهم ينصرون قضيتك، ويعملون لوحدة بلادك وعروبك. هذه حقيقتهم تبدو أيام عسرهم، وهذا شأن الأعاجم في العراق، فتأمل.



(١) إن هذه الملاحظة لا علاقة لها بموقف الصباغ من الآشوريين بشكل خاص، إنما جاءت كردة فعل على الذين يشككون بعروبيته وإخلاصه لأمته ووطنه المهدّد بحراب الانكليز وأطماعهم. وإن خير دليل على عدم تعصّبه، ما جاء في وصيّته الأخيرة لأولاده، وهي أن لا يؤنّوا بشراً مهما كانت قوميته. (الناشر)

ثالثاً:

لماذا نستعمر؟

العروبة تتبرأ من ادعيائها الذين يقتلون ابناء وطنهم في سبيل المستعمر.

أيها العربي:

أنا لا أؤمن بديمقراطية الانكليز، ولا بنازية الألمان، ولا ببلشفية الروس. أنا عربي مسلم، لا أرضى دون ذلك بديلاً من مزاعم وفلسفات ولا أريد المقارنة أو المفاضلة بين هذه وتلك، فهي عقيمة عديمة الجدوى، لأنني حينما أولي وجهي أرى الذئب الأجنبي يفترس أمتي ويسومها العذاب: في البحر الأبيض والبحر الأحمر وعمان، وفي خليج البصرة وفي قلب الجزيرة، وبجوار قبر النبي.

وليس من ذنب أفتك بالعرب ولا من عدو ألد للأسلام من بريطانيا. أما العرب، فانها قطعت أوصالهم دويلات وشيعا وقبائل ليقبضوا، فتفوز بالاسلاب، وتمنح سوريا لهذا، وغيرها لذاك، فإذا هبّ أحرار العرب في فلسطين ومصر وعدن والأمارات السبع والعراق، شحذت لهم المقصلة وشحنت لهم القاذف. ثلاثمائة وخمسون مليون مسلم يرزحون تحت نير الاستعمار البريطاني، فإن «قلب الأسد» السفاح في الحروب الصليبية بريطاني، وإن النبي الذي فتح القدس وقال (الآن تنتتهي الحروب الصليبية) بريطاني، وإن غلادستون الذي رمى بالقرآن على المنضدة وقال «لراحة في العالم وهذا باق» بريطاني، وإن كرومر الذي قال (لا يؤخر المدنية إلا هذا القرآن) بريطاني (١).

(١) - هذه حقائق تاريخية ثابتة، لا يستطيع الانكليز أنفسهم نفيها، ومع ذلك، ويا للأسف، مازلنا نرى حكومات دول إسلامية شرقية، كحكومات حلف بغداد، تتراعى في أحضان بريطانيا وتزج شعوبها في أحلاف المستعمرين البريطانيين أعداء الإنسانية، مدعية في الوقت نفسه (نوراً وبهتاناً) غيرتها على الدين الحنيف وإيمانها بتعاليمه.

وانك لو اطلعت على مواقع الاقطار والقارات في العالم، ولو ادركت المغازي السوقية للحروب البريطانية، لأيقنت أنه لن تقوم للعرب قائمة إلا بزوال الامبراطورية البريطانية. ذلك لأن البلاد العربية على طريق الهند براً وبحراً ولا بد لبريطانيا إذا هي أرادت البقاء على سيطرتها على الطرق والمياه الهندية والعربية، من العمل على تجزئة البلاد العربية وجعل أكثرية سكانها أقلية، فتبعث أقواماً اندرست وأماماً عفا عليها التاريخ، مثل الآشوريين والكلدان والأرمن واليهود.

وهي إذ توازن اليهودية وتقول بالوطن اليهودي، لاتفعل ذلك حباً باليهود، بل تثبيتاً لمصالحها الاستعمارية، وستبقى مصالحها هذه مستقرة في البلاد العربية، مابقيت امبراطوريتها ومادامت سياستها تعمل في التوازن الدولي، فهي تريد أن تجعل من البلاد العربية شطراً شرقياً وشطراً غربياً، لتعيش فيها إلى ما شاء الله، وتنفث السموم في قلبها، لأن فلسطين قلب العرب لذلك فإن أمانينا عندها سراب، ولا تجدي في ذلك جهود قطعتها في الثورة العربية، ولا تنفع معاهدة أبرمتها مع العراق، ولن ننجو من برائتها بعد هذه الحرب الثانية. إن شاربة الدماء الذئبة بريطانيا، هي التي هجمت على العراق، فافترسته حملاً ثم كررت الحجة لما اجتاحت ايران البلد المسلم فسفكت دمه.

أنا أمقت بريطانيا، وكل سائر على نهجها ليستعمر قومي، لأنني مسلم، والاسلام يقضي ألا يحكمني كافر بالمثل العليا ومبادئ الانسانية، ولأنني عربي والعروبة تأنف أن يعيث في بلادتي جيش أجنبي، ولأنني جندي والجندي تأنى أن يقودني أعجمي (الملحق).

أيها العربي:

وإنما الأمم الأخلاقُ ما بقيتْ فإن هم ذهبتْ أخلاقهم ذهبوا

لقد شاد أجدادك مجدهم بمكارم الأخلاق، لأنها آية الاستقلال. فأين منك تلك الأخلاق؟ وقد تفككت أوصالك، وانشقت على نفسك، ففقدت الاستقلال، وأضعت المجد وإليك يا أخي العربي صورة من أخلاقك اليوم:

أراك تفاخر بقتل اختك وعشيقها، وتمنع ابنتك عن الزوج لتبقى محصنة في كنفك، ثم يأتي صهرك الذي يقاتل نوداً عن شركك ودينك فلا تضمد له جرحاً، ويعيث جيش الأجنبي في أراضيك، ويدنس حرمانك ولا يشعر بدينك.

وأرى بكر صدقي يسوقك يا أخي الجندي الفراتي لقتل أفراد قبيلتك، فأنارت موقعة

العارضيات (١) حفاظك وشجوتك. لأن الانكليز وسماستهم يستعينون بالحديد لذك الحديد فيدفعونك إلى قتال بني جلدتك فتعينهم على أهلك، وتنصرهم على أصحابك.

وأراك يا أخي العربي قد كررت البيعتين، كما فعلت أيام علي أبي الحسنين (٢). فإنك لو رجعت إلى نفسك تسألها عن يقدك ويتولى أمرك، لوجدتهم أعاجم ليسوا منك في شيء، لا دماً ولا أصلاً، بل لوجدت أنهم أحفاد الذين قضوا على استقلالك، وقوضوا دعائم نهضتك، واغتصبوا أرضك وخيراتك، ولوجدت كل حفيد منهم على سيرة جده على مر العصور، يوالي الفاتح الأجنبي، فيحكّمك باسمه ويهتك مقدساتك ويعيث بكرامتك. أولئك هم حكامك نوري وجميل وداود حيدر وقواد جيشك اليوم. الذين خانوك في عقر دارك، ونحن نحارب الانكليز من أجلك وندافع عن قضيتك، لقد أبدى الانكليز استعدادهم للتخلي عن نوري وجميل وجودت وعبد الاله الوصي، ولتقديم كل شيء لنا على أن نرضى بديلاً للاستقلال، فكان جوابنا: (لا، عليكم بالجلاء والتمسك بالعهود، ولا نرضى بغير ذلك). كل ذلك كان من أجلك وأنت قابع في دارك لا تحرك ساكناً.

ثم هاهم اليوم عادوا يحكمون، يقضون بإعدامي بسيف الأجنبي وإعدام إخواني، ويضطهدون الذين امتلأت بهم السجون. عادوا إلى قصورهم وجنائتهم التي لولاك ماكانت، ينعمون فيها ويسخرون منك ويشمتون بنا، ويدعون بوقاحة أنهم حماك وناصرو قضيتك، ويزعمون أنني دخيل، وأنا العربي، وأن نوري بن سعيد أصيل، وهو الأعجمي... فهل ترضى عرويتك بهذه الأباطيل؟

أيها العربي في العراق:

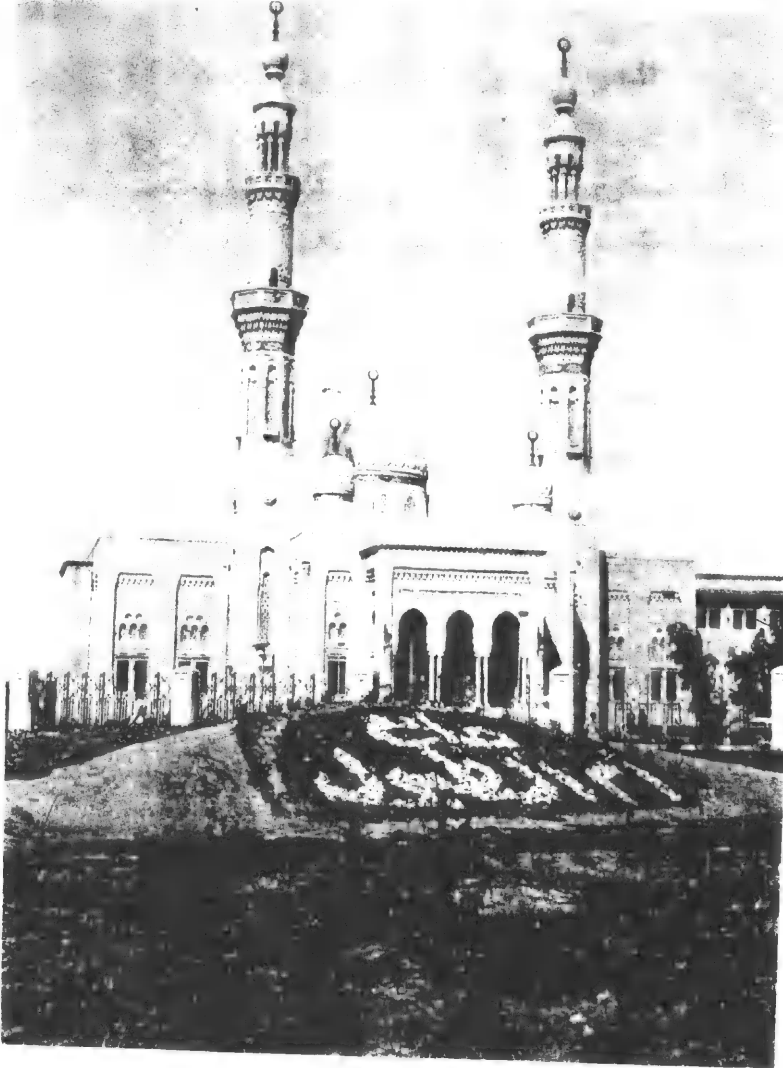
لقد قال نبيك: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وماضاع استقلالك إلا لما تناسيت مكارم الأخلاق، فجهلت قرأتك المجيد وتاريخك العريق، ولبيت داعي الأنانية البغيضة، وسكت على

(١) - العارضيات في الديوانية، من أعمال الفرات تقطنها قبائل عربية. جرت فيها معركة بين الجيش والقبائل وكان بكر صدقي قائد الحملة. وكان للنزاع سببان: السبب الظاهر هو تنازع سمسرة الانكليز على الكراسي، والسبب الخفي هو رغبة الانكليز في صرف عتاد الجيش مهماته، وإحداث الخلاف بين طبقات الشعب وإثارة البغضاء ضد الجيش. وذلك وفقاً لمبدأ الانكليز وأسلوبهم في السيطرة على العراق وأمثاله. ورددت الألسنة آنذاك اهزوجة مطلعها (مسمارك منك يا لوعة).

(٢) - خلع العراق عبد الإله بإرادته ونصب الشريف شرف عوضاً عنه وصياً دون تدخل أجنبي. فلما عاد الأجنبي وسلط سيفه على الرؤوس عاد العراق قبائع عبد الإله من جديد، وبذلك كرر البيعتين. وكان المجلس الذي خلع عبد الإله هو نفسه الذي عاد فأقر وصايته. وهذه صورة عن المجالس النيابية في العراق والديمقراطية التي يحكم بها.

الحكام الظالمين الذين يسفكون دماء الأحرار من أبناء وطنك، ويمثلون مصالح المستعمرين في بلدك.

فاستيقظوا وانهضوا يا عرب العراق واعلموا أنكم كما تكونوا يولّ عليكم.



دمت يارايتي العربية رمزاً أبدياً ورفرفي فوق قبري، فلقد ضحيت بنفسي لأجلك.

رابعاً:

العربي بين العقيدة والاثنية

قال لي قائد عسكري «ليس بوسعي أن أذكر جنسيته» في معرض الحديث عن حربنا مع الانكليز، وعن موقف العرب:

- في اعتقادي إن لفشلكم سببان، الأول: انحياز الوصي وصحبه (جودت ونوري وجميل) إلى المعسكر البريطاني، وهذا هو عين التفرقة في الصفوف والتناحر.

والثاني: أن حركتكم لم تقع في الوقت المناسب، بل جاءت سابقة لأوانها، وكان عليكم أن تترقبوا الفرصة السانحة.

فما بال العرب يندبون تاريخهم وهم على الضيم صابرون؟ وفي بيوت الذل قابعون؟ أمن تفشي الجهل أم من فقدان الصناعة؟ أم ماتت هممهم ووهنت عزائمهم؟ أم الأوائل غير الأواخر؟ إن البلاد العربية مترامية الأطراف زاخرة بالخيرات، فهي تمتد من المحيط الأطلسي إلى بحر عمان، وتلتقي فيها الطرق بين ثلاث قارات، فمن ملكها ملك العالم. وهذا مبدأ سوقي في الجغرافية العالمية لا يتغير مهما تقدم الزمن.

ومن العجيب، أن العرب يتمتعون بكل الأسباب التي تخلق الأمم العظيمة، ومع ذلك فإن بلادهم مازالت ملكاً لغيرهم. إنهم يعدون سبعين مليوناً أو يزيدون (١)، وتجمعهم وحدة في اللغة والتاريخ والدين والتقاليد، وتضمهم أرض مليئة بالثروات الطبيعية. وماكثير من الأمم ذات السيادة والمكانة بتوفر حظاً في هذا أو في ذاك.

قلت: أصبت لقد أعدت لذاكرتي محاضرة ألقيتها على طلاب كلية الأركان، وأخرى

(١) وهم اليوم يعدون بأكثر من ٢٣٠ مليون. (الناشر)

ألقيتها على طلاب الكلية العسكرية في بغداد، قارنت فيها بين روسيا والبلاد العربية، فروسيا قلبها في أوربا وتنتهي في شرق آسيا على المحيط الهادي، وسكانها من أجناس وعناصر مختلفة، ثلثاهم لا يمتون للروس بصلة، ولا تربطهم رابطة الدم ولا رابطة اللغة. ومع ذلك فروسيا اليوم «يوم حديثي مع القائد» تقاوم ألمانيا الجبارة بجيشها وسلاحها، بعد أن وحدها لينين وستالين طوعاً أو كرهاً. فهي قوية المراس منيعة في وضعها الجغرافي. وقد اندحر فيها نابليون من قبل.

والبلاد العربية تشبه روسيا، لأن قلبها في آسيا وطرفها في غرب إفريقيا على المحيط الأطلسي، وهي تفوق روسيا ببهارها التي تعد شريان العالم، ومبعث حياته وبثرواتها الطبيعية وبوحدة العنصر واللغة، كما أن تعاليم دينها سبقت تعاليم كارل ماركس ولينين، وما جاء قبلهما من مزاعم. على أن البون بين روسيا وبلاد العرب شاسع مع الأسف، والسبب في ذلك هو أن العقيدة والغيرة التي بني عليها مجد العرب، ضُغفت بكيد الشيوعيين (١) والمستعمرين، فقلّت التضحيات وبرزت الأنانية وحب الذات، وخصوصاً في أوساط الحكّام والمتنفذين، الذين ظنوا بأن لا عروش لهم إلا بممالة المستعمر، والتأمر على أبناء وطنهم.

لقد قوّض محمد (ص) وأصحابه وخلفاؤه عروش كسرى وقيصصر وجابوا البر والبحر وهم قليل عددهم، هزّل سلاحهم، لأن نفوسهم كانت عامرة بالإيمان، وكانت آيات تهيان بهم أن يتقوا شر الأنانية ولا يختصموا، الأولى: «إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون» والثانية: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»، فلما حلّ الإيمان في النفوس، وطرد شيطان الأنانية من القلوب، نشد العربي خير قومه وضحى بمصلحته الشخصية فظلّت الراية العربية أرجاء البرية وكان للعرب الحول والسلطان. ثم تفتشت سموم الشيوعيين، فطغت الأنانية على العقيدة، وزينوا للعباسي الثورة على الأموي ودفعوا المأمون لقتل أخيه الأمين، فكان أن تفرق العرب ملوكاً وطوائفاً، تتناحر وتتناذب حتى انهار صرحهم ونزل الاستعمار بساحتهم. وكان الاستعمار البريطاني أدهى وأمر استعمار إذ اهتدى إلى نقطة ضعف الوطن العربي، فاستغل أنانية رؤسائه وأبقاهم ملوكاً وأمراء على أقطار العرب بشرط أن يحفظوا له الولاء. يأمرهم أن يقتتلوا فيفعلون، ويشير عليهم فيطيعون. وهكذا لبوا داعي العبودية، وقطعوا على أنفسهم العهود، وأوثقوا أنفسهم بالمواثيق، فتحكم فيهم وفرق بينهم، حتى انتشر الفساد، وصاح بعض من في المغرب بالبربرية، وقال نفر من مصر بالفرعونية، ونادت طائفة من لبنان بالفينيقيّة، وشرذمة أردنية بالعملاقيّة، وفرقة عراقية بالبابلية، كل ذلك ليحتفظ الملوك والأمراء بعروش الذل والعار،

(١) يعني بهم الذين يناصرون العداء للعرب والعروبة، وهم يقطنون الأرض العربية. (الناشر)

وليورثوها أولادهم، ولو على حساب شعبهم. فهم إذن رأس البلاء.

وكلما قام عربي مخلص يذافع عن عرويته ويطالب بحقوقها اتهموه تهماً شتى. فلما نادى زغلول بالوطنية اتهمه الخصوم بأنه صنيعة فرنسا، وحين قاوم المفتي الصهيونية قال النشاشيبي: «إنه صنيعة ألمانيا»، وإذا خاضم الكيلاني الخطة الاستعمارية رماه عبد الاله بالخيانة الوطنية. أو إذا طلب صلاح الدين الصباغ تسليح العراق والبلاد العربية، ادعى نوري وجميل أنه يتقاضى الدراهم من ألمانيا وأنه دخيل، لأن أباه سوري، وغير العربي في العراق أصيل.

قطع القائد العسكري كلامي بقوله:

— فانت إذن «بانكر» من نوي الأموال ومثلك أصحابك.

قلت: — طبعاً.

وأشرت إلى جيبتي وكان يعلم مقدار مافيه: ثلاثمائة تومان إيراني وثلاثمائة ليرة تركية ثم

أردفت:

— إن كل ما أملك من حطام الدنيا، يشاركني فيه أولادي وعائلي الذين أجهل ماحل بهم

وفي أي أرض يهيمنون، لا يعادل راتبي الشهري.

ضحك القائد وتمتم: ده .. ده .. (أظنها تعني كذلك).

فاضفت قائلاً: لكني سأجيبك على سؤالك غير مازح، إذ لا ضير عليك إن سألت لأنك

أجنبي، لكن عتبي على بعض أبناء جلدي الذين عشنا وترعرعنا وإياهم، يقولون قولاك وهم يفترون.

إن أصحابي الذين يقاومون الانكليز منذ عشرين سنة، أجل وأرفع من أن يشتروا بالمال، ولهم بين العرب نسب عريق وجاه عريض، يغنيهم عن النزول إلى مثل هذا الدرك. لكن دفعهم إلى ركوب المخاطر والتضحية بالنعم التي أسبغها الله عليهم دافع وطني منزّه عن الأنانية، مشبع بحب التضحية للمجموع. فلم يجنوا لهم عزاً إلا بعز العرب.

أما أنا فقد توليت أعلى المناصب في الجيش، وكان لي من الراتب والمركز ما لا يحلم به أقراني في السن. وكنت ذا منزلة في قومي، وكان الصديق يحترمني، كما كان العدو يحترمني. لا بل إن سماسرة الانكليز أنفسهم كانوا يحترمونني، وكنت راضياً بما نلت، وبالمستقبل الباهر القريب الذي ينتظرني. ولوليت رغبة الانكليز أيام حربنا أو قبلها (كما فعل الذين جاء بهم الانكليز من بعدنا)، لكنت الآن رئيساً لأركان الجيش، وهو المقام الأسمى في السلك العسكري

الذي ترعرعت على حبه منذ نعومة أظفاري، ولما تردت حالي إلى ماتراني عليه. لكن عقيدتي العربية أبت علي أن أكون جندياً مرتزقاً، فأقتل بني قومي وأكون صنيعة للانكليز، لذلك أصبحت ضحية، ولو كنت أنانياً، لفضلت الانكليز على الألمان، فقد كان كل شيء بامكاني (١).

أترى عجز الانكليز عن شرائنا بأضعاف ما يقدمه الألمان أو غيرهم، لو كنا نباع ونشري، وهم أغنى أمم الأرض بما يملكون من قارات لا تغيب عنها الشمس؟

أم تراهم أعجز من الألمان في وسائل الاقتناع، وفي مضممار المكر والخداع، وهم أشهر الناس بذلك.

لا، بل طرق الانكليز كل هذه الأبواب، فجاءهم الرد قاسياً، وكان بيننا وبينهم فصل الخطاب.

(١) اتهمهم البعض بالنازية حيناً، بعدما اقترب منهم حيناً آخر... وهكذا، حسب ماتمليه التحالفات الدولية من تغيرات تتعكس على موقف هذا البعض أو ذاك. (الناشر)

إيمان صلاح الدين

كتب السيد عادل طاهر :

ماذا يفعل الايمان الصادق القوي في النفس البشرية؟

هذا هو السؤال الذي كان ينتقل أمام عيني عند كل صفحة من صفحات تاريخ البطل العربي صلاح الدين الصبّاغ . لقد اشترك في عدد كبير من المعارك . في ميسلون . في فلسطين وفي جميع معارك الحرب العالمية . لم يترك معركة في أي مكان من وطنه العربي الا وتقدم لها مضحيا بكل عزيز وغال . وكانت أكبر معركة من معاركه تلك التي بدأها ضد القوات المستعمرة لبلاده وأذئاب هذه القوات وعملائها . فما وهن . وما ضعف . وما أغراء منصب أو جاه أو مال . كان شابا عربيا وكانت له آمال ومثل ومبادئ . . كان في أوج مايكون الشباب بهاء وروعة . وكان في نفس الوقت في أقصى درجات الايمان ببلاده . بعرويته وبمستقبل هذه العروبة وعزها وكرامتها .

وضرب صلاح الدين عرض الحائط بالوعد . وبالوعيد . . بالأغراء . . بالتهديد . . وقدم -بإيمان- روحه قرباناً لهذا الايمان . .

واستشهد صلاح الدين الصبّاغ . وذهب جسده ليطلق فوق باب وزارة الدفاع . وظن البعض أنه انتهى .

ونجاة . . وفي نفس المكان الذي وضع فيه جسد صلاح الدين وبعد ثلاثة عشرة عاما جرّج جسد قاتل صلاح الدين الى نفس المكان .

وفي الوقت الذي كانت العيون تملأها الدموع والقلوب واجفة هلمعة وهي تمر تحت جسد قائدها وبطلها صلاح الدين. كانت الحجارة والاحتقار تترى على جسد قائله. وعاش صلاح الدين. وبقيت روحه. وعرف الجميع أن المبادئ لا تموت. وأن الإيمان يستطيع أن يفعل الكثير. وأن يؤكد انتصار قوميتنا العربية.

عادل طاهر

السكرتير العام للمجلس الأعلى لرعاية الشباب

وكتب السيد أحمد بهاء الدين:

استيقظ أهل بغداد صباح يوم من سنة ١٩٤٦، وإذا بهم يجدون على باب وزارة الدفاع العراقية، التي تقع في قلب المدينة جثة معلقة! ولم يكن الذين يمشون أمام الباب يستطيعون أن يرفعوا عيونهم إلى الجثة المعلقة- وإن كانوا يعرفون صاحبها- فإن من يجسر على أن يظهر حركة اشمئزاز أو حزن واحدة كان خليقاً أن يجد نفسه معلقاً في نفس المكان!

واحد فقط استطاع أن يظهر اشمئزازه- لأنه في مأمن من الانتقام- وهو ضابط انجليزي كبير، كان ذاهباً في الصباح إلى مكتبه في وزارة الدفاع فلم يكذب يرى هذا المنظر حتى صاح: هذه معجبة... ثم عاد إلى بيته، ولم يستطع أن يدخل مكتبه في الوزارة والجثة معلقة على بابها(١)!!

نعم، ضابط انجليزي هو الذي امتنع فبالرغم من أن الإنجليز هم سند حكام العراق، إلا أنه وجد هذا التصرف بالذات، عملاً معجباً حقيراً من حكام العراق..

(١) كما جاء هذا أيضاً في مذكرات الدكتور سندرسن. (الناشر).

إن صاحب هذه الجثة المعلقة ضابط عربي عراقي.. اسمه صلاح الدين الصباغ!

حارب الإنجليز أول مرة في صفوف الجيش التركي خلال الحرب العالمية الأولى، ثم حارب ضد الفرنسيين في معركة ميسلون دفاعاً عن دمشق، ثم حارب الإنجليز مرة ثانية على رأس فرقة من الجيش العراقي عندما هاجموا العراق خلال الحرب العالمية الثانية. فلما سقطت العراق في قبضة الإنجليز فرّ إلى إيران، متنكراً في زي درويش عجوز، ثم امتدت يد الإنجليز إلى إيران فمضى يقطع سهول تبريز المكسوة بالثلوج سيراً على الأقدام، في نفس ثياب الدرويش المتوكئ على عصاه سبعة أشهر متواليات، حتى وصل إلى تركيا، لاجئاً سياسياً.

وكانت الطبقة العراقية الحاكمة التي فرت من العراق خلال ثورة رشيد عالي الكيلاني قد عادت إلى العراق، وحاكمته غيابياً وحكمت عليه بالإعدام، فمضت تطالب تركيا بتسليمه، وتركيا ترفض لأن القوانين لاتجيز تسليم اللاجئين السياسيين، وذهب نوري السعيد أكثر من مرة إلى تركيا لإقناعها بتسليمه.. وأخيراً توصلوا إلى حل: الأتراك يسلمونه إلى الجيش الإنجليزي الذي كان موجوداً في أواخر الحرب في سوريا والجيش الإنجليزي يسلمه إلى حكومة العراق

أحمد بهاء الدين

وكتب السيد أنور الجندي في كتابه

"زوائد القومية العربية":

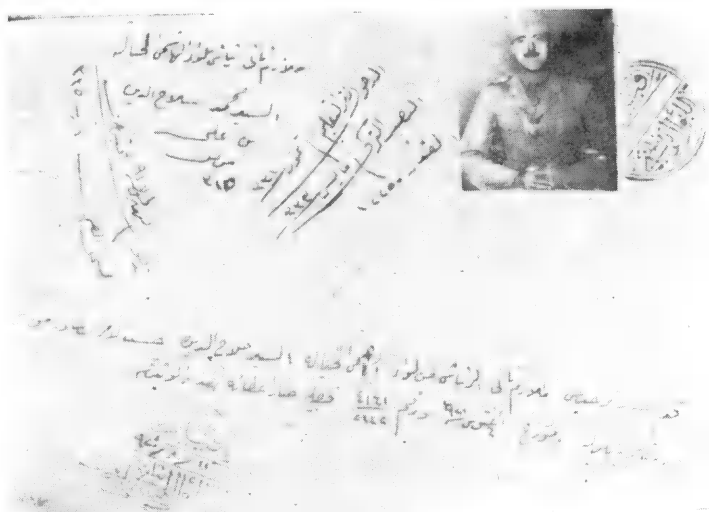
إذا ذكرت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق على الإنجليز، تبادر إلى الذهن قائد الجيش في هذه الثورة، "صلاح الدين الصباغ" . . . انه

واحد من أربعة هم فهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل الشبيب وقفوا في وجه بريطانيا ودفعوا عن وطنهم أن يكون ذليلاً للاستعمار فقد وقف العراق في وجه بريطانيا في الحرب العالمية الثانية وعارض المعاهدة التي وقعتها نوري السعيد في عام ١٩٣٠.

وكان لرشيد الكيلاني ومن حوله هؤلاء الضباط الأبرار فضل كبير في اعلان سياسة الحياد بين المعسكرين، ومنع دعايات الحلفاء في العراق. فقد قطع العلاقات بين العراق والمانيا أو ايطاليا. . . بل أنه اتصل بألمانيا وحاول أن يحرر سوريا.

كما رفض اعلان الحرب على المانيا وأصدر عن البرلمان العراقي قراراً بأن المعاهدة ليس بها أي نص أو إشارة تلزم العراق باعلان الحرب الى جانب بريطانيا.

وعندما تأزمت الأمور هرب الوصي وأسلم الجيش بقيادة صلاح الدين الصبّاغ مقاليد الحكم الى رشيد الكيلاني وقاد صلاح الدين الصبّاغ في الجيش حركة تحريرية قوية تهدف الى تقويته وحماية البلاد من عناصر



وثيقة تاريخية تثبت أن الملازم الثاني « الرشاش » السيد محمد صالح الدين : على المولد في الموصل قد انتسب لمجلس العرب بتاريخ تشرين الأول سنة ١٩١٨ وأنه عمل في لواء الهاشمي الحياالة

خامساً:

من قيود المعاهدة العراقية الإنكليزية

قلت للقائد العسكري:

ما انحاز عبد الاله ونوري وجميل وجودت الى جانب الإنكليز بدافع رأيهم الخاص في خدمة الوطنية، أو بسبب عقيدتهم المخالفة لعقيدة الآخرين في مضمار الصالح العام، بل دفعهم إلى ذلك دافع الأنانية والمصلحة الشخصية، التي ضمنتها لهم المعاهدة العراقية الإنكليزية.

إن الذين قالوا بالوطنية، أو الذين قاموا بالثورة العراقية، لم يكن لهم في عقد المعاهدة نصيب، وهم اليوم بين سجين ومنكوب، فقد جاء الإنكليز بزعماء الأنانية الفردية من زبائنتهم، وعلى رأسهم نوري (وهو ليس عربياً) (١) فاستثمروا الثورة العراقية لصالحهم، ودعوا إلى إقرار المعاهدة العراقية الإنكليزية، ثم قدّم له الإنكليز قلماً ذهبياً فوقعها به، لذلك كان من الأولى أن تدعى بالمعاهدة النورية الإنكليزية، إلا أن العربي سرعان ما ينسى الحوادث التي تنتابه ولا يعتبر بها (الملحق - ٣ -).

لا أوقع الله بلداً عربياً في حبال مثل معاهدة مثل هذه المعاهدة، فقد عادت على العراق بالويل والثبور لأنها :

١- تنص على تأليف حكومة وطنية «عراقية». وهذا النص الذي يبدو بريئاً لا غاية له غير مجاملة الأقليات وتحاشي إغضابها، يرمي في الواقع إلى القضاء على الفكرة القومية والوحدة العربية، وإلى منع ذكرها في الكتب والمدارس.

(١) - ليس القصد في ذلك أبناء العراق بقومياتهم المختلفة، إنما القصد هم أدياء العروبة أو الوطنية. (الناشر)

٢- تقرّر «النظام الملكي» وترضى بالملك ولو كان معتوهاً أوجاهلاً، غيباً أو صيباً، وتنبد نظام الرئاسة التي لا يتقلدها إلا التقي الفاضل، والمتقف العالم الذي عركه الدهر، فاختر واعتبر. والغاية التي ترمي إليها المعاهدة من وراء ذلك هي أن تكون نشأة الملك ونزعتة انكليزية، وكذلك حاشيته. فيشمخ بأنفه على قومه، ويدين للأجنبي بالسمع والطاعة.

٣- تقضي بتأليف هيئة وزارية ودوائر حكومية، لها «مستشارون بريطانيون». وهكذا يسيطر البريطانيون على السلطات المدنية كافة، وعلى مرافق البلاد الحيوية والثقافية.

٤ - تنص على تشكيل جيش غير قومي، يسلح بالأسلحة البريطانية. لكي يرتبط ببريطانيا أبداً، وليكون «جيشاً عراقياً» لأعريباً، تهيمن عليه البعثة العسكرية البريطانية، فتدربه على البغضاء والفساد، وتستخدمه لقتل أبناء جلدته، لا المستعمرين.

٥ - تشجع تشكيل الأحزاب والنقابات، لا لغايات استقلالية تقاوم سيطرة الاستعمار، بل لإثارة «الأقليات والنزعات الطائفية»، لتوَلّي الحكم، واشباع المصالح الشخصية، فينتسب هذا «لنوري»، ويكون من جماعته، وينتسب ذاك لـ «جميل» فيكون من جماعته .. ونوري وجميل يبدوان خصمين، وهما في الواقع من سماسرة الاستعمار، يعملان باتفاق تام على التضحية بالعروبة والعراق لخدمة الانكليز.

٦- تفرض على العراق تعيين «ضباط للاستخبارات» من الانكليز في مناطق العشائر والأقليات. وهؤلاء لا واجب لهم غير اعداد الثورات، لصرف أوقات الجيش وأسلحته(١).

٧- تشجيع اغتيال أو اعدام كل من يقول بالوطنية، أو يناادي بالوحدة العربية، فإذا نجا من الموت، حطت من شأنه بطريقة من الطرق، وجعلته نسياً منسياً، ينفر منه بنو قومه، فيعتكف في داره حتى يموت فقراً وكمداً.

ليتنا لم نُقيد بهذه المعاهدة ولم نخضع لها، إذن لبقينا على وحدتنا القومية، وعقيدتنا الاسلامية، كما كنا أيام الثورة العراقية. ولما قتل الوطنيون منا بتهمة الخيانة الوطنية، بل أصبحوا مثل غاندي وغيره لايجزؤ الانكليز على قتلهم مع أنهم في مستعمراتهم. ولما كانت النزعات الطائفية، ولا قامت ثورات الاقليات من كردية (٢) أو آشورية، التي سفك في كل منها من الدماء الزكية مايفوق خسائرنا التي فقدناها في حربنا العراقية الانكليزية. ومع ذلك فقد جيء برؤوس هذه الفتى إلى بغداد، معززين مكرمين، حيث تنعموا في القصور، بدل أن يهانوا

(١) - كما ورد في كتاب «حياة كلوب باشا» طباعة انكلترا عام ١٩٩٣. (الناشر).

(٢) - الثورات الكردية كانت بزعامة الشيخ محمود البرزنجي وأحمد البرزاني.

أو يعدموا، ليستخدمهم الاستعمار ضد القومية، وقد قاموا بهذه المهمة يوم جاربنا الانكليز. أما العرب، كالكيلائي والصباغ وإخوانهما، فجزأؤهم الإعدام، والإنتقام من أولادهم وأهلهم، لأنهم ناصروا قومهم وناهضوا الاستعمار، فكانوا (خونة للوطن)، وكان الذين قاتلونا هم حراس المعاهدة أنفسهم، زعماء الأثنية الفردية. (الملحق - ٢ -).

وقى بلاد العرب من شرور المعاهدة العراقية الانكليزية وأمثالها.

ملحق رقم - ٣ -

قال المغفور له فيصل الأول للقوميين الذين كانوا يعارضون عقد المعاهدة العراقية الانكليزية، وفي طبيعتهم ياسين الهاشمي وأعضاء المجلس التأسيسي: «لا تتركوا فيصلاً معلقاً بين السماء والأرض».

قال ذلك، لأن الانكليز ونوري وجعفر، كانوا يهدّدونه بخلعهم عن العرش إذا لم تبرم المعاهدة. وقد اقنع نوري وجعفر المجلس التأسيسي، لابل اجبراه، على قبول المعاهدة، وبلغ هياج الشعب أشده، فهاجم المجلس، وعلا الهتاف بسقوط الخونة، وبسقوط نوري وجعفر.

فاستنجد نوري بكتيبة الخيالة الأولى، وبالجيش بعد أن عجزت قوات الشرطة عن حمايته. فالمعاهدة الانكليزية ماهي إلا معاهدتك يا نوري، عقدتها رغم أنف العراق، ورغم أنف شهداء الثورة العراقية، لكي تعيش أنت وآلك في العراق بعد أن سلّمت سوريا للفرنسيين.

هل تذكر يانوري يوم قلت لي وإخواني وللعميد الركن طه الهاشمي، ونحن في دارك: «المعاهدة معاهدتي، وإني لأحرص عليها وأدافع عنها بكل ما أستطيع».

هل تذكر يانوري يوم كنت رئيساً للوزراء، وكنت أنا معاوناً لرئيس أركان الجيش ومديراً للحركات، كيف حاولت اقناعي لأقوم بدوري باقناع رئيس أركان الجيش حسين فوزي ليوافق على ارسال فرقتين عراقيتين للقتال في ليبيا أو البلقان؟ يوم سألتك: «وما كسبنا ياباشا مقابل هذه التضحية إذا خرجت بريطانيا من الحرب منتصرة» فكان جوابك: «أن نضمن بقاءنا على هذه المعاهدة مع الانكليز بعد الحرب» إنها المعاهدة، والمعاهدة دائماً. إنها هدفك الأقصى يانوري، لكنها ليست هدف العرب. لأن كل نص وكل كلمة في هذه المعاهدة يضمن بقاءك أنت وزملائك، والانكليز حكماً للبلاد غاصبين، تلعبون بمقداراتها كما تشاؤون.

وأخيراً هل تذكر يانوري ماقلته لك قبل هجوم الألمان على فرنسا: إن قيام العراق بإرسال فرقتين من جيشه إلى ليبيا، معناه اعلان العداء لدول المحور بدون سبب، وهناك حل وسط يرضى العرب، ويسكت دول المحور وتفيد منه فرنسا وانكلترا. إن فرنسا بحاجة إلى جيوشها لتحشدتها في أوروبا، وكذلك انكلترا، فإذا رَغِبْتَ حقاً في كسب عطف العرب، وإذا شأنا أن نتناسى الضحايا وآلام الماضي وأن نكون لهما من الشاكرين، فليوافقوا على أن يرسل العراق فرقتين من جيشه إلى سوريا وفلسطين، وهناك تتوسعان بضم أهل فلسطين وسوريا إليهما، فتصبحان فيلقين ويحلان محل الجيوش الانكليزية والفرنسية التي عليها أن ترسل إلى ليبيا أو الجبهة الغربية. هذا رأيي فإذا لم يكن ممكناً، فلنتجب التورط ولنحافظ على جيشنا، ونسعى لتقويته ما أمكننا. ولنعُدّ الشعب للملمات والمفاجئات التي قد تأتي مع الحرب، أو بعد أن تضع أوزارها، كما فاجأ الفرنسيون الملك فيصل وهجموا على سوريا بعد الحرب العالمية الأولى. وعلينا أن لا نريق الدماء العربية، وأن لانفرط بامكانياتنا القليلة، قبل أن ينجلي الموقف العالمي، لاسيما والانكليز الآن لايعترفون لنا بجميل.



الملك فيصل الاول

سادساً:

مبادئ الانكليز في العراق

ثم قلت مستطرداً لمحدثي القائد العسكري: أترى فاتنا ارتقاب الفرصة السانحة، أم أن الأنكليز وعملاءهم هم الذين استغلوا الفرصة؟ وأية فرصة تنتظرنا وعين الذئب ترمقنا، وهل كلنا مع الأنكليز على وفاق، ثم ضيقنا عليهم الخناق، ومتى كان بين الذئب والحمل عهد وميثاق !!

إليك الآن بعض ما جاء في المعاهدة وملاحقها من قيود عسكرية:

١- يشتري العراق الأسلحة والمهمات الحديثة التي تنتجها المصانع البريطانية، فإن عجزت، فله أن يشتريها من دولة أخرى.

٢- تنشئ بريطانيا قاعدتين جويتين غربي الفرات، فكانت قاعدة سن الذبان بالحبانية، وتبعد ٦٥ كيلو متراً عن بغداد، وقاعدة الشعبية بجوار البصرة. أما مسألة حراسة القاعدتين فقد بقيت معلقة، وغُبن العراق فيها.

٣- للقطعات البريطانية حق الإنتقال في زمن الحرب بقوافل لا يزيد قوامها على اللواء المختلط، وبفواصل ومراحل قررتها الجهتان العسكريتان في أواخر عام ١٩٣٩، بشرط أن يكون هذا الانتقال غربي الفرات، لا شرقيه، والغاية من هذا الشرط أن لا تمس الكرامة القومية، وأن تصان المناطق الأهلة، والمؤسسات العراقية، من ويلات الحرب، وأن لا تستفيد الجيوش البريطانية من تلك المناطق، والطرق في تحشدها وتنقلها، إذا قامت بينها وبين الجارتين تركيا وإيران حالة عداء.

٤- ليس لبريطانيا أن تحشد جيوشها في العراق، أو أن تجعل منه ساحة للحرب، إلا اذا كان العراق نفسه في حرب، أو تعرض لهجوم معاد، فاستنجد ببريطانيا كما تنص المعاهدة. وليس لها أن تلزم العراق على دخول الحرب بجانبها، أو على قطع العلاقات مع أعدائها.

كان الفريق بكر صدقي رئيس أركان الجيش العراقي عدواً لدوداً للإنكليز، وخصماً عنيداً لعمالئهم، ففرق جماعاتهم، وولى بعضهم الأدبار فاراً من العراق، تاركاً وراءه ما اغتصب من خيرات ونعم.

لقد أحسن بكر صدقي صنعاً في ذلك كله، لكنه كان من القائلين «لا عروبة في العراق ولا دين»، فأنار ذلك نقمة الجيش عليه، ولماً قتل الجيش بكرأ عام ١٩٣٧، انعتق من فكرة العراقية الضيقة، وقال بالقومية العربية، فاطمأن الشعب الى جيشه، وخمدت ثوراته. فساد الأمن وخطى الجيش خطوات جبارة في التدريب والتسليح والتنظيم(١).

(١) - كان بهاء الدين نوري مديراً للحركات وأمين سر بكر صدقي عام ١٩٣٦، وكنت أنا معاون مدير الميرة، وذهبنا نحن الثلاثيواً لحضور تجربة مدفع تجره سيارة نقل قرب سدة ناظم باشا، فلما مررنا بقصر نوري بن سعيد في الوزيرية أشار بكر صدقي إلى القصر وقال: «يعز من يشاء ويذل من يشاء»، وقصّورهم خالية من بعدهم، والله لأقتضين على كثير من هؤلاء الخونة، ولأجعلن قصورهم هذه مدارس ومأوى للأيتام، فسبحان الله الذي جمعك بعد هذا بجميل ونوري، يا بهاء الدين نوري، فقد بلغني أنهم أعادوك من التقاعد، وجعلوك برتبة أمير لواء، ونصبوك معاوناً لرئيس أركان الجيش. ترى هل ستفضي لنوري بأقوال بكر صدقي؟ لكلك تجيد اللعب على حبلين وهذه فرصتك يا بهاء لتنتقم من العرب، ومن صلاح الدين وأخوانه، أنت وأمثالك من الوزراء. فانتقم باسم بكر وباسم الماسونية.

ملاحظة: والد بهاد الدين الشيخ نوري كردي من أربيل، وهو تقي معمم، فاضل الأخلاق مثل باقي الأكراد الذين وقاهم الله من فساد الإنكليز. لكن الشيخ نوري يمقت ولده بهاء لأنه لاديني أو لأنه بهائي عند البهائيين - التفاصيل عند منير الوكيل (وكيل البهائية)، معاون النائب العام في وزارة الدفاع.

كان بهاء الدين في الجيش السوري العربي، عربياً أكثر من العرب، يحمل خاتماً نقشت عليه عبارة «الحق والعرب». لكنه كان يخدع العرب، لأنه لما التحق بالجيش العراقي، نقش على خاتمه عبارة «الحق والعراق». والحقيقة أن بهاء يبيع العروبة والكردية والاسلام في سبيل نفعة الشخصي. وهو إذا استقرض لا يدفع، وإذا ارتشى ينفع. والإنكليز يحبون بهاء ويدافعون عنه، لأنه عضو من الدرجة الخامسة عشرة في المحفل الماسوني الإنكليزي العراقي، انتسب إليه على عهد مدير العينة الإنكليزي (براش)، أيام الانتداب الإنكليزي، وكان المحفل ينعقد في وزارة الدفاع في الغرفة المجاورة لدائرة وزير الدفاع. ولما أوفد إلى انكلترا عام ١٩٣٥ للدراسة في مدرسة الأركان الحربية الإنكليزية، أهدى لرجال الماسونية الإنكليز علماً فضية للساكابر تحمل إشارة الماسونية. بهاء الدين ذكي، لبق، حلو المعشر، وأسلوبه في العربية متين. كنا صديقين كما كنا تلميذين في كلية الأركان الحربية. لكن المبادئ والأخلاق والفرعات، باعدت بيننا دون أن يكون بيني وبينه خصومة شخصية. باعتقادي أن بهاء الدين يتمنى أن أموت. وأنه سيبيكني بعد موتي. هذا أنت يا بهاء الدين... لقد عدت للجيش برتبة أمير لواء، أما صلاح الدين فهو اليوم طريد بلا مأوى.

لم يرق للسياسة البريطانية (التي تعمل بمبدأ فرق تسد) توسيع الجيش العراقي والتفاف الشعب حوله، ولذلك عمد الأنكليز إلى الوقوف بوجه هذا الإندفاع بكل قواهم، وراحوا يعرقلون توسيع الجيش وتسليحه بشتى الطرق. ومن ذلك تقاريرهم التي تقبح فكرة توسع الجيش، وكلها تهديد ووعيد. ومنه أيضاً تأجيل النظر في طلبات الأسلحة من سنة لآخرى، مختلفين لذلك الأعداء، وهي في الواقع مهمة في نواتر التسليح البريطانية في انكلترا والهند، أو مسددين من قوائم الأسلحة التي طلبناها قسماً ضئيلاً بأسلحة ومهمات قديمة، بطل استعمالها في جيشهم منذ سنين. فلم تر هيئة أركان الجيش بدأ من الحزم، ففتحت الباب لسوق الأسلحة العالمي وطلبت شراء الأسلحة من دول أخرى مثل ألمانيا وإيطاليا والمجر وتشيكوسلوفاكيا وأمريكا مستندة في ذلك على ملاحق المعاهدة، وبذلك تمكن الجيش من سد قسم من حاجاته بأقل من ثلاثة أشهر، وكان ينتظر سد الباقي منها بعد أربعة أشهر، فثارت ثائرة الأنكليز وأبرقوا وارعدوا، ثم أحالوا الأمر إلى نوري بن سعيد، فلوح بقرض تمنحه بريطانيا للعراق، ويسدد بأقساط سنوية على غرار قرض بريطانيا لتركيا، ومقداره ثلاثة ملايين ونصف مليون دينار. تنفق على شراء الأسلحة والمهمات المطلوبة، التي زعموا أنها رزمت لكي تشحن فوراً. ونجح نوري في اقناعي أنا ورئيس أركان الجيش وطه الهاشمي، فأبطل شراء الأسلحة وأوقف التعامل مع الدول الأخرى، وسحبت الصكوك والأموال المودعة في البنوك، وطُيِّرَ برقية إلى معامل الأسلحة الألمانية بصرف النظر عن شراء المدافع ضد الجو، والدبابات التي كانت مرزومة وعلى أهبة الشحن فعلاً^(١). ولكن سرعان ما عاد الأنكليز سيرتهم الأولى فنكثوا عهودهم، وعاد الجيش إلى التوسل والتضرع وبذل الجهود. وأخيراً وصلت الشحنة الأولى فلم نجد فيها ما طلبناه من مدافع ودبابات، وما ينقصنا من أسلحة ومهمات، بل وجدنا اكياساً للرمل وأحذية الجنود^(٢) مصنوعة في الهند وقد قيدت أثمانها على حسابنا، على أنها من جملة المهمات العسكرية، فبلغت ثمانماية الف دينار عراقي. كل هذا ونوري ما انفك يلح عليّ،

(١) - كان من المقرر في خطة توسيع الجيش (وهي إحدى ملاحق خطة الحركات التي نظمتها لما كنت مديراً للحركات فوافق عليها رئيس أركان الجيش حسين فوزي ووزير الدفاع طه الهاشمي) أن تزود قطعات الجيش بالسلح الكافي وخاصة بالدفعية المقاومة للطائرات. وكانت ألمانيا قد تعهدت بأن تسد طلبات الجيش هذه في ستة أشهر، فلما أبطل العقد بناء على وعود نوري بن سعيد والآنكليز، تمكنت الطائرات والدبابات الانكليزية من أن تتوصل وتجول، ونحن نحاربهم بلا سلاح مضاد وبلا طائرات (راجع خطة توسيع الجيش وهي ذيل خطة الحركات التي أعدتها ووافق عليها رئيس أركان الجيش حسين فوزي ووزير الدفاع طه الهاشمي).

(٢) - استعلت هذه الاكياس فيما بعد لسد الثغرات في سد سن الذبان وسد صدر السرية على نهر الفرات.

وعلى رئيس اركان الجيش بأن نتقدم للبعثة العسكرية البريطانية بالشكر!

على أن بريطانيا لا تخشى السلاح كما تخشى معنويات الشعب، وتضامنه مع الجيش تحت لواء العروبة، خاصة وهي في دور الإستعداد للحرب، فقد كانت تعلم سلفاً أن الحرب العالمية الثانية ستنتشب في شهر أيلول من عام ١٩٣٩ (١) فلما أعلنت انكلترا الحرب على المانيا. وجدت على رأس الجيش العراقي قادة عربا يعملون في سبيل قوميتهم، لا في سبيل مصالحها، فقرروا الوقوف عند حدود المعاهدة والانتظار، لا الولوج في النار، حتى تنجلي القضية الفلسطينية وتتضح سياسة بريطانيا حيال العرب بالنظر لتطور الحوادث العالمية. فكان طبيعياً أن يغيظ قرار القادة أذنان الإستعمار حتى وصفوه بأنه قرار معادٍ لبريطانيا، وبأنه يورث عدم الإستقرار. لأن المصالح البريطانية تنشد السيطرة على الشرق الأدنى والبلاد العربية، ولا يتيسر ذلك الا بزج العراق في أتون الحرب، فتأمن جانب الأقطار العربية الاخرى، وتؤمن سلامة الطرق الإمبراطورية، وتحشد جيوشها في العراق كما تشاء. فإقصاء اولئك القادة يخلي لها الجو، ويطلق يدها في استثمار العراق، والسيطرة على جيشه كما تفعل في المستعمرات.

فلما عقدت بريطانيا العزم على ذلك، اندس الوصي عبد الاله ونوري وجميل وجدت بين صفوف الجيش وزاحوا يبتئون التفرقة والفساد بين صفوفه، فانحاز فريق لهذا وفريق لذاك، واستطاع نوري أن يخدع طه وصحبه من القادة. فكانت النتيجة أن أحيل حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد. فكانا وبالألأسف أول ضحيتين لهذا المسعى. ثم تحول نوري وعبد الاله ومن يسوقهم إلى صلاح الدين واخوانه فأسرفوا في بذل الوعود لهم وقاموا بكل ما في وسعهم لإغرائهم، لكي ينالوا بواسطتهم ما كانوا يقصدون، لكن آمالهم خابت حين جابهناهم بالصدود والإباء، وتحطمت جهودهم على صخرة صماء، فلما أعييتهم الحيل (والأنكليز من ورائهم يحثونهم ولا يهدأ لهم بال) قام جميل وجودت وجلال بابان ومن لف لفهم من الأذنان في المجلس النيابي، يكيلون التهم والأكاذيب ضد الجيش والكيلاي. كان ذلك تمهيداً، ثم انقلبوا علينا جهراً، فأماطوا اللثام وكشروا الأنياب، وتقدموا بالمطالب الأنكليزية.

عرض نوري على مجلس الدفاع الأعلى مطالب الأنكليز، فكانت السبب في وقوع الحرب العراقية الانكليزية، وتضمنت:

(٢) - حدثني بهذا الكولونيل لام مفتش الميرة وأحد رجال البعثة العسكرية البريطانية البارزين، وكان لام يرى أن تكسب بريطانيا عطف العرب بالتوصل إلى حل يرضيهم، وبالكف عن السياسة الصهيونية في فلسطين. وكنت آنذاك معاوناً لرئيس أركان الجيش ومديراً للحركات.

- ١- فتح أبواب العراق جميعاً أمام الجيوش البريطانية، لتنتقل وتتحشد بكل حرية.
- ٢- اشراك فرقتين عراقيتين أو أكثر في صحراء ليبيا أو في البلقان.
- ٣- قطع العلاقات السياسية مع الدول المعادية لبريطانيا.

الإستجابة إلى الطلبين الأول والثاني، تعني الخروج على نصوص المعاهدة العراقية الانكليزية، وإعلان العداء لخصوم بريطانيا. والإساءة إلى ميثاق سعد آباد، وإلى الجارتين المسلمتين إيران وتركيا. بل تهديداً لهما. لأن تنقل الجيوش البريطانية، وتحشدها في شرق الفرات ليس له دلالة أخرى. وبالفعل هاجمت الجيوش البريطانية إيران، واحتلتها بعد العراق وسوريا. ثم إن اشتراك فرقتين عراقيتين في حرب ليبيا، ماهو إلا إعلان للحرب على أعداء بريطانيا عملياً. وهذا يحمل مصر والأقطار العربية الأخرى، على الإقتداء بالعراق، واتخاذ قرار مماثل، شاعت أم أبت. كما حملت مصر على الإقتداء بالعراق حينما بادر نوري إلى قطع العلاقات السياسية مع ألمانيا، تبرعاً منه لبريطانيا قدمه بكل سخاء وبدون مقابل، لكي ترضى عنه، فسبق به كل الدول الأخرى بل الملكات البريطانية. أما الإستجابة إلى الطلب الثالث، فتعدّ فاتحة وتمهيداً للاستجابة على الطلبين قبله. وثمة فائدة أخرى له، هي الادعاء للقضية البريطانية والطعن والقذف بأعدائها.

انعقد مجلس الدفاع الأعلى برئاسة نوري في عهد وزارته، ثم برئاسة الكيلاني في عهد وزارته، وكان نوري وزيراً للخارجية، فناقش المطالب، ودرس التقارير التي قدمها الجيش، ودون الآراء، وبذل نوري كل ما في جعبته من حيل وكل دهائه لاقتناعي واقناع رئيس أركان الجيش والوزراء. (ملحق رقم ٤-) فلما فشلت جهوده وأعيته الحيلة أوعز إلى الأذئاب والعملاء، فخطبوا في المجلس النيابي، ومثل الوصي نور الديكتاتور في استقالة وزارة الكيلاني. إذ سافر إلى الديوانية لتنفيذ ذلك، وكلف رؤساء القبائل والمتصرفين وقائد الفرقة الرابعة بإثارة حرب داخلية.

فلما فشل هذا المسعى أيضاً، طبقت الخطة الأخيرة، فذهب عبد الاله إلى سن الذبان (القاعدة الجوية البريطانية) ثم طار منها إلى بوارجهم الحربية، ثم إلى فلسطين. ثم نشبت الحرب باعتماد الانكليز، ثم جيء بعبد الاله من مقر الجيش الانكليزي في الحبانية. فنُصّب وصياً من جديد، لا بإسم العراق، بل بإسم الحراب البريطانية.

والآن ... أترى فاتنا ارتقاب الفرصة السانحة؟ وأية فرصة تنتظرنا وعين الذئب ترمقنا، وهل كنا مع الانكليز على وفاق ثم ضيقنا عليهم الخناق؟ ومتى كان بين الذئب والحمل عهد وميثاق؟

ملحق رقم -٤-

لما كنت مديراً للحركات ومعاوناً لرئيس أركان الجيش كان نوري بن سعيد يأتي إلى دائرتي، فيسأل عني بقوله (أين صلاح) على مسمع من ضباط دائرة الحركات. يريد بقوله «صلاح» بهذا الشكل المختصر، أن يظهر للسامعين حبه لي على عادة أهل العراق.

وتكررت زيارات نوري لي في دائرتي، وتكررت محاولاته لاقتناعي بإرسال فرقتي إلى البلقان أو ليبيا. فلما انعقد مجلس الدفاع الأعلى، توجه الفريق حسين فوزي رئيس أركان الجيش إلى نوري بقوله: لو مرت الفرقتان العراقيتان بحلب فسأل حليبي أحد الجنود العراقيين (خيو فين رايمين) فيجيبه الجندي العراقي إنه في طريقه إلى قتال الألمان. فيقول الحليبي (الله ... سوريا وفلسطين تنن من جور الفرنسيين والانكليز وأنت تذهب لقتال الألمان؟).

هل تذكر يانوري اقتراحك على مجلس الدفاع الأعلى، بالوقوف على رأي الجيش وأنت وزير للخارجية في وزارة رشيد عالي الكيلاني، فأعددت لائحتي التي قرئت عليكم جميعاً، هل تذكر كيف ثارت ثائرتك عليّ إذ جاء في لائحتي ما لا يتفق مع آرائك ورغباتك، بشأن تحشيد الجيوش البريطانية في العراق، وتلك المناقشة الحامية التي جابهك بها أعضاء مجلس الدفاع، ومن بينهم ناجي السويدي ورشيد عالي الكيلاني. وتلك القصاصة التي حررتها فوراً، ودفعت بها إلى طه الهاشمي، وكان جالساً على يمينك، طالباً منه فض الجلسة، وإلغاء جلسات مجلس الدفاع الأعلى، فلا ينعقد بعد ذلك أبداً. فكان ما أردت، وكانت تلك الجلسة خاتمة جلسات مجلس الدفاع. ثم كانت الحملة التي شنها أتباع الانكليز ضد الجيش والكيلاني في المجلس النيابي بعد ذلك مباشرة، فراحوا يطالبون بمنع الجيش من التدخل في السياسة، لكنهم كانوا مغرضين أو جهلاء أميين، لأن الجيش انما كان يبحث شؤوناً عسكرية سوقية من اختصاصه. أرجو أن تبقى تلك اللائحة ومحاضر مجلس الدفاع سالمة من شر نوري بن سعيد.

الملحق رقم ٥-

في الأشهر الأخيرة من عام ١٩٣٩ عقد في وزارة الدفاع اجتماع ضم كلا من:

- رئيس الوزراء السيد نوري بن سعيد، ووزير الدفاع العميد الركن طه الهاشمي، ووزيرين آخرين أظن أن أحدهما هو وزير المالية المرحوم رستم حيدر.

- رئيس أركان الجيش الفريق الركن حسين فوزي، مدير الحركات ومعاون رئيس أركان الجيش صلاح الدين الصباغ، ومدير شعبة الحركات نور الدين محمود، وضابطي الركن رفيق عارف ومحمود الدرة من دائرة الحركات ليدونا محضر الجلسة.

- ممثل عن السفارة البريطانية في بغداد (لغياب السفير خارج العراق).

- قائد القوات الجوية البريطانية في العراق وهيئة ركنه، ومدير قسم الاستخبارات للقوة البريطانية قائد السرب (دون فيل).

- رئيس البعثة البريطانية الجنرال وترهاوز وضابطي ركنه العقيد (فريب) والعقيد (وارن)، وكان أهم ما دار البحث حوله في هذه الجلسة استعراض الموقف الدولي والحربي العام، والتسهيلات التي يتمكن العراق من تقديمها للقوات البريطانية عند مرورها بالعراق متنقلة بين الهند والبحر الأبيض المتوسط وفقاً لنصوص المعاهدة العراقية الانكليزية.

وفي معرض المذاكرة تطرق البحث إلى الاتفاق البريطاني التركي الذي عقد عام ١٩٣٩، وإلى القرض البريطاني الذي يرصد ملايين الجنيهات لتزويد الجيش التركي بالسلاح الحديث مقابل التزام تركيا بدخول الحرب بجانب بريطانيا إذا تهددت السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، أو دخلت إيطاليا بجانب ألمانيا. وإن الانكليز لا يساورهم الشك مطلقاً بأن تركيا لن تنقض عهدها وإنما سوف تشترك في الحرب حالما يتحقق أحد هذين الشرطين.

انتهزت هذه الفرصة فقلت، ملوحاً من طرف خفي إلى اهمال الانكليز في تسليح جيشنا: إن الأسلحة تتدفق على جارتينا إيران وتركيا. أما إيران فالأسلحة تردّها من ألمانيا على سكة حديد حيدر باشا ومنها إلى خانقين فطهران. وأما تركيا فسلحها يكفيها، لكنكم تزيدونها منه سخاء. أما نحن فلا يهتم أحد بتسليحنا على الرغم من وقوعنا بين هذين البلدين. إنني أعتقد أن تركيا تنظر بالدرجة الأولى إلى مصلحتها قبل مصلحة غيرها. ومصلحة تركيا بالنظر إلى موقفها السوقي وحاجتها للهدوء تفرضان عليها عدم الاشتراك في هذه الحرب، وهي بالاضافة لذلك لا ترى في البلقان تعويضاً كافياً مقابل خسارتها إذا اشتركت في الحرب.

شهادة رقم (2)

أهمية العاصمة العسكرية الكوفة . . أم بغداد؟

إن هذه الشهادة، هي الوحيدة المنتقاة من كتاب «اعتداء الإنكليز، أو الحرب العراقية - الإنكليزية» لمؤلفه الشهيد صلاح الدين الصبّاغ في عام ١٩٤١، كما جاء على غلاف الكتاب.. والذي تحتوي صفحاته على تفاصيل تلك الحرب والأسرار العسكرية الأخرى، والتي يمكن أن نخصها ببحث مستقل مستقبلاً في قراءة نمط آخر من مذكرات البطل العربي.

ووجدنا من الأهمية هنا أن نشير إلى حرص صلاح الدين الصبّاغ الدؤوب على محاولة تحصين بلاده منذ ذلك الوقت. فمرة حاول تحصين الجبهة الغربية، ومرة الشرقية (كما جاء في مذكراته). وهنا يحاول اقتراح الكوفة قاعدة أمامية أو عاصمة بدلاً من بغداد.

فلنقرأ هذه التفاصيل التي لا تخلو من الطرافة، وهي مدونة بخط الشهيد الصبّاغ:

إن خطر الاجتياح من كلا الاتجاهين، ولأن العراق لن يقوى على الدفاع عن نفسه ما لم تصل قاعدته خطوط مواصلات أمينة تربطه وشقيقاته اللواتي في غربة عنه ليكن عوناً وسنداً.

وما الكوفة، والرياض، وصنعاء، والقاهرة، والقدس، ودمشق إلا قواعد أمامية تستمد قوتها من عاصمة البلاد العربية التي يجب أن تشاد وتؤسّس في نقطة تؤمن الأغراض السياسية والعسكرية، وما ستكون عليه أسلحة المستقبل الفنية.... وهناك هي عاصمة العروبة، عاصمة الفكر والمصانع والجهود والمنايع التي تنبعث منها القوة والحياة.

لدمشق، ولبيروت، ولا الرياض، ولا بغداد...

واتذكّر أنني كنت رئيس ركن (مقدم ركن) الرتل الذي كان يقوده الأمير اللواء حميد الشالجي في حركة عيد الواحد صكر في سنة ١٩٣٥، تلك الحركة التي أدت إلى إسقاط وزارة علي جودت وجميل الملّقب بالمدفعي وتسلم المغفور له يس الهاشمي رئاسة الوزارة.

وقعت بجولة استطلاعية في منطقة «أبو سخير» جنوب الكوفة، وضابط الركن الرئيس غازي الداغستاني يصحبني - هذا الضابط نبيل وشهم - وبينما كنا نسير على طريق تتجه إلى الديوانية تحيطه مستنقعات مياه الفرات الزائدة، وقفت فوراً وأردت مداعبة غازي، وكلانا يعرف «لندن» عاصمة الانكليز. وقلت:

- كيفك غازي يوم تنقلب هذه المياه إلى بحيرات للسياحة وسباق القوارب وحولها على الأرصفة الآلاف المؤلفة من الأوانس يهتفن للمتسابقين ويسبحن ويمرحن ثم يلعبن تحت ظلال أشجار النخيل وجنّات الأعناب، كما هو في عاصمة الإنكليز، فضحك غازي وقال:

- نعم. عمشة، وحلوة، وجويدة، بدلاً من جويس، أن، شيرلي....
سيدي هذا اشلون خيال؟

وبقي غازي يعيدها عليّ بتأديب كلما التقينا وسنحت له فرصة المداعبة خارج الأوقات الرسمية.

حقاً إنها أحلام ولكن في سنة ١٩٣٩ أدخلت الكوفة في خطة الحركات لتكون قاعدة أمامية (أو عاصمة) بدلاً من بغداد. وهذه أيضاً بقيت في الملفات وكانت خيالات وأحلام. مثل أحلامنا باستقلالنا وبغداد عاصمتنا..... وأسف!!

عاصمتنا وأسطفي!!

وقت مجيئه استطلاعيه في منطقة " أبو صخر " مغرب
الكويت و ضابط الركن الرئيس غازي الدغشاني صاحب
هذا الضابط قبل وشرم - ونيكاليا نيرعل لم يبق شيء
الطالونية تحيطه مستنقعات مناء الغرات الراتده كما
دارت مداعبه غازي ، وطلانا نعرف " لندن "

فجأة... أدت الى اسقاط وزارتي علي مودودي وعمل الحبيب بالمدني
عاصمه المسؤوله لبس اللامعي رئاسة الوزارة

سابعاً: رأي أجنبي

قدم لي القائد العسكري سيكارة وأخذ أخرى ثم قال: - كان عليكم أن تقضوا على عبد الاله ونوري وزملائهما، قبل أن تحاربوا الانكليز، وهذا تدبير منطقي، لو اتخذتموه، لما استعان بهم الانكليز في حربكم، أو بعدها.

قلت: يصح هذا في الدولة التي تتمتع باستقلال ناجز ويطبق فيها فينفع، لأن الدولة التي لها سلطان على شعبها وهيمنة على شؤونها، يسهل عليها قمع حركات الخونة وهي في مهدها، بأن تتخلص من بعض الخونة البارزين، وتقضي على المعين الذي يسقيهم، وهو عادة ضئيل سريع النضوب، إذا كانت الدولة مستقلة. لكن الأمر على العكس إذا غلبت الدولة على أمرها فنكبت بالاستعمار، أو كان استقلالها أبتّر كالعراق. فالمستعمر هو المعين الذي لا ينضب للخونة، وما زال هذا دأب الانكليز في العراق منذ خمس وعشرين سنة. أما الوطنيون فينالهم الاضطهاد والتعذيب، وتلحق بهم الاهانات، ويوصمون بالخيانة، فيحدّ ذلك من نشاطهم ويضعفهم، فلا يجدون معيناً ولا نصيراً.

فلو اتخذنا التدبير المنطقي الذي تقترحه، لأصبح لزاماً علينا القضاء على العشرات كل يوم. فلا ينتهي الأمر إلا بمحو البلاد، وإثارة الضغائن والأحقاد، وليس أيسر من ظهور خائن جديد في بلادنا إذا مات خائن. لأن الحاكم المسيطر حليف للخونة، وليس أشق من قيام سيد فيها إذا مات سيد، لأن المحكوم الضعيف حليفه الوحيد. فالانكليز، إذن هم الأصل، لأنهم هم الحكام المسيطرون، ولولاهم لما كانت الأغصان والفروع من الخونة مثل نوري وعبد الاله. وأن قطع الأغصان والفروع لا يُغني فتيلاً، وسرعان ما تنمو غيرها مادام البدن قائماً، والأصل ثابتاً في الأرض. (فيكون نو الحسب والنسب سلطاناً وتوزع الألقاب والزعامات على الباقيين بالنسب التي تعينها الخطة الاستعمارية). وإن ينقطع دابر الأغصان والفروع إلا باستئصال شأفة البدن. لذلك اعرضنا عنهم، وجابها الانكليز. وسيبقى الانكليز وكل طامع بالبلاد هدفنا. أما نوري وعبد الاله وغيرهما من العملاء، فإنهم مازالوا منذ قتل بكر صدقي، مشردين خارج العراق، مبعثرين في أرجاء الأرض، وهم يندبون حظوظهم، ويتلهفون إلى قصورهم وأطيانهم.

فأعدناهم إلينا واستقبلناهم بالإجلال والاحترام. وما كان عسيراً علينا قتلهم لو نشاء. لكن والله ما دار في خلدنا يوماً أن نمسّهم بسوء، فنكون قتلة لثاماً. كان أملنا أنهم اعتبروا بما نكبوا به، أيام بكر فأنهقوا باطل أعمالهم، وعادوا إلى الهدى ودين الحق. يتكاتفون مع الوطنيين ويقاومون الاستعمار بكل قواهم، ليطردوا الانكليز من البلاد. فكان جزاء إحساننا وحسن نيتنا، أنهم رمونا بالخيانة والعصيان. وقد فات مافات .. (ملحق رقم ٦-).

فابتسم القائد العسكري وسألني: أنت أناني أيضاً؟.. قلت: أجل. فالأنانية عريضة تسمو ببعض النفوس فتفيض بالخير، وتحطّ ببعض النفوس فتعمه بالإثم. فالأنبياء والمخترعون والأدباء والوطنيون، وإن اختلفت أهدافهم ومقاييسهم، يريدون الخير لمجتمعهم لا لأنفسهم. كم حنون تطعم أولادها، وتكتفي بالفتات. وهذه أنانيتي إن شاء الله.

فوقف القائد وقال: استودعك الله، وسنواصل الحديث في مقابلة أخرى.

قلت: أما أن لكم اطلاق سراحي، إنكم تفعلون بذلك خيراً للإنسانية التي تنن من جور السيطرة البريطانية، وأنا لا أخشى ماقدّره الله، وليس بين قومي وبينكم عدا.

أجابني: إن شئت شفّعنا لك عند الانكليز، نيسرّ لك أمرك وتعود إلى مركزك

قلت: لا والله، وما المركز الذي فقدته إلا عرض قال عنه أحد شعرائنا:

لا تُسّقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل

وإني قد عاهدت الله، أن أشرب من الحنظل ما بقيت حياً، وما بقيت البلاد العربية طريقاً للامبراطورية البريطانية، وآليت على نفسي أن لا أكون عميلاً للانكليز والأجانب.

فصافحني القائد العسكري وقال يختم كلامه: لو أن ما بينكم وبين خصومكم كان اختلاف الرأي على السبيل المؤدية إلى الهدف القومي، لما استعانوا عليكم بالأجانب، مهما تباينت آراؤكم أو اختلفت طرقكم. إنه عمل شائن يخزي سمعة بلادكم، لا بل إنه يدل على أخلاق غير ناضجة. ولو أن خلافتكم كان هو الطريق، اضنوا بكم ولعز عليهم التضحية بكم. خاصة وأن بلادكم في أمس الحاجة إلى رجال بلغوا مرتبة الكمال، يعملون على انهاضها من كبوتها واسترداد حريتها، والوصول إلى أهدافها المنشودة. وأضرب لك مثلاً فرنسا، إذ غلبت على أمرها، فطلبت منها ألمانيا أن تحاكم المسؤولين عن زجها في الحرب. إن الرجال الواعين في فرنسا، أكثر منهم في بلادكم، وحاجتها أقل من حاجتكم للرجال الواعين. لكنني على يقين أن بيتان وديغول وصحبهما لن يؤذي بعضهم بعضاً، ولن يضحي بقلامة ظفر فرنسية لإرضاء

ألمانيا ولو وعدتهم بإعادة الإمبراطورية إلى مجدها التليد. وهم وإن كانوا في الظاهر فريقين متخاصمين، الواحد بجانب الحلفاء والثاني بجانب المحور، لكنهم في الواقع متكاتفون متعاضدون، يحرص كل منهما على حياة الآخر، بل يشجعه ويساعده سراً على المضي في عمله. لأن هدفهم المشترك هو سلامة فرنسا وحدها. ولو أن خصومكم ساروا على هذه النظرية، لما توطد استعمار الانكليز في بلادكم. أما معاهدتكم مع انكلترا، فقد فازت فيها بحصة الأسد، وجميع الدول على استعداد لأن ترتبط معكم بمعاهدة مثلاً أو أفضل شروطاً. مادام سعيكم وراء القشور، تقتتلون من أجلها، وتتركون لها اللباب.

وأرى خصومكم أحرص من الانكليز على ملاحقتكم، إذ لا يهم بريطانيا في شيء موت أحدكم، أو حياته بعد أن غادرتكم البلاد، وتركتكم الطريق فسيحاً أمام مصالحها، لا يقف بوجهها أحد من بعدكم. بل إن بريطانيا لا تتردد في تفضيلكم على خصومكم، لو أنست فيكم اليوم ميلاً إلى التفاهم معها، بحيث تنهجون في إرضائها نهج خصومكم - كما أشرت عليك، فرفضت - لأنكم أقوى من خصومكم مركزاً بين قومكم، وأثبت منهم قدماً في بلادكم. ومن عادة الانكليز أن يتناسوا كل شيء في سبيل مصالحهم الحيوية. أما والأمر على نقيض ذلك، فمن الطبيعي أن يشجعوا خصومكم للقضاء عليكم بلا رحمة. ولو شعر خصومكم شعوراً وطنياً، لما هان عليهم ذلك، بل لدوا يدهم لمساعدتكم سراً، ولشجعوا كل حركة صادرة عن دافع وطني، وموجهة ضد الاستعمار. لا فرق إن كانت صحيحة أو خاطئة، لأن العبرة في حسن النية. لو كان خصومكم وطنيين، لما ركنوا إلى عهود ومواثيق تنافي الاستقلال الناجز، لأن الاستقلال يؤخذ قسراً، لا رجاءً ولا عفواً.

وأرى خصومكم قد اتفقوا مع الانكليز، على أن يجعلوا منكم عبرة لمن تحدثه نفسه بمناوأتهم، خاصة وهم اليوم في حالة حرب. لذلك يبذلون أقصى الجهد، للقضاء عليكم سريعاً، فلا يمهلونكم. وهذا العمل لا يتفق طبعاً مع الوطنية، واسمح لي أن أقول إن هذه الأخلاق لا تليق بأمة تتشد لها مكانة بين الأمم الناهضة، وتريد حقها في الحياة.

ليت نوري وجميل وجودت، كانوا معي يسمعون حكم هذا الأجنبي .. ثم أناقشهم الحساب عزلاً، لا تساندكم حراب الانكليز:

هل أنتم زعماء الثورة العربية، أم عمال في الاستخبارات البريطانية؟ تستغلون الثورة العربية ثم الثورة العراقية لتدوم مقاعدكم في الوزارات العراقية!! إنكم لو ناصرتكم الثورة العربية، لانتهيتم إلى مصير الحسين، الذي مات منفيّاً في قبرص. أو إلى مصير السيد طالب النقيب، الذي اعتقل في بغداد بتدبير من نوري والانكليز، ثم قضى نحبه في منفاه خارج

العراق. أو إلى مصير عبد الواحد صقر، بطل الثورة العراقية الذي ما أظنه، إلا في أحد المعتقلات الانكليزية. أو إلى مصير عزيز علي المصري، بطل الفكرة العربية الذي مازال ضحية للشراك الانكليزية، التي نصبها له نوري في الحجاز. أو إلى مصير أولئك الأمجاد، الذين شنقوا على الأعواد. بل إنكم استثمرتم الثورة العربية والثورة العراقية، فارتفعتم بواسطتها إلى مرتبة الزعامة الوطنية، تدعمكم حراب الانكليز. وكذلك سوف تستثمرون الأعمال التي قام بها ضحايا الحرب العراقية الانكليزية. أما الذين اعتلوا المشانق من أحرار العرب، فجزاء أطفالهم التشرد والتوسل والإهمال. ثم إن الزعامة ليست لكم، لأنها تستند على النزعات الوطنية، لا على الحراب الأجنبية.

هل يؤخذ الاستقلال بالرجاء بدل الكفاح، وهل جاءت المعاهدة العراقية الانكليزية مثلاً للاستقلال، أم أخذت من الانكليز بفضل أعمالكم المخزية ومسايرتكم للسياسة الانكليزية؟ هل ثار العرب بوجه العثمانيين المسلمين، وأزروا الدول الاستعمارية المسيحية، ليجنوا «استقلالاً» ما رأينا من آثاره غير اليهود في فلسطين، والفرنسيين في سوريا، والأشوريين في العراق، والانكليز في باقي الجهات؟؟؟

ولم تتمسكون بالانكليز؟ أتشفقون على الحرية من النازية (١)، أم تؤمنون بأن جبهة الحلفاء تحارب نوداً عن الإنسانية، وتريد الخير لشعوب أوروبا، ولأمم الأرض قاطبة، بما فيها بلاد العرب والهنود، وباقي المستعمرات الانكليزية، فتتال استقلالها بعد الحرب بلا نضال؟؟ أم تعتقدون أن ميثاق الأطلسي، هو ينبوع الرحمة الدافق على البشرية، وأنه ليس مثل مبادئ ويلسن، لأن في أمريكا وانكلترا اليوم روزفلت وتشرشل؟ أم تظنون أن ألمانيا المغلوبة على أمرها في الحرب العالمية الأولى، هي التي منعت انكلترا الظافرة، من إعطاء الحرية والاستقلال للشعوب الضعيفة، وإن انكلترا تحارب ألمانيا اليوم، لتحرير الشعوب المحبة للحرية؟

أم تعلمون علم اليقين، كالآخرين، أن انكلترا اليوم، أكذب منها في الحرب الأولى، وأنكر، وأنها لو كانت تسعى إلى حرية الشعوب الضعيفة واستقلالها، لما أثارت هذا النزاع، ولما ضحّت بالرجال والأموال، ولما جزأت البلاد العربية وأضعفتها؟؟ بل لجعلتها منيعة القوة راسخة الاستقلال، ولحرصت على استقلالها كما تحرص على استقلال دول البلقان، التي أوجدتها في أوروبا، لتحافظ على سيطرتها الدولية. أو كما تحرص على إقامة دولة لليهود، لتدوم سيطرتها على شعوب الشرق الأدنى والبلاد العربية، لأنها تقع على طرق الامبراطورية.

(١) - ومتى ترك الانكليز للعرب الحرية ليدركوا الفرق بين ديمقراطيتهم المزيفة والنازية الباغية؟ ولماذا هذه المبادئ الأجنبية ونحن أمة عربية اسلامية، لها مبادئها السامية وتقاليدها العريقة.

ولم تتظاهروا أمام الشعب بالعدواة لبعضكم، وأنتم متفقون على الهدف، أوفياء في خدمة الاستعمار؟ اتراكم اختلفتم كيف تفرقون الكلمة، وتسابقتم لإثارة النزعات الطائفية وخلق الأقليات؟ ليقول الشعب بالعراقية، فيبقى مطيةً للسياسة البريطانية توجهه حيثما تشاء، حتى حاز العراق بفضلكم قصب السبق في قصر أعمار الوزارات!! فما قامت وزارة، إلا وزعتم أن منهاجها يدر على البلاد ذهباً وهاجاً، ولكن الوزارة تسقط قبل أن يجف المداد على منهاجها، فتقوم وزارة أخرى، ويأتي منهاج غيره، وتقولون إن المنهاج القديم كان ملحاً أجاباً.

ولم تناصبوننا العداء وتوالون الانكليز؟ لم تتجسسوا علينا وتقيمون من أجسادكم سداً لحماية الأجنبي وتفتدونه بأرواحكم؟ تعالوا شاركونا في الجهاد وناضلوا الانكليز، وكل طامع بالبلاد كما نناضلهم. فمن يرضى منا بالاستعمار كان عبداً رقيقاً، أو تحوا، وقفوا متفرجين محايدين، وتركوا العمل للوطنيين، الذين يقدمون على التضحية ولا يبالون بالمتون.

هل أخذتم وعداً باستقلال العرب بعد الحرب العالمية الثانية؟ أم ستعودون إلى الكذب، متعللين بحجة حربنا ضد الانكليز، أم سيخرج العرب من هذه الحرب بمثل ما خرجوا به من الحرب الأولى؟ إذ كنا حلفاء انكلترا وفرنسا فنكلوا بنا، وضربوا منا الأعناق، وبثوا بيننا الفساد والشناق، فكان حصاد الثورة العربية أن ظهر اليهود في فلسطين والأشوريون في العراق.

هل ما اتهمناه من حمية أهلاً قومي ريمموري
لهو -
١- تربية دلي نزار وربييه صباغ
على الروح العربية والدولة
٢- ان بيضا معان بيت زاهد
وحمية عاتية اهد اقاربى العرب مع
زومتى التما تلو ان نجا الحياة
كتب صلاح الدين الصباغ هذه المذكرات بخط يده في عام ١٩٣٢ في مدينة بغداد...

ملحق رقم -٦-

مازال بكر صدقي يضيق الخناق على جميل الملقب بالمدفعي، ويطارده حتى حملة على مغادرة العراق والهرب إلى سوريا للنجاة بنفسه. ولم تكن لي بجميل معرفة سابقة عندما أرسل لي قبل سفره إلى سوريا رسولاً، هو إبراهيم عطار باشي. فقال لي: - «لم يبق لنا من نعتمد عليه لانقاذ البلاد من عبث بكر صدقي وشروره سواك يا صلاح الدين، وأخوانك البررة المخلصين. لذلك نرجوك أن لا تفرط بنفسك، وأن لا تسرف في إظهار العداءة لبكر صدقي. لأننا نخشى أن يصيبك أذى منه».

إن سعيد الحاج ثابت الوطني البار، يشهد على صحة ما أقول فهل بوسعك يا جميل أن تكذبه كما انقلبت عليه؟

فلما اغتيل بكر صدقي، كان صلاح الدين وإخوان صلاح الدين هم الذين أعادوك بالطائرة، وهم الذين استقبلوك بالحفاوة والترحاب. لقد كنت أنا ممثل الجيش الوحيد في استقبالك بالمطار المدني، يوم تقابلنا وتحدثنا على انفراد في المطار أولاً، ثم في دارك، ووافقتني على تحقيق مطالب الجيش، وأخذت مني تلك القصاصة التي تحتوي على عهد وشروط بخدمة العروبة والفكرة القومية.

وإنني أسألك يا جميل: أأكون ألمانياً أو نازياً أو انكليزياً أو خادماً للأجنبي من يحمل تلك الفكرة ويبشر بذلك المبدأ، أم أكون أنا دخليلاً وتكون أنت العربي الأصيل؟؟

وقد ترددت على الألسنة إشاعة، مفادها أن بكر صدقي يوالي السياسة الألمانية. فلماذا لم أتعاون مع بكر صدقي، لو كنت أميل للنازية الألمانية أو كنت أتناقض منهم راتباً ضخماً من الذهب كما تزعم؟

إلا أن كل إناء ينضح بما فيه.

ثامناً:

في تعريف الخائن

من هو الخائن؟

وما هي الخيانة؟

وكيف نهتدي إلى الخائن فنحذر منه أولادنا وأحفادنا؟ لقد اختلط الأمر على العرب وهم في الفوضى الحاضرة، وصعب عليهم أن يقطعوا فيه برأي. من هو الخائن؟

هل الخائن من يقاوم الاستعمار الأجنبي بمختلف درجاته وشتى أنواعه، ويناهض الذين يوالون المستعمرين، ويناهض كل قوة غاشمة على أرض الوطن، وإن كان أعزل من كل سلاح؟؟ مثل محمد عبد الكريم الريفي، في المغرب العربي. ومصطفى كامل وسعد زغلول، في القطر المصري. وشكري القوتلي واخوانه، في سوريا. وأمين الحسيني والشهداء، في فلسطين وباقي الأقطار العربية، ورشيد عالي الكيلاني وقادة الجيش العراقي وضباطه العرب، الذين آل مصيرهم وعوائلهم إلى التشرد والاعتقال والسجن والاعدام، بدعوى أنهم خونة دجالون.

أم الخائن من يماشي القوة الغاشمة ويمالي كل إستعمار أجنبي؟ زاعماً أن السبيل الوحيد لفلاح العرب مماشاة القوة والإستعمار. فيقضي العمر في بحبوة من العيش ورخاء وترف. ولا يعتلي المشانق، ولا يثوى في القبور، مثل الناشايبي في فلسطين، والشيخ تاج الدين في سوريا، ونوري بن سعيد في العراق، وأميل إده في لبنان (عجبي أن يقال أن اده فرنسي، ولا يقال أن نوري إنكليزي. فإذا كان نوري مسلماً، واده مسيحياً، فإن هذا لا يغير من واقع الحال شيئاً. أليس اده عربياً؟)

أم الخائن لا هذا ولا ذاك؟ بل من يستسلم إلى كل قوة وسلطان. الذي لاشأن له بالمستعمرين ولا بالعرب القوميين، يعيش مسالماً لا يههم إن احتلت بلاده أو استقلت.

فإذا كان الخائن من الطائفة الأولى، فلماذا نشيد بسعد زغلول وأمثاله، ونكبرهم، لأنهم حملوا لواء القومية؟ ولا نقول أنهم دجالون مارقون يستحقون لعنة الله والإنسان لأنهم غرسوا

فينا هذه العقيدة، والسائرون من قبلهم على هذا النهج، بهدي التعاليم العربية الإنسانية؟ وإذا كانت الغاية التي تنشدها الأمة العربية هي مماشاة الإستعمار فحسب، فلماذا علمنا هذه العقيدة منذ نعومة أظفارنا، فتشربت بها نفوسنا وترعرعنا عليها، ولماذا نعلمها أطفالنا، فتتشرب بها نفوسهم ويتزرعون عليها؟ وهي العقيدة التي حفزت إلى الإحتجاج، وأشعلت نار الثورة، وحرّضت على سفك الدماء؟ ولماذا لا يبعدون هذه التعاليم عن مناهجنا الدراسية، وعن أوساطنا التربوية، في البيت وخارجه، فيخفون الإحتجاجات ويطفئون الثورات ويحقنون الدماء؟

وإذا كان الخائن من الطائفة الثانية، فلماذا تشجع أفعاله، وتحترم تصرفاته، وتنتشر الصحف أقواله، بدل أن يناله الذم والتقريع والنبد والتحقير؟ فإذا قيل أنه انما صار كذلك بتأييد القوي، فأبي سلطان للقوي على قلوب الناس ومشاعرهم؟ انه لإثم أن يتعلل المرء بهذا العذر وعار كبير!!

وإذا كان الخائن من الطائفة الثالثة، فهذا هو القول الذي لا نقاش فيه، لأن الاستسلام هو الموت الزؤام.

فيا أيها العرب؛ افتونا من هو الخائن وما هي الخيانة. ذلك أن أبناء النوات في العراق، يقولون إن الانكليز أبأؤنا وأولياء نعمتنا، وسيتولى أولادنا وأحفادنا مثل هذه القول بعد الحرب. فإذا كان قولهم صحيحاً، علمناه أولادنا وأحفادنا، وتسابقنا وإياهم في هذا الميدان!! وأتبعنا طريقة نوري بن سعيد وزميله أميل أده التي تتلخص بالإستسلام. فلا مقاومة، لا بالسلاح ولا بالكلام، ونكون نحن وأولادنا وأحفادنا كالأنعام، مشبعين بروح الإستسلام، وعلى العروبة السلام.

(يطلق عرب العراق لقب أبناء النوات على نوري بن سعيد وجميل الملقب بالمدفعي ومن لف لفهم، الذين اغتصبوا الزعامة بقوة الحراب الأجنبية بعد أن احتل الأنكليز والأجانب البلاد العربية).

فمن هو الخائن، وما هو مقياس الخيانة؟ أما أنا فما زلت أردد قول الشاعر:

ولي وطن أليتُ ألا أبيعهُ وأن لا أرى غيري له الدهر مالكاً

وما أنذا أطارده في ايران - فلا حول ولا قوة إلا بالله

ملحق رقم -٧-

قبل واقعة ميسلون، التي جرت بين الفرنسيين والحكومة العربية السورية، كنت أقوم بحراسة قصر فيصل بالمناوبة مع فهمي. فقد كنا ملازمين في سرية الرشاشات التابعة لكتيبة الهاشمي الخيالة. وكان فوزي القاوقجي، أمر سرية سيافة في الكتيبة. فلما وضعت الحرب أوزارها، كانت كتيبتنا هي الوحيدة التي بقيت محافظة على نظامها. فجمعنا ما تبقى من رجال وخيل، وأمرنا بأن نعسكر في تكية السلطان سليم، وكان فوزي معنا. وأمّرت مع رعيلى بحراسة قصر فيصل مرة أخرى. فلما ترك فيصل قصره ورحل إلى درعا بحوران، سحبت الرعيل على أن أعود إلى الجامع. وفي الطريق التقيت بفهمي، وكانت عيناه تفيضان بالدموع. فسألته: خير إن شاء الله. أين ذاهب برعيلك يا فهمي؟

قال اسمع يا صلاح، غداً يدخل الفرنسيون دمشق في الصباح الباكر. علمت بذلك من نوري بن سعيد، وسوف تلقاه حتماً لأنني تركته على جسر المرجة. لقد طلب مني هذا الرجل أن أحافظ على الأمن داخل البلد، إلى أن تدخل الجيوش الفرنسية صباح الغد فتحتل دمشق. لكن خاب ظنه، فأنا ذاهب برعيلي للالتحاق بقوات حمص وحلب فوراً. وسنمضي في قتال الفرنسيين. تركني فهمي ورعيله خبياً. وبعد شهر واحد كنت أنا وفهمي أسيرين في قلعة واحدة بجزيرة أرواد.

وعلى مفترق الطريق المؤدي إلى الصالحية، أوقفني نوري بن سعيد بعد أن عرفني على نفسه لأنني كنت لا أعرفه. وكان يحمل على ذراعه شارة حمراء، فسألني عن واجبي ووجهتي فأجبت به إلى الكتيبة. قال: كتيبتكم قوة احتياطية وأجبها المحافظة على الأمن. وعليك أن تلتحق بها فوراً. فأجبت أنه بسبيلي إليها. وتركته وأنا أتمتم: - هذا هو الخائن. هذا هو نوري الذي قال لي عنه شهيد العروبة يوسف العظمة: «إلى متى يعيش هؤلاء الخونة وأبناء العرب الأحرار يقتلون ويقبرون؟ ويزرعون، والدخلاء يحصلون؟».

إن كل عربي غريمك يا نوري، يامن صافح غورو وسلمه دمشق، ووقف بجانبه مبتسماً وهو يلقي خطابه.

تاسعاً:

نحن والانكليز

دخل الفرنسيون دمشق بعد واقعة ميسلون. فاعتقلوني أنا وفهمي سعيد، بين من اعتقلوا من الضباط العراقيين. وارسلونا إلى جزيرة (أرود) الصغيرة، ثم سلّمونا للانكليز. فالحقنا هؤلاء بقافلة أخرى من العراقيين، كانوا في فلسطين، وكان بينهم أخي الأكبر، المرحوم حسن شوقي الصباغ، وسافرنا جميعاً إلى (بورسعيد). ثم أبحرنا على ظهر باخرة يونانية عتيقة إلى ميناء البصرة بالعراق.

بعد أن وصلنا العراق، تشكل الجيش العراقي عام ١٩٢١. وفتحت الدورة الأولى للضباط الأعوان. فدخلتها، واشتركت مع باقي الضباط، في مراسم تتويج الملك فيصل الأول على عرش العراق. وجرت المراسم بحضور السير برسي كوكس الحاكم البريطاني العام. كنت آنذاك برتبة ملازم ثانٍ لا أعلم أكثر مما يعلمه أي ملازم آخر بحدائثي عن قيادة فصيلة أو سرية، إلا التجارب التي اكتسبتها في الحرب العالمية الأولى.

وما مضى شهر واحد، حتى أصبحت معلماً لتدريب الضباط الخيالة من زملائي في تلك الدورة، وما تلاها من الدورات. فكنت أول معلم للفروسية في تاريخ الجيش العراقي. وكان المشرف على قسم تدريب ضباط الخيالة، ضابطاً انكليزياً اسمه الكابتن ويلسن، ومن حقه علي أن أشكره. ومنذ ذلك التاريخ أخذ مستقبلي العسكري بالازدهار. لأنني ضاعفت السعي والدرس، فأعجب بي قادتي، وأحبني أقراني، ما بين ضباط عرب من بني قومي، وضباط انكليز من البعثة العسكرية البريطانية.

ثم تعرفت على عشرات من الضباط الانكليز من مختلف الرتب. فكانوا جميعاً أصدقائي، ولما بعثت إلى انكلترا ملحقاً بكتيبة الرماحة ١٦/٥ الملكية الانكليزية برتبة رئيس، هياً لي بعض أصدقائي من الانكليز، الفرصة لمقابلة ملكهم الراحل جورج الخامس. بل إن صلتني بالانكليز زادت وثوقاً لما تزوجت انكليزية أنجبت ولدي ربيعة. ثم توفّاها الله وهي في ريعان الشباب بعد زواجنا بسنتين. جملة القول أن بيني وبين الانكليز روابط من الصداقة الشخصية ما زلت

أحتفظ بها، كما أنني مدين لهم بقسط وافر من ثقافتي العسكرية.

لكن هذا العطف وهذا الود الذي أبداه الانكليز لي ولأمثالي، لم يكن مخلصاً. بل كان أقرب إلى مجاملة الرئيس المتعالي للمرؤوس الذليل، وأشبه بمنّة السيد المستعمر لعبيد المستعمرات. وكانوا يهدفون من وراء ذلك إلى تخدير العزّة والأنفة في نفوسنا. والقضاء على مبادئنا القويمة، وقتل شعورنا القومي، فيزيّنون لنا الحياة فنأنس بالارتزاق ونبغي رغد العيش. وهذا عين ما يفعلون مع راجات الهند ومع من يشايح الانكليز منهم.

وهكذا، فإن اختلاطي بالانكليز كان يدمي قلبي ويجرح مشاعري، يثير في نفسي ردود فعل قوية، غير أنني كتمت ذلك عنهم سنين عديدة، فأعجبهم مني السعي والاجتهاد، والانصراف عن العمل القومي والوطني. فقد كنت أطوي الليل والنهار منكباً على أداء واجبي، وفاتهم أنني كنت أبشّر بمبادئنا سرّاً، وأنشرها بين أصحابي وتلاميذي. تلك المبادئ التي يرتجف منها الاستعمار خوفاً، وغاب عنهم أنني كنت أسعى بكل قوتي، لأكون أهلاً لتسلم دفة القيادة. فأكون على رأس جيش عربي، لا شائبة في ظاهره وجوهره، ولا شائبة في تدريبه وتسليحه، مترقباً الفرص لإنقاذ العروبة من ذل الاستعمار وجوره، ومن أساليبه السامة ومخدراته المعسولة.

ولئن تمكّنت في هذا المضمار، من اتباع المرونة السياسية، فإن فهمي لم يكتف عداه للانكليز، فنفر منهم ونفروا منه، وكان بينه وبين ضباطهم حوادث كثيرة يعرفها نوري بن سعيد لما كان وزيراً للدفاع. (الملحق-٨) ونجحت خطتي هذه طوال اتصالي بالانكليز، من سنة ١٩٢١ حتى سنة ١٩٤١، واستطعت بفضلها أن أساعد العرب وأن أغذي ثورتهم في سوريا وفلسطين من وراء الستار. ثم كان نوري بن سعيد أول من لفت نظر الانكليز إلى ميولي الحقيقية وميول زملائي. فقد كان عهدي بالجنرال وترهاوز صديقاً حميماً يفرقني بالثناء والمدح ويمطرني بالدعوات إلى داره في كل فرصة. فقد كان يظن أنني من المعتدلين الذين يماشون سياسة بريطانيا الاستعمارية وينخدعون بأساليبها المعسولة. أو لعله كان يظن أنني من دعاة إيجاد أمة عراقية تخضع لسيادة بريطانية، فتشبع بهذا الطريق بطونهم وترضى شهواتهم، لكنني رأيت الجنرال المذكور ينقلب بين عشية وضحاها عدواً لدوداً، ويقدم لرئاسة أركان الجيش تقريراً يكيل لي فيه الطعن، طعناً مغرضاً ظالماً. ثم ما لبث هذا الجنرال أن أعلن عداه لي في أول فرصة: حدث أن حارساً في منطقة تحكيمات الفرقة التي كنت قائدها، منع ضابطين بريطانيين يرتديان الملابس المدنية، من التجول في قطاع من تحكيمات خانقين بدون أن يحصلوا على موافقتي. فعّد الجنرال وترهاوز هذا المنع تحدياً له، وإهانة لصحبه. ورماني بالعصبية وشراسة الطبع، وقال أن أفراد فرقتي جميعهم مثلي..

هكذا رفس الجنرال وترهاوز صداقته، وضرب بعهوده عرض الحائط، لما قضت بذلك مصلحة بلاده. وثارت ثائرته إذ خفيت عنه حقيقة أمري وأمر زملائي. كما خفيت عمن جاء قبله بسنين. ونسي الجنرال أن لغيره حقوقاً، شأنه في ذلك شأن جميع الانكليز، الذين يرون أن الحق هو مصلحة بريطانيا، وحيثما وجدت مصلحتها فهناك الحق. ولو أن الجنرال وترهاوز أو (السير) نوري بن سعيد، أو الوصي عبد الإله، علموا بأمر علاقتنا -أنا وإخواني- بأحرار العرب في فلسطين عام ١٩٣٥، أو قبل ذلك، لكان السجن والطرده مصيرنا، فقد كنا يومئذ صفار الرتب، ضعاف النفوذ.

أما نحن، فقد كنا نتوخى النهوض ببلادنا، ولو أن الحرب تأخرت حتى سنة ١٩٤٥، لوجدتنا على استعداد. لكنها عاجلتنا عام ١٩٣٩ (١) وكنا نأمل أن تنتقل السلطات الإدارية والتشريعية إلى أيدي الوطنيين بصورة مطلقة، وأن يقبضوا على زمام الجيش. كنا نهدف إلى تسليح الجيش وتدريبه، وتسليح أحرار العرب أيضاً ليقم لنا الانكليز شأنًا. فيدركوا خطورتنا ويحرروا سورية وفلسطين من نير الاستعمار. ويرفعوا عن مصر والعراق قيودهم ومعاهداتهم، ثم يوحدا الأقطار العربية كلها في دائرة استقلالية ترتبط معهم، على أساس المصالح المتبادلة، مثل ارتباطهم مع تركيا عام ١٩٣٩.

والعرب مستعدون دائماً لتناسي الغدر الانكليزي لهم، لو عاملهم الانكليز معاملة اللند. ولو فعلوا، لعاد عليهم ذلك بالنفع العظيم والفائدة الكبرى. لأن العرب يضحون بالنفس والنفيس دفاعاً عن بلادهم. فيطمئن الانكليز على سلامة خطوط مواصلاتهم، ويضمنون مصالح امبراطوريتهم. لكن هذا بعيد كل البعد عن عقلية الانكليز، التي تراجع الغابر وتتمسك بالحاضر، على خلاف المشهور عنهم.

ولئن كان تعبير (المصالح البريطانية) محدوداً في ظاهره، فهو في الحقيقة واسع، يشمل كل ما يعود على بريطانيا بالنفع. فالمصالح البريطانية إذن عديدة لا تحصر، ومن لا يؤمن بمصالحها، تعده عدواً لها. ومن لا يذعن لها، تعتبره خارجاً على الإنسانية، وكافراً بالمبادئ الاجتماعية.

وتعتقد بريطانيا معاهداتها مع غيرها من الدول، فيجري تطبيقها بالحرف والنص. وعندما تقضي المصالح البريطانية أن تتقلب على الطرف الآخر، فإنها تطالبه بتطبيق المعاهدة روحاً ومعنى. فإذا جهل هذا المعنى، وطبيعي أن يجهله، غدا في نظرها كافراً.

(١)- هنا دحض لمن اعتبر أن قادة ١٩٤١ هم المبادرين بإثارة الحرب ضد الانكليز. (الناشر)

وأولى مصالح بريطانيا، هي السيطرة على العالم. لذلك نراها تحافظ على التوازن الدولي، بحجة المحافظة على السلام العالمي. ويتجلى هذا بوضوح في دول البلقان، وفي اليونان خاصة. ولكي تنوم سيطرة بريطانيا على العالم، نراها تحرص على سلامة المضائق، وعلى استقلال دول أوروبا الغربية وإيران والأفغان. لكنها من جهة أخرى تقطع البلاد العربية إرباً، وتعمل على الإقلال من شأنها، لتتمكن من المحافظة على سلامة الامبراطورية، وخطوط مواصلاتها.

ففي سبيل المصالح البريطانية إذن، تصبح البلاد العربية سلعاً رخيصة، تسام عليها فرنسا وإيطاليا وإسبانيا والصهيونية. وفي سبيل المصالح البريطانية تقطع أجزاء من البلاد العربية. فتقدمها بريطانيا هدية إلى حليف جديد في الشرق الأدنى، تكتسبه إلى جانبها، أو لتؤمن امتيازاً للنفط في إيران (١). وفي سبيل المصالح البريطانية، تقيم بريطانيا في بلاد العرب مراكز للسيطرة الداخلية، وقواعد سوقية خارجية. فجبيل طارق، وقناة السويس، وعدن، وهرمز، وخليج البصرة، كلها بلاد عربية. أما السكان العرب، فيباعون، ويسامون العذاب، ويصبرون على الضيم، وما عليهم إلا الرضوخ إلى ما ينتظرهم بدون ضجة أو كلام. لأن مصلحة بريطانيا قضت على الشعب العربي أن يطبق العهود نصاً ومعنى. وأن يبقى نائماً في هذا القفص الحديدي، ليس له مخرج من هذه البلوى، إلا إذا تبدلت سياسة بريطانيا للتوازن الدولي. فنقلته من البلقان إلى البلاد العربية، وتعادلت قوتها مع ألمانيا أو مع روسيا.

على أن الأوضاع في تركيا وإيران، لا تشبه الأوضاع في البلاد العربية. وأذكر أنني لما اشتركت بأمر رسمي، في مراسم تشييع جثمان المغفور له مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٣٩، رأيت من علائم التقدم ما أذهلني، خاصة في عاصمة تركيا الجديدة. التي كانت في الماضي أشبه بالقرى، من انقلاب في الحياة الاجتماعية وفي العمران والاقتصاد وفي الأمور الثقافية والمعنوية. ورأيت اعتزاز الأتراك بوطنيتهم، وغرورهم بقوميتهم، واعتدادهم باستقلالهم، وكيف تتنافس الدول لكسب ودهم، وترسل قطعات من جيوشها للتعبير عن حزنها. ثم انتقل بي الفكر إلى إيران، وهي تخطو إلى الأمام بخطى جبارة على غرار تركيا. بفضل استقلالها الناجز، الذي نالته قبل بضع سنين. فأين استقلال تركيا وإيران الناجز المتين، من استقلال العراق المقيد المزيف؟ العراق يزحف، وهما يركضان، لأنهما حران في اختيار طريقهما، لا يسيّرهما أحد، حران في التسليح، كما يحلو لهما، وكما يتطلب وضعهما الجغرافي والسوقي.

فلما انتهت مراسم تشييع أتاتورك، مررت بسوريا في طريقي إلى بغداد. رأيت سوريا،

(١) - الاسكندرون في شمال سوريا وشط العرب والمحمرة في جنوب العراق.

مهد العروبة ومبعت الجهاد الوطني، سوريا الزاهية الخضراء، ذات الجبال الشامخة، والسهول الفسيحة. يزرع أهلها تحت كابوس الذل والجور، ويعاني شعبها الخوف والعنف، ويتجرع مرارة الفقر، ويخنقها الجشع الفرنسي، وتشاد فيها أبنية الرق والاستعمار، ونوادي اللهو والخلاعة، للقضاء على الروح العربية والعادات القومية. ثم انتقل بي الفكر إلى فلسطين، يوم مررت بها عائداً من أوروبا، وكيف تولى علج صهيوني فحص امتعتي، ورأيتها بألم عيني تسام وتضام، قد حرمت العروبة فيها وبيعت للصهيونية بيع الأنعام. ثم استعرضت بفكري بلاد العرب، فإذا في كل بلد بلوى: أما العراق، فعليه أن يرعى مصالح الامبراطورية البريطانية، وأما سوريا، فعليها أن تخدم المصالح الفرنسية. وأما باقي البلاد العربية، فعليها أن تخضع للطلليان أو الاسبان. وهكذا، على العرب أن ينقسموا جماعات وشيعاً، ليتعلم العراق الديمقراطية من بريطانيا، وتتعلم سوريا الحرية من فرنسا، وتتعلم طرابلس الفاشية من إيطاليا. ثم على العرب، أن لا يجحدوا فضل هؤلاء، وأن لا يقولوا: أف .. للأجانب الذين يستغلونهم كالأنعام، لأنهم يخدمون المدنية بذلك !!!

ملحق رقم - ٨ -

في عام ١٩٢١، وبعد وصولنا العراق بشهر واحد، علمنا أن الشرطة الانكليزية، سجنّت فهمي في مركز (خان دلة) ببغداد. وبعد جهد جهيد، أطلق سراح فهمي لقاء غرامة قدرها خمس روبيات (الروبية عملة هندية كانت مطروحة في التداول في العراق). وقصة ذلك أن أحد السفهاء السكارى من الانكليز اعتدى على أحد الباعة من الوطنيين الفقراء، فحاول فهمي أن ينصر ابن جلده، كما نصر موسى النبي ابن قومه في مصر. لكن الشرطة ألقت القبض عليهما وتركت المعتدي. ثم أفرجت عن البائع، وسجنّت فهمي. لأنه خاطب المفوض الانكليزي مخاطبة الند للند. وأبى أن يخاطب المفوض الانكليزي بلقب (صاحب). و(صاحب) هو اللقب الذي يطلقه الهنود على الانكليز، وكان الانكليز يريدون من العراقيين أيضاً أن يطلقوا عليهم هذا اللقب. لكن العراقيين استأصلوا شأفة هذه الكلمة من لهجتهم، كما استأصلوا شأفة كثير مثلاً، بعد سنة ١٩٣٠. ولم يكن ذلك عن طريق المفاوضات والمجاملات، ولكن بفضل مقاومة فهمي وأمثاله وأنفتهم.

لقد رأيت آداب الانكليز وحريرتهم في بلادهم، ولكني رأيت قبل ذلك جبروتهم على غيرهم من الأقوام في المستعمرات. وكثيراً ما مثل أمام عيني شبح ذلك الهندي العجوز المسكين، يجثو على ركبته وهو في أرض آبائه وأجداده، ويلصق كفيه واضعاً سبابته بين حاجبيه، ليحيي الضابط الانكليزي بقوله «سلام صاحب» فيجيبه الانكليزي «جابر أو» أي إخرس. حدث هذا عام ١٩٢٤، لما كنت تلميذاً في الهند والضابط الانكليزي المشار إليه، كان صديقي وزميلي في الدراسة. قلت له «إنه مسكين لم يأت سوءاً» قال «بل قاطعني وأنا أحذرك. لا تلتفت إليه، فإن علينا أن نعامل هؤلاء بمثل هذه المعاملة، وإلا كبرت نفوسهم». أما الهندي، فقد انصرف من دون امتعاض بعد أن كرر «السلام». ولكنه لم يصف كلمة «صاحب» هذه المرة. أما الضابط الانكليزي، فقد وعد أن يزورني في العراق، ولكن الله استجاب دعائي فلم أره بعد أن غادرت الهند. فقد كان أكبر قادة الجيش العراقي آنذاك، يتزلفون لأصغر ملازم في ضباط البعثة البريطانية. إذ تعطى له الرتب في الجيش العراقي، أضعاف رتبته الأصلية، ويطلق عليه لقب «المعلم الأول»، ويمنح كل السيطرة والصلاحيات (لحق بفهمي عقاب كثير على يد نوري بن سعيد بسبب مقاومته لأولئك المعلمين الأولين أصحاب السيطرة والصلاحيات).

هذا حال الهند على يد المستعمرين، وليس فيها من المستعمرين إلا الانكليز، أما بلاد العرب، فقد تعدد فيها المستعمرون، من انكليز وفرنسيين وطلّيان واسبان ووقف وراء هؤلاء اليهود والأشوريون، يطمعون باستعمارها، كما يطمع باستعمارها اخوتها في الدين. أما فلسطين، فهي الضحية الأولى. إذ حل بأرضها الانكليز واليهود معاً.

إن حال العربي ستكون بعد مائة عام أسوأ من حال ذلك الهندي، إلا إذا تبدلت بمشيئة الله سياسة التوازن البريطانية، لينقذ الله بلاد العرب.

عاشراً:

نحن والألمان

زارني قبيل اعلان الحرب عام ١٩٣٩ رجل ألماني، يدعى الماجور ستيفن، ممثل أحد معامل الأسلحة الألمانية. فاستقبلته بصفتي معاوناً لرئيس أركان الجيش، ومديراً للحركات، بأمر من رئيس أركان الجيش الفريق حسين فوزي. فكان ثالث ألماني أقابله في حياتي. الأول أمر لوائي في الجيش العثماني، مات في الحرب العالمية الأولى، والثاني سفير ألمانيا في العراق، الدكتور غرويه، بدعوة في دار الفريق حسين فوزي، وكان أمين العمري حاضراً. ثم في حفلة رسمية أقامتها السفارة الألمانية، وهي من حفلات المجاملة التي تقيمها السفارات عادة.

عرض علي الماجور ستيفن ماعنده من نماذج، تصوّر مختلف الأسلحة والتجهيزات وأسعارها. وبعد نصف ساعة، أطلته على العقيد الركن نور الدين محمود، مدير شعبة الحركات التي تضم قسم التسليح. وعرض هذا الألماني أن يفتح العراق اعتماداً ضخماً، لتجهيزه بمختلف الأسلحة والمهمات الحربية، في فترة قصيرة وبأسعار مناسبة، يدفعها على أقساط سنوية تلائم وضعه المالي. ولقد فتننتا عروضه هذه، لأن الانكليز كانوا يماطلون فيما نطلبه من أسلحة ومهمات، ويعرقلون طلباتنا. وكان أن وافق وزير الدفاع طه الهاشمي على بعض العروض. فأرصدت المبالغ اللازمة ووصلتنا من ألمانيا الإرسالية الأولى بأسرع مما توقعنا. فغيظ الانكليز واحتجوا ثم سكتوا على مضض.

تردد الماجور ستيفن عليّ بضع مرات، في مقر عملي لتنظيم العقود والمعاملات. وتطرق في إحدى المرات، إلى الحديث عن الموقف السياسي في العالم، وأبدى تخوّفه من احتمال نشوب الحرب بين ألمانيا وانكلترا. ثم سألتني عن موقف العراق من انكلترا، إذا حاربت ألمانيا. فأجبت: - في حالة الحرب بين ألمانيا وانكلترا، يستمر العراق على تطبيق المعاهدة العراقية البريطانية.

قال: - ألا تحركون ساكناً، وهذه بلاد العرب يسومها الانكليز والفرنسيون سوء

العذاب؟

قلت: - وما حيلتنا، ونحن أمة ضعيفة ينقصها السلاح والمصانع والمال؟

فسأل: - وما قولك إن مدّتك ألمانيا بالسلاح والمال والرجال؟

قلت: - وكيف يتسنى لألمانيا امدادنا؟ وهل فاتك أن تدرس الخارطة، وترى ما بين العراق وألمانيا من حوائل وعوائق؟ إن بيننا وبينكم في البر مسافاتاً شاسعة، ودولاً كثيرة !! والبحر المتوسط، تسيطر عليه بريطانيا، فتسده بوجهكم. أما إذا شئت أن تطلع على رأي، فأنا أعتقد أن ألمانيا ليست بقادرة على انكترا، مهما استعدت. إلا إذا حالفت دولاً عظمى، أذكر منها روسيا بوجه خاص، لأنها أقرب الدول إلى بلاد العرب والهند. ولأنها الطريق الوحيدة، التي توصل الألمان إلى هذه البلاد بسرعة، فيطعنون بريطانيا في الصميم. فإذا شاعت ألمانيا أن تحقق هذا الهدف، كان لابد لها من السعي لضم روسيا إلى معسكرها.

ولنفرض أن ألمانيا خرجت من الحرب منتصرة على بريطانيا، فماذا يضمن للبلاد العربية حالاً أفضل من حالها اليوم؟ إن مشروع سكة الحديد بغداد - برلين، مازال عالقاً بأذهاننا. ومقاصد ألمانيا من ورائه غير خافية علينا. إن انتصار ألمانيا أو انتصار انكلترا، إذا نشبت الحرب، ليسا من صالح العرب في شيء. إننا لا نريد لأي منهما الانتصار، أو الاندحار. بل نريد أن يخرج الطرفان من الحرب متعادلين في القوى. وأن يكون في بقاعهما توازناً. فتبقى ألمانيا قوية تهدد مصالح بريطانيا على الدوام، فيدفع ذلك بريطانيا إلى إرضاء العرب، ولا تقصر اهتمامها بالتوازن الدولي في أوروبا والبلقان. أما اشتراكنا في الحرب إلى جانبكم، فلا يكون إلا بعد أن يطمأ الجيش الروسي أراضي خوي وهمدان في إيران، أو تصل جيوشكم فلسطين وسوريا. حينئذ فقط، يكون بمقدوركم مدنا بالسلاح والمهمات والرجال. ولو كانت بلادنا متاخمة لكم وكان استقلالها مبتوراً، لما ترددنا في الانحياز إلى جانبكم. وما سألني سائل عن الحرب القادمة، إلا وأجيبته بأنها لن تصل حدود العراق حتى تنتهي. وأعتقد أنك تؤيدني إذا نظرت إلى الأمور بمنظاري كعربي، لا بمنظارك.

اقتنع المجاور ستيفن بقولي وكان منصفاً، ثم افترقنا إلى غير لقاء. أما أنا فبقيت على اعتقادي الذي أوضحته للماجور ستيفن، ولم يتغير اعتقادي ذلك حتى الساعة (٥٠٠) من صباح يوم الجمعة الموافق ٢/مايس/١٩٤١. يوم غدر بنا الانكليز فأخذونا على حين غرة، وقصفوا قطعاتنا ومعسكراتنا بطائراتهم. فانتشرت أشلاء جنودنا، ونحن مسالمون، متمسكون بتنفيذ المعاهدة،

متشبهون في الدفاع عن حقوقنا. وهكذا غلب الطبع الانكليزي علي ما اكتسبوه من حضارتهم، وعادت لهم غرائز أسلافهم الغادرة. لأنهم أرادوا أن ينصبوا على العراق حاكماً يطبق نصوص المعاهدة العراقية البريطانية لفظاً ومعنى. ومعاني الألفاظ في نظر الانكليز لا تخرج عن نطاق مصالحهم أبداً. وإذا قضت المصالح الامبراطورية أن يفعل الانكليز أمراً، لم يبق للإنسانية قيمة، ولا للعهود والمواثيق وزن.

ملحق رقم -٩-

كان نوري بن سعيد رئيساً للوزراء، لما أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا عام ١٩٣٩. وكنت معاوناً لرئيس أركان الجيش ومديراً للحركات. ولجأ نوري أولاً إلى قطع العلاقات السياسية بين العراق وألمانيا، دون أن يكلف نفسه عناء مراجعة السلطة التشريعية، أو استشارة رئاسة أركان الجيش، أو أية جهة أخرى. وقد حاز العراق قصب السبق في ميدان قطع العلاقات السياسية، لأن المملكات البريطانية نفسها لم تقطع علاقاتها السياسية مع ألمانيا إلا بعد العراق. ثم لجأ نوري بعد ذلك إلى اعتقال رعايا ألمانيا الموجودين في العراق. وسلمهم جميعاً للانكليز في معسكر الحبانية. مما لا يليق بكرامة العرب، واستقلال العراق وخلافاً للحقوق الدولية. وقد أثارت هذه التدابير امتعاض رئيس أركان الجيش حسين فوزي، وأمين العمري، واسماعيل نامق (الذي أخذ يدعي بأنه عدو نوري والانكليز) كما أثارت امتعاض غيرهم من القادة.

ووصفت تدابير نوري هذه بالتسرع ووصمت بالديكتاتورية. ومن الواضح أن نوري جريء في القيام بكل ما يرضي الانكليز على حساب العرب، لكن جرأة نوري تنحصر في ارضاء الانكليز فحسب.

الميثاق القومي العربي

حول أحداث عام ١٩٣٩:

وقد كانت هذه الفترة هامة بالنسبة للكفاح العربي، إذ تجمعت في العراق وفود من الشباب العربي من كل أرجاء الوطن العربي وخاصة من سوريا وفلسطين، حيث كانت تشتمل الثورات الوطنية ضد الاستعمارين الفرنسي والانجليزي.

وأخذ صلاح الدين دوره... فقد جعل من العراق مفدًيا للحركات التحررية ضد المستعمرين في الوطن العربي.. وكان الوعي القومي قويا وصحيحا لدى هؤلاء الشباب الذين كانوا يتطلعون إلى الوحدة العربية الشاملة..

والتفّ الشباب العربي حول قادة الجيش العراقي، وبدأت فكرة الحزب القومي العربي بصورة سرية.. وشكلت في الوطن العربي خلايا لهذا الحزب تؤلف من ستة أشخاص... وكان من بين أعضاء هذا الحزب... نبيه العظمة ويونس السبعاني ومثير الرئيس وعلي الدندشي وفوزي القاوقجي وعبد الكريم العائدي وحنا الياس وأبو الهدى اليافي وأكرم زعيتر وعادل المظلة وممدوح السنن وصلاح الدين الصبّاغ..

واشتراك البطل صلاح الدين في معركة ميسلون - كما سبق أن ذكرنا - مما كان له أكبر الأثر في هذا الوعي العربي الجارف الذي تمتع به البطل، كما زار غالبية الدول العربية. وفي مذكراته آراء صريحة في هذا الشأن..

الميثاق القومي العربي...

أولا - تتألف الهيئة الرئيسية التي تلمن بهذا الميثاق من أعضاء ثابتوا على كفاحهم ومبادئهم تجاه شتى المؤثرات والذين اتصفوا بـ:

(أ) الأخلاق الحميدة - ومنها الابتعاد عن كل صائغاتي العادات العربية وتجنب الرذائل، كبيرة كانت أو صغيرة، أو ما يؤدي إلى سوء سمعة الهيئة.

(ب) انكار النفس والنفيس - ومنها أنه لا يطالب بأجر عمله بل التضحية لروح الجماعة الموحدة في هذا الميثاق.

(ج) الكتمان .

(د) الكفاية - أنه كفؤ في القيام بالأعمال التي تقاط اليه، وبممله وقوله وثقافته وأنه لا يطالب بأكثر مما تقرر عليه الجماعة.

(هـ) التعاون.

(و) الطاعة.

ثانيا - الفرض - تطهير العناصر المضرة في صفوف العرب وتوحيد الممالك العربية ضمن وحدة عربية تشمل السياسة والاقتصاد والثقافة والجنسية.

ثالثا - الأهداف للوصول إلى الفرض .

(أ) السيطرة على الجيش .

(ب) السيطرة على سياسة الدولة ومراقبتها.

(ج) التعاون مع الهيئات في الأقطار العربية الأخرى.

(د) التعاون والتآخي التاريخي مع الاكراد. اذ تعتقد الهيئة أن القضية الكردية لا تتعارض مع القومية العربية طالما تستهدف في طموحها الى التوسع في داخل الممالك المجاورة للعراق من الشرق والشمال. ويكون التعاون مع الاكراد على هذا الأساس .

رابعاً - المبادئ . . .

(أ) أن تعلم الهيئة أن الفئة الصالحة في البلاد العربية قليلة جداً وأن مصير البلاد العربية والمبادئ الإسلامية متوقفة على مثل هذه الفئة وهي الممول الحقيقي في احقاق الاهداف الانفة الذكر. وأن الولل للعروبة والاسلام اذ لم تتم هذه الفئة ماعهد اليها.

(ب) على الهيئة أن تراعي الانصاف عند توجيهها طلباتها الى أحد أعضائها، مراعاة لقوله تعالى (ولا يكلف الله نفساً الا وسعها) .

(ج) ليس لعضو من أعضاء الهيئة أن يأتي بعمل فردي مالم يستشر الهيئة ويحصل على موافقتها. وأن تكون أعماله ومقرراته منطبقة على شعاراتها.

ملحق رقم - ١٠ -

رحم الله من قال «لم يشهد التاريخ فاتحاً أرحم من العرب» فإن علاقة العرب بغيرهم من الشعوب كانت وشيجة دائماً وفيما يلي الخطة التي سار عليها عرب العراق في علاقاتهم غير العرب:

لم تأت المعاهدة العراقية الانكليزية على ذكر عدد المواطنين العراقيين من غير العرب، ولم تحدد عدد الذين يقبل منهم في المعاهد العسكرية. إلا أن تسعين في المائة من القادة القابضين على زمام الجيش كانوا من غير العرب حتى أواخر عام ١٩٣٧، وأما نسبتهم خارج مقرات الجيش والمعاهد الفكرية فكانت خمسين في المائة. يقابل ذلك أن نسبة المواطنين من غير العرب، لاتزيد على عشرة في المائة من مجموع السكان العراق.

هذه النسبة الساحقة المجحفة، كانت بازدياد مطرد، حتى قيض الله لي ولاخواني أن نقبض على زمام الجيش. فلما أصبحت معاوناً لرئيس أركان الجيش ومديراً للحركات، وقفت أمام هذا التيار الجارف، وعارضت رغبات الانكليز وأذئابهم الطفاعة. عندما حددت النسبة بالعدل والاحسان. وكان أن عجت المعاهد العسكرية بالطلاب العسكريين من العرب، وانتمى إلى الجيش ضباط من الشباب المشبع بالعروبة الحققة، النافر من الاقليمية الضيقة. فحلوا محل تلك الفئة المرتزقة الباغية من الضباط، الذين لا يريدون أن يكون العراق عربياً. فتقلص نفوذهم، وتناقص عددهم.

وهكذا ازدهرت العروبة في مرافق الجيش العراقي، وعم فيضها جميع المؤسسات الحكومية، والدوائر الرسمية والمعاهد العلمية، فارتاح لهذه البادرة شباب العرب في فلسطين وسوريا واليمن السعيد والمملكة العربية السعودية. وعاش العراق من عام ١٩٣٧ إلى أن غادرناه في عام ١٩٤١ عربياً في الظاهر والباطن. فما زار العراق زائر عربي، إلا واستبشر من العراق خيراً، وما سمع عربي بالجيش العراقي، إلا وقال إنه النواة لجيش العروبة. ولكن الانكليز اعتدوا على العراق، ذلك الاعتداء الظالم عام ١٩٤١، لأن مصلحتهم تقضي أن لا يكون للعرب جيش، وأن لا يهدأ لهم عيش.

حادي عشر :

قصر أعمار الوزارات

ما فتىء نوري وأمثاله، يختصمون على الباطل، ويروجون الخلافات الحزبية الكاذبة، بوجي أسيادهم الإنكليز. ويزرعون البغضاء في نفوس أفراد الشعب، حتى أودوا بحياة كثير من الأبرياء من الشعب والجيش. فكان أن ثارت ثائرة الحاج عبد الواحد صقر، ذلك العربي النبيل شيخ عشائر الفتلة، وطلب أن يوضع حد للمهازل التي يمثلها المتزعمون بقوة الإنكليز. واستقالت وزارة جميل، بعد وزارة جودت، وتسلم يسر الهاشمي زمام الحكم، بتأييد الشعب ومؤازرة الجيش، الذي كان أخوه العميد الركن طه الهاشمي على رأسه. (ملحق ١٠-).

ويعود الفضل الأكبر في نجاح حركة عبد الواحد صقر، إلى تقرير الفريق عبد اللطيف نوري قائد الفرقة الأولى. كما كان لي في ذلك يد طولى، لأنني كنت رئيس ركن الرتل المكلف بالقضاء على حركة عبد الواحد صقر. وكان قائد الرتل أمير اللواء عبد الحميد الشالجي. ومرت العاصفة بسلام وبدون إراقة دماء. فكانت الوحيدة من نوعها في عهد فيصل وغازي. وقد سر بهذه الخاتمة السليمة، ضباط الجيش القائلون بالقومية العربية، وكانوا قلة. لأن فيها حقناً لدماء العرب، من أبناء الفرات الأبرياء، وهم عز العراق وفخره. لكن أكثرية ضباط الجيش غيظت منها، لأنها كانت غير عربية. هذه الأكثرية غير العربية، كانت تسيطر على زمام الجيش، وكان بيدها الحول والطول، وكانت تستمد قوتها من رجال البعثة العسكرية البريطانية، أو من الوزراء المواليين للإنكليز. وكانت هذه الأكثرية قد انتظمت في كتلتين: الكتلة الأولى، تجمع الضباط الذين لا يمتنون إلى العروبة بصلة، وهم الاقليميون القائلون بالعراق للعراقيين، النافرون من العرب (عرب سوريا وفلسطين خاصة)، والعاملون ضد الوحدة العربية. أما الكتلة

الثانية، فتجمع الأكراد، وكان العقيد الركن توفيق وهبي (١) رئيسها الظاهري. أما رئيسها الحقيقي فكان المايجور أيدي الانكليز، وبكر صدقي.

وكانت حادثة عبد الواحد صقر، هي القبس الأول لفكرة تدخل الجيش في انتقاء الوزارات، لتطهيرها ما أمكن من عملاء السياسة الاستعمارية البريطانية. ثم كان بكر صدقي، أول من استغل الجيش بعد هذه الحادثة. فقام بحركة انقلابية لا تؤمن بالعروبة ولا بالدين، لكنها فرقت شمل المتزعمين من أشباه الراجات. فغادر العراق نوري وجميل، وغيرهما من العملاء، طالبين النجاة بأرواحهم. ولكن الأمر تعداهم إلى الوطنيين المخلصين أيضاً مثل رشيد عالي الكيلاني وطه الهاشمي وأخيه ياسين (٢).

وقامت في عهد بكر صدقي وزارة حكمت سليمان، فشجعتنا كافة البول العربية على إسقاطها. فلما تم ذلك، استبشر نوري وآله، وجميل وآله، بالعودة إلى الوطن، حيث القصور الفخمة والأطيان الواسعة. وانطلقت حناجر آل جعفر العسكري، بالتهليل والزغردة. وليت وزارة حكمت سليمان سارت على نهج عربي، إذاً لما وقفنا ضدها، فقد كانت وزارة قوية مقدامة مثل رئيسها.

(١) - العقيد الركن توفيق وهبي كردي، وكان ضابط ركن في الجيش العثماني ثم التحق بالجيش العراقي بعد أن خدم مدة غير قليلة في تشكيلات الليفي الانكليزية، ثم أحيل إلى التقاعد قبل إبرام المعاهدة العراقية الانكليزية وعين متصرفاً لبلدة السليمانية بأمر من الانكليز، فاثار حفاظ بعض البسطاء من الأكراد فكان هو السبب في حادثة السليمانية التي سفكت فيها دماء زكية في سبيل المصالح البريطانية. وقد اسندت لتوفيق وهبي مناصب هامة وأكلت إليه قضايا خطيرة تمس مقدرات الجيش العراقي وثقافته وأمواره السوقية، وكانت له كلمة مسموعة في تقرير مضير ضباط الجيش. وهو يمقت العرب ويمقت محمداً (صلعم) لأنه عربي. وكان الجيش لا يجرؤ على ترديد كلمة العروبة في مدارسه وأناشيده حين كان توفيق وهبي أمراً للمدرسة العسكرية أو مديراً للحركات، وبقي الجيش على هذه الحال حتى قتل بكر صدقي .. ظن توفيق وهبي أنني من أصل كردي لأن اسمي صلاح الدين ولأنني على زعمه من الضباط المبرزين، فكان يقول لي بالكردية ما معناه: (ليس الجمل حيواناً ولا العربي إنساناً) وكثير من الشعوب الاسلامية غير العربية تنظر إلى العرب مثل هذه النظرة.

(٢) - سجن بكر صدقي مع من سجن كلاً من عبد الوهاب صقر ومحسن أبو الطيخ في سجن السليمانية. فلما جاء جميل للحكم أفرج عن الذين سجنهم بكر صدقي باستثناء هذين العربيين الكريمين، لأن جميلًا يحقد عليهما لاتفاقهما مع يسر الهاشمي ضده وضد علي جودت. وبعد جهود وتوسلات قمت بها أنا وفهمي أفرج جميل عنهما. لماذا يا جميل لم تفرج عن عبد الواحد صقر؟ لأنه من أبطال الثورة العراقية التي أقامت لكم النظام الملكي في العراق؟ أم لأن من عادتكم أن تجنوا ثمار مايزرع غيركم لتشبعوا أنانيتكم الفردية.

إن من يقول بأن الجيش على عهدنا، انقلب على كل وزارة تسلمت مقاليد الحكم في العراق، يبتعد عن الحقيقة كل البعد. لأننا كنا في الواقع طوع بنان كل وزارة، نأنس فيها صدق العقيدة، ورسوخ الإيمان، في خدمة الوطن. ولورجعنا إلى تاريخ الوزارات في العراق، لرأينا أعمارها في عهدنا (بعد بكر صدقي)، أطول من أعمارها في عهد الانتداب (قبل بكر صدقي)، باستثناء وزارة طه الهاشمي. لأن السياسة البريطانية في العراق، تتعمد وأد الوزارات، كي لا ينجز مشروع وطني، ولا تتم منفعة قومية. فتسود التفرقة في البلاد، وتشيع البلبلية في مناهج الوزارات. وتسير بريطانيا على هذه السياسة في الدول شبه المستقلة (كالعراق)، ولكنها لا تسير على هذه السياسة في مستعمراتها. لذلك أعدنا لهذه الناحية عدتها، وقررنا مكافحة قصر أعمار الوزارات، وجرى الاتفاق على ذلك بيننا وبين نوري وطه. فكان اتفاقنا على نقيض ما تشهيه السياسة الانكليزية. وسرعان ماتراجع نوري بن سعيد، فقدم استقالة وزارته طائعاً، ليتم الأعباء الثقلية المستوحاة من السياسة الانكليزية، وجاءت على أعقابها وزارة رشيد عالي الكيلاني.

أي وزارة أسقطها الجيش، وهل انقلبنا إلا على أولئك الذين نصرناهم على الحق فغروا بنا وخدعونا؟؟ فنبدناهم لما اختبرناهم، وأطلعنا على أسرارهم وكشفنا سوء ما يضمرون. لقد تدخل الجيش في اسقاط وزارة جميل، الملقب بالمدفعي، ولم يضيق الخناق، إلا على وزارة طه الهاشمي. أما وزارة جميل الملقب بالمدفعي، فقد جاء بها الجيش إلى الحكم، بعد أن قتل بكر صدقي، وسقطت وزارة حكمت سليمان على نحو ما ذكرت. واستمرت وزارة جميل في الحكم زهاء سنة ونصف، ثم تدخل الجيش في اسقاطها للأسباب التالية:

١- سعي جميل وأعضاء وزارته، وفي مقدمتهم وزير الدفاع صبيح نجيب، لشق الجيش إلى معسكرين، وبذلك يحتفظون بالتوازن ويسيطرون على الجيش. وهذا العمل يلقي ترحيب الانكليز وتشجيعهم، لأنهم ينشدونه دائماً. وقد اعترف صبيح نجيب بهذا السعي، وأظنه يعترف به حتى الساعة (١). ويشهد على ذلك حسين فوزي

(١) - كان العقيد الركن صبيح نجيب في برلين يوم قتل بكر صدقي. فكتب من هناك إلى اسماعيل نامق الذي كان يقضي شهر العسل في لبنان، كتب إليه يقول إنه يقدس أولئك الضباط الذين أنقذوا البلاد من شر بكر صدقي. وما أكثر المديح الذي كاله لأولئك الضباط في كتابه. كان يتلف لجمعنا في داره أنا وفهمي وكامل فيفتح أبواب سيارتنا بيده وهو يرحب بنا هاشأاً باشأاً، كل ذلك ليصبح وزيراً للدفاع في وزارة جميل، وليكون بعد ذلك القوة الفاعلة في تسيير دفة الأمور بالاشتراك مع ابراهيم كمال وتوفيق السويدي استناداً إلى ثقة الجيش، وليكون جميل العوية في أيديهم لا أكثر، وسيتمكنون مادام معهم من تخليص البلاد من استعمار الانكليز و... و... وكثرت وعود صبيح التي قطعها في تلك الأيام والإيمان التي حلفها.

واسماعيل نامق وابراهيم الراوي وغيرهم من القادة الذين اشتركوا معنا وأيدوا حركتنا. وليسأل في ذلك نوري وطه، اللذان قالاً إنهما من حزبنا.

٢- تضعضع مركز وزارة جميل، بعد أن أضاع العراق شطراً من أراضيه في شط العرب. فقد استنكر الشعب والجيش هذا الأمر، الذي قامت به وزارة جميل وموقفها الضعيف أمام الانكليز، واستاء منه المغفور له الملك غازي.

٣- احجام جميل عن مد ثورة فلسطين بالمساعدة. وقد اطلعت على ذلك بنفسي في إحدى العمليات. وجميل، صديق حميم لحميم ناثانيل، ذلك الصهيوني الواسع الثراء، وجلسه على موائد الخمر والميسر.

٤- تنكر صبيح نجيب لوعوده وأيمانه، التي أقسمها، يوم كان يتلف لضمنا إليه. أو بالأصح إلى زمرة الديكتاتورية، التي ألفها بالاشتراك مع توفيق السويدي، وإبراهيم كمال. فلما أصبح صبيح وزيراً للدفاع، انقلب علينا، وأخذ بمبدأ فرق تسد. وما أظن صبيحاً إلا نجيباً، يعترف بهذا ولا ينكره، ويذكر اليمين التي حلفها بداره يوم كان يدعونا إليها بالاح.

٥- رفض جميل أن تسند وزارة الدفاع لطله الهاشمي، بدلاً من صبيح نجيب. وفي مسامرة أقامها اللواء الأول في معسكر الرشيد، لم يتورع أمر اللواء نظيف الشاوي، عن الطعن بطله الهاشمي، على الرغم من مكانة هذا الأخير في الجيش. وقد اضطر الهاشمي إلى السكوت (نظيف الشاوي ينعت جميلاً بأبي بكر الصديق).

٦- حنث جميل بالعهود التي قطعها على نفسه، بأن يحقق للجيش طلباته التي دونت على قائمة، سلمتها بنفسي إلى جميل في بيته، يوم عاد إلى العراق، ليؤلف حكومته، بعد أن استقبلته في المطار المدني ببغداد.

.. فلما أصبح وزيراً للدفاع كان أول ما قام به من مسعى أنه زرع بنور الشقاق في صفوف الجيش وحاول خلق كتلتين: الأولى تقول بالعروبة والثانية ضدها تقول بالعراق للعراقيين. وكان معظم أفراد الكتلة الثانية من أعوان بكر صدقي. هذا الأمر كان السبب الرئيسي لاسقاط وزارة جميل. وقد اعترف صبيح نجيب أمامي وأمام رئيس أركان الجيش الفريق حسين فوزي بأنه لا يمكن السيطرة على الجيش إلا بهذه الوسيلة. وهي الوسيلة التي يريد الانكليز في الواقع. لأن صبيح يحب الانكليز، كما أن الانكليز يحبونه ويحبون توفيق السويدي وإبراهيم كمال. وهكذا فإن هذه الفكرة ما كانت إلا فكرة انكليزية (بشهادتك يا قائدي المحبوب رئيس أركان الجيش حسين فوزي، وإن كانت الأيام قد فرقت بيننا وشاءت الأقدار أن نختلف. لقد خدعني نوري كما خدعك، وواقعنا معاً في حباله، لأنني تمسكت بطله الهاشمي فإذا به مسحور بسحر نوري).

٧- التناحر بين نوري وجميل، والإجتماعات السرية التي كان قوامها باديء الأمر كل من نوري وفهمي وصلاح الدين، ثم شاركنا فيها طه الهاشمي وكامل شبيب فيما بعد. كانت هذه الإجتماعات تعقد في منزل نوري، وطلب نوري أن نكون إخواناً، مرتبطين بميثاق حزب الاستقلال العربي. وأن يكون طه الهاشمي الوكيل علينا والأمين. وقرر أيضاً أن يكون قيام الوزارات وتسلمها الحكم، برأي الجيش. وبذلك يصبح الجيش، هو المهيمن والمنظم، فيسد الفراغ الذي حدث بوفاة المغفور له الملك فيصل الأول. الذي كان يسيطر على الوزارات وعلى التحزبات والمنافسات الشخصية التي لا تنتهي في العراق (١).

كانت هذه الأسباب، يضاف إليها تحريض نوري، كافية لأن يطلب الجيش إسقاط وزارة جميل، فلما سقطت، أصبح أعضاؤها أعداء الداء لي وإخواني. كما أبدوا العداءة لنوري بن سعيد، وهم في الواقع، متفقون جميعاً على خدمة الإستعمار. وماكان تنافسهم وتناحرهم، إلا تسابقاً في خدمة الإستعمار. وهكذا خدعونا بمكرهم وكانوا مجرمين.

أما وزارة طه الهاشمي فسوف تأتي في الفصول التالية أسباب إسقاطها المؤسفة. لقد شاعت الأقدار أن نكون في عداد القادة المسؤولين، على رأس جيش قيده بنود المعاهدة العراقية الإنكليزية. فأنقلت كاهله، كما أنقلت كاهل البلاد وقيدتها. كان لزاماً علينا أن لا نتهاون بمصالح جيشنا، وهي من أهم المصالح العامة. وقد فات الإنكليز، من حسن الحظ، أن يدونوا شروطاً، يتعلقون بها، في نصوص المعاهدة التي فرضوها على العراق فرضاً.

أما وقد أحرزنا مناصبنا بجدارة واستحقاق بعد جهود سنين قاسينا خلالها الأمرين، أما وقد أخذ الله بيدنا وجعلنا من العاملين على إنقاذ جيشنا من براثن الإنكليز وإذنا بهم، من القادة والضباط المرتزقين، الذين جاؤا بهم، وهم لا يمتنون إلى أصل عربي، ولا يروق لهم أن يكون العراق عربياً، ولا أن يكون الجيش عربياً. فكيف نرضى بأن نسلم للإنكليز بمطاليب لم تأت المعاهدة على ذكرها؟ وكيف تطاوعنا أنفسنا بأن نهدم اليوم ماشيدناه بالأمس؟ وكيف يهون علينا أن نستسلم لأذئاب الإنكليز الذين بلونا هم وظهروا لنا عيوبهم؟؟

لقد شاعت الأقدار ان نتصل بمن يدعون «رجال الأمة»، وعلى رأسهم نوري وجميل، فوجدنا نوري يطعن جميلاً، ويقول أنه «طبل فارغ لا يصلح لأن يكون مدير ناحية»، ووجدنا جميلاً يقول، إن نوري صنيعة للإنكليز وأنه لا يؤتمن.

(١) - أليس كذلك يا نوري؟ وأنت يا جميل ألا تفكر مثل تفكير نوري؟

ورأينا توفيق السويدي يتقرب إلينا، ليحرضنا على اسقاط وزارة زيد، بدعوى انه كذا
ورأينا صبيح نجيب وابراهيم كمال، يشجعاننا على اسقاط وزارة عمرو لأنه كذا... فرستم
شيوعي ويشجع الشيعة، والآخر خائن، وغيره شيوعي، الخ ..

وهكذا. خبرناهم وأطلعنا على دخائلهم وسرائرهم، وعرفنا أن الأعيابهم ومناوراتهم،
ماهي إلا حزازات شخصية، تحركها ثعلبيات نوري، وخطط الانكليز الاستعمارية الضارة
بالمصلحة القومية. ولئن ناهض بكر صدقي الفكرة العربية، وعزم على إغلاق نادي المثني، فقد
كان عدواً للانكليز وللإستعمار. أما جميل، فقد ناوأ سعيد الحاج ثابت، لأنه كان رئيساً لجمعية
إعانة منكوبي الثورة في فلسطين، وهو صديق نيكومب الصدوق، وصديق غيره من أساطين
دائرة الاستخبارات البريطانية. وأما نوري، فلا ينكر فضل الانكليز، وهو الذي يخشاه كل من
يمد ثورة فلسطين بطلقة أو بندقية. وهو الذي كان ينقل للانكليز، تفاصيل الأبحاث السرية التي
تدور في مجلس الدفاع الأعلى.

لقد شاعت الأقدار أن نناصر جميلاً ونوري، وكلاهما اقترح وشجع على مبدأ اشراف
الجيش على الوزارات. ونادى بضرورة ذلك، بحجة أن الجالسين على عرش العراق بعد فيصل
الأول، مغرورون، لا هم لهم غير الانس والطرب. تجرفهم المذات وينساقون بتحريض الصائدين
في الماء العكر إلى ارتكاب السيئات، مثلما كان غازي في عهد بكر صدقي. وشاعت الأقدار أن
نكون مسؤولين عن مقررات الجيش، في الأمور السوقية والسياسية العسكرية كما سيأتي
بيانه.

لقد تاکد لنا بنتيجة اختباراتنا هذه، أن أساطين الأذئاب مثل نوري وجميل، هم علة
العلل في العراق، وهم سبب التفرقة والنفاق. وأن تصرفاتهم هي التي حملت الشعب العراقي
على أن يكفر بالوطنية، وأن يرمي الوطنيين بالكذب وجمع المال. وأصبحت كلمة (وطن) عند
العراقي تقارن كلمة (نوط) وهي العملة الورقية. وهكذا انتزعوا ثقة الشعب بأبنائه البارزين،
ورجالاته المخلصين، وحملوه على تكذيب كل عامل في الحقل الوطني، حتى ولو ضحى بنفسه
وبأولاده في هذا السبيل.

وهذه هي الأسباب التي دفعت جلال بابان وغيره من الناعقين بالاقليمية العراقية وبحقوق
الاقليات، كما دفعت الانكليز أيضاً، إلى المطالبة باقصاء صلاح الدين واخوانه من الجيش، وبأن
يلحق بهم كل عربي مخلص في عقيدته القومية.

الفصل الثاني

ضحايا الوصاية على عرش العراق واستعداد بريطانيا للحرب

لقد أيقنت الآن، ويؤسفني أنني تأخرت، أنكم يا أخي صلاح الدين، مخلصون في عملكم، وأنكم، أنتم الذين تنتصرون القضية العربية في العراق. لذلك قررت أن أكون أحد إخوانكم، وأن أضع يدي في أيديكم.

- غازي -

- ♦ الضحية الأولى .
- ♦ الضحية الثانية .
- ♦ بين اقتراح صباح وشهادة عبد الله .
- ♦ اجتماعنا بالوصي .

أولاً:

الضحية الأولى قصة حلمي والأمير

ذاع للأمير عبد الاله حديث حسن، وامتدحت سيرته في كل مكان، حتى تأثر بالدعوة طه الهاشمي وزير الدفاع، وحسين فوزي رئيس أركان الجيش، وأمين العمري قائد الفرقة الأولى، وأمين زكي قائد الفرقة الثانية، واسماعيل نامق قائد الفرقة الثالثة، وغيرهم من القادة. وكان لمحمود سلمان، الفضل في نشر هذه الدعوة، وبواسطتها تقرب الأمير إلينا.

قصدت رئيس أركان الجيش ذات يوم، لأقدم له بعض المعاملات اليومية، بصفتي معاوناً له، فوجدته في حديث مع محمود سلمان (أمر كتيبة الهاشمي يومئذ)، والمقدم الركن رفيق حسين يصغي إليهما، فاعرضت عنهم وعدت أدراجي. وبعد نصف ساعة ناداني رئيس أركان الجيش، ونادى توفيق حسين معي، وقال لي:

- أخبرني محمود سلمان، أن حكمت سليمان رئيس الوزراء السابق، وجماعة من أعوان بكر صدقي، قد دبروا مؤامرة لاغتيال عدد من الشخصيات العسكرية والمدنية، والعودة إلى الحكم.

فسألته: - كيف علم محمود بالأمر، ومن المقصود بالمؤامرة؟

أجاب: - إن الذي أخبر محمود سلمان هو الأمير عبد الاله بالذات، كما إنه أخبر وزير الدفاع أيضاً، أما الذين تستهدفهم المؤامرة فلا أعرفهم، لذلك قررنا الاتصال بالأمير للوقوف على جلية الأمر.

وبعد ساعة علمت من محمود سلمان، ثم من وقائع المحاكمة التي استندت إلى شهادة الأمير، أن المتآمرين أرادوا اغتيال طه ونوري من المدنيين، وفهمي ومحمود وكامل وصلاح الدين، أي نحن الأربعة من العسكريين.

كلف الأمير عبد الإله بأن يبقى على اتصاله بالرئيس البيطري حلمي عبد الكريم الذي ذكر الأمير في شهادته أنه عرض عليه الاشتراك في المؤامرة، وأطلعه على أسماء بعض الزملاء المتأمرين، لكنه اعتذر عن كتابة أسمائهم بخط يده. وأملى الأمير قائمة بأسماء نيف وعشرين ضابطاً، بين زعيم وعقيد، كالمرحوم شاكر علي أمر الخيالة، والزعيم اسماعيل حقي أمر المدفعية، والعقيد الركن صالح صائب (رئيس ركن الفرقة الثانية يومئذ)، والعقيد الركن قاسم شكري، والعقيد عباس فضلي، وغيرهم، بالإضافة إلى المدنيين.

تذكرت تقارير الانكليز التي تطعن بكرامة الضباط البارزين، ليقُلَّ عددهم، ولتزرع البغضاء، وتبث التفرقة، في صفوف الجيش. وتذكرت قوائم الضباط المساقين إلى التقاعد، فهالني الأمر وساورني الشك في حكاية الأمير والبيطري حلمي. لكن سمعة الأمير، وتأكيدات محمود سلمان وفهمي وغيرهما، بأن الأمير خالٍ من الأغراض وما بدا على طه الهاشمي من اهتمام، كل ذلك، اضطررني إلى التسليم بالأمر، والسير مع السائرين...

واستمر الأمير عبد الإله يخادع البيطري «حلمي» عشرين يوماً (على حد زعمه)، ثم طلب وزير الدفاع مني، أن أصدر الإنذار السري إلى جميع القطعات المربطة في العاصمة، بعد أن قرر مجلس الوزراء، اعلان الأحكام العرفية في بغداد، فقلت معترضاً:

- إنكم تفاجئوننا بهذا، وأرى التوسع في التحقيق أولى. لعل رئيس الحكومة نوري بن سعيد، موتور، يريد الثأر لجعفر من قاتليه، أعوان بكر صدقي. فاضطركم بدافع الانتقام إلى هذا القرار(١). ثم ماهو رأي الملك غازي، وهل وافق على قرار الحكومة؟ أجابني: - بل كان مصراً على الرفض، لولا أن عبد الإله أقنعه بعد لأي.

فلم أجد أبداً من عرض الأمر على رئيس أركان الجيش، فوافق عليه، وصدر الإنذار، وأعلنت الأحكام العرفية تحت اشراف اسماعيل نامق، قائد الفرقة الثالثة، (وكان أيضاً قائد الفرقة الأولى بالوكالة عن أمين العمري الذي كان في إجازة مرضية). وانعقد المجلس العرفي برئاسة العقيد عزيز ياملكي، وعضوية سعيد يحيى الخياط، ومحمود حلمي الطرابلسي، ومصطفى كامل، من العسكريين. ومعروف جياووك الكردي، وعزيز الخياط الكردي، من الحكام المدنيين. وليس بينهم صديق لبكر صدقي. أما سعيد يحيى الخياط، فقد قيل أنه من أتباع نوري.

انتهت أولى المأسى، استناداً إلى شهادة عبد الإله - وكان يومئذ قد أصبح وصياً -

(١) - كنت مطلعاً على امتعاض طه من بعض تصرفات نوري.

بالحكم على حكمت سليمان بالسجن خمس سنوات (لولا اصرار ناجي شوكت، لقضى نوري بإعدامه)، وبالحكم على حلمي عبد الكريم، والأخوين اسماعيل ويونس عباوي، بالإعدام شنقاً (خفف هذا الحكم إلى السجن المؤبد). وقد أحيل العقيد الركن صالح صائب علي التقاعد، وشملت الأحكام الكثيرين، وقذفت بمئات المواطنين إلى أعماق السجون، ولوثت أسماء رجال الجيش، التي أتت على ذكرها قائمة الأمير. وكاد يلتهم توفيق حسين، مدير شعبة الاستخبارات في دائرتي، لولا أن تداركت أمره، ووقفت أنا ورئيس أركان الجيش بجانبه. أما الزعيم المتقاعد اسماعيل الأغا، والعقيد الركن المتقاعد شاكر الوادي، فأفرج عنهما، وعين الأول قنصلاً للعراق بحلب، والثاني أميناً للسر من الدرجة الأولى في السفارة العراقية بطهران. وجرت هذه التعيينات بناءً على توصية رئاسة أركان الجيش، بعد أن تقدمت أنا وكامل شبيب، برجاء شخصي إلى طه الهاشمي في هذا الشأن.

وكان وزير الداخلية ناجي شوكت، هو المعارض الوحيد لتلك الأحكام. وبقي مصراً على المعارضة، رغم المحاولات التي جرت ليخفف منها. فما كان من نوري ابن سعيد، إلا أن أوفده إلى أنقرة بمهمة كاذبة، وبذلك أقصاه عن وزارة الداخلية مكرراً وخداعاً. وكانت إحدى هذه المحاولات في حفلة للعشاء أقامها اسماعيل نامق بداره، وكنت بين المدعوين، ورأيت سامي شوكت (وهو أخو ناجي)، يشجع على شنق حكمت سليمان، وعلى ضرورة تنفيذ أحكام المجلس العرفي دون رحمة.

وهكذا أفلح نوري بن سعيد، وأفلح تلميذه عبد الله، في إيقاع الفريسة الأولى في الفخ. وغذا جنوة البغضاء بين صفوف الجيش وأفراد الشعب، وكانت قد خمدت بعد بكر صدقي، ووجه الأنظار إلينا وهو مستتر وراعنا. وألقى مسؤولية تصرفاته على عاتقنا، زاعماً أنه يتصرف نزولاً عند إرادة الجيش، الذي يضغط على وزارته. ولكنه يشيد بمدحنا عندما يرانا، ويخدعنا قائلاً: «أنتم في طليعة المخلصين للبلاد والمضحين لها».

كان هذا ظاهر الأمر، لكنه في الحقيقة، ما كان إلا واحدة من الخطط البريطانية للاستعداد للحرب العالمية الثانية التي تقرر تطبيقها في هذه البلاد، فجعلت كيدك يا نوري عظيماً حين قلت لي: «في رأسك صوت سوف تصيحه يا صلاح الدين، ولكن سوف ترى ماسيجري بالعراق».

ملحق رقم -١-



عبد الإله مع الملك فيصل الثاني



ملك العراق على عرشه

الملك فيصل الثاني الذي يعتبر أصغر ملوك العالم



الملك فيصل الثاني والسيد محمد الحيدر والاسد خليل كده والسريف حارث

١- الأمير عبد الله:

هو ابن المغفور له الملك علي بن الحسين، وابن عم المغفور له الملك غازي، وخال ولده فيصل الثاني الملك الطفل. وهو نحيف البنية، طويل العنق، واسع الجبين. يناهز الثلاثين من العمر، تعلو محياه كآبة، ورثها من أب أضاع ملكه. وكان قد اقترن بأنسة من عائلة مصرية كريمة، فلم نسمع عنه، ما كنا نسمع عن غازي، من جنوح إلى اللهو والمتع. هكذا عرفنا الأمير عبد الله، قبل الوصاية من صديقه الحميم محمود سلمان، ومن دعايته الذهبية له. وهكذا بدا لي، لما قابلته أول مرة، في اليوم الأول من عيد الفطر عام ١٩٣٨، حين زرتة بداره في الكرخ، التي كان يستأجرها من مصلحة السكك الحديدية. وكنت آنذاك، معاوناً لرئيس أركان الجيش ومديراً للحركات. لكنني سرعان ما صعقت، إذ رأيت هذا الأمير العربي، الأشم، الذي يبدو أمام بني جلده في كبرياء الإمارة وعزة النفس وقد تصاغروا وتلعثم وأخذ يفرك يديه، ويتلوى تزلفاً، لما حضر بعض الانكليز، لتنهتته بالعيد. ولعله أدرك من وجومي، وإعراضي اشمئزاز نفسي من موقفه، فهمس وأنا أغادر داره: «بارك الله بكم يا اخواني، إنكم في طليعة العرب المخلصين، وأنتم الذين أنقذتم البلاد من شرور بكر صدقي وأعوانه» تركته متسائلاً: «أيخشى أن يراه الانكليز على غير ما عهدوا؟ أم يجاريهم تلطيفاً للجو المكهرب، الذي أثاره ابن عمه غازي ضدهم، إذ أوقف رجال الانكليز عند حدود المعاهدة، وحملهم على احترام العرش وأدابه، وأخذ يطالب بضم إمارة الكويت إلى أمها العراق» وقلت لنفسي لعل هذا هو السبب ...

٢- العقيد عزيز ياملكي:

هو ابن مصطفى باشا الكردي، الذي كان رئيساً للديوان العرفي بالاستتانة. وسمي «نمرود مصطفى»، لما أصدر حكماً بإعدام الغازي مصطفى كمال والكثيرين غيره، من المطالبين بالحرية والاستقلال. فكان الولد على سر أبيه، كما يقول أمين العمري. والاكراذ يمقتون عزيز ياملكي، لأنه كالحرباء في قلبه ...

٣- العقيد سعيد يحيى الخياط:

هو عربي الأصل والعقيدة، كان معنا في جهادنا القومي، وفي مناوأة بكر صدقي. وهو أمر اللواء الأول، في الفرقة الثالثة، التي توليت قيادتها في السنتين اللتين سبقتا الحرب مع الانكليز. أسند للعقيد سعيد يحيى، واجب سوقي هام بالرمادي لما حاربنا الانكليز، لكنه خالف

أوامري ولم يكثر بها، بل أذعن لرسالة كتبها له نوري بن سعيد، وأرسلها له من المعسكر الانكليزي بسن الذبان. فوقف سعيد يحيى بلوائه في الرمادي موقفاً جامداً، لا يدافع ولا يهاجم، لابل إنه لم يدافع حتى بصورة سلبية، ولم يتعاون مع القطعات التي كانت تحاصر سن الذبان. إذ حصر قواته، وعطلها، دون أن يحاصر الانكليز، فكانت مواصلات العدو، تجري بين فلسطين وسن الذبان تحت سمعه وبصره، فلا يبدي حراكاً تجاه الانكليز، وكان يهول في وصف موقفه الحرج. من المؤسف أن يسود سعيد ماضيه الناصع، في سبيل نوري بن سعيد، فيخدعنا. فكان موقفه شبيهاً بموقف كامل شبيب، ومن عوامل فشلنا في القتال.

٤- محمود حلمي:

إن الأكراد المخدوعين بالسياسة الانكليزية، يمتقنون محمود حلمي، منذ أن أثار توفيق وهبي واقعة السليمانية ضد الحكم العربي. وقد أحاله بكر صدقي إلى التقاعد، لأنه عربي الأصل والنزعة، ثم أعيد إلى الجيش بعد مقتل بكر صدقي، وهو شجاع مقدم.

٥- نائب الأحكام، مصطفى كامل:

لا أعرف أصله ولا نزعتة. أذكر أن الحاج رؤوف (أمر أحد الأفواج في اللواء الثالث من الفرقة الأولى)، خان واجبه لما حاربنا الانكليز. فقد كان عليه أن يحتل على عجل، موقعاً في الجبهة، في صدر السرية، ولكنه لم يفعل، بل انسحب بفوجه إلى بغداد. وهذه خيانة وطنية عن قصد وتصميم. أحلته من أجلها إلى المحاكمة، بصفتي قائد الجبهة الغربية، وبعد يومين راجعني نائب الأحكام مصطفى كامل، وطلب مني أن أحدد له العقوبة، فأجبت: «إن تحديد العقوبة ليس من شأني يا هذا، لأن ميزان العدل أمامك، والقوانين العسكرية بين يديك، فطبّقها بعد القناعة». كما راجعني بشأن هذا الضابط، قريبه ابراهيم الرواي، طالباً الشفاعة لقريبه، فقلت له: «لم أعهد فيك يا باشا، أن تطلب الشفاعة لضابط اقترف جريمة الخيانة، وأنت تعلم أن مصلحة الأمة فوق كل اعتبار» فأجابني ابراهيم «أنت أعلم بما أنسب» ثم انصرف، وإني لأشكر ابراهيم على عقيدته. أما نائب الأحكام مصطفى كامل، فما أظنه إلا رجلاً تتأثر أحكامه بالقوة، لا بالعدل. أما الضابط الخائن الحاج رؤوف، فلا شك عندي أن عبد الآله ونوري، أكرما مثواه وأحتفيا به، بدلاً من اعدامه.

٦- حلمي عبد الكريم:

أصر حلمي على إنكاره ولم يعترف حتى اليوم. أخرج حلمي من السجن مع من أخرج من المتهمين السياسيين، لما حاربنا الإنكليز. والتجأ إلى إيران، فكان جاسوساً علينا لحساب السفارة البريطانية في طهران. ثم طير إلى عبد الإله برقية، قال فيها «أنا ما زلت ذلك المخلص»، فاستدعاه عبد الإله وعاد إلى بغداد، وكان له ما أراد. فتأمل أيها العربي في قابلية الإنكليز على تدريب الجواسيس. لقد كان حلمي جاسوساً، يعمل لحساب عبد الإله والإنكليز قبل أن يسجن، ولذلك كان شجاعاً أمام حكم الإعدام، لأنه يعلم أن الجاسوس الإنكليزي، لا يعدم في العراق ولا يضام.

٧- الاخوان العباويان:

وهما عربيان من الموصل، اشتهرت عائلتهما بأعمال المغامرة سعياً وراء الشهرة وانقطع حبيل جهادهما معنا منذ عهد بكر صدقي.

٨- اسماعيل الملقب بالأغا:

وهو عربي من محلة المهديّة ببغداد، استغله بكر صدقي، وأحيل إلى التقاعد في وزارة جميل، بعد أن انتهت أيام بكر صدقي. خدم اسماعيل الأغا في الخيالة، وكنا معاً في كتيبة واحدة، وهو صديقي.

٩- شاكر الوادي:

وهو عربي الأصل، وضابط ركن حاد الذكاء. استغله بكر صدقي، لكنه يزعم أنه هو الذي استغل بكرًا... أما والده محمود الوادي، فهو من أعوان الاتحاديين في العهد العثماني. هجر بلاده وأهله، والتحق بالأتراك، فطمس ذكره حتى يومنا هذا. شاكر الوادي، يمقت السوريين، ومن أقواله «يهودي عراقي، خير من ألف سوري» وماضيه قبل عهد بكر، أنصع من ماضيه بعد بكر. وهو صديقي، وكامل شبيب، ابن عمه شاكر الوادي.

١٠- حكمت سليمان:

هو الأخ الأصغر للمرحوم المشير محمود شوكت باشا بن سليمان. تقلد حكمت سليمان عدة وزارات، وكان رئيساً للوزراء في عهد بكر صدقي، وهو شهم جري، يمقت الاستعمار، كما يمقت الانكليز وأذنابهم. نزعتة عراقية اقليمية.

١١- سامي شوكت:

هو أخو ناجي شوكت وعدو أخيه اللود. وتربطهما بعائلة سليمان قرابة رحم.

ثانياً:

غازي .. الضحية الثانية



أهداني غازي صورته موشحة بتوقيعه، يوم أهديته كتاباً من مؤلفاتي في التعبئة الحديثة عام

١٩٣٨-١٩٣٩.

في الساعة الثانية من صباح يوم ٥ نيسان ١٩٣٩، أيقظتني من النوم دقات جرس الهاتف المتواصلة، فسمعت طه الهاشمي يدعوني للحضور إلى قصر الزهور فوراً:

(فقلت):

- لكن سيارتي ليست جاهزة.

قال: - سأرسل لك سيارتي.

ارتديت بزتي العسكرية، وأنا أضرب أخماساً بأسداس. ترى ماذا جرى؟ إن أعلنت العشائر الثورة، فلماذا يحدثني الوزير من قصر الملك، لا من وزارته؟ إذن هل فاجأ الملك الوزارة، بأمر يتعلق بضم إمارة الكويت إلى العراق (١). وبعد عشرين دقيقة، كنت في السيارة، فلم ينبس سائقها ببنت شفة، حتى وصلت القصر، فرأيت المرافق الأقدم عبد الوهاب، في اضطراب وشحوب، والحراس والجنود، في بكاء ونحيب. فسألته: - ما الخبر؟

أجاب: - لقد مات الملك .. سيارته صدمت عمود كهرباء قرب القصر.

قلت: - وكيف يكون هذا؟ إنه غير ممكن، أفصح يا عبد الوهاب، لم تركت الملك وحده،

وهو إذن واجبك؟

قال: - ماحيلتي، والملك لا يصطحبني، ولا يستمع إلى كلامي.

فلم أتمالك نفسي، وبكيت غازي، فهرع طه الهاشمي من داخل القصر، ومسك ذراعي

وقال: - إهدأ يا صلاح، لم أعهد فيك ضعف الأعصاب لهذا الحد.

- لكن الملك مات ...

- أجل والمقدر كائن.

على شمال مدخل القصر، غرفة رأيت في وسطها غازي، جثة هامدة مسجاة، وعليها غطاء أبيض، وقد التفت حوله نساء العائلة، يبكين. فلم أطق صبراً، وخرجت من الغرفة مع المرافق، إلى غرفته، حيث رأيت الأمير زيد عم الفقيد، وكان عابس الوجه، والشريف حسين خاله. وشريف شيخ، يضرب إلى الشقرة، أحسبه الشريف جميل، وكان يبكي بكاء مرأ،

(١) - كنت أجدل تخوم العراق بالطيارة وبالسيارة، لأعد خطة الدفاع عن العراق وكان يصحبني في جولتي،

المقدم الركن الطيار سامي فتاح، والرئيس الأول الركن الشاب العربي الشهم، محمود الدرة، فأخبرني

متصرف البصرة السيد علي محمود الشيخ، بنوايا غازي، وبالأوامر السرية، التي كان يوجهها إليه بصدد

ضم الكويت إلى العراق، حالما يوعز له بذلك.

وأخرون لا أنكر أسماعهم، ورأيت الدكتور صائب شوكت، يحمل حقيبته ويودعنا مفارداً القصر. وأما عبد الاله، فكان صاحب الوجه، مضطرباً، يمشي في الصالة المقابلة لباب القصر، التي يصعد منها إلى ديوان الملك.

قلت: - إنه أمر جلل لا يصدق.

فأجابني الأمير زيد فوراً: - إن غازي عنيد لا يقبل النصيح من أحد.

وسألت المرافق الأقدم، عن رئيس أركان الجيش، فأجابني بأنه في الديوان مع الوزراء، وجلالة الملكة، يقررون اعلان ملكية الطفل فيصل الثاني، والوصاية على العرش. ثم سرد لي تفاصيل الحادث فقال:

- للملك غازي شغف عظيم بإذاعته الخاصة، الموجودة في دار ملاصقة للقصر. وله في الجنوب، دار أخرى، أقامها لأموره الخصوصية، تصل إليها طريق معبدة. ولقد حرم علينا نحن المرافقين، وعلى جميع الحرس والوريثات، الاقتراب من تلك الدار.

وكم من مرة خالفت أمره، ووضعت على الدار من يحرسها، وكان يعلم بالأمر، فيطردهم، ويلحقني منه غضب شديد. ومن عادة الملك، أن يقضي هزيع ليله، متردداً بين دار إذاعته وداره الخاصة. وقد جاء الملك الليلة إلى دار الاذاعة، ومكث فيها قليلاً، ثم عاد إلى داره الخاصة، وهو يسوق سيارته بسرعة خاطفة، ومعه عبد أسود، ورجل آخر - قيل أن أخاه استخدم في الشرطة، يجلسان في المقعد الخلفي. ثم ما انقضت بضع دقائق، حتى انطفأت أنوار القصر، فعلمنا باصطدام السيارة، وبالكارثة.

- ومن أتاكم بالخبر؟

- العبد الأسود الذي كان يرافق الملك وقد كسرت يده فأرسل إلى المستشفى.

- وهل رأيته بأمر عينك يا عبد الوهاب؟

- لا.

وبعد نصف ساعة، خرج طه الهاشمي من الاجتماع، فأخبرني أنه تقرر نقل الجثمان إلى البلاط الملكي بالرصافة، وأن مجلس الوزراء رشَّح الأمير عبد الاله، ليكون وصياً على العرش. وأن هذا الترشيح، يقتزن برغبة الملكة أيضاً. وطلب مني أن أقوم بإعداد مراسيم الدفن فقلت: - أرى أن يؤجل الدفن ثلاثة أيام لأنه غير ممكن اليوم.

قال: سنرى.

غادرت قصر الزهور، ومررت على دار فهمي، ونقلت إليه الخبر، فأجاب بدون اكتراث:
الخير فيما اختاره الله.

قلت: - لكن حسب غازي، نزعته العربية، ومقته للمستعمرين.

ثم أسرع إلى دار قائد الفرقة الأولى أمين العمري، فأطلعته على تفاصيل الحادثة، ورجوت منه أن يقود مراسيم الدفن، التي سوف تشترك فيها كل القطعات المربطة في العاصمة، وتركته وقائد الفرقة الثالثة اسماعيل نامق، كما طلبت من أمر الخيالة ابراهيم الراوي، ومن مدير الإدارة عبد الرزاق حسين، مراجعة قائد الفرقة الأولى في داره فوراً، ثم عدت إلى قصر الزهور. فرافقت جثمان غازي إلى البلاط الملكي قبل بزوغ الفجر بنصف ساعة، ماراً بشارع الرشيد، وكان خالياً من السابلة، تتبعه سيارات الأقارب والوزراء والآخرين.

وفي الساعة التاسعة صباحاً، نوت المدافع معلنة موت الملك، وسرعان ما انتشر الخبر في أنحاء العراق، فتجمعت مواكب الشعب، وقرعت طبولها، وشق صراخها عنان السماء. وعلت أصوات بسقوط إنكلترا الغادرة، والخائن نوري بن سعيد، قتلة غازي وأبيه فيصل. وتدفقت الجموع على ساحة رئاسة الوزراء، بينما كنت ومدير الإدارة العقيد عبد الرزاق حسين، ومتصرف بغداد، ومدير الشرطة العام، مجتمعين في غرفة وزير الداخلية، نعد الخطوط الرئيسية، لتسير على ضوئها، الدوائر التي ستقوم بمراسم الدفن وتقبل التعازي. وكان وزير الداخلية ناجي شوكت، مضطرباً كثير التشاؤم، فقال وكان مصيباً في رأيه:

- لقد قررت أن يجري الدفن غداً، وسأخبر مجلس الوزراء بذلك، لأن وضع البلد لا يحتمل تأجيل الدفن، كما تقترح يا أخي صلاح الدين، وأنا أخشى العاقبة والاضطرابات. كما أن مالية البلاد لا تتحمل إنفاق الأموال الطائلة على غرار ما رأينا في تركيا (١)، لكنني مع ذلك أوافق على فكرتك، بالسماح للجماهير، أن تستعرض جثمان الملك، وتنظيم المواكب، مثل تركيا. لعل هذا يهدئ من هياج الشعب كما تقول.

ثم اقترحت إبقاء السيارة، وكل ماله علاقة بالحادث، بالشكل الذي كان عليه، وأن يسمح للشعب بزيارة محل الإصطدام. فوافق وزير الداخلية، وأصدر أمراً للشرطة بذلك.

وفي الساعة العاشرة، زحفت الجموع الغفيرة، إلى البلاط الملكي في مواكب منتظمة،

(١) - حضرت مراسم تشييع جثمان المغفور له مصطفى كمال اتاتورك وكنت أنا واسماعيل نامق نمثل العراق عن الجهة العسكرية، وكان يمثل العراق عن الجهة المدنية كل من عبد الإله الدملوجي وناجي شوكت (وكان ناجي شوكت سفيراً للعراق في أنقرة يومئذ).

لتودع غازي، ملكها المحبوب. وكان جثمان غازي، مسجى في ساحة البلاط المجللة بالسواد، يلفه العلم العراقي، وتغطيه أكاليل الزهور. وأحاطت به نصف دائرة من الحرس، تتراوح مراتبهم بين الجندي والزعيم وقفوا خاشعين، منكبين على أعقاب أسلحهم وقد أبكى هذا المشهد المؤثر، الصغير والكبير، خاصة مواكب النساء.

وفي السادس من نيسان عام ١٩٣٩، حُلِّقَت الطائرات العراقية في سماء العاصمة، ترفرف على أجنحتها شارات الحزن السوداء. واخترقت صفوف الجيش، عربية مدفع تسير الهوينا، حاملة جثمان غازي إلى المقبرة الملكية بالأعظمية. ونفخ الجنود بأبواقهم، وأطلقوا ببنادقهم، وقصفوا بمدافعهم تحية وداع لغازي، وهو ينام في مثواه الأبدي. ثم انسحبت الجموع رويداً، وهي تبكي الشباب الذواوي، كما انسحب نوري إلى داره بقارب نهري، مثلما جاء، خشية أن يفكك به الشعب. وأقيمت التعازي في البلاط الملكي ثلاثة أيام، ترأسها كبير العائلة عبد الله، أمير شرقي الأردن.

بلغ هياج الشعب أشده، وانتهى بقتل القنصل البريطاني في الموصل. وما زار مكان اصطدام السيارة زائر، إلا ساوره الشك وأعلن تكذيبه. وألقي القبض على الخطباء، والذين قالوا إن غازي ضحية مؤامرة، دبرها نوري وبعض الضباط (١)، وشاع أن جميلاً، والمعارضين غيره، والسفارة الألمانية، هم الذين يثيرون هياج الشعب، بثرويح تلك المزاعم، وكانت النتيجة، أن أصدرت الأحكام العرفية على بعض الشباب، أعرف منهم طالباً عربياً، يدعى هشام عبد الله الدباغ، اتهم بحادث إغتيال القنصل البريطاني في الموصل، فحكم عليه بالإعدام، ثم خفض الحكم إلى السجن خمسة عشرة عاماً لصغر سنه.

وكان على الوزارة أن تجتاز العقبة الرئيسية التي تواجهها، وهي موافقة مجلس الأمة (أي مجلس الأعيان والنواب)، على وصاية الأمير عبد الله. والتغلب على المعارضة، التي يرئسها جميل، والتي رشحت الأمير زيد، للوصاية على العرش. فكان للجيش اليد الطولى في حل هذه العقدة، بفضل دعاية محمود سلمان لصالح عبد الله، الذي بدأ يتوودد لقادة الجيش، أولئك الضباط المخلصين، الذين يلهج لسانه بالثناء عليهم.

(١) - مساكين أولئك الضباط إنهم كالشموع تحترق لتتبرق لغيرها، إنهم أقلية عربية تقاومهم أكثرية غير عربية فتارة يطعنون بأنهم يوالون الانكليز مع أن الانكليز خصومهم منذ أن وطأت أقدامهم أرض العراق، وتارة ينسبون إلى جميل، وأخرى إلى نوري، أو إلى طه ... وأخيراً طعنوا بأنهم يوالون الألمان النازيين! أما الحقيقة فكانت أبعد من أن تقال، لأن الاستعمار وأذنا به لا يريدون ظهورها، ويحاولون أن يطمسوا كل أثر لمن يضحي في سبيل قومه بالرتبة والأهل والدار..

ولما التأم مجلس الأمة، كان قواد الجيش في بهو وزارة الدفاع، يصغون إلى المذياع، إذ رأى طه الهاشمي، أن لا يحضر إلى المجلس أحد من رجال الجيش، كي لا يقال أن الجيش تدخل، وأرغم المجلس على إتخاذ قراره، كما كان يجري أيام بكر صدقي(١). وتمت الموافقة على وصاية الأمير عبد الإله، بإجماع الأصوات وحمل لنا المذياع تصفيق المجلس، فصفقنا بدورنا...

وهكذا تم لوزارة نوري بن سعيد ما تشتهي، وكان على حساب الجيش.

(١) - أما أمين العمري فقد ساقه حب الظهور (وهو من طبعه) أن يرجو من رئيس أركان الجيش السماح له بحضور الجلسة فكان له ما أراد على الرغم من أوامر طه الهاشمي بأن لا يحضر من رجال الجيش أحد.

ثالثاً:

بين اقتراح صباح وشهادة عبد الإله

يبعد مكان الحادث مائة يارد عن منعطف الطريق المؤدي إلى دار غازي الخاصة ويقع جنوب قصر الزهور بأربعمائة يارد تقريباً، ويقوم على حراسة المكان شرطي، سرد علينا التفاصيل كالليباء، بينما نحن نتتبع الآثار ونفحصها بدقة. فلما فرغنا، عدنا إلى سيارتنا لئلا ننبس احدنا ببنت شفة.

وفي الطريق، بادرني نور الدين بقوله: - انه يا صلاح الدين اصطدام غامض، عويص، ولايسع الانسان، مهما كان بسيط الملاحظة، إلا أن يكذب زعم الحكومة، وهو يقارنه بالادلة التي يراها في مكان الحادث.

سألته: - وما هو تعليقك يا نوري؟

قال: - ليس من المعقول، أن ينقض عمود مثبت في الأرض، ومحكم بالاسمنت، فلا يترك ثلماً، ولا أتربة مبعثرة حول أصله. وليس من المعقول، أن تصطدم السيارة بعمود الكهرباء، بعد أن تكون قد جنحت عن استقامة سيرها، إلا إذا عبرت ساقية الماء. وكيف تعبر السيارة الساقية، وتصطدم بالعمود، ثم تنحرف إلى اليسار، وتعبر ساقية أخرى عمودية على الأولى، وتعود إلى استقامة سيرها الأولى على نفس الطريق، وتقف على قنطرتي، فلا تهدم جدار القنطرة، ولا تنقلب. ألم تر السيارة سليمة، كأنها لم تصطدم، باستثناء الزجاج واطاره، الذي يحمي السائق من الهواء. والمزعوم أنه تحطم لسقوط العمود عليه. وليس من المعقول، أن اصطداماً عنيفاً كهذا، يترك للسيارة وقتاً كافياً، لتعبر كل هذه العقبات، وتأتي فوق القنطرة، ومن ثم يسقط العمود على السيارة، ثم على رأس الملك، ثم على الأرض بجانب السيارة. بينما تقضي وجهة الاصطدام، أن ينقض العمود على نفس الاتجاه، أو على عكسه. وليس من

المعقول، أن تبقى السيارة سليمة، بعد هذه الصدمات والعقبات، مهما قيل عن متانة صنعها، وهذه عجالاتها ومقدمتها، لا عطب فيهما، وكل شيء مازال في موضعه.

أنه لعجيب أن تعود السيارة إلى طريقها الأول، فلا تنحرف عن الاتجاه الرئيسي المقصود،

وعجيب أن تستقر فوق القنطرة، فلا تنقلب عندما اجتازت جدار القنطرة الذي يرتفع عن الساقيتين والأرض زهاء قدمين! وعجيب أن لا يكون في الأرض، أثر للعجلات، يدل على محرك السيارة بعد انحرافها عن الطريق المعبد، فراحت تسير على أرض رخوة، مسقاة بالماء قبل أن تصدم العمود!!

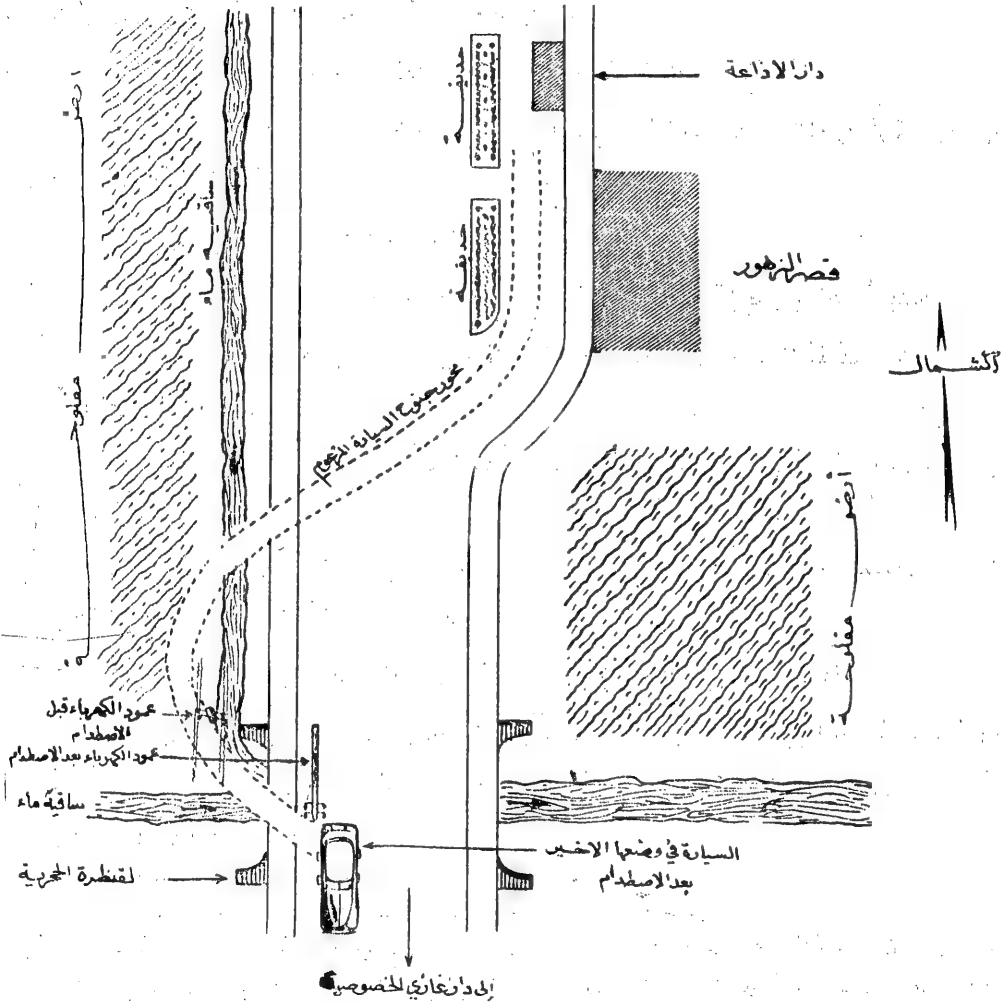
حاولت اقناع صاحبي أن لا غبار على صحة الحادث، لكنني كنت كالمصعوق بما رأيته من البيئات، وذكرتي هذه الأدلة الناطقة، بأمور فانت، فتواردت على ذاكرتي بسرعة البرق:

تذكرت التقرير الطبي، الذي حصر سبب الوفاة بالاصابة الوحيدة في جسم في قسم المخيخ من الرأس، وما ذكر علة أخرى، أو ناحية غيرها، أصيبت بخدش أو ندب أو أثر، يدل على الاحرف البارزة في اطراف العمود المنشوري الشكل، وكان يجب أن تسحق قمة الرأس، والناسية، سحقاً عميقاً يشبه القطع.

وتسألت لم أهملت وزارة نوري بن سعيد الحادث، وتناسته بسرعة؟

لم لم تؤلف لجنة فنية مختصة، يتفرع عنها مجلس للتحقيق في الحادث، لاستجواب كل من له علاقة به، كالعبد الموهوم، والشخص الأهلي المزعوم، (لا أن يكتم امرهما، ويتواريا عن الأنظار). والذي اشرف على تجهيز السيارة واعدادها، ثم ينشر هذا المجلس، على الشعب، تقريراً مسهباً بنتيجة تحقيقاته. وهذا اجراء أصولي، بسيط، تقوم به بوائر الحكومة في اتفه الحوادث المماثلة. فكيف تهمل وزارة نوري بن سعيد هذا الأمر، وتتناساه، وهو يتعلق بحادث جلل، لملك البلاد. خاصة، في وزارة رجل، لا تفوته مثل هذه الأمور الأصولية، هو العميد طه الهاشمي.

ولاحظت كيف القى مخاطبي كلامه، وكيف كانت نبرات صوته (وهو ممن يعطف على بكر صدقي، ويناوئ مبادئنا سراً، ويمقت الذين أركن عليهم من الضباط) فكأنني به يقول: لقد ناهضتم بكر صدقي، وقضيتم عليه انقاذاً لعروبة العراق، ولحياة غازي. ويعتثم الحياة لمن كان موتهم محتوماً، بعد أن اقصاهم بكر صدقي من العراق. فهاكم اليوم سيئات الذين اعدتم، اذ



مخطط يبين مكان حادثة مقتل غازي والعلل المزعومة

نصبوا لغازي، نفس الفخ، الذي قيل أن بكرأ سينصبه(١). وعجبت:

لماذا عاش الامير زيد (بخلاف أخوته أبناء الحسين) غريباً، يتجول من بلد لبلد، فلا يقيمه الانكليز اميراً على صقع، ولا يودعه العراق مسؤولية في ادارة المملكة، رغم بطولته، وبلائه الحسن في الثورة العربية، مع أخيه فيصل!!

لماذا لم يحضر التعاوي في البلاط اسوة بسائر افراد العائلة المالكة؟

ولماذا لم تسند الوصاية اليه؟ وهو احق بها من ابن اخيه عبد الله، ووزارة نوري بن سعيد لا تجهل ذلك؟

لأنه لم يجار الانكليز كما فعل أبناء الحسين الآخرين؟

أم لأنه صعب المراس، يعرف نوري حق المعرفة، ولا يرضى أن يكون العوبة بيده؟
أم لأنه حمل غازي على مقت نوري وآله، فاقصاهم عن بلاطه، وبيته المالك، بعد أن كان لهم حظوة عند فيصل؟

أم لأن أمه غير عربية، وكذلك زوجته، أم لما أشيع عن إشتراكه في بيع السلاح لإسبانيا(٢)؟

أم لأن الملكة عالية لا تأمن جانب عمها، ولاتريد وصايته على طفلها، فشهدت برغبة زوجها بأن تكون الوصاية لأخيها عبد الإله؟؟؟

وتسائلت ماذا يعني زيد بقوله: «إن غازي عنيد لايقبل النصح من أحد»؟!

هل رأى ببصيرته، أي مصير سينتهي إليه غازي، من جراء مكابرتة لرجال الإنكليز، ومطالبته بضم امارة الكويت إلى العراق؟ وهو الذي خبر الإنكليز في الثورة العربية، وبعدها، مثل لورنس ونيوكمب.

(١) - تردد على الألسنة أن بكر صدقي يريد الاقتتان بإحدى الأميرات من أخوات عبد الإله بعد أن هجر زوجته النمساوية، وكان ليكر من قبلها مطلقات. وكان الشعب العراقي يعلم بشغف غازي وحبه للرياضية والمجازفة في قيادة الآليات وقيل أن بكر صدقي كان ينوي اغتيال عازي بهذه الوسيلة، لسهولة اخفاء معالم الجريمة وإمكانية عطفها على مجازفات غازي في قيادة السيارات وهي خير طريقة لاقتناع الرأي العام.

(٢) - شاع (نقلًا عن المصادر الانكليزية طبعاً) أن الأمير زيد (يوم كان سفيراً للعراق في برلين) وعزيز المظفر (بالسفارة العراقية في باريس) اشتركا في صفقة سلاح يبيع لاسبانيا إبان حربها الداخلية وشحنت الأسلحة من ألمانيا على أنها مرسلة باسم الحكومة العراقية.

أم لفت نظره، إلى نفور الشعب من سمعته المتردية، بعكس سمعة عبد الإله، فلم ينتصح؟
أم علم بمؤامرة تحاك في الخفاء، على أساس مغامرات غازي الخاصة، ومجازفاته في قيادة السيارات، التي أشتهر أمرها في عهد بكر.

أم نهاه عن مرافقة صباح بن نوري بن سعيد، في ليالي سمره الخاصة؟؟
أم أنه أخفى عني الحقيقة، لإعتقاده بأن أحد الضباط الذين يحترمهم عبد الإله ويتودد إليهم؟

أم أنه كتم أسباب موت غازي، والدسائس التي حيكت حولها، بموجب تعليمات نوري بن سعيد، والإنكليز، لما اكتشف أن لعبد الإله ابن أخيه ضلعاً فيها؟

ثم عادت بي الذكرى إلى سنة ١٩٣٧، بعد أسبوعين من مقتل بكر صدقي، إذ جاء صباح بن نوري سعيد إلى بغداد (بعد أن كان وأبوه طريدين خارج العراق) فدعاني وفهمي، إلى وليمة في فندق كارلتون (أمرزيا) اقتصرت علينا نحن الثلاثة.

قال صباح، إن أباه أوفده للاتصال بنا، واستشارتنا بخصوص عودته إلى بغداد، إذ يهمه أن يعلم وجهة نظرنا، وهل نمانع في عودته أو لا نمانع، وهو في نفس الوقت لا يقيم أي وزن لرأي جميل (المدفعي) أو غضبه، لأنه يعلم سلفاً أن جميلاً لا يريد عودته إلى العراق.

ثم أضاف صباح في مجرى الحديث، ما إذا كنا نرى قتل غازي، وإحاقه ببكر صدقي، وتخليص البلاد من عبثه، فرد عليه فهمي بصوته الجهوري:

« لا يا صباح لن يحدث هذا أبداً » وأجبت بهوري:

« نحن لا نرى مانعاً من عودة والدك إلى بغداد (ليتنا ما قلنا هذا)، لكننا نشترط عليه أن يمد لجميل يد المعونة، لا أن يخاصمه لأننا نريد أن يوحد السياسيون صفوفهم، ليعملوا يداً واحدة، على تحقيق أهداف البلاد. متعطين بما لحقهم من أهانات في عهد بكر صدقي، نتيجة تناحرهم على كراسي الحكم. وحسبنا تلك السياسة المزيّفة، التي مزّقت الشعب العراقي، شيعاً وأحزاباً. فإذا عاهدنا أبوك على هذا الشرط، فعلى الرحب والسعة في بلاده. أما بصدد اغتيال غازي، فنحن أبعد الناس عن التطرق إلى ذكره، ولا نسمح بأن يُذكر أمامنا. نحن لم نقاوم بكر صدقي، إلا لكي ننقذ عروبة العراق، وهذا هو السبب الوحيد الذي دعانا إلى مقاومته أما غازي فنحن نحبه، ونخلص له، ونفديه بأرواحنا. ونصيحتي لك يا صباح أن لا تكرر ماقلت، وأن لا تفتح به بعد اليوم أحداً .. واعلم أننا، والشعب العراقي، كله نقدر هذا البيت، ونقاوم كل من يمسّه بسوء. فإذا كانت هذه الفكرة تدور في رأس والدك، فإنه يلعب بالنار، وخير له أن يبقى

حيث هو، فلا يعود إلى العراق، ونؤكد على هذا تأكيداً.

فوجم صباح، وتلعثم، إذ أدرك خطورة غلطته وفكرة أبيه، ثم سرعان ما تاب لرشده، واستجمع قوته، وقال مستدركاً:

- لكما على والذي ما أردتما منه، وسيقابلكما فور عودته إلى بغداد. أما ماقلته بصدد غازي، فهو من بنات أفكاري، وليس من رأي والذي في شيء، بل مجرد سؤال، وددت أن أطرحه عليكما، وأنا كما تعلمان صديق غازي منذ الصغر، واحترمه، واحترم البيت المالك.

- ليحضر إذن أبوك، وسنرجو من جميل أن لا يمانع في عودته، ونسعى لإزالة ما بينهما (١).

وانتقل الحديث بعد ذلك، إلى مواضيع أخرى، وصباح ما انفك يبدي احترامه، ويظهر إعجابه، ببطولة وإخلاص فهمي سعيد، وصلاح الدين الصباغ ورفاقهما، الذين انقذوا العراق ورجالات العراق (على شاكلة أبيه).

عاد صباح ووالده إلى بغداد، واستقرّا في قصرهما الفخم بالوزيرية. وأصبح صباح صديقي، وقدم لي هدية بمناسبة زواجي في تشرين الأول من عام ١٩٣٧، هي عبارة عن فرشاة ومراة فضيتين.

«من هو قاتل غازي يا صباح؟»

وعادت بي الذاكرة إلى سنة ١٩٢٨، يوم كان غازي تلميذاً بانكلترا يقول:

- «سيدي صلاح الدين، سأعود إلى العراق لأدخل الكلية العسكرية، وسأكون مثلك أحسن فارس بين ضباط الجيش». فكانني جوابي له:

- «أتمنى بعد ذلك، أن تحوز ياسيدي قصب السبق في توحيد البلاد العربية، وأنا حيّ

(١) - إن كنت شهماً، فاشهد يا جميل الملقب بالمدفعي، كيف رجوناك أنا وفهمي، أن توافق على عودة نوري إلى بغداد، وكيف أنك لم توافق، إلا بعد جهد جهيد. كنا يومئذ مجتمعين في دارك بحضور أمير اللواء نظيف الشاوي، والزعيمين سعيد التكريتي، وأبو يعقوب يوسف العزاوي. وأغلب ظني أن أمين العمري، ومولود مخلص، كانا حاضرين أيضاً. عارض الحاضرون جميعاً في عودة نوري، بدعوى أنه العامل الرئيسي في بذر الشقاق، وأنه وراء كل فتنة في العراق، وأنه صنيع الانكليز الذي لا يطاق! ثم وافق جميل أخيراً على عودة هذا الرجل، شرط أن يعتزل السياسة، ويبقى منزوياً لا يتدخل في شؤون البلاد.

هذا هو نوري يا جميل. هو خصمك في الظاهر، والكل يعلم أنه كذلك. لكنكما، في الباطن اخوان، متفقان على الهدف، تتسابقان في خدمة الانكليز وتستبسلان، فلماذا هذا الخصام بينكما يا جميل، ويا نوري؟.

أرزق، لأكون في طليعة جيشك».

ويعود غازي إلى بغداد، فينتهي إلى الكلية العسكرية، لما كنت تلميذاً في كلية الأركان. فيتعمد المرور أمامي راكباً جواده، أورا جلاً متنكباً بندقيته، ليؤدي التحية العسكرية، ويظهر لي فروسيته ورشاقته وضعه العسكري. ثم يشترك غازي في معرض الخيل، ويتسلم من أبيه فيصل الجائزة الأولى في طفر الموانع(١)، فيخاطبني ووجهه طافح بالبشر:

- سيدي صلاح الدين أتراني أصبحت الآن فارساً؟

فأجيبه: - عليك ياسيدي بما هو أكبر من هذا.

فيقول إن شاء الله.

ثم يرافق غازي كلية الأركان في سياحتها بالمناطق الشمالية، فأراه في مخفر سناط يلعب الورق مع ضباط آخرين، منهم مرافقه جميل قبطان(٢) وهو مازال ملازماً في مقتبل العمر، فأقول له:

- حسبك ياسيدي، إنك تقوم بعمل لا يليق بك، فهذا منكر يلهيك، وأنت الذي عقدت الأمة العربية جمعاء آمالها عليك، فيجيب:

- سأختبر الحياة وكل ما فيها، مادمت غير مسؤول الآن.

ثم يقوم غازي على العرش بالوكالة عن أبيه الغائب في أوروبا، فيتحدى رجال الانكليز ويبيدي لهم عزة نفسه وأنفته أيام ثورة الآشوريين، فيعود أبوه إلى العراق طائراً(٣).

(١) - طفر الموانع: اجتياز الموانع (الناشر).

(٢) - منهم الزعيم الركن المتقاعد بهاء الدين نوري والعقيد الركن المتقاعد صالح صائب (بلغني أن الإنكليز أعادوهما إلى الجيش بعد أن تركنا العراق) والزعيم المتقاعد قاسم شكري الملحق العسكري في لندن الآن. أما سناط فهي قرية جبلية في أقصى الحدود شمال زاخو من أعمال الموصل.

(٣) - الآشوريون قوم يتكلمون اللغة الكلدانية، وهم من بقايا الأمم القديمة المندثرة، يسكنون الجبال في المناطق الكردية والتركية وفي القفقاس. جمعت بريطانيا شملهم في الحرب العظمى وأسكنتهم أخصب بقاع العراق في الحدود الشمالية. واستخدمتهم جنوداً في تشكيلات الليفي لإخضاع العراق. وكانت بريطانيا تعطي الجندي المسرح منهم بندقيته وعتاده فيبقيها ملكاً له. وهم يدينون بالمسيحية، لكنهم شرسوا الطباع متعصبون، ويتعطشون لسفك دماء المسلمين، حرصتهم إنكلترا على المطالبة بمجد آشور وعلى إقامة حكومة آشورية في الموصل وضواحيها، على حساب العراق والأمة العربية (سياسة إنكلترا هذه تشبه سياسة فرنسا الإستعمارية في البلاد العربية) فأعلنوا الثورة عام ١٩٣٢، وسفكت دماء غزيرة.

ثم تذكرت كيف انصرف غازي إلى اللهولما اعتلى العرش، وكيف مقت ياسين الهاشمي، لأنه كان يرشده إلى الخير، وكيف طرد نوري وأمثاله، من مروجي الخلافات الحزبية الكاذبة، وكيف أعلن الحاج عبد الواحد صقر، احتجاجه الثائر على المهازل التي يمثلها المتزعمون بقوة الانكليز. ثم ما كان من تولي ياسين الهاشمي مقاليد الامور، وكيف استغل بكر صدقي وجوده على رأس الجيش بالوكالة عن طه الهاشمي، فيقوم بانقلابه المعروف، ويهرب نوري وجميل وأمثالهما خارج العراق، كما هرب الزعماء الوطنيون أيضاً. كل ذلك، والملك غازي منصرف إلى أموره الشخصية، كأن الأمر لايعنيه.

ثم تذكرت كيف ثاب غازي إلى رشده في أشهره الأخيرة. فإذا بالملك الشاب ، يتعطش لما فيه خير العروبة، ويطمح لتحقيق الوحدة العربية. تذكرت حديثه لي بالهاتف، ليلة ارغم الجيش وزارة جميل على الاستقالة.

- ياصلاح الدين، لقد استدعيتكم جميلاً على متن طائرة من لبنان بعد مقتل بكر صدقي ليرأس هذه الوزارة، وكان ذلك خلاف رغبتى، فماذا تريدون الآن؟

- نريد الوفاء بالعهد، وقد حنث جميل بعهوده، وقسمت وزارته الجيش إلى معسكرين، ونحن ياسيدي طوع يدك ونبذل أرواحنا في سبيلك(١).

- سأقبل الاستقالة ياصلاح الدين، بشرط أن لا يأتي نوري بعده، وأنا أوافق على اسناد الوزارة لأي رئيس باستثناء نوري(٢).

- لكن نوري هو المطلوب ياسيدي، بعد أن رفض طه رئاسة الوزارة.
لكن غازي لم يتراجع وبقي على رأيه، فلما انبثق الفجر، كان لنوري ماتمنى، وكان لطه ما أراد.

(١) كان ابراهيم الراوي، وكامل شبيب، وسعيد يحيى الخياط، ومحمود سلمان، وفهمي سعيد، حاضرين جميعاً، وأنا أخطب الملك، وقد غلبني الحماس. ألا رحمة الله عليك ياغازي، فقد كنت محقاً إذ لم ترض عن نوري، وإذا اقصيته من بلاطك، فقد أهاب بك هاتف أن نوري سيكون قاتلك، ولكن من أين لنا أن نعلم بما كانت الأقدار تخفيه لك.

(٢) بشهادتك يا سعادة العين مولود مخلص، وإن لم يكن بيننا معرفة سابقة، إلا في وزارة جميل بعد بكر صدقي، فإنني أستشهدك باسم العروبة (فقد سمعت أنك عربي الشعور وأن دمك عربي أيضاً) عما قلت لنا ليلة سقطت وزارة جميل وعن مقترحاتك التي قدمتها لنا فرفضناها، قبل أن يحدثني غازي وبعد ذلك، وكيف أنك أبديت لنا خشيتك من خيانة نوري للبلاد، وقلت لنا أننا مخدوعون. وماقولك يا نوري بهذا الموضوع، الخبر اليقين عند طه فوقنا الله شرك يا نوري ووقى البلاد أيضاً.

ثم تذكرت غازي، لما استعرض الجيش المرابط في العاصمة في أضخم استعراض شهدته عاصمة الرشيد وقوله:

- اشرك يا صلاح الدين، لأخذكم بالنظام الثلاثي، ولإعادة تنظيم الجيش، ولما رأيته من اتقان. وإنني أشعر أن جيشنا، سيكون النواة لتحقيق ماتريدون مني، وإن يطول ذلك بإذن الله.
ثم يسلمني غازي، كأس الظفر في معرض الخيل الذي أقيم في أيامه الأخيرة ويقول:
- أبارك لك يا أخي صلاح الدين من صميم قلبي.

ثم يهديني غازي صورته، موشحة بتوقيعه، يوم قدمت له كتاباً في التعبئة الحديثة من تألفي. ثم يحدثني بالهاتف وأنا في مقر عملي، بعد ثلاثة أيام من معرض الخيل، فيقول:
- أنا غازي. فسألته وأنا لا أتوقع أنه الملك:

- أي غازي؟ قال:

- لقد أيقنت الآن، ويؤسفي أنني تأخرت، أنكم يا أخي صلاح الدين مخلصون في عملكم، وأنكم أنتم الذين تنصرون القضية العربية في العراق، لذلك قررت أن أكون أحد إخوانكم، وأن أضع يدي في يديكم. أرجو أن تقابلني بعد إفتتاح مشروع سد الغراف، لنحدث على إنفراد، وسأضرب لك موعداً. قلت:
- أمرك يا سيدنا.

يالها من ساعة طالما تلفت إليها. . . وما كان اسعدني ذلك اليوم..

فلما فتح سد الغراف، مات غازي.. لا بل قتل ..

إن علي أن أذكر غازياً على حقيقته، ليكون ذلك تاريخاً له. لقد مات، حين أوشكت ثماره على النضوج، بعد أن اختبر متع الحياة في أوائل أيامه، واعتبر بتجاربه القاسية، التي كثيراً ما باعدت بينه وبين الشعب، فارتد إلى الهدى في أواخر أيامه.

وإنما أبكي غازياً، لأنه مد يده لي، لأسير في طليعة جيشه، لا في طليعة نعشه.

وإنما تبكيه الأمة العربية، لأنه أبى الإستعمار، وطرد عملاء الإستعمار من قصره. وأمضي هزيع الليل، ينشد لقومه الوحدة من دار إذاعته. فهاهنا أعداءه أمرها، وكانت السبب والواسطة في قتله، لكي يلحقوا به الجيش من بعده..

وإنما تبكيه ابنة عمه، ووالدة طفله فيصل الثاني، لأنها لا تعلم - أو لأنها قد لا تعلم - بكيد أخيها الذي كاده لغازي. ويرثيه عبد الإله من دار الإذاعة، فيكيل اللعنات على السيارة، ليستر غدره وغدر نوري، والسيارة جاثية بجوار القصر، تتاجي أثرها، وتشتكي إلى الله أنها

بريئة مما أرجفوا، وتعلن أحمد المناصفي (١) الذي أعد له المرثية، وتعلن الذين كانوا يصحبونه فيها.

لكن شهادة عبد الإله، وهو من أهل غازي، أحلت قتله، وأسكتت جيشه، فانصاع الشعب وهو راغم. وكيف أظن بالأمير الظنون، وكيف أعلم أنه من عبيد الانكليز، وأنا أحد الضباط المسحورين بتودده، ويدعاه محمود سلمان له؟ وهو إلى ذلك ابن عم غازي، وخال فيصل، ومن سلالة يرتبط أصلها بمحمد النبي العربي، الذي ألينا على أنفسنا أن نهتدي بمبادئه، ونحن يتناقص عدداً على قلته مع الأيام!!

وكيف لا أتمسك بعبد الإله، وكيف لا أدافع عنه، ونحن الذين بذلنا أقصى الجهد لنقيم وصياً، يسد فراغ غازي الذي نعول على عرويته في جهادنا القومي، وأنا واحد من تلك الأقلية التي أبقاها الله، وهي في أمس الحاجة إلى من يشد أزرها، لتقوى على مكافحة سموم الطبقات الحاكمة، وطوائفها الكبيرة من غير العرب، بعد أن اختبرناها، ونبذناها، ووفقنا الله على إقصاء أساطينها من الحكم، وقاسينا، وقاست البلاد معنا الأمرين في هذا السبيل. وما فتئت هذه الطبقات الحاكمة، تستعين بكل ما آتاه الاستعمار من حول وقوة، للكيد بنا، وتشويه سمعتنا. ونحن ندعو الله مخلصين، أن يرشدنا إلى رجال الأمة من العرب الصالحين، فوجدنا ضالطنا في طه الهاشمي، وكان نزولاً عند إرادته، أننا أرغمنا غازي على استيزار نوري، ليكون صاحب الشأن مرة أخرى (٢).

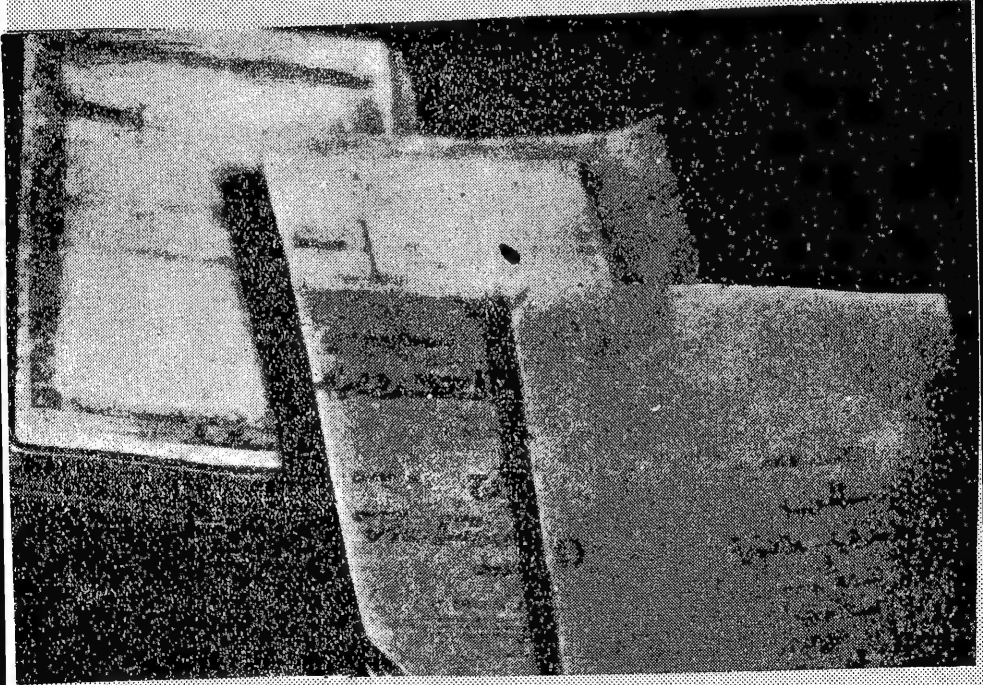
فلما نجح نوري بن سعيد، ونجح تلميذه عبد الإله، في إيقاع الصيد الثاني في الفخ، وأتم بشهادة الأمير المأساة الثانية، وجعله آلة بيده، ولما أفل نجم غازي وانطوى ذكره، جاء دور جيشه، دور أولئك الضباط الذين زعموا أنهم في الطليعة تضحية وإخلاصاً. وكان حرياً بنا، أن نتعظ باللوحة المعلقة في ديوان نوري، ومفادها «اتق شر من أحسنت إليه»، لكي نتقي شره، فقد كان من واجبه، أن ينفذ التدابير التمهيدية التي قررتها الخطط البريطانية، استعداداً للحرب الثانية. ذلك أن الخطط البريطانية، قضت التضحية بغازي على مذبح الوصاية لعبد الإله، كما قضت إفناء «المربع الذهبي». فكان كيد نوري عظيماً وهو يقول: «يا صلاح الدين: في رأسك صوت سوف تصيحه، لكن سوف ترى ما سيجري بالعراق». صدق نوري...

وفاتني أنه انكليزي، تسانده الحراب البريطانية.

- (١) أحمد المناصفي، هو ربيب نوري السعيد وأمين سره. ارتبط بنوري عام ١٩١٩ في بيروت، لما كان نوري سفيراً لفصل الأول عند غورو. وما زال المناصفي في بيروت يعيش بدار نوري منذ ذلك التاريخ. ولد أحمد المناصفي في بيروت، ودرس في مدرسة الشيخ عباس، ونال شهادة الحقوق من بغداد. ولكن شتان بين المناصفي وبين فقيد العروبة عمر حمد البيروتية... أوشك بكر صدقي على قتل المناصفي، وهو قائم على حراسة قصر نوري الفار خارج العراق، لو لم أتدارك أمره وأعمل على إنقاذه، فغادر العراق ببوره؟ أليس كذلك يا صدقي اسماعيل عباوي؟
- (٢) - أه منك ياقاندي أه. وأنت يانوري بن سعيد، هل تستطيع أن تتكرر كل هذه الحقائق؟

شهادة رقم (4)

صور ووثائق



أصول كتب الشهيد العربي

التعبية

الكتاب الأول

أثر حركات السونية والشمسية في سبب الاقتراب . القاس
للشمس . المجوم على اوضاعه ومن جعلها الحركات
شمسية والمجوم على القرى والنبات .

تأليف

المفهم

مفتي العراق العتيق

حقول الطبع محفوظة المؤلف

يطلب من مكتبة المبنى بدمشق والكتاب
جاء : (A) برام مرآة (أما A طبقات)

مطبعة دنكور الحديثة • بغداد

مؤلف للبطل العربي عن التعبية في العراق

تعلم الفروسية

في

سنة أشهر

تأليف

الرئيس

فاتحة الكتاب

« وجوده - تكسب القراء منه من القادر
على ادق أدق تعلم الفروسية الحديثة
التي كتبت المدة التي تحت حشد الذين لدى
كثرة الرقعة - وكثيراً ما كنت أذكر وضع كتاب
الموضوع وذلك لاعتدائي بالبلد الذي أراه له الجيش
يحب بأساطير الفروسية التي - ولأن يكون رسالة
تشرى هذه - إلى أن أن الساطع - وصداق الفروسية
لكن عدم فهمه ككليل يتكون - من عرب فطنتهم
سنة أشهر مصوراً أما
ولقد وصفت الأساليب المتعددة والمشتتة الأولى والثانية
الأسلوب الذي أشرت فصفته عدد تجارب جديدة وصعد
على أساسه للجيش الذي يروى - دي - أس - أو - ورا
ولكن والكاتبين أس - أم - الج - وروان دي - أس - أو - مع
الفروسية الأولى في مدرسة سو كوك الهند - كما أن المخرن
بها مستنبط من القواعد المتعارفة للفروسية

— ٢ —

ولمست أعاني إلى ثلاثة أعوام بالقرن الأول تعطين مراتب
تعلم الفروسية لغيره المتعلمين والمختصين الثاني تعطين مراتب
تعلم الخيل المشددة وأظهر الثالث بحث بعض طرقات الفروسية
المفهومة التي يجب أن يلزم بها كل مسلم
وقد صمدت على إصدار هذه الأسرار بالرغم من قهر باقي
في هذا الفن الذي لا نهاية له مستنداً على أقدام أحرار في الجيش
الذين روى الأساطير العرسية الأخرى وإن كان موجراً ومن
لقد التزمت

مصادري ١٣ تشرين سنة ١٩٢٥

صلاح الدين علي الصانع
الرئيس

مصحح النص على الصلح

الطبعة الثانية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

عام ١٩٣٠

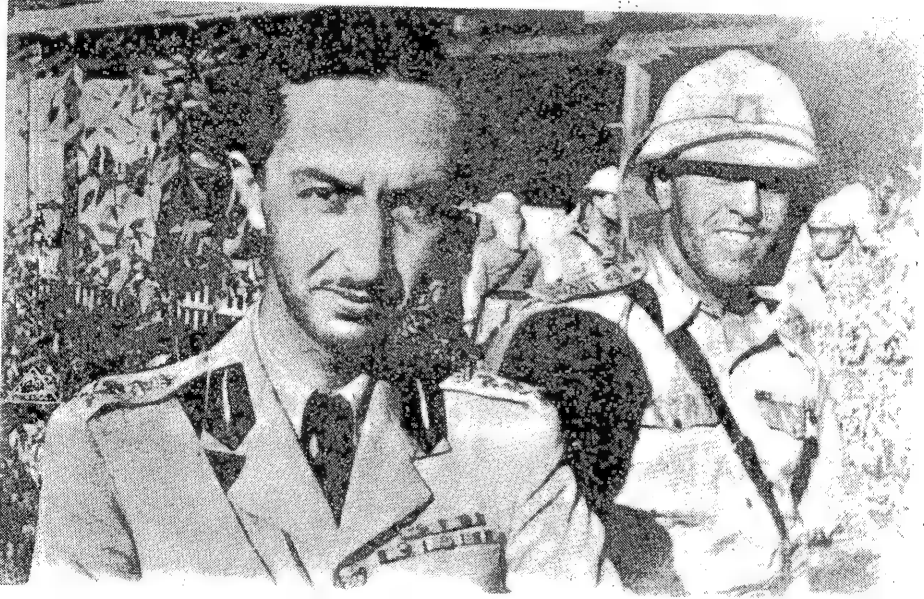
صورة لفاتحة كتاب الفروسية

طبعة دار السلام في بغداد

صدر الصفحة الأولى
من كتاب البطل «تعلم الفروسية»

رابعاً.

الاجتماع بالوصي



(وكانت علاقتنا بعبد الإله الوصي على أحسن مايرام)

أقام الوصي في شهر مايس من عام ١٩٣٩، حفلة شاي في ملعب التنس المجاور لقصر الزهور، قصر الملكة عالية وطفلها الملك. لم يدعُ إليها غيرنا، نحن الأربعة كامل وفهمي ومحمود وأنا. فكانت هذه الحفلة، فاتحة مسامراتنا التي دامت حتى اليوم التاسع من كانون الأول سنة ١٩٤٠.

أسمعنا الأمير كثيراً من الحمد والثناء، على ما بذلنا من جهود لإقامته وصياً. وكان محمود يسعفه إذا تلكأ. ثم قطع الأمير على نفسه وعوداً أكيدة، أوثقها بالإيمان المغلظة، أنه سيكون عند حسن ظننا به، بل إنه سيكون أحد إخواننا، يشد أزرنا، ويأخذ بناصرنا، على

أساس «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» إلى الرmq الأخير..

ثم تبارى الأمير مع كامل، فخسر الأشواط كلها تجاه كامل، وافترقنا بعد ساعتين ونحن أوثق ما نكون، تكاتفاً لخدمة البلاد في السراء والضراء، على أن نواصل اجتماعاتنا في قصر الرحاب، بدون علم الوزراء، أو أقرب الناس إلينا.

وفي طريق عودتنا، لم يتمالك محمود سلمان نفسه، فبادر يسألنا بلهجة الفائز: ماقولكم فيما رأيتم؟ ألم أنبئكم أن الوصي أرفع من غازي أخلاقاً، وأعمق إدراكاً. الحمد لله الذي أظهر لكم خلقه الحسن وشمائله النبيلة، مصداقاً لما قلته لكم.

سألت: - وماذا تعلم عن ثقافته يا محمود؟

قال: إنها على ما أعلم ابتدائية. فقد انقطع عن كلية فيكتوريا بالاسكندرية، بعد سنتين من الدراسة ليلتحق بوزارة الخارجية العراقية.

قال فهمي: ما لنا وهذا يا صلاح الدين، بعد أن وجدنا ضاللتنا الذي نشد به أزرنا. إن الأمر لا يتطلب ثقافة عميقة، وكم من نابغة وعظيم خانه الحظ فلم ينل قسطاً وافراً من الثقافة. ثم ما لنا وهذا، بعد أن وجدناه عربياً مؤمناً بسمو غايتنا، فعاهدنا على أن يجاهد معنا في سبيلها.

قلت: حسناً يا فهمي ليس لهذا الدفاع من داع، فأننا أشعر بمثل شعورك، لكني أرجو الله خير العاقبة. إذ لا أكتم عليكم، أني توسمت الشر لما اقترحنا استمرار هذه الاجتماعات، لأنني تذكرت المثل التركي الذي معناه: «ادن من السلطان، تلتهمك النيران».

قالوا: أضغاث أحلام.

ابتسمنا، وانتهى حديثنا على أن يمهد محمود سلمان لاجتماعاتنا المقبلة، باعتباره ذي الخطوة عند الوصي. كما سمح له بالاشتراك معنا في اجتماعاتنا الأخرى، التي تضم طه ونوري، أو أمين العمري، وحسين فوزي، نزولاً عند إرادة فهمي. وكان الأخيران مكرهين على ذلك. ثم عرجنا على دار سعيد الخياط، الواقعة قرب تمثال فيصل الأول بالكرخ، فقضينا فيها شطراً من الليل، والبشر يعلو وجوهنا.

استمرت اجتماعاتنا في قصر الرحاب كل اسبوع، وأخذ هذا القصر يزهو بمعالم الفخفة، ويزخر بالخدم والحشم. وكانت اجتماعاتنا تعقد على الأغلب بعد الساعة الثامنة مساءً، وتنتهي في العاشرة، ونحن نعتقد أنها سرية لا يعلم بها أحد. وكانت تدور بيننا أحاديث شتى، فيعيرنا الوصي إذناً صاغية، وعيناً واعية، فنخال أنه يعقل ويدرك.

من ذلك أن نأتي على ذكر حوادث معينة فيها عظة وعبرة، مثل انهيار الدولة العباسية لاستعانتها بالأعاجم من غير العرب، وأن أولئك الأعاجم الذين أطاحوا بالدولة العباسية، هم أسلاف الطبقة الحاكمة اليوم، تلك الفئة من المتزعمين، الذين اشتهروا بأنهم رجالات العراق والعرب، وهم ليسوا من العراق ولا من العرب في شيء. وأن هؤلاء ماقتوا يسرون على نهج أسلافهم، فيؤازرون كل فاتح أجنبي يضطهد العرب ويذوق أرواحهم، لكي يخلوا وأولادهم في الأرض التي اغتصبوها هم وأباؤهم من العرب. ثم انتحلوا الانساب، فكان منهم العسكري والسعيد والمدفعي والحيدري (١). وانصرفوا إلى الكيد بالعرب والتنكيل بهم، ورفعوا الرذيلة على الفضيلة، وكلما رأوا قوياً تزلفوا...

ومن ذلك، نقص عليه قصة جهادنا، ومقاسينا من جور تكتلات قادة الجيش من غير العرب، ونحن نمثل الأقلية العربية في الجيش. لقد اجتزنا عنوة ما أقاموا بوجهنا من عقبات، ومن هضم للحقوق وتهم وأحكام... حتى إذا بلغنا مكاننا وأعانا الله على تقليم أظافرهم في الجيش، وعلى إقصائهم من الوزارة واحداً بعد الواحد، تراجعوا صاغرين وقبعوا في مخابئهم، يتآمرون علينا متكئين على الانكليز. ونحن نتكل على الله، هو حسبنا وهو نعم النصير، نناشده أن يهدينا إلى عربي، نشد به أزرنا ونودعه مقاليد أمورنا (٢).

ومن ذلك أيضاً، أن انقل له بعض ما نلاقه من البعثة الاستشارية والسفارة البريطانية، التي تصل إلينا تقاريرها بواسطة وزارة الخارجية العراقية (لما كنت مديراً للحركات ومعاوناً لرئيس أركان الجيش). وكيف أنها تقيم بوجهنا الصعوبات والعراقيل، كي لا تطبق خطة الحركات المقررة لتسليح الجيش، وتوسيع تشكيلاته في مواعيد معينة. وكيف أن السنين تمر على ما طلبنا من مصانع الأسلحة والذخائر الانكليزية والهندية، وهي تؤجل وتهمل، لأعذار واهية، يختلقونها لكي نبقي عزلاً بلا سلاح، فلا يكون لنا شأن ولا سلطان. وما علينا إلا أن نقبل أعذارهم صاغرين، تفادياً لتوتر العلاقات، بعد أن تأكد أنهم يسعون لتحقيق ذلك سعيّاً.

(١) ليت عبد الرزاق الحصان يشرع بتسجيل أنساب هؤلاء قبل أن يعدد مفاخر العرب في مؤلفاته.

(٢) نال الإنكليز الآن مايريون، إذ أقاموا بعدنا قواداً على الجيش العراقي من غير العرب باستثناء عدد قليل من المرتزقة. هذا هو جيش عبد الإله ونوري وجميل ومن والاهم من الأذئاب، إنه والله لجيش كذاب. ولست أعني بالجيش جنوده وضباطه الصغار، بل أعني قاداته لأن الجيش بهم. فالجيش الهندي مثلاً معظم أفرادهم من الهند وكذلك الجيش المغربي الفرنسي، لكن قادة الجيشين من الإنكليز والفرنسيين، لذلك يقودونه للقتال في سبيل مصلحة الإمبراطوريتين. وهكذا فإن قادة الفرق في الجيش العراقي الذين خلفونا ليسوا عرباً كالشاي، والعمرى، وكامل شبيب، وصلاح الدين، وفهمي سعيد، وقاسم مقصود، ومحمود سلمان، وطه الهاشمي، فتحروا أيها العرب عن أصل قادة الجيش العراقي اليوم واسألوا عن نزعاتهم ومشاربهم.

وأنتهم يحرسون على إبقاء الجيش مستضعفاً تحت سيطرتهم.

وكيف أن البعثة العسكرية الانكليزية، أمطرت رئاسة أركان الجيش، بوابل من التقارير البذيئة، التي تطعن في قادة الجيش، وتحط من كرامتهم، وتسفّه آرائهم العسكرية (وقد نال منها أمين العمري حصة الأسد) واغتنت كل فرصة لبث سموم التفارقة بين صفوف الجيش، موسوسة في صدور الضباط الصغار، وضباط الصف والجنود، إن حقهم مهضوم، وأنهم أولى بالقيادة من قوادهم لأنهم أعلم منهم وأفضل (١).

(١) بلغني أن أمين العمري أصبح رئيساً لأركان الجيش، فنعم الأمر لأنه عربي. كان أمين يحلم منذ أمد بعيد بأن يصبح رئيساً لأركان الجيش لكنه لن يبقى طويلاً في هذا المنصب لأنه يمقت الإنكليز، وهم ينظرون إليه بغير العين التي ينظر بها إلى نفسه.

وهذه قصة ما كان بين أمين العمري ومفتش الجيش العراقي الجنرال وترهاون: أعد أمين العمري لما كان قائداً للفرقة الأولى تمريناً عسكرياً يتضمن استخدام القوات الجوية والآلية مع قطعات فرقته بمنظمة عكر كوف، واستخدام الطائرات في الهجوم على خطوط العدو الأمامية بمثابة المدفعية في القصف على خطوط العدو واحتياطه الأمامي. فما كان من الجنرال إلا أن دنا مني مغتاضاً وهمس في إذني ما معناه: هذا جنون وحماقة، إن أمين يقوم بتمرارين الحروب اليابانية الروسية، وهي لا تنطبق على تعبئة الحروب العصرية، إنها أخطاء لا أريد رؤيتها، فأجبت: - «لا يا جنرال، إن أمين محق في هذا التمرين - وكان محقاً فعلاً - فالسلاح الجوي سلاح حديث سيلعب الدور الأول في الحروب القادمة وليت قوتنا الجوية كافية إذن لكنت أول من ينادي بهذه الفكرة. وأمين ليس كما تقول ...» فقد سبق أن قدم هذا الجنرال عدة تقارير مفادها أن أمين لا يصلح لأن يكون قائداً لأنه من مروجي التعبئة القديمة ولأن معلوماته العسكرية قديمة ... فلما سمع الجنرال جوابي تمت ثم أعرض عني وهو عابس. وهذه قصة أخرى: - كنت مدعوا للعشاء في دار وزير الدفاع طه الهاشمي وكان أمين العمري ورستم حيدر من جملة المدعوين، وكان أمين قد ألقى محاضرة عسكرية من دار الإذاعة تطرق فيها إلى ذكر قوة الجيش الألماني، وأعتقد أنه قال بأن في مقدور ألمانيا أن تحشد أكثر من مائتي فرقة عسكرية. كان الجنرال يحدث رستم حيدر في هذا الموضوع ويحمل على أمين العمري. ثم أخذني من ذراعي وجاء بي إلى رستم لكي أدلي برأي يخالف قول أمين العمري. قال: أنا مطلع يا صلاح الدين على بعد نظرك في السوق العسكري فهل تصدق قول أمين؟ ألا ترى أنه رجل خيالي؟ قلت: لا يا حضرة الجنرال، لقد كان أمين استأذاً لي في كلية الأركان الحربية في بغداد، وهو مطلع على أسس النفير ويعلم قابلية كل دولة ومقدار صناعتها الحربية. إن قول أمين صحيح لأنه يستند على الأرقام، لذلك فأننا أحترم رأي أمين وأعتقد أن بمقدور ألمانيا أكثر من ذلك. فعبس الجنرال وغير موضوع الحديث مع رستم حيدر. فهذا دأب الإنكليز يببوا وضحاً من هاتين القصتين. إنهم يسعون بكل السبل للحط من سمعة قواد الجيش. أما هذا الجنرال الذي كان يكيل لي المديح ويظهر لي الاهتمام ويكثر من دعوتي إلى داره، فقد شاء الله أن ينقلب علي قبل حربنا بشهرين. وليس لانقلابه سبب إلا أن نوري أفضى له بمعارضتي للمطالب التي نوقشت في مجلس الدفاع الأعلى.

وكنا نقول بضرورة توطيد مكانة الأمير واعلاء شأنه، حتى دفعني ذلك يوماً أن أرجو من طه الهاشمي (وكان وزيراً للدفاع)، أن يوافق على تسيير موكب يرافق الوصي في غدوه إلى البلاط ورواحه منه، على غرار موكب غازي، فكان جواب طه: لا يصلاح الدين، فقد كفانا ما رأيناه من غطرسة غازي، إنهم كالأطفال يجهلون العوامل التي فضلتهم على غيرهم، فجعلت منهم ملوكاً وأمراء، ويجهلون واجبهم في ضبط تصرفاتهم، وحفظ كرامتهم، لتصان سمعة بيوتهم وسمعة الأمة، التي رفعتهم إلى هذه المكانة. أنا لأريد أن أجعل من عبد الاله غازياً آخر، يدفعه الغرور والمظاهر الفخمة إلى الطيش والاستهتار، فيسيء استعمال منصبه كما فعل ابن عمه غازي. إن عبد الاله وصي لا ملك، وليس له مالمملك من حقوق، ثم إن ثقافة عبد الاله ابتدائية وقابلياته محدودة، وهاهو يرفض ألف دينار خصصها له مجلس الوزراء راتباً شهرياً، ويطلب المزيد، مع العلم أنه يقاسم أخته الملكة الوالدة وابنها الملك الطفل مخصصاتهم، ناسياً كيف كان غازي يساعده إذ لا يكفيه راتبه القليل. وهذا يجعلني أخشى عاقبة الوصي.

كانت كلمة حق، تنبأ بها طه الهاشمي، لكنها لم ترضني مع الأسف. فتشجع الوصي وارتنى كسوة العميد، وانتفخت أوداجه زهواً وفخراً، ورافق ابن أخته في سيارته ليبدى للشعب حبه، وراح يصول ويجول بين سن الذبان وأم الطبول، فأخذ الشعب يقول مايقول (راجع ملحق ٢-).

وكما كانت علاقاتنا بعبد الاله الوصي على أحسن مايرام، إذ يدعونا إلى قصره بين حين وآخر، لنتجاذب أطراف الحديث في شتى المواضيع، كذلك كان السيد نوري بن سعيد في أوج صداقته لنا. فلا يفوته اسبوع، دون أن يوجه لنا الدعوة إلى داره، ليوضح لنا مراميه ومقاصده، وليوجه العتاب لطله اغتياباً، لأن طه يخفي عنا أموراً يجب أن نطلع عليها، وحجة نوري في ذلك، أننا أولى بالإطلاع من جميع الوزراء الذين توصلوا إلى الحكم في العراق، بعد أن أثبتت التجارب (ويقصد بالتجارب حادثة بكر صدقي) أننا أبعد منهم نظراً، وأننا أهل لمعالجة شؤون البلاد، وأننا خاطرنا لانقاذ بلادنا بالنفس والنفيس. لذلك لا يجوز اهمال رجال هذا شأنهم، ومن الضروري أن يبقى الجيش مشرفاً على سير الأمور، مادامت الأمور في العراق قد انتقلت من بعد فيصل إلى أيدي الأطفال (ويقصد نوري بالأطفال الملك غازي، لأنه كان لا يطيق رؤيته).

ملحق رقم -٢-

سن الذبان هو معسكر القوة الجوية الانكليزية في الحبانية. وهو بمثابة خنجر في قلب العراق.

يبعد سن الذبان نحو ٦٥ كيلومتراً عن بغداد، ويقع غربها، وهو يسيطر على العراق الأوسط، وعلى جميع الطرق التي تربط العراق بالأقطار العربية، الواقعة على ساحل البحر الأبيض.

كان هذا المعسكر هدف الجيش العراقي الذي أراد الاستيلاء عليه، وكان الأمر هيناً جداً، لولا أن شاء الله، فساق فهمي إلى التسرع، والاصرار على خطئه، والقيام بحركة مخالفة لأوامري وارادتي. فانتهى الأمر بالفشل، وكان سبباً في عدم مواصلة القتال بعد ذلك.

أما أم الطبول، فهي المنطقة التي تقع فيها قصر الزهور ودار غازي الخصوصية.

وأما ارتداء الوصي رتبة عميد أو مشير، فهو أمر مخالف للدستور، لأن الوصي لا يقوم مقام الملك في هذه الناحية، ولم تعط له رتبة في الجيش. لذلك كان عليه أن يستحي من ارتداء البزة العسكرية، وهو لا يعرف من تعاليمها كيف تؤدي التحية لكن خلب لبّه حب الظهور.

الفصل الثالث

الوطنية والاستعمار لا يتلفان ولا يجتمعان في مكان إلا ويصطدمان

- ♦ قدوم الحسيني مفتي فلسطين إلى العراق وآراء
السياسيين حول موقف العراق من الحرب
- ♦ إحالة حسين فوزي والعمرى على التقاعد
- ♦ كيف وافق الكيلاني على تأليف الوزارة
- ♦ نوري يشرع في تطبيق حلوله
اللائحة
- ♦ خصوصيات الحكم وتعلقها بالصالح العام
- ♦ وقوف العراق على الحياد
- ♦ الاجتماع الأخير
- ♦ الجيش والسياسة
- ♦ فشل الوصي في تنفيذ المؤامرة

- ♦ ضغط الوصي على طه الهاشمي
- ♦ مصير وزارة طه الهاشمي
- ♦ المؤامرة
- ♦ المنشور والملكة
- ♦ خلع عبد الإله وغدر الإنكليز

اللهم ليس لي من شاهد غيرك، وما أخشى سواك.

اللهم إني أخاف لعنة نبيك محمد، وغضبة أمتي العربية وشتيمة أجدادي وأحفادي.

اللهم فاشهد، إني زهدت بالثروة وكانت بين يدي، وبالمَنْصب وكان قيد منالي، اعلاءً لمجد أمتي، وإحياءً لمبادئ محمد، برأ بالمبدأ الذي ترعرعت عليه، ومقتدياً بتعاليم أخي الكبير المرحوم حسن شوقي الصباغ (١). وإني بذلك مابوسعي، لأكون ملماً بصناعة الجندية، ولأخدم بلادي بإخلاص وتضحية، متحاشياً نزوات الانتقام في ميدان المصلحة العامة، فلا افتري على غيري كذباً.

اللهم فاشهد، إن الذين كانوا سبباً لوقوع الحرب بين انكلترا والعراق عام ١٩٤١، هم الانكليز وأذئابهم: عبد الإله، نوري بن سعيد، جميل الملقب بالمدفعي، علي جودت بن أيوب، جلال بابان، والموالون والمرترقة.

اللهم واشهد، إني أحب طه الهاشمي، لأنه عربي الأصل والمبدأ، ولأنه قائدي واستاذي. وهو شريف القصد في عمله، ناصح للخير في قوله، لكنه قليل الإقدام. فلما تغافل عنه نوري، أصبح كالأصم الأبكم. أطلع طه على رأي الطرفين، وكنتم عنا أموراً كثيرة، كان من الضروري أن نعد لها العدة. وتمسك طه بنوري، واستسلم له، فكان ذلك عاملاً مهماً، من العوامل التي أوقعتنا في حبال نوري، وشجعت الانكليز وأذئابهم، وعبد الإله، على الاستهتار بحقوق البلاد، ومحاربتها، فلولا طه، لما أذعنّا لنوري، حتى أصبح ذا الحول والطول على أكتافنا، بعد أن كان شريداً، طريداً، أيام بكر صدقي. وغلطة طه هذه، أعظم من غلطته الأولى، التي أورثت انقلاب بكر صدقي. وإني وإن كنت واخواني ضحايا غلطتك، اهتلك ياسيدي العميد على عروبتك، وأنا مطلع على أعمالك الجلية لقومك.

اللهم واشهد، أن نوري بن سعيد، هددني في داره بحضور اخواني الثلاثة واسماعيل نامق، قائلاً: «ياصلاح الدين في رأسك صوت، سوف تصيحه، ولكن ستري ماسيجري في العراق» قال ذلك قبل أن يهاجمنا الانكليز ببضعة أشهر. واليوم حلّ اللغز وصحّ القول، إذ طبق نوري ما أملاه عليه الانكليز، فساقنا إلى خوض غمار الحرب مكرهين.

اللهم أسألك أن تظهر لأمتي حقيقة هؤلاء ونسبهم لتدرك وتعتبر.

(١) - كان نقيباً في الجيش العراقي، وقد توفاه الأجل عام ١٩٢٩ في بغداد. وكان من أقرب الأصدقاء لـ «طالب النقيب» الذي نفاه الانكليز بعيداً عن العراق. (الناشر)

شهادة رقم (5)

صلاح الدين الصباغ يكتب

١- إلى مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني
في ٢٤ حزيران عام ١٩٤٤

«أنا لست خائفاً، ولن أياس من رحمة الله، إن شاء الله.. مع ذلك فأني
أتمنى لو أكون معكم، وماكل مايتمنى المرء يدركه..
ولكن عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم... لقد تشبثت لأجل ذلك
رسمياً يوم كنت في (أيدين) أي قبل سنة تقريباً، فكان الجواب الرفض
بشدة، ونقلي إلى هذا البلد المنقطع لكي لاأكون في المناطق الساحلية. وهنا
لا بد أن أشكر الحكومة الشقيقة تركيا التي أوتني، وشملتني بقوانينها العادلة
التي تمنع تسليمي بموجب الفقرة الثانية من المادة التاسعة من قانون الجزاء
التركي، وذلك بناءً على قرار المحاكم ومحاكمتي مرتين قبل سنتين، واعتباري
من اللاجئين السياسيين. أني معتقد بعد الاتكال على الله، بأنني سأكون
مصاناً، طالما عناية الله ترعاني، وعدالة القوانين التركية تشملني.»

صلاح الدين الصباغ

٢- وكتب الى السيد أكرم زعيترة:

عزيزي الاخ أكرم..

استلمت كتابك المؤرخ ١٧ أيلول ١٩٤٥ وقد يكون كتابي هذا هو الأخير الذي أودع فيه وكلانا في تركيا الشقيقة. وقد لايسعدني الحظ أن أعود الى قومي وأبقى مشردا في الافاق وأموت، أو قد أسعد فاعود. وأنا لست شاكيا ولا يائسا، ولا أطلب رجاء.. فان ماكان مني-غلطا أو صوابا- هو مانشأت عليه منذ نعومة أظفاري، وما تعودت من الأحرار من بني قومي أمثالك والاخوان نبيه وأخيه والسائرون على نهجه وهذه هي سعادتي وسلواي التي سوف أجعلها سعيي في وحدتي وخلوتي النفسية، فهنيئا لكم بالأوطان وليبارك لكم الله، ويكون في عونكم. والى اللقاء ان شاء الله، أو أموت فاعذر..

أخي أكرم، وصلني قبل خمسة أيام كتاب من زوجتي والدة أنمار، وقد هجر أبوها العراق الى مسقط رأسه دمشق كما تقول. وهي تطلب المجيء الي وليت ذلك يتم، لأن قريبا مع أحد أولادي يشغلني نوعا ما عما أنا فيه. وجاء في تحريرها أن عنوانها هو بواسطة الدكتور محمد محفوظ في مسجد الأقصاب-دخلة محمد صالح المزين- رقم الدار ٣٦. وقد أبرقت اليها بأنني صحيح ولا زلت في بوربور الا أن البرقية عادت الي وقد شرح عليها بأن مثل هذا العنوان غير موجود في دمشق - فإذا سهل الله ووصلت سالما - فاني أرجو أن تخبر أهلي بأنني في بوربور وأنتظرهم. هذه واحدة. والثانية أن ولدي نزار مازال معتقلا في لواء العمارة. أعانه الله، ويقال أن والدته وولدي ربيعة هما في حلب وحمية رجالها الكرام جزاهم الله خير جزاء.. فإذا تمكن ولدي نزار من الإفلات من العراق فاني أرجو منك ياأخي أن تسمي لانهضاله في إحدى المدارس في بيروت أو دمشق، في المدرسة التي يختارها لنفسه وقابلياته، فيتكفله أهل الخير من رجالات سورية أو لبنان

لأنني لست بوضع يمكنني من اعادة جميع أفراد عائلتي. إن جل ما أتمناه هو
اتمام دراسة ولدي نزار ليتمكن من اعادة أخويه ربيعة وأنمار. هذا هو
رجائي الوحيد الذي يخص بشخصي. فأنا قوي لالين، يعز الحق أن شاء
الله.

صلاح الدين الصباغ



صلاح الدين الصباغ في الجيش العربي في سوريا عام ١٩٢١.

أولاً:

قدوم مفتي فلسطين الحسيني إلى العراق

انتقل المفتي، من فلسطين إلى سواحل لبنان، بقارب بحري، فنجا من قبضة الانكليز باعجوبة، وأقام في لبنان تحت الرقابة، في قصر يحرسه الجنود الفرنسيون. وفي سنة ١٩٣٩، يوم كان نوري بن سعيد رئيساً للوزراء، جاء السيد عز الدين الشوا، يسألني، إن كان ثمة ما يمنع من قدوم المفتي إلى العراق إذا أفلت من أيدي الفرنسيين، فكان جوابي: معاذ الله أن يكون هناك مانع، فالعراق بأسره يرحب بالمفتي، ولا يهمه غضب الانكليز لذلك، أو رضاهم. على أن مراجعة وزير الدفاع طه الهاشمي أصوب، وإن كنت واثقاً أنه لن يرد الطلب (انظر ملحق الفصل).

وهكذا، حلّ المفتي وفرسان العروبة في فلسطين، في أرض آبائهم وأجدادهم، على الرحب والسعة، كما حلّ فيها فيصل الأول وأخوه علي، وغازي وعبد الله الوصي، من قبلهم. فالعراق ملك لهم ولكل عربي، وما للعراق للعرب، وما عليه عليهم. كتم الانكليز غيظهم، وامتعض أعوانهم، الذين يبشرون بالفكرة العراقية الاقليمية، لكن نوري كتم استيائه.

ماذكر السيد محمد أمين الحسيني أمامي، إلا بالمدح والثناء. سمعت عنه، وهو ضابط احتياط، في أحد أفواج اللواء ١٤٥ من الفرقة ٤٦ العثمانية في الحرب العالمية الأولى. كما سمعت عنه، وهو مفتي فلسطين الذائع الصيت، وزعيمها الفذ. وهكذا، شعرت بأنه صديقي على السماع، وأعجبت به قبل أن أراه، كما انني كنت صديقه قبل أن يراني، لأنه كتب يشكرني بواسطة عز الدين الشوا.

ذهبنا لزيارته نحن الأربعة: فهمي ومحمود وكامل وصلاح الدين، فأعجبنا به من الزيارة الأولى، إذ وجدناه مثملاً سمعنا ومثملاً تمنينا، متفقاً معنا على المبادئ العربية والأهداف

القومية، فتوالت زياراتنا له واجتماعاتنا به، فتشابكت على الأخوة أيدينا، وسار معنا، وسرنا معه. وقد سعيينا شهوراً، ليكون طه معنا فتكتمل به قوتنا، لكنه كان يرفض الاجتماع بنا بحضور المفتي، في حين أنه اجتمع بحضور نوري. ذلك لأن طه، رغم ميله لنا، بقي ينظر إلينا كما ينظر رئيس أركان الجيش إلى قادة جيشه، فلا يريد أن يرى غيره مسيطراً علينا. ولئن لم يجتمع المفتي بطه في حضرته أبداً، فقد كانا يتبادلان الزيارات والاتصالات ويتذاكران في الأمور المتعلقة بسورية وفلسطين، وقد أفضى لنا بهذا، المفتي بالذات، وفوزي القاوقجي أيضاً.



الحسيني مفتي فلسطين

آراء

طه، والمفتي، ونوري حول موقف العراق، في مطلع الحرب العالمية.

- خلاصة رأي طه الهاشمي -

بقي طه الهاشمي إلى أن تقلد رئاسة الوزارة، على رأيه، الذي تبناه قبل دخول إيطاليا الحرب. ويتلخص رأيه فيما يلي:

١- قطع العلاقات مع دول المحور.

٢- مساندة الانكليز ضمن حدود المعاهدة.

٣- تسليح الجيش العراقي وعدم التفريط به.

٤- تحاشي الدخول في الحرب، حتى ينجلي الموقف العالمي، وموقف روسيا واليابان وإيطاليا، بوجه خاص.

٥- اعلان الثورة في سوريا ضد الفرنسيين، (لا في فلسطين ضد الانكليز) بقيادة فوزي القاوقجي.

ولئن أجمعنا على تأييد طه في رأيه الثاني والثالث والرابع، فإن فهمي سعيد ومحمود سلمان، لم يؤيداه في رأيه الخامس، وكانا أقرب إلى رأي المفتي. أما أنا، فلزمت الحياد في هذا الشأن، ورأيت أن اعلان الثورة في فلسطين، أو في سوريا، يجب أن يترك تقريره إلى زعماء القطرين الشقيقين. لكننا لم نوافق طه على رأيه الأول، بصدد قطع العلاقات مع دول المحور. ولئن بدا لنا هذا الأمر من قبيل المجاملة لبريطانيا، فقد كنا نخشى، أن تكون الغاية منه تخدير الأعصاب، والتمهيد لإعلان الحرب. وكان سبب خشيتنا، تدهور مستوى مجلسي الأمة في العراق، حيث أصبح التمثيل الشعبي مهزلة. وأصبحت الموافقة برفع الأيدي، مضمونة لكل طلب تتقدم به الحكومة القائمة. أما حسين فوزي وأمين العمري (الذان أحيلا على التقاعد فيما بعد) فكانا متفقين معنا على تأييد طه في رأيه الثاني والثالث والرابع، وعلى معارضته في رأيه الأول. إلاّ إنهما، لم يعلما شيئاً عن رأي طه الخامس، ويحتمل أنهما كانا يؤيدان رأي رشيد عالي الكيلاني، الذي سيرد ذكره، والله أعلم.

- خلاصة رأي المفتي محمد أمين الحسيني -

١- تحاشي اغضاب دول المحور، ومسايرة الانكليز في نفس الوقت، ضمن حدود المعاهدة العراقية الانكليزية.

٢- تسليح الجيش العراقي وعدم التفريط به.

٣- تحاشي الدخول في الحرب، والمحافظة على القوى العربية، من أن تستنزف في سبيل انتصار بريطانيا. فانتصارها ليس من صالح العرب في شيء، لأنها ستنقلب عليهم، كما فعلت بعد الحرب العالمية الأولى. وهذه مخالب اليهودية تنشب في فلسطين، وتقضي على آمال العرب كلها. أما الكتاب الأبيض الانكليزي، فإنه سيبقى حبراً على ورق، ثم يكون مصيره النسيان.

٤- إذا اشتركت روسيا واليابان وإيطاليا في القتال إلى جانب ألمانيا، ووصلت جيوشهم مصر وإيران، فمن الواجب أن تعلن البلاد العربية جمعا، الثورة على الانكليز، ومن معهم.

٥- اعلان الثورة في فلسطين (لافي سوريا)، بقيادة فوزي القاوقجي. وذلك، لإجبار الانكليز على رفع القيود الصهيونية كلها، والاعتراف باستقلال فلسطين، قبل نهاية الحرب القائمة، سواء انتصر الانكليز فيها أو لم ينتصروا.

بالمقارنة بين رأي طه الهاشمي، ورأي المفتي الحسيني، يظهر ما في الأولى من هدوء، وما في الثانية من ثورة نفس متأللة، جاءت كرد فعل طبيعي لما يتأجج في نفس المرء إذا تجرع غصص الآلام، وعانى ضروب المظالم، ورأى بألم عينه المذابح والتنكيل ينزلان بدياره. إذ يعمل الانكليز في القرى هدماً وتقتيلاً، وفي المزارع حرقاً واتلافاً، وهم الظالمون المعتدون.

وقد لا يجد المدقق، فرقاً كبيراً بين الرأيين، في خطوطهما العريضة، باستثناء ما يتعلق بالثورة، والاختلاف على مكانها. فاعلانها في سوريا، معناه الثورة على حكومة فيشي، التي يرأسها المارشال بيتان، وبريطانيا ترتاح لمثل هذه الثورة. وأغلب ظني، أن الانكليز كانوا يشجعون على إثارتها، تمهيداً للإنتفاع من العرب، وللإيقاع بينهم وبين الألمان. أما إعلان الثورة في فلسطين، فمعناه الثورة على بريطانيا، مباشرة، وتأييد العراق لهذه الثورة، معناه الخروج على أحكام المعاهدة العراقية البريطانية، مما لا يتفق مع الرأي القائل، بضرورة مسايرة الانكليز ضمن نصوص المعاهدة.

أما وقد اخذ نوري علما بما عند فوزي القاوقجي من سلاح وذخيرة، فلا مجال للشك

بأن هذه المعلومات، ستنقل الى الانكليز، فيؤكد لديهم، بأن العراق يغذي الثورة في فلسطين. لذلك، لزمّت جانب الحياء في هذا الشأن، ولم أبد فيه برأي قاطع، وإن كنت في قرارة نفسي، أميل إلى إعلان الثورة في سوريا. وبقيت أرجو أن يبت زعماء سوريا وفلسطين في هذا الأمر، بالاتفاق مع طه الهاشمي.

أما نوري الذي كان همه إبعادنا عن طه (لنصبح آلة في يده)، فقد تضاعف همه بقدم المفتي. وكان يكفّر كلما طرق سمعه اسم المفتي، أو شدنا بذكرة، ونحن مجتمعون في داره. ثم تأكد لدينا فيما بعد، أن ما بين نوري والمفتي من خلاف، ليس له حل وأن لا ائتلاف بينهما. ذلك أن نوري، يريد أن يكون متبوعاً، لا تابعاً، ولا أدري، أيدفعه طبعه إلى الرئاسة، أم مصلحة من يطيعه. ويريد نوري أن تكون الكلمة له دائماً وأبداً. فإذا تولى مقاليد الأمور رفيق من رفاقه أو زعيم من زعماء البلد، لم يأل جهداً في التفريق بينهم، ليسود عليهم (فرق تسد). فيدعوهم إلى داره على أفراد، أو يزورهم كلاً بمفرده. فإذا أصروا على وطنيتهم، وتصلبوا في عقيدتهم، فلم يظفر بهم، انقلب عليهم، وتخلّص منهم بالنفي، أو الإغتيال، أو بقوة الحراب البريطانية.

مثال ذلك ما كان من اعتقال يس الهاشمي في سوريا، واعتقال السيد طالب النقيب في العراق، واغتيال توفيق الخالدي، والملك غازي، ورستم حيدر، ثم جاء نورنا، فحرض الأنكليز، ليعتدوا على الجيش العراقي فيفتح العراق ويفرق شملنا بقوة الحراب البريطانية، وهو على رأسهم، السير، والجنرال، والباشا البطل...

وما ذكر نوري في مجلس، إلا وقيل عنه أنه أنكليزي، وأنه لا يؤتمن، وقد اجمعت كافة طبقات الشعب، على وصف نوري بهذا الوصف (بإستثناء الدكتور سامي شوكت وأمثاله)، بل أن زملاء نوري أنفسهم، يؤيدون ذلك، مثل جميل الملقب بالمدفعي. ويؤيد ذلك المعتدلون أيضاً وأعني بالمعتدلين مصطفى العمري وتوفيق السويدي وإبراهيم كمال. وجملة القول، أن الشعب أجمع على وصف نوري، بأنه الخائن الأول للبلاد. وأنه بفضل خيائته، بقى في الميدان وصول ويجول، فلا يلحقه ما لحق بالوطنيين من قبله من ضروب الأذى والسجن والتشريد والتقتيل. وهذا رأي الملك غازي، وحكمت سليمان، ويكر صدقي وجماعته، وصبيح نجيب، ومولود مخلص وأمين العمري، وحسين فوزي، ونظيف الشاوي، وآل الوادي وغيرهم.

وفي عام ١٩٢١، حرّض نوري بعض زبائنته، فاعتدوا على أخي الأكبر حسن شوقي الصباغ في وزارة الدفاع. وقد اعترف المعتدون بذلك أمامي بعد وفاة أخي، وعلى رأسهم المقدم الانضباط محي الدين، ورشيد المحاسب، وكان السبب الذي دفعهم إلى الاعتداء على

أخي، أنه كان معارضاً لنوري، ولقريبه جعفر، ولأنه استقبل السيد طالب النقيب في محطة بغداد، مع كثير من رفاقه. فكان أن سجن أخي، واعتقل الانكليز السيد طالب، ثم أقصي عن البلاد حتى وافته المنية. وقد دبر نوري لاعتقاله حفلة عشاء دعاه إليها.

وفي عهد الماجور ايدي، كاد نوري أن يقضي على مستقبلتي، وكان وزيراً للدفاع، إذ أحالني على المجلس العسكري، طالباً طردي من الجيش، وأعاد طلبه من جديد، لما أكد المجلس العسكري براعتي. وقصة ذلك، أن نوري رفض إعطاء زوجتي الانكليزية جوازاً للسفر، لتتمكن من القدوم إلى العراق، وأمرني بطلاقها، فأبيت. ولو أنه عارض في زواجي بأجنبية، غيراً منه على صفاء دمي، ونقاء جوهرتي، أو حرصاً منه على غرابة ضباط الجيش، إذن لهان الخطب، ولاكبرته واحترمته. لكنه عارض لسبب آخر، وقع علي وقوع الصاعقة. قال: كيف تجرؤ على الزواج بانكليزية؟ إنها أرفع منك وأنت لا تليق بها. كيف تأتي بها إلى بلادك لتعيش عيشتك، وهي في السماء وأنت في الأرض؟ هذا كثير عليها ويجب أن تطلقها وأنا لن أسمح بقومها.

تناسيت هذه الحوادث وأمثالها، طائناً مختاراً، لا لأكسب حب نوري، ولا لأنال رتبة على يده، لأنه هو الذي كان يخطب ودي، وهو راغم. لكنني تناسيت هذه الحوادث في سبيل بلادي، لأنه أقنعني بأنه سيكفر عن أعماله الماضية، ويأنه اتعظ بما ناله على يد بكر صدقي جزاء أعماله تلك. ثم مد نوري يده لنا، واستعان بطله الهاشمي للتقرب إلينا (وكان طه بجانبه)، وتحايل على فهمي، بالقرابة التي تربط زوجتيهما (زوجة فهمي رحمها الله تربطها بزوجة نوري صلة قرابة).

أجل، تناسيت ما أعرف من أمر نوري، وخدعني بما قال لي، وفهمي، مستعرضاً الأعمال التي ستجعل البلاد العربية متمتعة بنعمة الاستقلال. هكذا اكتشف نوري من أين تؤكل الكتف، وعرف الطريق لاستغلالنا، وتشفع بطله الهاشمي، وقال إنه لو لم يكن عند حسن ظن طه، لما أيده وأزره، وصدقه. ثم أنهما منتسبان إلى حزب الاستقلال، وإن طه كفيله، لأنه أخوه، وسيبقى أخاً له ولنا، ولن يخرج عن رأي طه ما دام حياً، وكيفما تغيرت الظروف (٨).

(٨) - بعد الرجاء الملح عاد نوري إلى العراق، وكان جميل رئيساً للوزراء (ومن بين الذين عارضوا عودته نظيف الشاوي وسعيد التكريتي ويوسف العزاوي (أبو يعقوب) وكانوا يقولون: - دعوا العراق هادئاً ولا تأتوا بنوري فإنه كالشرر ومثير للنار)، دعاني نوري إلى داره بالوزيرية، بواسطة فهمي، بعد عودته بأربعة أيام أو خمسة، واستقبلنا في غرفته الخاصة. وفي هذا الاجتماع أقنعنا نوري بأنه متفق مع طه، وفعلنا جمعنا بطله واستمرت الاجتماعات بيننا وأشركنا كامل شبيب فيها. وانحصرت هذه الاجتماعات على نوري وطه وفهمي وصلاح الدين حتى سقطت وزارة جميل.

وشبهت نوري بصورة ذلك الصيني، الذي ضحى بنفسه وبسمعته، لينقذ بلاده. ذلك الوطني، الذي عرف كيف يتقرب إلى الانكليز حتى اكتسب ثقتهم، ونال بمساعدتهم أعلى المناصب وأرفع الألقاب، لكنه صار في نظر الشعب عدوه الأول، فتعطش للفتك به. ولكن الشعب يجهل، كما أن أفراد حزبه - ما عدا أربعة منهم - يجهلون، أن عدو الشعب وصديق الانكليز، ما هو في الحقيقة إلا رئيس الحزب الوطني الذي يفتك بالانكليز ويغتالهم ويهدد استعمارهم.

وحدثت نفسي قائلاً: لعل نوري مثل ذلك الصيني، ولعل ما كان بيني وبينه، وما بلغني عنه مجرد مظاهر، يلجأ إليها ليغش الانكليز، وليخفي عنهم حقيقة نفسه. ولكني، ندمت، إذ أقدمت على تجربة الجرب، وحق علي اللوم. فليهبزاً بموتنا، جميل وزملاؤه من عسكريين ومدنيين، لأنهم نالوا انتقامهم، وليشمت بنا حسين فوزي وأمين العمري وزملاؤهما، وإننا لنستحق منهم ذلك. أما أتباع بكر صدقي، فقد استجاب الله دعاءهم، فجعل نوري وعبد الإله والانكليز هم الآخزون بثأرهم.

- خلاصة رأي نوري -

لم يخرج نوري عن رأيه، الذي سيرد في النقاط التالية، وكان يحاول بإصرار أن يقنعنا برأيه، أيام اجتماعاتنا في داره، التي حضر طه الهاشمي معظمها. أو أيام كان يتردد علي في دائرة الحركات، لأقنع حسين فوزي بدوري. يرى نوري أنه لا بد من الاحتفاظ بالمعاهدة العراقية البريطانية، ولا بد من كسب ثقة الانكليز، لذلك ينبغي:

- ١- قطع العلاقات مع ألمانيا وحلفائها وإعلان الحرب فوراً.
- ٢- استخدام فرقتين من الجيش العراقي للقتال في صحراء ليبيا، أو في البلقان تبعاً لما يقتضيه الموقف الحربي، يتولى صلاح الدين الصباغ قيادتهما.
- ٣- إرسال سماعة المفتي السيد محمد أمين الحسيني، إلى أمريكا ليتعرف على رجالاتها البارزين، وليكسب عطف الشعب الأمريكي.
- ٤- تصفية الحساب مع المعارضين من رجالات العراق.

وهنا، لا بد لي من أن أذكر، بأن نوري، أشار ونحن في داره، بأن روسيا ستفقد بألمانيا عاجلاً أو آجلاً. وأنها ستتحاز إلى جانب بريطانيا - كان مما قال، لما صعب عليه إقناعنا: لو كنت أعتقد أن بريطانيا ستخرج من هذه الحرب مغلوبة، لكنت أول من يشهر مسدسه

عليها. والله أعلم.

سألناه: وهل تدخل الحرب بجانب الانكليز، حتى لو دخلتها روسيا وإيطاليا واليابان بجانب ألمانيا، وكانت جيوشهم البعيدة لا تهدد العراق؟
أجاب: نعم.

قلنا: إن المغفور له الملك حسين، ما قام بثورته إلا بعد أن قطعت له بريطانيا عهداً ومواثيق. مع العلم أن حالة العرب وموقف بريطانيا العام، كانا في الحرب العالمية الأولى، خيراً من حالتها اليوم. فهل تدخل الحرب، قبل أن تتعهد بريطانيا بحل المشاكل العربية القائمة عامة، وقضيتي فلسطين وسوريا بوجه خاص، وبمنح العراق استقلالاً ناجزاً؟؟؟

قال: لا يمكن مساومة بريطانيا، وأخذ اليهود منها، وهي في حالتها الحاضرة، فلندع ذلك إلى ما بعد الحرب!

سألناه: ألا يخلي الانكليز فلسطين، والفرنسيون سوريا، لفرقتين من الجيش العراقي، نضيف عليهما فرقتين من الوطنيين هناك، فتدافع هذه الفرق الأربع عن فلسطين وسوريا، ضد أعداء الانكليز وأعداء الفرنسيين؛ وبذلك يتسنى لهؤلاء أن يستخدموا قطعاتهم المربطة في فلسطين وسوريا للقتال في صحراء ليبيا أو في الجبهة الغربية.
أجابنا: إن هذا غير ممكن.

ثم سألناه: لماذا لا نتريث، فنرى ما يكون من أمر جاراتنا في الشمال والشرق، أو لماذا لا نقف على الحياد، وهذه إيرلندا تقف على الحياد، رغم وقوعها في قلب الجزر البريطانية، وموقفها أخطر لبريطانيا من موقف العراق؟؟

أجاب: إن إيرلندا، (دومنيون)، وللدومنيونات من الحرية في التصرف بشؤونها الداخلية والخارجية، ما ليس للعراق الذي يرتبط مع بريطانيا بمعاهدة.

ولما انعقد مجلس الدفاع الأعلى في وزارة الدفاع، قال رئيس أركان الجيش الفريق حسين فوزي، يسأل نوري:

- تقترحون يا باشا إرسال فرقتين من الجيش العراقي إلى البلقان، فلو مرت الفرقتان بحلب واستوقف الحلبى الجندي العراقي يسأله (خيويين رايعين) فيجيبه العراقي «إلى البلقان نحارب الألمان» فماذا تنتظر من الحلبى إلا أن يقول: (الله الله خيو، وهذه سوريا وفلسطين)؟

فسكت نوري، ثم أجاب حسين فوزي بأن أحواله على التقاعد، هو وأمين العمري. وبذلك

فرق بيننا، وبين هذين الصديقين، وأضاف على قائمة خصومنا خصمين وطنيين، ليسا كباقي الخصوم. فما إن أحيل أمين العمري على التقاعد، حتى طلب من طه الهاشمي، أن أحال أنا أيضاً إلى التقاعد، (أي اقتلوني واقتلوا مالكا معي).

وفي اجتماع لنا بدار نوري، قلت أسأله «ولست أذكر إن كان طه حاضراً»: «لقد أوضحت لنا يا باشا، بأنك لا تتكر غدر الانكليز وظلمهم للعرب، ولكنك ترى بأنهم سينصفون العرب، إذا ربحوا الحرب. على أن الأكثرية الساحقة، لا ترى رأيك، بسبب الدور الذي لعبته بريطانيا لتهود فلسطين. وبما أن الانكليز يعتمدون عليك، فإن باستطاعتنا أن نتحاشى الانقسام في صفوفنا، والخصام بيننا، إذا احتفظنا بإخوتنا جميعاً، واتحدنا سراً، وتعاوناً في الخفاء، ثم يتظاهر فريق منا بتأييد الانكليز، ويتظاهر فريق منا بتأييد المحور، بحيث نبذو للمراقبين أعداء لدودين. فنأمن شر الغاصبين، ونكون بجانب كلا الطرفين، ونكسب رضاهما معاً. إن طريقة (التقية هذه، يسلكها كل ضعيف وقع بين ظالمين أقوى منه، فأجابني نوري: لا، أنا أقاوم هذه الفكرة بكل قوة. أنا لا أريد أن تكون مقدرات البلاد بيد مثل أولئك الزعماء، الذين تعتقدون بوطنيتهم وحسن نيتهم، نهم عندي خلاف ما تعتقدون. (يريد بهذا أن يجرح من وطنية المفتي، بوجه خاص).

وتجب الإشارة بصورة خاصة، إلى قرار اللجنة القانونية التي تشكّلت، لتبحث في نصوص المعاهدة العراقية البريطانية، وما تضع على العراق من التزامات، في حالة دخول بريطانيا الحرب. تشكّلت هذه اللجنة في تاريخ لا أذكره بالضبط، وأغلب ظني أنه كان بطلب رشيد عالي الكيلاني، لما كان رئيساً للبلاد الملكي، (وكان الوصي آنذاك على وفاق معه ومعنا). قررت هذه اللجنة (وقوامها قضاة وحقوقيون من الجانبين العراقي والبريطاني) بعد الدرس والتمحيص في نصوص المعاهدة، أنها لا تلزم العراق بإعلان الحرب على دول المحور، ما دام العراق نفسه، ليس مهدداً بخطر. أما قرارها بصدد قطع العلاقات، فقد غاب عني. كما تجب الإشارة إلى بند ورد في المعاهدة العراقية البريطانية، يفيد أنه إذا حدث خلاف في تطبيق أو تفسير نصوص المعاهدة، تعهد القضية إلى لجنة تحكيم دولية.

مقابل هذا، نرى نبوءة نوري بصدد دخول روسيا الحرب ضد ألمانيا، قد تحققت. إلا أن إلحاح نوري، وتلهفه لإعلان الحرب على ألمانيا، لم يكن صادراً عن نظر بعيد، أو حنكة، فيما سيتطور إليه الموقف العالمي، وإنما كان المقصود منه، إرضاء بريطانيا فحسب. فقد اقترحنا عليه أن يترى، حتى يتضح موقف روسيا. هذه الدولة التي يهمنّا أمرها، بالنظر لموقعها السوقي المسيطر على الشرق الأدنى، ولأنها تقع على مقربة من العراق بصورة خاصة. أما

إيران، فجيشها لا وزن له، بالنسبة إلى قوى روسيا التي لا تصد، وما فيها من سيول بشرية جارفة. وكان اقتراحنا على نوري بالتريث، في زمن عالجت فيه بريطانيا سكرات الموت في الجزر البريطانية، واليونان، وصحراء ليبيا. وناوأتها روسيا، فنشرت الدعايات، وكالت لها التهديدات، ووصفتها بالرأسمالية الاستعمارية، وقد حدا موقف روسيا هذا، بكثير من الدول إلى التردد في تقرير سياستها، ومنها أمريكا بالذات. أما تركيا، فوقفت على الحياد، وعقدت مع ألمانيا ميثاقاً للصداقة، مع أنها كانت ملزمة بإعلان الحرب على ألمانيا، لما بلغت جيوشها الأراضي اليونانية، بموجب الاتفاق الذي عقدته تركيا عام ١٩٣٩، مع انكلترا وفرنسا.

يتضح مما تقدم، أن رجاءنا لنوري (ولطه بعد نوري) بالانتظار ثلاثة أشهر أخرى (أي نيسان ومايس وحزيران من سنة ١٩٤١)، كان منطقياً وطبيعياً، بمثل تلك الظروف الدولية، وذلك المأزق الحرج الذي كانت فيه بريطانيا. وقد انجلى الموقف فعلاً في غضون الأشهر الثلاثة المذكورة، إذ كان الألمان على وشك الفراغ من حريهم في اليونان، لما اعتدى الانكليز على العراق، ثم وقع الاصطدام بين ألمانيا وروسيا.

فلو أن نوري، كان متأكداً من انتصار بريطانيا، لصبر وتأنى أشهراً معدودات، بدلاً من الإلحاح والاصرار. ولو فعل، لنال من تعاوننا معه، أكثر مما يتوقع، ولو فر على نفسه مؤونة الرجاء. لكن نوري، كان يغامر برأيه، ويغامر ببلاده، ليرضي الانكليز. بذلنا جهوداً كبيرة، وقمنا بمحاولات عديدة، لجمع الكلمة بين هؤلاء السادة الثلاثة: نوري والمفتي وطه الهاشمي. ومن ذلك، أننا اقترحنا، أن يدعى شكري القوتلي، أو أن يعقد مؤتمر من رجالات البلاد العربية، ومنذوين عن ملوكها، لتقرير خطة موحدة حاسمة، تعين للبلاد العربية طريقاً تسلكه بمجموعها أيام الحرب، ولا ينفرد بلد منها برأي. ولكن تعذر علينا ذلك، لما يمتاز به نوري من استبداد في الرأي، وسعي إلى التفرقة، ولما ينفرد به المفتي، من حماس في الوطنية، فقد جعل ذلك بينهما نفوراً متبادلاً، أما طه الهاشمي، فيتصف بالمسألة السلبية.

وهكذا، بقيت صفة القلق سائدة، فلا تستقر الأمور على حال، بل تراوحت بين مد وجزر، فكانت النتيجة سلسلة من المشاحنات والأحداث، بدأت باغتيال رستم حيدر. ثم زادت التفرقة والخصومات في الجيش، لما أحيل حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد، ثم ادعى نوري من جديد، بأن وزارته لا تقوى على البقاء في الحكم، فأجبر رشيد عالي الكيلاني على قبول رئاسة الوزارة. ثم تدخل الوصي والانكليز في شؤون الجيش، فأجبر رشيد عالي على الاستقالة، ثم اسندت رئاسة الوزارة لطه الهاشمي، وانتهت هذه الأحداث باعتداء الانكليز على العراق، يشجعهم على ذلك افتقار الأقطار العربية إلى خطة موحدة، وسياسية تجمع بين زعمائها

وملوكها. فساروا منفردين، وتبنوا آراء متفرقة. فتحقق مأرب الانكليز، ونوري بن سعيد، والوصي عبدالاله، وأعوانهم الآخرين، الذين حرص الانكليز على خلقهم، منذ وطأت جيوشهم أرض العراق، ليكونوا رتلًا خامسًا انكليزيًا.

ليت فيصلاً كان على قيد الحياة، أوليت نظام الحكم في العراق، كان جمهورياً يرأسه زعيم محنك محبوب، إذن، لسار بالعراق، على خطة موحدة، يقررها مؤتمر يمثل بلاد العرب كلها. ولما ابتلي الجيش، بطيش الوصي الغر، وبخصومته الرعناء، ولما استبدَّ نوري برأيه، وخلا له الجو، ولن لف لفه، من الانتهازيين، واتباع المستعمرين، وبالتالي لما أقدم الانكليز على الاعتداء على العراق.

لما كان طه الهاشمي وزيراً للدفاع في وزارة نوري بن سعيد، طلب إليّ أن أقدم له ضابطاً موثقاً، يحمل كتاباً منه، إلى السيد شكري القوتلي، فكان ذلك. لكنه لم يخبرني بمحتويات ذلك الكتاب. وبعد مدة، شرف بغداد زائران، هما السيدان جميل مردم بك وسعدالله الجابري، فزارا اخواني، وتركا في داري بطاقتيهما، لأنهما لم يجداني فيها. فأعدت لهما الزيارة في الفندق، يرافقني أمر فوج الحراسة المقدم صالح زكي الطائي، وجرى بيني وبين السيد صبيح نجيب، حديث أغاظ السيد توفيق السويدي. اتصل السيدان جميل مردم بك وسعدالله الجابري، خلال اقامتهما في بغداد، بكل من نوري وطه والمفتي، وقد لاحظت، أنهما يميلان إلى الانكليز بعض الميل. وتطوَّع نوري بن سعيد، بنقل تفاصيل محادثاته معهما إلينا، فكان يفصح لنا ما يريد، ويكتفم عنا ما لا يريد من الأحاديث، التي كانت تدور بينهم.

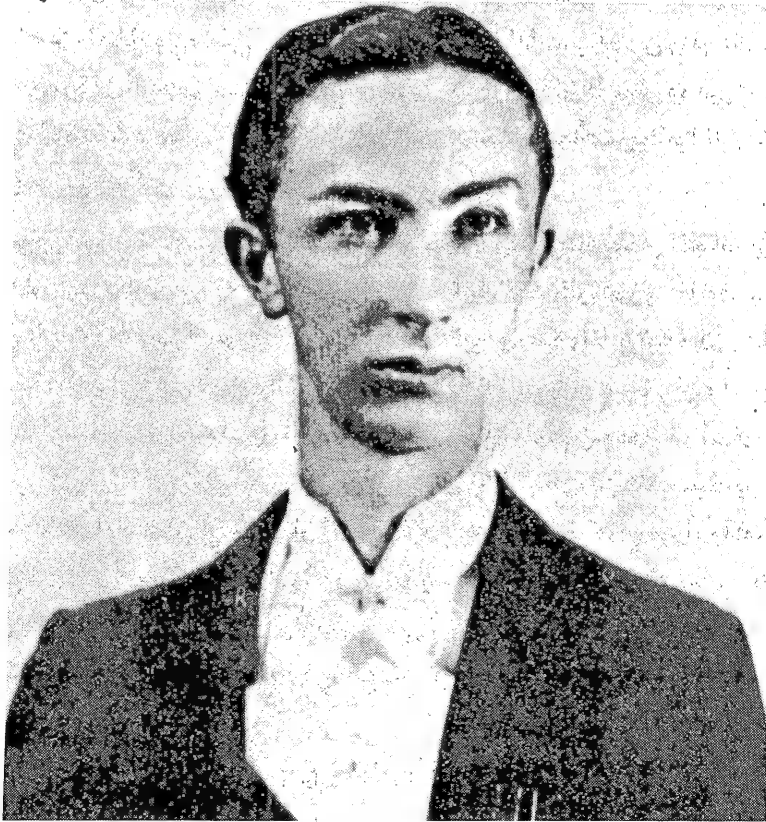
أوقفني فوزي القاوقجي ذات يوم، وأنا في طريقي إلى معسكر الرشيد، حيث مقر فرقتي، وكانت داره على ذلك الطريق. قال إن السيدين جميل مردم بك وسعدالله الجابري، يريدان مقابلتي على انفراد في داره، في اليوم التالي. وفي الموعد المحدد، قابلت السيد جميل مردم بك (أما سعدالله الجابري فكان غائباً)، ودار الحديث بيننا، حول اعلان الثورة السورية والترخيص لفوزي القاوقجي بإثارتها، وحول اشتراكي أنا وإخواني معهم في هذا الرأي. فأجبت به «إن الأمر منوط بكم، أما نحن فسيان عندنا، أن تكون الثورة في سوريا أو في فلسطين. ولا يهمنا إلا اتفاق الآراء بين زعماء هذين البلدين، وبين طه ونوري، فدونكما إياهم، ونحن على استعداد للعمل، بما يجتمع عليه رأيكم. أقول هذا بالنيابة عن اخواني أيضاً».

لم يكن نوري عالماً بما عند فوزي القاوقجي من أسلحة وذخائر حربية، فقد كنا نكتم هذه الأمور كلها عن نوري وأمثاله. وأغلب الظن، أنه لم يتوصل إلى ذلك، إلا بعد أن اتصل به السيدان جميل مردم بك وسعدالله الجابري، إذ يحتمل أنهما حدثا نوري بما عند فوزي،

ويدفعني إلى هذا القول، أن نوري بعد أن اتصل بالسيدتين المذكورين، أخذ يسألنا عن فوزي، ويراوغ في حديثه معنا، ويغمر إلينا عن حركاته. خاصة بعد أن أخبره أقرباؤه من صغار الضباط، بالنشاط الذي يقوم به فهمي سعيد وكامل شبيب، وإشرافهما على تدريب المجاهدين من أحرار فلسطين، تدريباً عسكرياً، يجري بصورة سرية في معسكر الرشيد، بل وفي دار فهمي أيضاً.

بعد هذا، أخذ الانكليز علماً بالأمر، وبلغهم خبره، لكننا لم نعرهم اهتماماً، واستمر تدريب المجاهدين الفلسطينيين، فكظموا غيظهم ولم تبدر منهم بادرة.

الوطنية والاستعمار لا يتلفان، ولا يجتمعان في مكان إلا ويصطدمان



الوصي عبد الإله

ملحق رقم -١-

السيد عز الدين الشوا، شاب شجاع، نبيل، يتكلم الفرنسية بطلاقة، والانكليزية، وهو من آل الشوا، المعروفة من غزة بفلسطين. وهو من المجاهدين، الذين أبلوا بلاءً حسناً في سبيل عروبة فلسطين. عرفت هذا العربي، بواسطة الدكتور أمين رويحة، يوم كان صديقي فوزي القاوقجي وغيره، يتابعون جهادهم في فلسطين، وكنت أنا واخواني من ضباط العراق، نمدهم سرّاً بما يتيسر لدينا من سلاح وعتاد. وكنت اسلم السلاح والعتاد للسيد عز الدين الشوا مباشرة، وكان ذلك يجري بصورة سرية، فلم يعلم به أحد وكتمنا الأمر حتى على قادتنا، وعلى ياسين الهاشمي، أخي طه. ثم زادت هذه الامدادات، بعلم من وزير الدفاع طه الهاشمي، ورئيس أركان الجيش حسين فوزي، ومعاون رئيس أركان الجيش ومدير الحركات (أنا)، واستمرت الامدادات، حتى توقف القتال في فلسطين، حين لجأت بريطانيا إلى فتح باب المفاوضات، وتوسط ملوك العرب وزعمائهم بالأمر.

عاد صديقي فوزي القاوقجي الي العراق مرة أخرى، وكان معه بعض المجاهدين (وأنا أنادي فوزي القاوقجي بكلمة «يوزباشم» وهويجيني بمثلها. فقد كان فوزي القاوقجي برتبة رئيس خيال في الجيش العربي السوري، وكنت معه في كتيبة واحدة وأنا برتبة ملازم) بانتظار نتيجة المفاوضات الجارية في لندن، والتي اشترك فيها نوري بن سعيد (طبعاً)، وتوفيق السويدي عن العراق، وممثلون عن الدول العربية، وعن فلسطين باسم زعيمها، ثم أسفرت فيما بعد، عن الكتاب الأبيض الذي نشرته بريطانيا. ولما كان من المنتظر، أن لاتتمسك بريطانيا بوعودها للعرب كعادتها، بعد أن أخدمت نار الثورة، فقد قمت بتجهيز فوزي سرّاً، بألف بندقية ومائة ألف اطلاقة وألف حقيبة وتجهيزات أخرى مما يحتاج إليه الجنود. وقد سلمت السلاح والعتاد المذكور بتوقيعي، وبموافقة طه الهاشمي، على أنه امدادات لعشائر الحدود في منطقة الفرقة الثالثة، ثم سلمتها إلى فوزي القاوقجي، مع مقدار من الدنانير، بحضور المجاهد النبيل (استاذي) السيد عادل العظمة.

والسيد عادل العظمة، استاذي بالفعل، فقد كنت من صغار تلاميذه الذين درسوا على يده التاريخ، لما كان معلماً في مدرسة السلطاني ببيروت. وكنا ننظر إليه بعين الاحترام، لما كان

يتسنى به من خلق وعطف وحشمة، في لباسه وحركاته، وكانت طريقتة في إلقاء الدروس مؤنسة طليّة. ثم كبرت منزلته في عيوننا أضعافاً، لما علمنا بأنه عربي. وفي أواخر عام ١٩١٣، غاب هذا المعلم عن المدرسة، فما عدت أراه، وكنت لا أدري من أي بلد هو، ولا أعرف اسم عائلته. بعد خمسة وعشرين عاماً، مررت بدمشق، وأنا اشغل منصباً ممتازاً في الجيش العراقي (في أواخر عام ١٩٣٨)، وكان يرافقني اللواء اسماعيل نامق، في طريق عودتنا من أنقرة حيث اشتركنا في مراسم تشييع جنازة مصطفى كمال أتاتورك. فدعانا السيد شكري القوتلي، ذلك اليوم إلى الغداء في داره، حيث تشرفنا بقاء عدد من عليّة القوم وأرباب العروبة، منهم الأخ المجاهد النبيل السيد نبيه العظمة، الذي عرفته في بغداد، يوم كان الفرنسيون يطاردونه في عهد الثورة السورية الكبرى. وقد ارتبطنا وفهمي معنا، بميثاق الاخوة الوطنية، وأنا أجهل أنه الأخ الأكبر لاستاذي، الذي كان من بين المدعويين أيضاً. ولولا أنني سمعت نبرات صوته صدفة، فتأملت حركاته، التي أخذت تمس ذاكرتي، ولولا أن الاجتماع، كان ودياً أخوياً تطرق الحديث فيه إلى الاعمار، فكانت المداعبات اللطيفة المعتادة، وذكر فيه اسم «عادل» أثناء الحديث، لما تمكنت من تذكر استاذي، ولبقيت أحاول ذلك عبثاً، وأنا أراجع صحائف الماضي، فأقلبها وأتلمس مابقي من آثارها، بعد أن مرّ عليها ربع قرن كامل تبدلت خلالها الملامح والأشكال. وتقدمت من استاذي، وأخذت يده وصافحته، مصافحة تلميذ وفيّ يشعر بالمنة، لمن علمه حروفاً لا حرفاً، فعرّفني الاستاذ وابتهج بلقائي. لكنه خسر الرهان في الاعمار إزاء شكري القوتلي على ما أنكر ..

فدون إذا مت، ما تعلمه عن اخوانك في العراق وكن عادلاً، لأن التاريخ ظالم يمالئ

القوي.

ثانياً:

احالة حسين فوزي، وأمين العمري، على التقاعد

كان السيدان ابراهيم كمال وصبيح نجيب، وهما من الوزراء السابقين، في عداد الذين بقي القبض عليهم، بتهمة الاشتراك في اغتيال رستم حيدر، بناءً على افادة القاتل. وكان ابراهيم كمال، مسجوناً في معسكرات قوات فهمي سعيد، وكان فهمي يتردد عليه، وكنا نناقش القصد من اعتقال هذين السيدين، والدافع الذي يدفعهما إلى الاشتراك في اغتيال رستم حيدر. فقد كان أحري بهما، أن يشتركا في مؤامرة لاغتيال نوري، لأن قتله أنفع لهما من قتل رستم. ولأننا كنا - باستثناء محمود سلمان الذي لايعرفهما - أعلم الناس برأي هذين السيدين عن نوري، وبأي منظار ينظران إلى جميل الملقب بالدفعي، بعد أن اتصلا بنا في عهد وزارة هذا الأخير. على أن الذي أثار إستغرابنا، هو ما كان من زيارات نوري لابراهيم كمال في سجنه بين الحين والحين، يتفقده على انفراد، فلايدري أحد ماذا يدور بينهما. وبعد مدة، اخلي سبيل هذين السيدين، بعد أن مُسّت كرامتهما وكرامة غيرهما على حساب الجيش، أو بالأصح على حسابنا نحن. فقد أصبح الجيش بمثابة السجن، وأصبحنا بمثابة السجانين. وزاد من كراهيتهم لنا، اعتقادهم بأننا آلات بيد طه ونوري، وخدم لديكتاتوريتهما.

شُنق قاتل رستم حيدر، بحضور العقيد سعيد يحيى الخياط، بصفته عضواً في المجلس العسكري، وبحضور المدعي العام وغيره، فحدثنا سعيد يحيى وقد استولى عليه العجب، لأنه من أصدقاء نوري، قال إن القاتل كان يصيح بأعلى صوته في ظلام الليل:

- «نوري . . نوري . . أنت الذي أغريتنني، أنت الذي وعدتني، وأنت تشنقني؟ أه نوري

أه . . ».

في تلك الأيام عقد مجلس الدفاع الأعلى (١) جلسة بتاريخ ١٣ شباط ١٩٤٠، في وزارة الدفاع. حضرها طه ونوري، ووزيران آخران، وكان ماكان، من جواب حسين فوزي رئيس أركان الجيش، الذي أتيت على ذكره في مكان آخر، فلزمت الصمت في هذا الاجتماع، وتركت الكلام لحسين فوزي، ليجيب نوري ذلك الجواب، الذي ينطوي على العاطفة الإسلامية، والحب لإخوانه العرب. فأكبرت أقواله وأفعاله.

وما مرّ على هذا يوم واحد، حتى دعانا نوري للعشاء في داره، وكان ذلك على ما أذكر، مساء الرابع عشر من شهر شباط عام ١٩٤٠. فاجتمعنا في دار نوري أنا وفهمي وكامل ومحمود سلمان واسماعيل نامق وسعيد يحيى الخياط. ولوّح نوري في عرض الحديث، إلى ضرورة تخلي وزارته عن الحكم، لأنه يشعر بضعفها وعدم قدرتها على البقاغي سدة الحكم، بعد أن خسرت رستم. لذلك فقد إتفق مع طه، على اسناد رئاسة الوزارة إلى رشيد عالي الكيلاني، على أن يصبح هو وزيراً للخارجية ويبقى طه على رأس الجيش، حيث هو.

سأله فهمي إن كان جاداً في قوله، فأجاب نوري بالإيجاب. قال فهمي:

— ما هذا يا باشا؟ إنه أمر لم يكن بالحسبان ومفاجأة لاندري ماذا نجيبك عليها. أنت تعلم لماذا أسندت رئاسة الوزارة إليك، وكيف تم ذلك. لقد ألبنا علينا بسبب ذلك، خصومات كنا في غنى عنها، ولم يبق وزير سابق لم يناصبنا العداء هو وأتباعه. فكأن عداوة أتباع بكر صدقي لا تكفيها، فإذا كنت وطه قد قررتما هذا القرار، بدون أن تذكرنا، وما قطعنا لنا من عهود، فالأمر أمركما، والبلاد ولنا، رب يعيننا ويحمينا، وليس عندي ما أقول غير هذا. أما إذا كنتما تريدان رأينا للتسيرا بهدي الأكثرية، فأنا لا أرى أي دليل على ضعف وزارتك. وقد جابهت مصاعب وصدمات كثيرة، فلم تزعزع قيد شعرة، وكان أهم هذه المصاعب موت غازي. أما مجلس النواب والأعيان، فيؤيدانكما كل التأييد، ولا ينافس نفوذكما في البلاد منافس. أما أتباع بكر صدقي فقابعون، وأما جميل وزملاؤه، فصامتون بعد أن قلّمت أظافرهم، وكسرت شوكتهم.

ولا يوجد في مثل الموقف العالمي الراهن، رئيس للديوان الملكي، أفضل من رشيد عالي الكيلاني، ما دامت الأمور (على ما يقول نوري)، بعهدة شاب قليل التجربة، حديث العهد بإدارة شؤون الملك. لا أدري ماذا يرى اخواني لكن رأيي الشخصي الذي لأحيد عنه، هو عدم الموافقة

(١) — كان الموقف العالمي كما يلي: روسيا تقف بجانب ألمانيا سياسياً وتقف على الحياد عسكرياً وتقتسم بولونيا مع ألمانيا وتحارب فنلندة. ألمانيا تدهش العالم باكتساحها لبولونيا بمعداتها الجهنمية وجيوشها الجرارة، ولا تعرف وجهة غزوها المقبلة. تركيا متفقة مع الانكليز بموجب الاتفاقية المعقودة بتاريخ ١٩/١٠/١٩٣٩. دول العالم كلها مترددة بسبب موقف روسيا.

على هذا الإقتراح بتاتاً.

وما سكت فهمي، حتى علت الأصوات بتأييده. والتفت نوري إلي، إذ رأني ساكناً من دونهم، فسألني:

- وأنت يا صلاح ماقولك ؟

قلت: الأمر الوحيد الذي حيرني ياباشا، هو قصر أعمار الوزارات في العراق، إذ حاز قصب السبق بين دول العالم في هذا المضمار. فكل وزارة تقوم، تأتي بمنهاج، وتزعم أنه يدر على البلاد ذهباً وهاجاً، ولكن الوزارة تسقط، قبل أن يجف المداد على منهاجها، فتأتي أخرى بمنهاج غيره، وتزعم أن المنهاج الأول كان ملحاً أجاجاً. لأدري، هل الإنكليز هم السبب في عدم الإستقرار هذا؟ فإذا لم يكونوا هم السبب، فما تخشون، وما الذي جعلكم تشعرون بضعف وزارتكم، التي يؤيدها رشيد عالي الكيلاني، والوصي، ومجلس الأمة والجيش.

أخذ نوري يقلب مسبحته بين كفيه، ويتلاعب بالفاظه، ويأتينا بحجج تافهة. منها أن وزارة يرأسها رشيد، وتضمه هو وطه، ستكون أقوى من وزارته الحاضرة، على مجابهة الموقف العالمي وتطوراتها، بتأييد رشيد وجماعته. وغير ذلك من الأعذار الواهية، التي تخفي نواياه الحقيقية. فما كان من فهمي، إلا أن قطع عليه كلامه وقال:-

- (خطية) على البلاد وعلينا ياباشا، وال... (خطية)، أن تجعلونا ضحايا لسياستكم ووعودكم، ونحن لا نعرف غاياتكم. إن الفأس سوف تقع على هذه الرأس، على رؤوسنا ياباشا ... وأنتم دائماً على ساحل السلامة ... (خطية والله خطية) ... ونهض فهمي وقصد الباب مسرعاً فصاح بالباشا:

- فهمي، إلى أين .. تعال .. قلت لك تعال يافهمي، فهمي! ولكن فهمي راح تاركاً الاجتماع، ودار نوري، والعشاء.

ومن حق فهمي أن يبلغ به التأثير هذا المبلغ، وهو الذي يعلم كم حُرّضنا نوري، على اسقاط وزارة جميل، ليكون هو رئيساً للوزارة، فيطبق مافي جعبته من مشاريع وأعمال جبارة، تدعم استقلال العراق، وتخدم بلاد العرب وتحقق وحدتها !! وأنه متأز مع زعماء البلاد العربية، وأنه وطه، سيسدّان الفراغ الذي تركته وفاة المغفور له الملك فيصل الأول، مازلنا نحن بجانبهما، ونمنحهما تأييدنا. ومن حق فهمي أن يتأثر، وهو الذي سمع نوري يلقي خطابه من محطة الاذاعة، بعد أن قتل غازي (كنت أنا وفهمي مدعوين للعشاء في دار رستم حيدر لما ألقى نوري خطابه) ذلك الخطاب الهتري، المشحون بالتهديد والوعيد، لكل من تسول له نفسه

القيام بأي عمل ضد حكومته وسياستها، التي يؤيدها الجيش العراقي المحبوب وقادته المخلصون (على حد قول نوري).

لماذا شعر نوري بضعف وزارته؟ هل كان يخشى الاغتيال، كما إغتيال رستم حيدر؟ لا، لأنه اشترط أن تسند إليه وزارة الخارجية في وزارة رشيد، ومن أجل هذا كان ماكان مما سيأتي بيانه.

لماذا شعر نوري بضعف وزارته؟ إنه سر لا يعلمه غير نوري والانكليز، وخطة مرسومة سار عليها نوري منذ أن عرف بين العرب. فنوري، لا يقر له قرار، إلا بعد أن ينفت شرره ويضرم النار، لكنه يدفع غيره ليكون وقاداً لناره أو وقوداً لها، وهكذا يحترق بناره الأخضر واليابس، وهو على التل جالس. أراد نوري أن يقطع العلاقات السياسية مع ايطاليا، وأن يعلن الحرب على دول المحور، لكنه كان يخشى سخط الشعب وغضبه إن هو فعل. ولمس ذلك في تجربته الأولى حينما قطع العلاقات مع ألمانيا فجأة، فاثار غضب رؤساء الجيش، مثل حسين فوزي وأمين العمري. ولما كان هذان على اتصال برشيد عالي الكيلاني، ولما كان لرشيد عالي الكيلاني بعض التأثير على البلاط، لذلك رأى نوري أن يتولى رشيد عالي رئاسة الوزارة ليحابه بأحد أمرين: فإما أن يوقد رشيد النار ويتحمل المسؤولية، أو أن يختار الاصطدام بالانكليز، أو بالشعب والجيش. عندئذ تتمهد الفرصة لثعلبيات نوري، ويشرع في تطبيق حلوله.

بعد يومين، دعانا نوري إلى الاجتماع في داره مرة أخرى، وكان طه الهاشمي واسماعيل نامق حاضرين. فاثار نوري الموضوع عينه، وأيده طه بأن الوزارة ضعيفة، لكننا لم نجد سبباً مقنعاً، وأخيراً قلنا لهما: «إذا كنتما تريان أن لا مندوحة للوزارة من الاستقالة، وأنها ضرورية، فليكن ماتريدان ونسأل الله خير العاقبة». أما فهمي، فقد لزم جانب الصمت طوال هذه الجلسة.

وفي الثامن عشر من شهر شباط عام ١٩٤٠، جمعنا الفريق حسين فوزي رئيس أركان الجيش في داره، وأنا وأمين العمري، واسماعيل نامق، وعزيزياملكي، وفهمي سعيد، وكامل شبيب، ومحمود سلمان(١) وطرح حسين فوزي علينا نبأ استقالة وزارة نوري بن سعيد فتظاهرنّا بأننا نسمع هذا الخبر للمرة الأولى، وأضاف حسين فوزي أن المرشح لتشكيل الوزارة هو رشيد عالي الكيلاني. أما نقطة البحث فتدور حول فرض نوري على رشيد عالي ليشركه في الوزارة، أو إطلاق الحرية لرشيد عالي الكيلاني لاختار وزراءه كما يريد.

(١) - لست متأكدًا من حضور محمود سلمان هذا الاجتماع ولعله كان ابراهيم الرواي، لا محمود سلمان.

أغلب الظن أن حسين فوزي، لم يعلم بنية نوري، في الاشتراك في الوزارة المقترحة إلا بعد أن أفضى له بذلك طه الهاشمي أو رشيد عالي الكيلاني. فقد كان بين حسين فوزي وأمين العمري من جهة، وبين رشيد عالي الكيلاني من جهة أخرى، صلات وزيارات. وكان حسين فوزي كثيراً ما يشيد أمامي بذكر رشيد عالي الكيلاني، ويصرّح بصداقته له. أما أمين العمري، فكان همه الوحيد وشغله الشاغل، أن يتولى قريبه مصطفى العمري وزارة الداخلية.

ولما كنا على بيّنة من رأي نوري وطه في هذه الاستقالة، وعلى قناعة بأن حسين فوزي وأمين العمري لا يميلان إلى نوري ولا يحبذان اشتراكه في الوزارة، لذلك اقترحنا عدم التدخل، وأن نقف على الحياد فلا نؤثر على حرية رشيد عالي الكيلاني في الاتفاق مع نوري وطه. وانتهينا إلى إقرار هذا الاقتراح، بعد أن جرى التصويت عليه وحاز الأثرية (انظر الملحق ٢-).

بعد أن قدم نوري استقالة وزارته للوصي بيوم أو يومين، جاء طه العاشمي إلى دائرته بوزارة الدفاع لمزاولة أعماله كالمتعاد، وكان ذلك يوم ٢٠ شباط ١٩٤٠، فأرسلت له مع العقيد الركن نور الدين محمود، مدير شعبة الحركات، جداول طلبات الأسلحة، ليوقع عليها كي ترسل بنفس اليوم إلى السفارة البريطانية بصورة مستعجلة لكن نور الدين محمود عاد بعد دقائق فقال لي:

— رأيت طه باشا منفعلاً متائراً، وقد رفض التوقيع على الجداول قائلاً ليوقعها وزير الدفاع الذي سيخلفني.

ثم سألتني نور الدين محمود: ماذا جرى، هل سقطت الوزارة؟

فلم أجبه بل أخذت منه الجداول وذهبت لطفه بنفسي فقلت له:

— هذه الأوراق مستعجلة ياباشا وقد طلبتم انجازها ليصير إرسالها اليوم. ثم قلت لنور الدين محمود بأنكم لا تريدون التوقيع عليها وليوقعها من يخلفكم، كيف يكون ذلك وهو خلاف ما كان مقرراً.

فابتسم طه بمزارة وأجاب: أنتم لا تريدون اشتراكنا في وزارة رشيد عالي الكيلاني.

قلت: من قال ذلك ياباشا ومن نقله لكم عنا؟ لقد عقدنا بالأمس اجتماعاً في دار حسين فوزي، قررنا فيه عدم التدخل والوقوف على الحياد، بعد أن أكدتم لنا رغبتكم بالإشتراك في وزارة رشيد عالي. نحن إذاً لم نغير رأينا، بل أنتم غيرتم رأيكم. نرجوا أن نقف على حقيقة الأمر ياباشا، وأن نكتشف العوامل الخفية التي تلعب من وراء الستار، نون أن نعلم عن

أمرها شيئاً . وبهنا كثيراً أن لا تقفوا منا مثل هذا الموقف.

فأجاب: سأنظر في الموضوع وأخبركم.

ثم وقع على الجداول وانصرفت من عنده، وطلبت كامل شبيب وفهمي سعيد، فأخبرتتهما بالأمر، واستولت علينا الحيرة من هذا الانقلاب المفاجيء. فلما انتهى الدوام الرسمي، وكان العصر، دعاني طه الهاشمي إلى مقابلته فوراً في داره الواقعة في شارع الأعظمية. بدا على طه اضطراب وتأثر عظيم وبادرني بقوله:

- علمت يا صلاح أن الذي يمانع في إشترك نوري في الوزارة المقبلة هو حسين فوزي، ولا أدري إذا كان يقصدني بذلك أنا أيضاً. وإني وإن كنت قد عقدت العزم على الإنسحاب وعدم الإشتراك في الوزارة المقبلة، فأنا لا أتوقع أن يكون حسين فوزي قد قصدني أيضاً. لذلك أرجو أن تذهب إليه فتقف منه على الحقيقة بنفسك.

ما كان لطفه أن يكلفني بهذه المهمة لولا ثقته بصداقتي، لكنها مهمة شاقة وتكليف صعب، فقد أصبحت بين صديقين عزيزين يهمني الاحتفاظ بهما معاً. ذهبت وأنا ادعوا لله أن لا أجد عند حسين فوزي ما يعارض قراراتنا، التي اتخذناها قبل يوم واحد فاستقبلني بوجهه الباش وحميميته التي اعتاد أن يستقبلني بها.

فلما قدمت القهوة سألني حسين فوزي: ماذا وراك يا صلاح الدين؟

قلت: لقد أرسلني طه باشا إلى حضرتك يا باشا. وعسى أن ما نمي لسمعي مخالف للحقيقة، فأنتما عزيزان عندي معاً. لقد بلغ طه الهاشمي أنك تمانع في اشتراك نوري في الوزارة المقبلة، ولكنه لا يدري إذا كنت تقصده بذلك أيضاً.

سكت حسين فوزي ملياً، وحسين فوزي هادئ الطبع لا يدخن إلا إذا كان متأثراً. ونفض رماد سيكارته، ثم أجابني بكلمة موجزة ونبرة قاطعة:

- نعم يا صلاح الدين، وطه أيضاً.

- لكن كيف يكون ذلك يا باشا وبالأمر انتقنا على خلافه؟

- صلاح الدين، إن البلاد لن تستريح إذا بقيت بأيدي هؤلاء الرجال.

- ولكن طه ليس مثل نوري يا باشا، وقد وقعت الآن في محنة، لأنكما صديقان لي ...

فما أقول لطفه؟

- قل له ماقلته لك.

ودخل السيد علي أبو الماي (أو أخوه الدكتور)، وهو يمتّ لحسين فوزي بصلة القرابة، فقال له: - مرافق الوصي يطلبكم على الهاتف.

وبعد دقيقة عاد حسين فوزي فقال لي:

- الوصي يدعوني ياصلاح الدين، وسأذهب إليه الآن.

قلت: - وهل انقل لطفه قولك ياباشا؟

قال: - نعم ياصلاح.

وافترقنا وكان ذلك فراقاً بيننا إلى اليوم. وأسفني إذ خسرت صديقاً لم أر منه غير الطبيب، وفقدت قائداً انسجمت وإياه طوال الفترة التي عملنا فيها سوياً، في سبيل طه وحزب طه.

عدت إلى طه، وأنا أتأبط أسوأ الأخبار، وألعن الساعة التي غدوت فيها ضابطاً في جيش هذه البلاد، التي حارت بين الاستقلال والاستعمار، وأصبحت مسؤولاً وأنا في منصبي الممتاز، في دور يصعب التمييز فيه بين العدو والصديق. وفي الطريق قررت أن ألزم جانب طه، بعد أن خالف حسين فوزي وأمين العمري ما توصلنا إليه من قرارات، اتفقنا على التمسك بها بالأمس القريب.

نقلت له الفقرات الأخيرة من حديث حسين فوزي، نقلتها له بشكل مقتضب بدون أن اتطرق إلى ما دار بيننا من أخذ ورد بالتفصيل. فثار ثائر طه وقال وجهه يقطر غضباً:

- إذن لن تستقيل الوزارة، بل ستبقى في الحكم وأنا ذاهب إلى الوصي، وخرجنا معاً، أنا أقصد البيت، وطه قصر الرحاب. وفي الطريق ملت على دار فهمي، فأخبرته بما حصل وكان صبحي العمري حاضراً.

قال فهمي: هذا ما توقعناه، وستهب عاصفة أخرى، لن تقع عواقبها إلا على رؤوسنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

رافقتني صبحي العمري إلى داري وقال: أتريد أن أخبر مرافق الوصي عبيد المضايقي وأخبره بأن الجيش لا يتدخل في مسألة الوزارة.

قلت له: افعل.

فأخذ الهاتف وفعل، فرد عليه المرافق بأن رئيس أركان الجيش موجود عند الوصي. فلما قاربت الساعة الثامنة مساءً دق جرس الهاتف في بيتي، فجاءني صوت يقول:

- صلاح، أنا نوري. أرجو أن تأتي إلى داري حالاً. فالجماعة بانتظارك.

دخلت بيت نوري، رأيت اجتماعاً قوامه طه الهاشمي، واسماعيل نامق، وفهمي سعيد، وكامل شبيب، وسعيد يحيى الخياط، وكانوا جميعاً بانتظاري على أحر من الجمر، فبادر نوري بقوله:

- صلاح الدين، لقد قابل حسين فوزي الوصي، وألح عليه باسم الجيش أن لا يوافق على اشتراكي أو اشتراك طه في الوزارة. وقد طلبنا سحب استقالة الوزارة من لدن الوصي، لكن الوصي متردد من تدخل الجيش، فهل لك أن تذهب إلى الوصي، فتؤكد له بأن الجيش لا يتدخل في المسألة، وبأن مسعى حسين فوزي وأمين العمري ماهو إلا مسعى شخصي؟ أجبته: نعم أذهب.

فأخذ نوري الهاتف وحدث مرافق الوصي، وتلقى الجواب بالموافقة، وبأن الوصي بانتظاري.

وإذ أنا على وشك أن أغادر دار نوري، دخل صبحي العمري وقال بأن أمين العمري أصدر أمر الانذار لقطعات الفرقة الأولى، فقلت لصبحي: وكيف تركت كتيبته إذن، وكان عليك أن تبقى على رأسها، قال: لا بأس من ذلك، سأذهب بعد قليل.

وفي الوقت نفسه، حدثني أمر فوج الحراسة في وزارة الدفاع المقدم صالح زكي الطائي (١) فقال لي بأنه تلقى من أمين العمري أمراً بأن يكون في حالة الانذار، وعلى استعداد لتلقي الأوامر. فقلت له:

- أجل كن في حالة الانذار وعلى استعداد لتلقي الأوامر مني، لأنك مرتبط بي مباشرة لابقطعات أمين العمري، عليك أن تتصل بي، فلا تنفذ أمراً إلا بموافقتي. فأجاب: أملك. ورجوت من إخواني الحاضرين أن يكونوا جميعاً على رأس قطعاتهم، كما طلبت من صبحي العمري أن يكون على رأس كتيبته.

سألني الوصي عبد الله، إن كان رئيس الأركان يعبر في طلبه عن رأي الجيش أم عن رأيه الشخصي، فأجبته: لقد قرر الجيش أن لا يتدخل، وتوصل إلى هذا القرار باتفاق الاكثرية فاسألوا القادة الموجودين في بغداد إن شئتم.

(١) - المقدم صالح زكي الطائي صديقي منذ الصغر وصديق فهمي في الدراسة التحق بالجيش العراقي عام ١٩٣٠ أو بعد ذلك تاركاً خدماته في الجيش التركي، وهو في الموصل وفيها ولد، صالح زكي شجاع عربي الشعور، وأصله من قبيلة (طي).

سألني: - وما هو رأي القادة البعيدين عن بغداد؟

فأجبته: - ليتصل سموكم إذا شاء بأمين زكي قائد الفرقة الثانية في كركوك، ويقاسم مقصود قائد المنطقة في الموصل، وبإبراهيم الراوي قائد الفرقة الرابعة في الديوانية.

قال: - لا حاجة للاتصال بالديوانية والموصل، بل سأكتفي بالاتصال بأمين زكي في كركوك.

قلت: - أرجو أن تذكروا له ياسيدنا بأنني الآن عند سموكم، وأن تشيروا إلى اسم طه وتشرحوا له الموقف باختصار.

وإنما سألت الوصي أن يشير إلى اسم طه لأنني كنت أعلم أن أمين زكي لا يخرج عن رأي طه الهاشمي. ثم اتصلت بمعسكر الرشيد، ودعوت اسماعيل نامق إلى الحضور وفهمي معه.

واتصل الوصي بكركوك على مسمع مني، وكان جواب أمين زكي أنه يمثل لأوامر سموه، وأن مسعى حسين فوزي وأمين العمري صادر عنهما شخصياً، أما هو فلا يرى خيراً من طه الهاشمي لوزارة الدفاع.

ثم حضر اسماعيل نامق وفهمي سعيد، وكان معهما محمود سلمان على ما أذكر فتأكد الوصي منهما، ثم عدنا بعد ذلك إلى دار نوري، فما وصلناها، حتى كان الوصي قد استدعى نوري لمقابلته. وعاد نوري بعد نصف ساعة، فأعلن أنه سحب استقالته.

أغلب ظني أن رشيد عالي الكيلاني كان غائباً عن القصر خلال هذه المباحثات أو جالساً في حجرة أخرى. وأغلب ظني أن الوصي استدعى حسين فوزي مرة أخرى، وأخبره بالموقف، لكنه بقي على إصراره.

أخذ نوري يلح على طه بضرورة اجالة حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد، ونحن حاضرون.

ثم قال له أخيراً:

- أخي طه، إذا لم توافقني على هذا فأنا مغادر العراق في التو واللحظة. فما كان من الحاضرين إلا أن تدخلوا، ووقع طه على صورة المسودة التي طبعها أحمد المناصفي على الآلة الطابعة، ووقعها بعده نوري بصفته رئيساً للوزراء، ولا أدري من حملها إلى الوصي، أهو نوري أم طه، إذ أنني غادرت الدار إلى وزارة الدفاع.

رأيت صبحي العمري قد سبقني إلى وزارة الدفاع، وعلى وجهه إمارات الكآبة والخبية.

فسألته:

- مالي أراك هنا يا صبحي، لا على رأس كتيتك؟

قال: - عدت من دار نوري، فإذا بالكتيبة قد تحركت إلى معسكر الوشاش عن طريق الأعظمية بقيادة الرئيس محمود خورشيد (١) المعين في مدرسة الخيالة بأمر من أمين العمري.

قلت: وكيف يأتي ضابط من خارج كتيتك فيقودها من دونك، ويخرج أمرها من يدك: مع أنك أنت أمرها؟

قال: - ألا تعلم أن عيبي الكبير هو أنني سوري؟ وأن الدعاوة السيئة ضدي وضد محمود الهندي، تستند على هذا الأساس، فتجعلنا مكتوفي الأيدي دائماً.

لا أذكر من حمل لي الإرادة الملكية بإحالة حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد، فلما تسلمتها لم أطق صبراً، ولم استطع كتمان تأثري لإبعاد هذين الصديقين من الجيش، فحدث أمين العمري بالهاتف، وكان في داره محاطاً بجمع من الضباط الانتهازيين.

قلت: - أهذا ما كنت تسعى إليه يا باشا، لقد ناصبتنا العداء بين عشية وضحاها ونحن اخوانك، كي تحصل على قدم سنة وبضعة دنائير على راتبك. ها أنك قد أحلت على التقاعد، كما أحيل رئيس أركان الجيش، وهاهي الإرادة الملكية قد وصلتني الآن.

أجابني: - على التقاعد؟ ... سأريكم يا خدام عبدة الكراسي والخونة.

قلت: - أنكون اخوانك قبل يوم، ونغزو الآن خداماً لعبيد الكراسي؟ أسف جداً يا باشا، ولك أن تفعل ما تشاء، مادام هذا رأيك.

هرع أمين العمري إلى معسكر الوشاش ليقصفنا بمدافعه، ويثير حرباً بين الأخ وأخيه، وتبعه رئيس أركان الجيش، فما كاد يصل حتى تلقى من الوصي نبأ إحالته على التقاعد بالهاتف، فانسحب من المعسكر، وعاد إلى داره دون أن ينبس ببنت شفة، سوى قوله لمن كان حوله من الضباط «أردت الخير لبلادي والآن ينتهي واجبي» ذلك أن حسين فوزي نبيل في أخلاقه.

بقى أمين العمري مصرّاً يفاوض طه بالهاتف، وطه ينصحه ويهون الأمر عليه، وأنا أسمع ما يدور بينهما، وكان صوت أمين يخفت وحدته تخف، كلما انفض من حوله الانتهازيون

(١) - هذا الضابط كردي، وكان جندياً من جنود الليفي ثم نقلت خدماته إلى الجيش العراقي بعد أن رفع الانكليز رتبته إلى ملازم.

... متسللين إلى وزارة الدفاع ليسربوا أُمامي أَعذاراً منتحلة بعد أن يؤدوا تحية عسكرية رشيقة التطبيق. فمن قائل أنه لا يعلم شيئاً غير أنه تلقى أمراً بالحضور إلى معسكر الوشاش. ومن منتحل عذراً غيره من الأَعذار التي يتخلق بها المرتزقة وطلبة العيش بمختلف الوسائل.

وابتسمت بمرارة وأنا أسمع آخر شروط أمين العمري، وهو أن يحال صلاح الدين على التقاعد معه، فكأنه يعني اقتلوني واقتلوا مالكاً معي ... فلما رفض طه ذلك، تنازل وأذعن تماماً. وقد صغر أمين في نظري، لما سمعت شرطه الأخير هذا (١)

فالله يعلم، وهو شاهدي، أن تأثري بفقد هذين الصديقين الوطنيين، فاق كل تأثر، فقد كان إبعادهما عن الجيش، خسارة كبيرة، أورثتنا بغضاً جديدة، فوق بغضاء جميل وجماعته وزملائه وأمثاله. وبغضاء جماعة بكر صدقي من ضباط ووزراء. وشعرنا مراراً بالفراغ الذي أحدثه في صفوفنا ابتعاد هذين الصديقين، واسفت على ذلك مراراً.

لم يكن كل هذا في سبيل نوري الخائن، ولا في سبيل رأي نوري، كما قال أمين العمري، بل كان في سبيل طه ونزولاً عند إرادته. فقد كان علينا أن نختار بين طرفين، فرجّحنا طه لاعتقادنا بأنه أنفع للبلاد.

وفي ليلة واحدة نال نوري ما تمنّاه، وأثبت قوة مركزه لدى عبد الإله، وسطوة وزارته

(١) يعلم طه كما يعلم أمين بأن لي في ملفات الإدارة بوزارة الدفاع قدم سنة واحدة، بقيت محفوظة لئلا أتمتع بها كما أراد أمين أن يفعل. وكنت حاضراً عندما قال طه الهاشمي لأمين العمري في دائرته بوزارة الدفاع قبل هذه الحادثة بقليل أن تقديم الترفيع سنة واحدة يفيدني أنا أيضاً بقدر ما يفيد أمين. إذ يؤهلني إلى رتبة أعلى فوراً، لو أنني طالبت به وكان من حقي أن أفعل.

ولو أن الوصي عبد الإله وجميلاً الملقب بالمدفعي، راجعا مدة خدماتنا في الجيش ومقدار ما نملك من أموال بعد أن صودرت، ولو أنهما تذكرنا أولادنا الذين تركناهم وراعنا، لأننا لا نملك ما يكفيهم لو أخذناهم معنا، لكان خيراً لهما من التسرع ورمينا بالطمع والجشع.

ومن بعدنا أعطيت الرتب إلى غير أهلها بلا حساب، ومرافقا الوصي عبيد المضايقي وعبد الوهاب، خير مثالين على ذلك، لأن خدمتهما في الجيش العراقي لا تبلغ نصف خدماتنا أو ثلثها، ومن شاء الاطلاع على قابليتهما وثقاقتهما العسكرية، فليراجع سجلات الإدارة.

أما نحن، فلو جمعت أموالنا كلها، لما قومت نصف دار جميل الواقعة على دجلة في العواضية، وأظن أن جميلاً تأكد من ذلك بعد أن صودرت أموالنا. لذلك أصبحنا خونة طامعين وأصبح وطنياً أصيلاً ... وأصبحت (أنا الدخيل) غنياً.

وما أدانونا إلا ليستروا أطماعهم، وليمحوا كل سعي وطني، وليقضوا على كل عائق يقف أمام مصالح بريطانيا.

خلافاً لما كان يزعم من ضعفها. مما دل أن لنوري اتجاهات خفية غير هذا الاتجاه. أما رشيد عالي الكيلاني، فقد زاد إصراراً على إصرار بعد هذه الحادثة التي ذهب صديقه حسين فوزي ضحية لها، لأن رشيد، لا يرتاح لاشتراك نوري في وزارته. وأغلب الظن أنه كان على اتفاق مع حسين فوزي وأمين العمري بهذا الصدد، والله أعلم. ومن حق رشيد عالي أن يرفض رئاسة الوزارة، وأن يكتفي برئاسة الديوان الملكي، وهو يرى الذين آلت إليهم رئاسة الجيش من بعد حسين فوزي، قد أعلنوا ولاهم لطله الهاشمي، وطه معجب بنوري، لا يخرج عن امره. فإذا قبل رشيد عالي برئاسة الوزارة، أصبح العلوبة، يحركها نوري من وراء الستار، فيوجهه كما يحلو له وكما يختار.

وبعد يومين جاء إلى مقر عملي العقيد الركن (فريب)، وهو رئيس ركن الجنرال وتراوز، وكنا نتبادل الصداقة العربية البريطانية، فهنّاني ثم أشار إليّ بسبابته، وقال:

-أنتم... أنتم...

قلت: -مالك يا فريب وعلام تهنّني؟

فهز رأسه وهمهم ثم قال: كان قد نمي إلينا أن بمقدوركم أن تفعلوا ما تشاؤون، لكننا لم نكن نتصور أنكم تتقنون حرب الصاعقة بهذه السرعة، فلا ينبج الصباح حتى تكون الغيوم قد انقشعت، والأمطار قد انقطعت، والجو قد راق بعد أن كان مكهرباً. أين حسين فوزي وأمين العمري وعزيز ياملكي؟

فاجبت: وأنا أئساع مثلك... عليك بوزير الدفاع، وبرئيس الوزراء نوري، فاسألهم عنهم. قال: -نحن على بينة من الأمر، ولكن ليكن كما تشاء...

كان السرور ظاهراً على العقيد فريب، وكذلك كان رفاقه. ولطالما شعرت بالأسف لذلك. وفي اليوم نفسه، جاء محمود سلمان قائد القوة الجوية، ومعه فهمي، فقال لي ضاحكاً: أتدري ما لقبنا عند الانكليز؟

قلت: -لا

قال: -انه «المربع الذهبي المتوج» (١)... يقصدون بالمربع، نحن الأربعة، وبالتاج، طه الهاشمي.

سألته: -ومن قال لك ذلك؟

قال: -العقيد (كالي) مفتش القوة الجوية، قال لي هذا الصباح «كنا نتوقع أن يكسب المربع الذهبي وتاجه المعركة، وأن يفعل مايريد، متى شاء».

كان محمود يحدثني مبتسماً، وكان فهمي يضحك مما يسمع، فقد تقبلاً أقوال الإنكليز على ظاهرها وببساطة، أما أنا فتقبلتها باشمئزاز ومرارة.

قلت: ومتى كان الذهب عندنا؟ لله در الإنكليز ماأدهاهم، رد الله كيدهم إلى نحورهم، فما قولهم هذا إلاّ سهماً صوبوه إلينا. انهم يطعنون بنا يا محمود، ولايمتدحوننا بهذا اللقب. وقانا الله شره.

ونقل محمود حديث اللقب إلى طه ونحن عنده نضحك.

لكن هذا اللقب نشر في الجرائد وتردد في الاذاعات البريطانية، بعد أن اعتدى الانكليز على حقوق العراق. وترجمت عبارة «المربع الذهبي المتوج» بعبارة اخرى هي «حاملو اكياس الذهب»!

-الوطنية والاستعمار لا يتلفان، ولا يجتمعان في مكان إلا ويصطدمان-

ملحق رقم -٢-

بعد أن استقالت وزارة جميل المدفعي، اتفق كل من نوري وطله ورستم، على تحويل الجيش صلاحية ابداء الرأي في كل أمر يتعلق باستقالة الوزارات، وقيامها، وفي انتقاء رؤسائها. وكان نوري يقول، أنه إنما خولنا هذه الصلاحية لأننا نحن الأربعة، وإخواننا في الجيش، تحملنا جميع المصاعب، ووقفنا أمام جميع التيارات، بصدر رحب. إلا أن حقيقة ما كان يدور في خلد نوري، هو ابقاؤنا آلات في يده، لأن طه الذي نتمسك به كان مأخوذاً بسحره. لذلك كان نوري يجمعنا سرّاً بدون علم حسين فوزي وأمين العمري، لابل إنه أخفى بعض اجتماعاتنا عن طه بالذات. فكنا نحيط طه علماً بها، على الرغم من نوايا نوري الخفية.

فلما تقدم نوري باستقالته، جمعنا حسين فوزي في داره، استناداً إلى قرار نوري وطله ورستم الأنف الذكر، وكان المجتمعون هم أمين العمري واسماعيل نامق وإبراهيم الراوي وفهمي سعيد وكامل شبيب وعزيز ياملكي وصلاح الدين الصباغ. وجرى الاتفاق، على أن تكون أصواتنا حرة، لا تتأثر بالمنصب والرتبة، كما هو الأمر في القواعد العسكرية، التي تقضي بإعطاء الكلمة للأمر، وفرض الطاعة على المأمور. فيكون لكل عضو من المجتمعين صوت واحد، بدون تفريق بين رئيس ومأمور، كذلك جرى الاتفاق، على أن يعطى كل قائد، يوجد في بغداد عندما تعقد مثل هذه الاجتماعات، حق الاشتراك بها، وإعطاء صوته. وهكذا أصبح رأي اكثرية هؤلاء الاعضاء هو رأي الجيش.

الملحق رقم - ٣ -

العميد طه الهاشمي واسماعيل نامق وكامل شبيب وفهمي سعيد ومحمود سلمان وسعيد يحيى الخياط، جميعهم يشهدون، كيف كان نوري يتوسل الينا، لابل يلح علينا، أن نفتح رشيد عالي الكيلاني بقبول رئاسة الوزارة.

وكان طه يؤيد فكرة نوري هذه، رغم معارضتنا لها، بدعوى ضعف الوزارة بعد رستم. وكان فهمي معارضاً قوياً، يترك العشاء ويغادر الاجتماع، دون استئذان.

كانت هذه الحادثة هي السبب في احالة حسين فوزي، وأمين العمري على التقاعد، فاصبحنا ضحية لأكعوبة نوري، المقررة في صلب الخطط البريطانية. وكان نوري يزعم أنه سيصبح مطلق اليد بعد إزاحة هذين الرجلين من طريقه، وأنه ستخلو له الدار.

نعم يانوري، لقد ضعفت وزارتك بعد اغتيال رستم حيدر. فقد كان رستم حيدر ضحيتك، وضحية الوصي، بسبب اطلاعه على تفاصيل مقتل غازي، وبسبب اطلاعه على دسائسك التي أقرها أسياذك في خططهم. كان لابد من اغتيال رستم حيدر، لأنه حدث صلاح الدين الصباغ، وقص له نبذاً عن اجرامك يانوري. ومنها تلك الأمور التي اعترف بها قاتل رستم حيدر، وهو عند المشنقة يصيح: «أين الوعد يانوري .. لقد وعدتني بخير الجزاء .. أهذا جزائي بعد أن قتلت رستم؟» إنك أنت القاتل يانوري، ليس القاتل ابراهيم كمال ولا صبيح نجيب. إنك أنت القاتل، لأنك شريك القاتل. ويشهد سعيد يحيى الخياط ومن كان معه، أنه لما وضع حبل المشنقة على عنق القاتل أخذ يصيح: «نوري، نوري، نوري، لقد خدعتني يانوري، وعدتني بأن تنقذني يانوري، يجب أن تشنق معي يانوري، لأنك شريكي».

ما أكثر العرب الأحرار الذين أرقت دماهم يانوري، إن أرواحهم لتلعنك وتلعن ألك. وما زال أكثر العرب الأحرار الذين سوف تريق دماهم يانوري، ما زال أسياذك هم الانكليز، وما زال عمالك هم الانانيون، الفرديون، الخائنون.

في الصحافة

كتب السيد علي محمود الشيخ :

٢ تشرين الأول سنة ١٩٤٥ - في الساعة الرابعة بعد الظهر من اليوم الأول من تشرين الأول سنة ١٩٤٥ شوهد المقدم عبد القادر حسين أمر معتقل ابي غريب، ومعه عدا سيارته، سيارتان عسكريتان مشحونتان بكوكبتين من الجنود المتفقيين من الحرس الملكي في طريق الفلوجة ميممين شطر الرمادي، ولم يعرف أحد بالضبط الهدف الذي يهدفون اليه. وفي اليوم الثاني جاء الجند الموكلون بحراستنا وهياؤا غرفة كانت خالية لضيف جديد قيل أنه صلاح الدين الصبّاغ الذي نشرت إحدى صحف اليوم أن الحكومة التركية قررت تسليمه الى الحكومة العراقية. ان هذا الخبر سبق أن سمعناه من قبل، حين همست الأوساط العراقية بعد عودة عبد الاله ومروره بتركيا بزيارة رسمية لها حيث أنه فاتح بشخصه رئيس الجمهورية التركية بشانه وأنه كان قد وعده بتلبية رغبته تدعيما للصلات الودية بين البلدين وإلى اليوم لم نسمع شيئا، ولم نر شيئا، وإن كان من المحقق لدينا أن صلاح الدين اليوم، أما أنه في يد الحكومة البريطانية في سوريا، وأما أنه في يد الحكومة العراقية. وقضية التسليم لاتخلو من أما أن تكن مقيدة بشرط الابقاء على حياته وأما أن لاتكون... ففي الأولى لا يكون الشرف التركي معرضا للخطر، وإن كان العمل من شأنه أن ينقص من بهائه

وروعته، ولكن في الحالة الثانية تكون تركيا قد داست بقدمها على شرفها بتسليمها لاجئا سياسيا الى المشتقة، وما أدرانا فلعل مقاييس الأخلاق قد ضاعت من النول كما قد ضاعت من الأفراد...

٤ تشرين الأول سنة ١٩٤٥ - في مساء أمس شهود المقدم عبد القادر حسين في بغداد حيث عاد من سفرته من نون أن يكون مع صلاح الدين - وفي صباح هذا اليوم نشرت بعض الصحف ومنها صحيفة الساعة - و - النداء - أن السلطات التركية سلّمت الى بريطانيا في حلب العقيد صلاح الدين الصبّاغ أحد أتباع رشيد عالي والذي له ضلع كبير في ثورة العراق عام ١٩٤١، أما جريدة - الأخبار - فإنها علقت على الخبر بقولها أن السلطات العراقية قد تسلمت العقيد منذ يومين، وأما جريدة البلاد فقد نشرت البرقية هذه مضافا اليها العبارة الآتية: وعلى أثر اجتياز الحدود السورية فقد اختفى العقيد، وقد أعلنت مكافأة مقدارها ٥٠٠ جنيه لمن يعطي معلومات تؤدي إلى القبض عليه، إن مصدر البرقية دمشق. فيرى مما تقدم أن الأقوال بشأن تسليم العقيد واختفائه متضاربة ولا بد أن الأيام المقبلة ستكشف لنا عن السر.

٦ تشرين الأول سنة ١٩٤٥ - عادت الصحف المحلية وأعلنت أن السلطات المختصة قد عثرت على العقيد صلاح الدين وأعادته اعتقاله وأنها معزّمة تسليمه الى السلطات العراقية في أقرب وقت.

٧ تشرين الأول سنة ١٩٤٥ - بعد ظهر اليوم جي بصلاح الدين.

هبّطت طائرة بريطانية في مطار الحبيّانية الانكليزي وكان من جملة حمولتها هو وحراسة الانكليز، والسيد أحمد الراوي وزير العراق المفوض لدى الحكومتين السورية واللبنانية، ومن هناك استلمته قوة عراقية مؤلفة من الحرس الملكي بقيادة عبد القادر حسين وعند استلامه خلع الجند ملبسه والبسوه ملابس السجناء وقيدوا رجله ويديه وعصبوا عينيه.

١٢ تشرين أول سنة ١٩٤٥ - في ظهر هذا اليوم زار المعتقل مدير السجن في بغداد يصحبه طبيب السجن وقد زارا صلاحا في غرفته كما أنهما قد جاءا بكمية من الغذاء له، وقالوا ان الغذاء سوف ترسله ادارة السجن له يوميا.

١٦ تشرين أول سنة ١٩٤٥ - انتهى في فجر هذا الصباح صلاح. ولكن ذكره سوف تبقى عالقة في أذهان الأجيال القادمة.

ومنذ أن حلّ بين سمعنا ويصيرنا لم يلاق من القائمين بالأمر الا عنقا وارهاقا. ان البناية التي نقيم فيها قديمة خربة وأكثر غرفها لاتصلح للسكنى، صحيح أن بعضها قد رمم أخيرا، ولكن هذا البعض هو الذي نقيم نحن فيه بالفعل، أما الذي بقي خاليا فقد ظل على قدمه وعلى خرابه، وفي هذا البعض القديم الخرب خصصت غرفة الى صلاح ليقتضي بها أخريات أيامه.

نام على الأرض الا حصيرة كانت متروكة لدى الشايندر، وأغطية بالية قدرة مدت عليها، وبطانيتان مهلهلتان التقطتا من هنا ومن هناك، هذا كل فراشه في غرفة فيها نافذتان صغيرتان في أعلى جدرانها، عاريتان من الزجاج، وبين الجدران والسقف فجوات كبيرة تضطرب فيها الرياح حرة طليقة.

لم يحلق في غضون الأيام الثمانية الا مرة واحدة تحت اشراف عريف السجن ولم يسمح له أن يستحم ولا مرة واحدة برغم طلبه المتكرر.

وإن يديه ورجليه كانت مفلولة ولم تفك عن يديه الأصفاد الا في فرصة تناوله الغذاء، لم يبرح غرفته ولم يعرض نفسه لأشعة الشمس ولا لحظة واحدة، مع أن المحكومين بالاعدام لهم في كل يوم ساعات معينة يسمح لهم فيها أن يتنفسوا الهواء الطلق، ويعرضوا أبدانهم لحرارة الشمس ولكن صلاحا، الصبور القوي الإرادة لم يأبه لهذه التوافه وكان يتلقى الصدود

من تلبية مطالبه بشجاعة قلب ورياسة جاش.

كنا كلما تمر الايام كلما كان اعتقادنا بنجاته من الموت يزداد لأن رفقاءه من قبل لم يمهلوا أكثر من سبع ساعات بعد نطق المحكمة بالحكم، وإذا كان قد تأخر تنفيذ الحكم في كامل الشبيب عدة ثلاثة أيام فذلك لأن الأمير كان في الصيف ولم يصل بغداد حتى أصدر إرادته بالتنفيذ وسرعان ما نفذ في الليل، وفي أول ليلة يستقبل بها المسلمون شهر رمضان المبارك، فمرور الأيام اذن من دون أن نحس أن فيها حركة تشير الى تنفيذ الحكم برغم وجود الوصي في العاصمة كان علامة خير. سيما إذا أضيف الى ذلك احتمال أن تركيا لم تقدم على تسليمه الا بعد أن أخذت ميثاقا من الحكومة العراقية على أن تبقى على حياته.

ولكن في مساء أمس تبددت كل هاتيك الظنون والأمال.

لقد تبين أخيرا أن سبب التأخر لم يكن الخلاف على التنفيذ أو عدمه، وإنما على كيفية التنفيذ، ثم تغلب الرأي الأخير وتقررت علانية التنفيذ.

وفي المساء أعطيت لأصلاح أوراق ليكتب فيها وصيته.

ولما كان الوقت ليلا ونظره لايساعده على الكتابة فقد أملى وصيته التي استغرقت صفحتين كبيرتين كاملتين على الملازم عدنان محي الدين.

ونظرة واحدة الى مندرجاتها تبين مبلغ متانته واحتفاظه بهويته ورضانته، فقد كانت عباراتها متناسقة ومعانيها منسجمة والروح التي أفرغت فيها عالية سامية.

انه خاطب فيها أبناءه أن ينشأوا على الفكرة القومية، وأنه لطفهم بعبارات رقيقة في شيء كثير من الدعاية والمرح، وأن لا يدخلوا المداخل التي حرمتهم من عميدهم من لون أن يفيد منهم أو يفيدوا منه. انه شدد من عزائمهم وأمرهم بأن لا يئاسوا من رحمة الله ولا من عطف رجالات العرب في

المستقبل، وأنه في الأخير أعلمهم بأن ميته شريفة ومن أجل أغراض شريفة
وغايات نبيلة، ثم أنه نصحهم بأن لا يقيموا في العراق، وأن يختاروا صيدا
مقاما ومستقرا.

ومن بعد ما أنهى وصيته طلب مقابلة الوصي للمرة الأخيرة فأسعف
طلبه وأخذ إلى قصر الرحاب وظل هناك ما يقارب الساعة ثم أعيد إلى غرفته
وكانت المقابلة غير مجدية.

وبعد أن استقر في غرفته دخن سيكارة واحدة ثم استسلم لنوم
هاديء هنيء كان لم يكن هناك شيء ينتظره.

لقد عمنا الحزن والأسى على مصير فتى من فتيان العرب لم يفكر إلا
في حرية وطنه. ولم يكن يعمل إلا لخير القضية التي استشهد من أجلها
الكثيرون من قبل.

زمن تنفيذ الإعدام

في الساعة الثالثة أيقظه الحراس، وطلبوا إليه أن يتهيأ لمغادرة
المكان، طلب اليهم أن يمهله دقائق معدودات ليتوضأ ويصلي فلم يمهله،
والتمس منهم أن تعطى له فرصة خاطفة لتوديع رفقاءه الذين حلوا في هذا
المعتقل فلم يسعف.

أعجلوه في ارتداء ملابسه ثم عصبوا عينه ثم أحاطت به كوكبة لتقوده
إلى السيارة التي نقلته رأسا إلى نيابة وزارة الدفاع في بغداد. ولما نزلوا
به إلى الأرض وأدعوه في غرفة من الغرف القريبة من الباب وهناك رفعوا

عن عينيهِ العصابة ونزموا من رجليه القيود وأصلحوا ربط يديه استعدادا
للشنق في محضر من بعض الضباط.

وحين شعر بأن الشنق سيكون علنا أبدى أسفه بكلمات نارية.

لم يطلب شيئا ولم يختلف وضعه ولم يفتل توازنه.

وأوصى بأن يكون مرقده الأخير مع مراقب أخوانه الذين سبقوه في
الشهادة وبعد أن شرب كوبا من الماء تقدم إلى المشنقة بقدم ثابتة وإرادة
تقدر معنى الرجولة والشرف والتضحية في سبيل المبدأ الكريم.

لم تُجرَ له المراسيم الدينية حيث لم يُحضرُوا له عالما دينيا يقوم بهذه
المهمة. ولم يأتوا له بابنه نزار الذي مازال معتقلا في سجن الكوت ليقابل
أيام المقابلة الأخيرة وكان من الميسور استقدامه إلى بغداد وهذه ليست مئة
وإنما هي واجبٌ قانوني.

في تمام الساعة الرابعة علا المشنقة التي كانت قد نصبت في باب
وزارة الدفاع ولم يرفع إلا بعد أن دقت الساعة التاسعة، وبعد أن مر أمامها
الوصي في موكبهِ إلى البلاط، لقد اجتمع حول جذعه خلق كثير أكثرهم
حزاني. وهكذا القدر قد كتب في لوحه أن صلاحا يهوى العلا في الحياة
وفي الموت، ففي ذمة الله والتاريخ.

علي محمود الشيخ

ثالثاً

كيف وافق الكيلاني على تأليف الوزارة

رئيس الوزراء ووزير الداخلية بالوكالة



رشيد عالي الكيلاني



وزير الخارجية * موسى الشابندر



وزير الدفاع * ناجي شوكت



وزير العدالة * علي محمد الشيخ علي



وزير المالية * ناجي السويدي



وزير المعارف * محمد حسن سلمان



وزير الشؤون الاجتماعية * رؤوف البهراني



وزير الاقتصاد * يوسف السماوي



وزير المواصلات والاشغال * محمد علي احمد

وزارة الكيلاني

- رأي الكيلاني -

سكت نوري عن نغمة استقالة وزارته زمناً، أنجزت خلاله بعض التعديلات في قيادة الجيش: فقد أسندت وكالة رئاسة أركان الجيش، لأمين زكي الذي كان قائداً للفرقة الثانية. لأن النظم العسكرية لا تسمح باسناد هذا المنصب أصالة إلا للضباط الأركان، وأمين زكي ليس منهم. وقد رشحه طه، لأنه كان يتلو حسين فوزي في القدم، بين القادة الذين بقوا على رأس الجيش، كما أن طه كان يعتمد على أمين زكي فأتار ذلك امتعاض ابراهيم الراوي، الذي كان يتوقع أن يكون هو المرشح للمنصب باعتباره أقدم ضابط ركن بعد حسين فوزي أما أمين زكي واسماعيل نامق، فإنهما ليسا من الضباط الأركان، وإن جاء قدمهما بعد حسين فوزي مباشرة. وبقي ابراهيم الراوي يعاتبنا على ذلك، واسندت قيادة الفرقة الثانية إلى قاسم مقصود، الذي كان أمراً لمنطقة الموصل.

واسندت قيادة الفرقة الأولى التي شغرت باحالة أمين العمري على التقاعد، إلى كامل شبيب الذي كان أمراً للواء الأول في الفرقة الثالثة.

ولم يمض زمن على هذه التقلات، حتى دعاني طه، وقال لي، أنه يرجح أن أتسلم قيادة الفرقة الثالثة، وهي والفرقة الثانية أقوى فرقتين في الجيش، من حيث العدة والعدد (التسليح والموجود). فرجوت من طه أن أبقى في وظيفتي مديراً للحركات، ومعاوناً لرئيس أركان الجيش، لأنها أعم من قيادة الفرقة، ولأنني أشرف بواسطتها على شؤون الجيش بمجموعه، وعلى حركاته كلها. فابتسم طه وقال: «أنا أسد فراغك، وأريدك أن تكون على رأس الفرقة» فلم أجد بداً من الازعان، بينما كان الكثير من اخواني، يفضلون لي البقاء في منصبي، لأشرف على الجيش كله.

واسندت مديرية شؤون الدفاع إلى اسماعيل نامق. وقد استحدثت هذه الوظيفة، للإشراف على دائرتي الإدارة والميرة، في وزارة الدفاع

. كان من نتيجة هذه التقلات، أن ارتفعت سيطرة طه الهاشمي على الجيش إلى الأوج، وصار القادة جميعاً رهن اشارته. ولكن طه، كان مأخوذاً بسحر نوري، فكأنهما كانا متعاهدين على الأخوة.

وما أنجزت هذه التعديلات، واطمأن نوري على الموقف، حتى عاد إلى موضوع استقالة الوزارة، وأخذ نوري وطه والوصي، يرددون ويعيدون، أنه من الضروري أن تؤلف الوزارة برئاسة رشيد عالي الكيلاني. ولكن الكيلاني، كان يصر على الرفض ولا يلين. فما كان من

نوري، إلا أن راح يطلب إلينا، أن نזור رشيد عالي الكيلاني، ونقنعه بقبول رئاسة الوزارة، وكان يقول أنه وطه سيكونان مع رشيد على اتفاق تام، وأنهما حريصان على تجنب الاختلاف بينهما وبينه. فكنا نذعن لرغبتهما تارة، ونتردد تارة أخرى، تاركين التقرير لهما، كي لا نشرك في المسؤولية.

وأخيراً، تولى المفتي اقناع رشيد عالي الكيلاني، ولست أدري من الذي استعان بالمفتي، ليقوم بهذه المهمة، أهو نوري أم طه. وجمعنا المفتي في داره وراح يقنعا بأن رأي الكيلاني سيكون موافقاً لرأينا ورأي طه تمام الموافقة. وبأن الكيلاني سيكون معنا قلباً وقالباً، وأن تولى رشيد الكيلاني لرئاسة الوزارة، سيؤمن للبلاد حكومة قومية وطنية، تستطيع الوقوف أمام التطورات العالمية، ومعالجتها. ويريد الكيلاني مقابل ذلك، أن يتأكد من مساندة الجيش له، وأن تكون يده مطلقة في إدارة دفة الحكومة، لأنه لا يطيق أن يكون العوبة بيد الغير.

ثم جمعنا المفتي مرة أخرى، وكان رشيد عالي حاضراً، فقال: - إخواني، أنا واثق من وطنية الجيش الجارفة، وثقتي هذه، هي التي تجعلني أفضل البقاء في البلاط الملكي، على تولى رئاسة الوزارة. ثم إنني مطلع على بعض المسائل المراد حلها بما لا يتفق مع رأيي، مما سيدفعني إلى الاستقالة كرهاً أو بالقوة (١) - أو إلى النزول عند إرادة أحد أعضاء الوزارة، فتهدر بذلك كرامتي وتضيع سمعتي في الأمة والجيش. وأنا واثق كذلك من استقامة طه ووطنيته، وطه أخي، لأنني أخويس الهاشمي. لكنني مع ذلك، أريد منكم عهداً تقطعون على أنفسكم، بأن تلتزموا جانب الحق، وأنا مستعد للإصاخة إلى الحق، وللنزول عند رأيكم، عندما أزوج عن الحق.

لكل وزارة خطة تنظم سيرها، ورئيسها هو المسؤول الأول عن ذلك. والخطة الرئيسية التي أريد أن تسير عليها وزارتي بمثل ظروف الحرب الحاضرة هي:

- ١- المحافظة على صلاتنا التقليدية مع الانكليز، على أساس المعاهدة العراقية الانكليزية.
- ٢- عدم التساهل تجاه المطالب الانكليزية، التي تخرج عن نصوص المعاهدة، إلا ما كان فيه مصلحة مشتركة للطرفين، بالنظر لما تتطور إليه حالة الحرب، أو كان فيه ضمان لاستقلال العراق الناجز، ووحدة العرب واستقلالهم، خاصة فلسطين وسوريا، على أن تعطى في ذلك عهد ومواثيق رسمية.
- ٣- تزويد الجيش العراقي بالسلاح من أي مصدر كان، وعدم التردد في هذا الأمر أبداً،

(١) - كان الكيلاني يغمزنا بقناته.

مادام الانكليز لا يتمكنون من تجهيزنا بما نحتاج إليه من سلاح.

فجيشنا بحكم الأعزل، لأن سلاحه القديم لا ينفع في الحروب العصرية، بينما يجب أن يكتمل في هذه الآونة تسليحه، وأن يقف على أهبة الاستعداد.

٤- النظر في أمر إعادة الانتخابات العامة، على أساس يؤمن للمجلس النيابي أعضاء أحراراً، يمثلون الأمة ويعبرون عن رأيها، لا عن رأي الحكومة التي تكون في دست الحكم، ولا يكتفون برفع الأيدي بالموافقة دون مناقشة.

على هذه الخطة، أريد أن أسير، ولن أحيد عنها قيد شعرة، فإذا اتفقت معي فهذه يدي أمدها لكم، وسماحة المفتي هو كفيلي، وإني أقسم على ذلك، مقابل عهدكم لي بأن تلتزموا جانب الحق. إن الوصي ونوري، وطه، اتفقوا معي على هذه الأسس، فإذا توثقت منكم وقطعت لي عهداً بأن تلقى هذه الخطة تأييدكم فإنني سأقبل رئاسة الوزارة حالاً، متكللاً بعد الله عليكم.

قال فهمي: رشيد بك. لسنا صنائع بيد أحد، كما يظن بعض رجال العراق مع الأسف، فسر على بركة الله وفق الخطة التي رسمتها، تجدنا معك لا كأخوان فحسب بل كخدم. ونحن هذا رأينا مع كل من يقول قولا، ويقرن القول بالعمل، ولا يبتغي غير مرضاة الله وخير الأمة. وهذه أيدينا، والله يشهد على مانقول، إننا سنؤيد كل سائر على هذه العقيدة، مترفع عن استغلالها لنفعه الشخصي وأنايته.

كانت هذه أول مرة نقابل فيها رشيد عالي الكيلاني، وقد أطلعنا فيها على رأيه وأطمأنت إليه نفوسنا.

تألفت برئاسة رشيد عالي الكيلاني وزارة قومية قوية، قلما شهد العراق نظيراً لها في عهد فيصل الأول، ولم يشهد مثلها بعد ذلك العهد أبداً. فقد اشترك في هذه الوزارة، أربعة من رؤساء الوزراء السابقين، هم ناجي السويدي، وناجي شوكت ورشيد عالي الكيلاني، ونوري بن سعيد. وأربعة آخرون من الوزراء السابقين، هم طه الهاشمي، ورؤف البحراني، وعمر نظمي، وصادق البصام. ومما يلفت النظر من حيث الانسجام بين أعضاء هذه الوزارة، أن ناجي السويدي وناجي شوكت، اشتركا في الوزارة، بترشيح رشيد عالي الكيلاني. وأن صادق البصام وعمر نظمي، اشتركا فيها بترشيح طه الهاشمي. أما رؤف البحراني فله مكانة واحدة عند الطرفين، لأنه من إخوان يس الهاشمي، مثل رشيد عالي الكيلاني. ولما كان رشيد وطه، متقاربين في الرأي، لذلك بقي نوري وحيداً في رأيه، الذي يتضارب مع رأي الإثنين

الآخرين. كان على نوري أن يجد لنفسه مخرجاً، من هذا المأزق الذي أعده بإرادته وإختياره، وكان أمام ثلاثة حلول:

١- أن ينجح في إقناع هذه الوزارة، لتتبني رأيه وتطبق ما في جعبته من أفكار ومشاريع. فيحرز بذلك توفيقاً مابعد توفيق، وينال ما يطمناه على يد أقوى وزارة شعبية قومية، يخضع لنفوذها، ويشد أزرها أفراد الشعب، وقادة الجيش جميعاً (١).

٢- أن يستخدم صداقة طه، التي يتمسك بها لإثارة الخلافات، وتمزيق الانسجام بين اعضاء الوزارة، وبذلك يحطم سمعة آخر من بقي من الوزراء الوطنيين، الذين يطمئن اليهم الجيش، ويدفع الجيش إلى اسقاط وزارة رشيد، ويكون ذلك سبباً في قيام بغضاء جديدة، ضد قادة الجيش وتحميلهم ضغائن أخرى. فلما يفقد الجيش أصدقاءه جميعاً باستثناء نوري، يبرز هذا الميدان، ويجعل من الجيش، ومن طه، آلات بيده، ويطبق ما يريده بقوة الجيش الخاضع لإرادته.

٣- أن ينشق الجيش على نفسه، ويتخلص نوري من كل قائد يعترض سبيله.

(الوطنية والاستعمار لايتلفان ولا يجتمعان في مكان إلا ويصطدمان)

(١) لجأ الانكليز إلى تدبير مماثل في مصر بوضعهم النحاس على الحكم. وعلى الرغم من حرجة موقف النحاس والجيش البريطانية تملأ أرجاء مصر فإنه لم يقطع العلاقات مع دول المحور فوراً، كما أنه لم يفعل ذلك بالاسلوب الديكتاتوري الذي لجأ إليه نوري بن سعيد، بل إن النحاس لم يعلن الحرب على دول المحور أصلاً.

وهكذا تمكن النحاس أن يسير بمصر إلى ما يرضيها ويرضي الانكليز لأنه لم يكن مقيداً برجل مثل نوري. فإن الله لم يبذل مصر برجل يتمتع عند الانكليز بمثل مكانة نوري سعيد.

ملحق رقم -٤-

بدأ اتصالنا برشيد عالي الكيلاني بواسطة المفتي، وتطور ببطء من التعارف السطحي إلى الاطمئنان والثقة، بفضل حسن الخلق وطيب المعشر اللذين يتمتع بهما المفتي. ولقد وقفنا على سير وزارة رشيد باتصالنا به، وأطلعنا على مايدور في خلد أعضائها من وجهات النظر- ولما كنا على اتصال بالوصي عبد الاله وبنوري، على سابق عهدنا معهما، وعلى اتصال بطة أيضاً، فقد تمكنا من المقارنة بين مانسمعه منهم، ومن تمييز الغث من الثمين مما يخالج نفوس هؤلاء السادة الأربعة، وكشفنا عن ثعلبيات نوري المنطوية بين التلافيق والتعاريج.

ويمتاز رشيد عالي الكيلاني بالسرعة في اتخاذ القرارات وتنفيذها، فهو لا يتردد في التمسك بكل تفسير للمعاهدة العراقية البريطانية، يعود بالنفع على الجانب العراقي، مما كان قد تأجل تطبيقه لسبب ما. أما نوري، فكان يفسر المعاهدة وكأنه يمثل الجانب البريطاني، ولا يطبق تفسيراً للمعاهدة، إلا إذا رضي الانكليزيه.

وقد عرف رشيد عالي الكيلاني بالجرأة، وبسرعة اتخاذ القرارات وتنفيذها. وماضي رشيد يؤيد هذا. ومن ذلك أنه حوّل بكر صدقي، الصلاحية التامة للقيام بأعمال زجرية قاسية، لقمع حركات الآشوريين، غير مبال بغضب الانكليز، وعصبة الأمم. كما بلغتنا عنه أمور أخرى، تأكدت لنا صحتها، بعد أن اتصلنا به، إثر تسلمه رئاسة الوزارة، فكان ذلك عاملاً هاماً، دفعنا إلى الاطمئنان إليه والثقة به.

ومن الأعمال التي شرع بها رشيد، خلال فترة الهدوء التي سبقت اصطدامه بالوصي وبنوري، الاهتمام بتسليح الجيش. فقد اطلع رشيد على طلبات الأسلحة المقدمة للمصانع البريطانية، فأهمل أمرها وبقيت دون تسديد. وتأكد لديه أن الانكليز يماطلون، وأن مماطلتهم باقية، إذ جعلوا العراق في آخر القائمة، فيأتي دوره بعد فنلندا وتركيا واليونان ومصر، وكل الدول الأخرى، وأدرك الكيلاني، أن بريطانيا، قرّرت أن يبقى الجيش العراقي أعزل من السلاح، خلال هذه الحرب، لأنها لا تريد أن يكون على شريان مواصلاتها، جيش مسلّح، مدرب، يتوق إلى الاستقلال والوحدة، ويعرف من هم الذين غصبوا حقوق العرب.

لذلك دعاني رشيد إلى داره ذات مساء، وكنت آنئذ قائداً للفرقة الثالثة، فوجدت عنده القائم بأعمال السفارة الإيطالية ومترجم السفارة، وكان الحديث يدور حول تزويد الجيش

العراقي بالأسلحة اللازمة، لأن المعاهدة العراقية تجيز للعراق أن يشتري السلاح من دول أخرى، عندما تعجز المصانع البريطانية عن ذلك.

وسألت الايطالي، عن الطريق التي يمكن بواسطتها نقل السلاح، وتسليمه للعراق، أجاب: «إذا لم تحدث صعوبات، فإنه بالإمكان تسليمها عن طريق سوريا من قبرص» وفي اليوم التالي قدّمت لرشيد قوائم بأسلحة تكفي لتجهيز أربعة فرق من المشاة بكامل معدّاتها، وما يلحقها من تشكيلات الدبابات والتمتات، مضافاً إليها النسبة المئوية للاحتياط.

وبعد مدة غير قليلة، دعاني رشيد إلى داره مرة أخرى، فوجدت عنده هذه المرة القائم بأعمال السفارة اليابانية، والملحق العسكري في طهران. ودار الحديث عن الأسلحة أيضاً. ثم قدّمت له في اليوم التالي، صورة عن القوائم التي قدمتها في المرة الماضية، مع بعض الاضافات. وقد طرح الملحق العسكري على رشيد عالي سؤالا، حول طريقة اصال الأسلحة إلى الموائى العراقية، بدون علم الانكليز، الذين يفرضون رقابتهم على البحار. فأجابه رشيد، بأن العراق لا يأتي بما يوجب تدمر الانكليز، لأن ما نطلبه منكم، لا يخرج عن نصوص المعاهدة المعقودة بين الطرفين. وإننا بعد وصول الشحنة إلى الموائى العراقية، سنأخذ على عاتقنا تدبير الأمر، وأما ماعدا ذلك فتدبيره عليكم.

كان المفتي الحسيني، قد وجه إلينا نحن الأربعة سؤالاً، في أحد اجتماعتنا به، أيام كان الموقف متّزماً بين رشيد من جهة، وبين نوري والانكليز من جهة أخرى، قبل أن يلجأ الوصي، إلى إجبار الكيلاني على تقديم استقالته. سألنا المفتي: «ماهي درجة مقاومة العراق، ومدتها، إذا حدث عليه اعتداء انكليزي؟» فأحال اخواني سؤاله عليّ وطلبوا مني الإجابة عليه فقلت: - إن جيشنا بأسلحته الحالية القديمة، لا يصلح إلا لحروب العصابات، فهو لا يقوى على مجابهة الانكليز أو الصمود أمامهم، خاصة إذا بقيت قاعدتهم الجويتان سالمتين لهم، وطريقا البصرة وفلسطين مفتوحين أمامهم. ولا يبقى على الجيش العراقي، غير القيام بحرب المشاغلة والانسحاب، بالسرعة التي تزحف بها القوات الانكليزية. ولو كان لجيشنا على أسلحته القديمة هذه، خمسون دبابة عصرية متوسطة، وخمسون أخرى خفيفة، وأسلحة مقاومة للدبابات، وقوة جوية حديثة، بإمكانها أن تديم مائتي طائرة جاهزة للتحليق في كل لحظة، عندئذ نتمكن من الصمود أمام الانكليز ستة شهور، بشرط اغلاق شط العرب، والاستيلاء على قاعدة سن الزبان.

وأعاد المفتي علينا سؤاله هذا، يوم طلب الوصي اقالة ناجي شوكت من الوزارة، وضيق الخناق على رشيد عالي الكيلاني.

رابعاً:

نوري يشرع في تطبيق حلوله، فيلقي بشراره، ويجعل غيره وقوداً لناره، أو وقاداً لها

جاء طه إلى مقر عمله بوزارة الدفاع، وطلب توجيه الدعوة إلى أعضاء مجلس الدفاع الأعلى، للاجتماع في يوم لا أذكر تاريخه (١). والتأم مجلس الدفاع الأعلى برئاسة رشيد عالي الكيلاني، وعضوية وزير الدفاع طه الهاشمي، ووزير الاقتصاد والمالية ناجي السويدي، ووزير الخارجية نوري، ووزير المواصلات عمر نظمي، ولا أذكر إن كان ناجي شوكت بين الحاضرين. وحضر الاجتماع عن الجانب العسكري، وكيل رئيس أركان الجيش أمين زكي، وصلاح الدين الصباغ. وكان الرئيس الأول للركن محمود الدرة، يدون محضر الجلسة.

طرح نوري على بساط البحث موضوعين: الأول قطع العلاقات مع إيطاليا، والثاني مناقشة الموقف الحربي والسياسي العام، وتقدير موقف العراق إزاء ذلك. وألح نوري إلى

(١) - كان الموقف السياسي والحربي العام كما يلي على وجه التقريب:

روسيا: على عهدها مع ألمانيا، وفي حالة حرب مع فنلنده وتحتل نصف أراضي بولنده وتلحق استونيا ولا تفياوليتوانيا بالاتحاد السوفيتي، وتحتل ساربيا وبوكوفينا من رومانيا.

ألمانيا: تصول وتجول وتأتي بمعجزات حرب الصاعقة في النروج وتحتل الدانمرک وهولندا وبلجيكا.

الجزر البريطانية: مهددة بخطر الاستيلاء بعد استسلام فرنسا ونكية الانكليز في دنكرک.

إيطاليا: تعلن الحرب وتدخل في مناقشات مع الانكليز على الحدود المصرية الليبية.

سوريا: الجيش الفرنسي المراتب في سوريا وشمال افريقيا يخضع لحكومة فيشي.

ترکيا: تربطها بالانكليز والافرنسيين اتفاقية منذ ١٩/١٠/١٩٤٠ ولكنها لا تدخل الحرب بالرغم من دخول إيطاليا.

إيران: تعلن حيادها، وتخشى روسيا، وتميل إلى ألمانيا.

ضرورة قطع العلاقات مع إيطاليا، كما قطعت مع ألمانيا من قبل، كي لا تستفيد دول المحور من العراق، ولا تطلع على تنقلات الجيوش البريطانية.

اعترض الوزراء كلهم على نوري، أما طه الهاشمي فكان بين بين. قالوا إن منع إيطاليا وألمانيا من الإطلاع على حركات الجيوش البريطانية، لا يكون بقطع العلاقات معها، في حين يعجز العراق، بعملاء كثير من الدول التي تميل إلى المحور، وأولها السفارة اليابانية. وبمقدور ألمانيا وإيطاليا، إن تطلعا على تنقلات الإنكليز من مدخل مضيق هرمز، ومن شط العرب، والبصرة، عن طريق سفارتيهما في إيران وسوريا، ورعاياهما الكثيرين هناك. فقطع العلاقات مع ألمانيا، لم يكن من هذه الناحية مجدياً، ولا فائدة فيه، غير المجاملة لبريطانيا، والعداوة لألمانيا من غير سبب معقول (١).

ثم إن الموقف الحربي والسياسي، يتطلب الرؤية والانتظار، فالجزر البريطانية نفسها، مهددة بالغزو الألماني، وانضمام روسيا إلى جانب ألمانيا محتمل. كما أن دخول إيطاليا الحرب، وإستسلام فرنسا وضع مصر والبلاد العربية أمام خطر قريب، بعد أن زال عنها خطر الجيش الفرنسي المربط في المغرب العربي.

وأغلب الظن أنني أعدت على المجتمعين قولي السابق، بأن الموقف السوقي لا يساعد تركيا على دخول الحرب، وهي ترى بأمر عينها انهيار فرنسا السريع، وإشراف إنكترترة على الإحتضار، والموقف العدائي السافر الذي تقفه روسيا. وتم الاتفاق على الرؤية والتأني، واستطلاع وجهة النظر التركية، بالنسبة لتطورات الموقف الدولي المشار إليها. كما تقرر إيفاد السيد ناجي شوكت بهذه المهمة، لما له من حظوة لدى الأتراك، ومكانه في السلك السياسي بأنقرة، حيث أمضى نيفاً وأربع سنين سفيراً للعراق. فاعترض نوري، وطلب أن يرافق ناجي شوكت في هذه المهمة بحكم وظيفته، فأجيز له ذلك، وانفض الاجتماع بسلام، إذ تمكن نوري من ضبط أعصابه، على الرغم من تأثره.

مضت على وزارة رشيد عالي الكيلاني فترة طيبة وهادئة، ساد فيها السلام ودار دولا بوزارة بانتظام. وعاد ناجي شوكت من تركيا، بعد أن مكث في الاستانة عدة أيام ولا ندري حتى الآن ماذا حمل من أخبار. أما نوري، فقد مال في طريق عودته على سوريا وبيروت، فاتصل بالفرنسيين هناك، وكان رشيد عالي ينتظره، وبجهل الأسباب التي حملته على الاتصال بالفرنسيين في بيروت، ويقول: «كان على نوري أن يحيطني علماً، قبل إقدامه على هذه المحاولة. وما زلت أجهل ما كان من أمر هذه السياحة، حتى بعد أن عاد نوري إلى بغداد، كما

(١) - كانت هذه طعنة لنوري تأثر منها كثيراً.

أن رفاقي لا يعلمون عنها شيئاً». وما كاد نوري يصل بغداد، حتى شد الرحال إلى مصر، ثم عاد إلى بغداد، ثم ذهب إلى مصر مرة ثانية، وثالثة....

أثارت تنقلات نوري هذه، تدمر رشيد عالي، لأنها كانت تجري بدون علمه، وهو رئيس الوزراء. أما نوري، فكان يجمعنا أحياناً عند عودته، فيكشف لنا الستار عن بعض الغايات التي يرمي إليها من وراء تنقلاته. وأنه يتصل بالشخصيات الإنكليزية في مصر، مستطلعاً رأيهم في إشراك فرقتين من الجيش العراقي في صحراء ليبيا. وريت نوري على كتفي، وقال:

– صلاح الدين، ستكون أنت قائد الفرقتين إن شاء الله.

لا أدري ما سبب إلحاح نوري علينا، وحرصه على أن تكون إجتماعاتنا في داره، في فترات قريبة. هل أراد الإطلاع على رأينا القاطع، وعلى مدى تقبلنا لرأيه، واستعدادنا لمناصرته، في الضغط على رشيد لتطبيق رأيه، أو أراد أن يكسبنا إلى جانبه ضد رشيد، إذا رفض اتباع الحل الأول من حلول نوري المذكورة آنفاً.

ولاحظنا، أن ملامح نوري كانت تكفهر كلما أتينا على ذكر رشيد، أو امتدحنا وزارته.

فهل أفضى واحد من اخواني لنوري، بأمر اتصالنا برشيد، وباجتماعاتنا معه في دار المفتي، وباتصالي بممثلي السفارتين الإيطالية واليابانية – إن صح ظني فيكون كامل هو الواشي، والله أعلم – أم أخبر نوري بهذه الأمور، جواسيس (دون فيل) رئيس قسم الاستخبارات الإنكليزية، الذين يراقبون بيوت المفتي ورشيد وطه، والسفارتين الإيطالية واليابانية، ويترصدونها في الليل والنهار، كما يترصدون دار فوزي القاوقجي، وغيره من الوطنيين، فقد كنّا نحن الأربعة، وطه واسماعيل نامق، مجتمعين في دار نوري، وحدث أن جاء ذكر إيطاليا، وضرورة قطع العلاقات، والاشتراك في الحرب إلى جانب الحلفاء، فقلت ما معناه: «علينا أن نفكر بمصلحتنا قبل أن نفكر بما يرضي الانكليز وأذنابهم».

وعلى حين غرة، صاح نوري:

«يا صلاح الدين، في رأسك صوت، سوف تصيحه، لكن سوف ترى ما سيجري

بالعراق».

فأجابني نوري بهذه العبارة غير المتوقعة، فبهتُ، كما بهت الحاضرون. وتدخل طه فقال:

– لا، لا ياباشا، لا تسيء الظن بصلاح، فهو لا يرمي بقوله أحداً، وأنا أعرف منك بصلاح الدين.

ضحك نوري وهو يرى حيرة إخواني ووجومهم، بعد أن مثل دوره، فابتسمت، ومرت

العاصفة بسرعة وسلام.. لكن نوري وجد في نفسه الجراءة، لأن ينفخ في وجوهنا أول رياح السموم، ولم نعهده منه ذلك منذ تعارفنا. والواقع أنني ماكنت أقصد نوري بكلامي، وإنما كان جواباً قلته عرضاً، وفي سياق الحديث، فإذا كان كلامي قد أصاب نوري، فإنما لأنه أصاب أمثال نوري فحسب، أما هو، فقد صدر كلامه عن عمد وسابق تفكير، مستغلاً ملاحظتي العابرة، ليعلم عما يمكنه صدره.

علق هذا الحادث بذاكرتي، وما إلتقيت بنوري أو ذكر اسمه أمامي، إلا وعادتني الذكرى. وعبثاً حاولت أن أفك رموز عباراته، أو أن أتوصل إلى حقيقة القصد من وراء ثورته المفاجئة.

ولقد صح كلام نوري، وصدقت نبوعته، كما صدق كثير من نبوءاته!! ورأى صلاح الدين، وإخوان صلاح الدين، ماحدث بالعراق وبهم، لكن الصوت لم يكن في رأس صلاح الدين وإخوانه، بل كان، والله، في رأس نوري وحلوله، تلك الحلول التي كان عليه أن يطبق إحداها، ونجح في الثالثة منها. وما كان نجاحه بقوة ساعده، بل بأسنة حراب الإنكليز، الذين يؤيدون ثعلبياته وحلوله، لأنها من تعاليم (نيوكب) التي يلقونها له ولأمثاله. (ملحق - ٥ -).

يبدو أن نوري شعر بأننا نؤيد رأيه، وهو يصف لنا رحلاته بالطائرة إلى مصر، ومقابله للشخصيات الانكليزية هناك، لاقناعهم باشتراك فرقتين من الجيش العراقي في حرب ليبيا، فأتولى أنا قيادتهما، ويكون كامل وفهمي ومحمود، برفقتي. فنكون أول من قاد جيشاً عربياً نظامياً، في حرب نظامية، تكسبنا الشرف والشهرة والجاه، خاصة اذا سهل الله، وكانت حركتنا على سوريا، بالاشتراك مع الإنكليز، ونحن في طريقنا إلى صحراء ليبيا.

وكان اسماعيل نامق يحضر أغلب هذه الاجتماعات، ويؤيد نوري في أقواله، فكان ذلك دليلاً على ما بينهما من أسرار. وفي أحد الأيام ذهب الشوق باسماعيل نامق حداً، جعله يقول بحضور طه «أنه سوف يؤيد الإنكليز، ولو قيل عنه أنه انكليزي النزعة» فاستحسن نوري كلام اسماعيل وعلق عليه بأمثلة شتى.

أما رشيد عالي الكيلاني، فكان كلما اجتمعنا به وبالمفتي، يشكو من تنقلات نوري ويبيدي جهله لأسبابها. إلا أن شكوى رشيد كانت في أنوارها الأولى لا تتعدى العتاب على أخيه نوري.

وأخيراً أقنع نوري طه الهاشمي، بضرورة عقد مجلس الدفاع الأعلى، لبسط الموقف العالمي أمامه، ولما كان انتقالي إلى قيادة الفرقة الثالثة قد حرمني من عضوية مجلس الدفاع

الأعلى، فقد أشار نوري إلى طه، بأن حضوري في إجتماعات المجلس ضروري، للاستئناس برأيي، على اعتبار أنني مطلع على الأمور من أولها. كما أشار عليه أيضاً، بضرورة حضور كامل شبيب، قائد الفرقة الأولى.

انعقد مجلس الدفاع الأعلى، وحضر الإجتماع بالإضافة إلى أعضائه السابقين، مدير الحركات نوري الدين محمود، وقائد الفرقة الأولى كامل شبيب، والمقدم الركن رفيق عارف، والرئيس الأول الركن محمود الدرة. ومهمة هذين الأخيرين، تدوين محضر الجلسة.

وطرح نوري على بساط البحث موضوعين: الأول: قطع العلاقات مع دول المحور، والثاني: مساعدة الجيش البريطاني على تحشيد جيوشه في العراق.

عرض نوري زيارته إلى تركيا عرضاً سريعاً، ومر على الموضوع مرأً عاجلاً، فلم يوضح موقف تركيا، ولم يحاول تفسير الغموض الذي يحيط بها من قبل زيارته لها. قال إن تركيا حرة التصرف في أمرها، وأنها طليقة اليد في توجيه سياستها، الجهة التي تلتئمها. أما موقف العراق مع بريطانيا، فلا يشبه موقف تركيا، وأما زيارته لبيروت وهو عائد من أنقرة، واتصاله بالفرنسيين هناك، فقد أهمل ذكرها، ولم يتحدث عن أسبابها.

فانبرى له رشيد عالي كيلاي، وناجي السويدي، قائلين: إن المعاهدة تحدد بصراحة ووضوح، مدى ارتباط العراق ببريطانيا، كما أن ارتباط تركيا ببريطانيا، قائم على الإتفاق المعقود بينهما، ولا يخرج عن نصوصها الصريحة. ولئن اختلفت النسبة بين العراق وتركيا، من حيث درجة الإستقلال، وحرية التصرف بما يتلائم والمصلحة، فإن هذا لا يعني بالضرورة، التضحية بمصلحة أحد الفريقين، لحساب الآخر، ولا يفرض على العراق، واجبات لم يرد عليها النص في المعاهدة، وإلا لما بقي للعهد والإتفاقات معنى قانوني.

وكان النقاش يدور حول بنود المعاهدة وتفسير القوانين، وكان رأي نوري، أن يكون تأويل النصوص على ضوء (الوفاء المعنوي)، الذي يفترض من العراق، بحكم صداقته التقليدية لبريطانيا-. ثم أخذ الأنكليز بعد ذلك يقولون بتطبيق المعاهدة نصاً ومعنى- وأما الآخرون الكيلاني والسويدي الكبير، فكانا لا يريدان التسليم بتفسير (معنى الوفاء)، بحيث يفرض على العراق التضحية بمصلحته على هذا الشكل.

وكان نوري وهو يتكلم، يلتفت الى الجهة التي تجلس فيها نحن العسكريون. الا أننا لزمنا جانب الصمت، كما لزم جانب الصمت طه الهاشمي وزير الدفاع، وعمر نظمي وزير الأشغال والمواصلات (على ما أذكر). والظاهر أن نوري شعر بضعف حجته أمام مجلس

الدفاع، فأراد أن يدعمها بنفوذ الجيش، زاعماً أننا مطلعون على أرائه، من خلال اجتماعاتنا في داره على ماسبق بيانه. لذلك اقترح نوري أن يطلع المجلس على رأي الجيش، وأن يطلب من الجانب العسكري، تقديم لائحة يبسط فيها الجيش رأيه، وتعرض على مجلس الدفاع الأعلى في جلسته القادمة، فأيد طه اقتراح نوري. ثم أضاف نوري على اقتراحه، بأن من الضروري اشتراكي مع رئاسة أركان الجيش في اعداد اللائحة المطلوبة، بالنظر لاطلاعي على الأمور، بحكم وظيفتي السابقة، وأيد طه اقتراح نوري الجديد أيضاً.

وهكذا انتهت الجلسة الأولى بسلام وسكون، وما كان من أمين زكي وكيل رئيس أركان الجيش، ومن هيئة أركانه، إلا أن أناطوا بي، أمر إعداد مسودة اللائحة المطلوبة، بدعوى أنهم شغلوا مناصبهم حديثاً، وأني أكثر منهم اطلاعاً على هذه الأمور، فوافقت مكرهاً.

مر ذلك اليوم، فلما كان مساء اليوم التالي، دعانا نوري إلى داره، وردد أقواله ووعدوه المعسولة، فأجبناه: «ليتك تتفق مع الآخرين، فتجتمعون على رأي واحد، لأن الإتفاق خير من التنازع، لا بل إن الإجماع على الخطأ، أقل خطراً من عدم الإتفاق. وبمقبور الوزارة القائمة أن تأخذ بما ترى فيه خير البلاد ومصلحتها، دون أن تخشى معارضة أحد، وهي تضم خيرة رجالات العراق».

ملحق رقم - ٥ -

نجح نوري بن سعيد في تطبيق حلوله، كدأبه دائماً، وسيبقى نوري ناجحاً لأنه ابن سعيد! وسيبقى التوفيق حليف نوري، بعكس أقرانه الذين عاصروهم جميعاً. أما سر نجاح نوري وحده دون غيره، فهو «لغز» لا يسبر غوره ولا يدرك. أترأه يقرأ في صفحات الغيب؟ أم قد خصه الله بعبقورية فذة، لاتدانيها عبقرية بين العرب؟ أم أن قوة خفية تساند، وتعلمه، وتهيء له الفرص، فيستغلها، ويتوج بأكاليل الظفر، ويبقى وحده دون غيره، في المكان المرموق، بعد كل ثورة تخمد نارها، ويذهب ضحيتها أحرار العرب؟؟ وما من مرة تملل فيها العرب ضد الاستعمار، فرضخ الغاصب، ومنح بعض الامتيازات لصاحب الدار، إلا وكان نوري هو القابض على زمام الأمر، وهو قاضي الحاجات.

فنوري، هو المعتمد الوحيد الذي انتدب لتسليم دمشق إلى غورو، قائد الفرنسيين

ونوري وقريبه جعفر، هما اللذان نالا شرف تأسيس الحكم الوطني في العراق، قبل أن يحل فيصل الأول في العراق، وقبل أن يتوج ملكاً عليه. مع أنهما لم يشتركا في الثورة العراقية، التي أجبرت الانكليز على إقامة حكم وطني في العراق، من قريب أو بعيد، ولم يكونا من الرجال الأفذاذ الذين أداروا دفتها.

ونوري، هو الذي وقع معاهدة النفط العراقية بقلم ذهبي، محفوظ الآن في متحف النفط. تلك المعاهدة التي استوت عليها ميزانية العراق. ونوري، هو الذي أصره يؤيده «قريبه جعفر، الذي جيء به إلى رئاسة الوزارة، بعد أن كان سفيراً للعراق في لندن» على أن تفرض المعاهدة العراقية الانكليزية على العراق فرضاً، وأن يكره المجلس التأسيسي على المصادقة عليها كرهاً، وأن يجبر ريس الهاشمي وغيره من الوطنيين، على الإذعان إجباراً. تلك المعاهدة التي يزعم نوري، أن مصر كانت تحسدنا عليها، وأنها لم تتل مثلها إلا بعد أن نالها العراق، والتي تحسدنا عليها الآن، كل من سوريا وفلسطين.

وهكذا، فإن كل أعمال نوري جليلة خالدة، تعود على العرب والعروبة بالنفع العميم، وسيذكرها له التاريخ بأحرف من ذهب: إن نوري سعيد وناجح، وهذا سر لا تدركه عقول العرب، فهو الذي طهر العراق من الثوار الطامعين، ومن جرثومة الأشرار الأفاكين المحتالين، أمثال رشيد عالي وفهمي والسبعراوي وكامل وصلاح الدين، ولولا نوري لما تخلص العراق منهم. ثم إن نوري سينقذ فلسطين بعد أن تطهرت، وتطهر العراق مثلها، من أمثال المفتي وزمرته، من المتشردين العابثين المحرمين. ونوري سينقذ سوريا أيضاً، إن أمكنه ذلك، ليقم فيها نظاماً ملكياً أردنياً، بعد أن يطهرها من الكتلة الوطنية التي تطمع بالجمهورية!!!!

وأخيراً سينصب لنوري تمثال في كل عاصمة، من عواصم هذه الأقطار العربية، تخليداً لوطنيته ورمزاً لإخلاصه. فنوري، سعيد، وما أظن مصدر سعادته، إلا لقب «سير» الذي يحمله!!

خامساً: اللائحة

شرعت بإعداد مسودة اللائحة، التي طلب مجلس الدفاع الأعلى من الجيش إعدادها للاطلاع على وجهة نظره. وبدأت بمناقشة الموقف الحربي والسياسي في العالم (١)، مما له تأثير على الشرق العربي، وأضعاً نصب عيني «طلب تحشيد جيش بريطاني في العراق».

كان يؤثر علي ويعترض تفكيري أمران: الأول، رأي نوري المار ذكره، والثاني: إغفال نوري ذكر موضوعي إعلان الحرب، وإشراك فرقتين عراقيتين في حرب ليبيا، على مجلس الدفاع الأعلى، مع أن نوري كان يحدثنا بذلك، كلما اجتمعنا في داره، وأعاده على مسامعنا بالأمس القريب. ولقد أثرت علي، وأي جندي لا تؤثر عليه مشاريع نوري ووعدوه، بأن أكون أول قائد يكسب شرف إنقاذ قطر عربي عزيز، وهو على رأس فرقتين عربيتين، مجهزتين بأحدث الأسلحة، تسييران بأرتال منظّمة، وتتقدمهما الطلائع الآلية والقوات الجوية، فتخترقان شوارع

(١) كان الموقف السياسي والحربي وأنا أعد مسودة اللائحة كمايلي:

روسيا: تحتل قسماً من بولونيا والدول الصغيرة على بحر البلطيق، وتقطع بسارابيا وبوكوفينا من رومانيا، وهي في حالة حرب مع فنلنده التي تتمتع بعطف الانكليز والأمريكان ولكنهم لا يستطيعون نجدتها لتعذر المواصلات. محطات الاذاعة الروسية تشن على انكلترا والدول الرأسمالية حملات شعواء. ألمانيا: تسيطر على أوروبا الغربية وشمالها سيطرة تامة وتدخل يوغوسلافيا في حلفها. الاسراب القاصفة الألمانية والايطالية تنزل الخراب في الجزر البريطانية المعرضة لخطر الغزو. إيطاليا: تدخل في مناوشات في صحراء ليبيا.

انكلترا: تقف في المعترك وحيدة لا يساندها غير أمريكا - وكانت مساندة أمريكا معنوية لا تتعدى إبداء الأسف، باستثناء بعض المساعدات في المؤن والأغذية.

اليابان واسبانيا: تميل سياستهما إلى المحور بوضوح.

تركيا ودول البلقان: في سكوت غامض.

إيران: تقف على الحياد.

إيرلنده: تقف على الحياد.

حلب ودمشق وبيروت، وهي مزدانة بالأعلام والرايات، وتنتشر عليهما الورود من نوافذها وشرفاتها، ويعج فضاؤها بزغردة العربيات.

وبعد أن تظهر سوريا من جيوش الظلم والاستعمار الفرنسية، تتجه هذه الأرتال جنوباً في طريقها إلى ليبيا، فتخترق فلسطين وتعبّر مصر العربية، وتشارك في حرب نظامية تكسب قاداتها الخبرة والرتب العسكرية الرفيعة، ثم تضع الحرب أوزارها، فيعود صلاح الدين وإخوانه القادة وجيشه المنصور، إلى العراق فتحييه وهو عائد جيوش الوحدة العربية في مصر وفلسطين وسوريا. وهكذا تتحقق آمال العرب التي يصبون إليها منذ أن اندثرت دولة العباسيين.

لكن، ما ضمان تحقيق هذه الأحلام الذهبية لو انتصرت بريطانيا؟ وهذا تاريخ بريطانيا القريب والبعيد، يشهد على غدرها وسوء نيتها؟ وهذه فلسطين تعشش فيها اليهودية؟

مع ذلك، فإن رأي نوري هذا لا بأس به، لا بل إنه حسن ومفيد. فإن دخول العراق الحرب إلى جانب انكلترا، يكسب العرب عطفها، كما يكسبهم عطف أمريكا أيضاً، إذا اشتركت في الحرب إلى جانب انكلترا. فلو فرضنا بقاء روسيا واليابان على الحياد المطلق، فإن النصر يصبح مشكوكاً فيه، وتنتهي الحرب، فيخرج الفريقان المتخاصمان منها متعادلين في كفتي الميزان، عندئذ تضطر كل من أمريكا وانكلترا إلى الكف عن مساندة الصهيونية، وإلى خطب ود العرب، وإيجاد دولة عربية لضمان التوازن الدولي، كما هو الحال في البلقان وإيران وتركيا وأفغان، ولصيانة منابع النفط، وخطوط المواصلات الامبراطورية.

خلبتني هذه النظرية أيضاً، لما أكنّه من مقت للاستعمار الفرنسي في سوريا، وأغوتني وعود نوري وقيادة الفرقتين، فحاولت تنسيق هذه النظرية، وإسنادها إلى عوامل معقولة وأسباب منطقية. فأخذ مني ذلك شطراً غير يسير من الزمن، وأنا أكتب وأشطب ثم أعود فأكتب.. لكنني كلما حاولت، وكلما اجتهدت، عمقت بي الهوة، وتماثل أمامي شبح روسيا وتعاضم، حتى استولى على نواحي فكري، فلا يتركني أحيد.. وكأني بهذا الشبح الضخم، يخاطبني بقوله: كيف تنتصر انكلترا، وما هي علائم هذا الانتصار؟ إنها واقفة على شفا جرف هاوٍ، وليس لها معين أو نصير غير أمريكا، التي ينقصها الاستعداد فضلاً عن بعد الجوار؟ وحتى لو دخلت أمريكا الحرب، ألا ترى سياستي العدائية ضد انكلترا وكذلك سياسة اليابان؟ ألا تخشى بأسنا وما لنا من قوة وسلطان؟

وكانت ثوانٍ معدودات قلبت أفكاري رأساً على عقب، وطوحت بي وبإخواني إلى مذبج

التضحية، ليحكم علينا بالإعدام ولتُسام عوائلنا وتضام، بدل أن نبقي القادة المحبوبين، المؤيدين بالانكليز والوصي ونوري، ومن، والأهم من المتنعمين. وما الذنب ذنبي، ولكنه ضميري الذي عصا، وأبى أن أكون عبداً للعاطفة، وحذّرني من المقامرة بمقدرات بلادي على المجهول، متعامياً عن الدلائل المنطقية والحقيقة والمعقول، ذلك ضميري الذي تلقن الروح القومية من بيتي وأساتذتي وأبوي.

ما هو المقصود من تحشيد جيش انكليزي في العراق؟

-هل تبدّت للانكليز بادرة من روسيا، فشعروا بأنها ستهاجم الشرق العربي من إيران والعراق، فتقطع مواصلات الامبراطورية وتنهار الجبهة المصرية؟

لوصح هذا الاحتمال، فكيف يطالب نوري بإرسال فرقتين عراقيتين إلى صحراء ليبيا، وإعلان الحرب على دول المحور، بعد أن تنضم إليه دول العالم الجبارة التي لا تقهر؟ لو صح هذا، فالعراق نفسه في خطر، وأولى بانكثرتا أن تعمل على تسليح الجيش العراقي فوراً، وأن تمدّه بالأسلحة الحديثة، بدل أن تبقيه على سلاحه البالي ومعداته القديمة. فالبلاد بلادنا، والدفاع عنها يهمننا بقدر ما يهمن بريطانيا، وأكثر. ثم إن المعاهدة العراقية الانكليزية تنص بصراحة على واجبات الانكليز، وعلى المهام الملقاة على عاتق الجيش العراقي، إذا تعرض العراق لخطر الهجوم عليه من قبل دولة أجنبية. ولو كان العراق معرضاً بالفعل للخطر، فإن أبسط واجبات التحالف، تقضي على بريطانيا أن تخبرنا بأمر هذا الخطر، لي طرح على بساط البحث، ويناقش بصورة سرية في مجلس الدفاع الأعلى، أو ليطلع عليه رئيس الحكومة وبعض وزرائه على الأقل. ولو فرضنا بأن نوري وعبد الإله، قد أفردا وحدهما بالاطلاع على هذا الأمر الخطير، كان معنى ذلك الاستبداد والحكم المطلق. وكيف يقال لو صح هذا الفرض، أن في العراق حكماً دستورياً ديمقراطياً، وأن له وزراء عليهم رئيس، وجيشاً عليه قادة، ومجلساً للنواب وآخر للأعيان... إذا أهمل هؤلاء ولم يأخذوا علماً بهذه الأمور؟

-هل علم الانكليز بأن ألمانيا وإيطاليا، ستهاجمان البلقان وتركيا، فأرادوا الاستعداد للنجدة بالتحشد في العراق؟

لوصح هذا الاحتمال، فإن تحشد الانكليز في العراق لا ينفعهم شيئاً في تحقيق هذا المقصد. إن عوامل المسافة والزمن وعسر المواصلات البرية، تجعل من الصعب نقل جيش عرمرم من الهند إلى البلقان عن طريق العراق. إذ يصل مثل هذا الجيش العراق بحراً ثم يقطعه من الجنوب إلى الشمال، ثم يجتاز الأناضول، ويعبر البوسفور، حتى يبلغ البلقان.

وأيسر من هذا بكثير، أن ينقل هذا الجيش بجرأً عبر قناة السويس ويجري إنزاله على سواحل تركيا أو البلقان أو اليونان، وبذلك يستغنى عن عمليات نقل الجنود، ويختصر الوقت والمراحل الطويلة بربع الزمن الذي تستهلكه عملية التحشد والتقدم عن طريق العراق. ومع ذلك فإن أفضل مكان يجرى فيه التحشد السوقي لهذه العملية هو فلسطين وسوريا، لا العراق.

- هل يرمي الانكليز من وراء تحشدهم في العراق احتلال سوريا، وطرد أتباع حكومة فيشي منها؟

لو صح هذا الاحتمال، فالتحشد الانكليزي يجب أن يجري في فلسطين، لا في العراق، بحكم طبيعة سوريا الجغرافية. وثمة احتمال آخر يهدف إلى تقصير أمد الحركات، بإرسال رتل من العراق عن طريق الفرات، للاستيلاء على حلب وشمال سوريا، بالتعاون مع الأرتال التي تتقدم من فلسطين. فلو كانت هذه غاية الانكليز من وراء تحشدهم في العراق، فمن أولى، بالاطلاع عليها من العراق وحكومته وقادة جيشه ورجالاته المسؤولين؟ ومن أولى من الجيش العراقي بالسير إلى حلب، ليساهم في إنقاذ شقيقته سوريا بعد أن يتم تسليحه.

- هل ساورت انكلترا الظنون، من موقف إيران وتركيا، فطلبت التحشد في العراق لمواجهة الظروف المحتملة؟

وهذا الاحتمال بعيد جداً، ولا يقوم إلا إذا اتفقت إيران وتركيا مع روسيا، وهو أمر غير واقع. وقد مر البحث عن روسيا، وعما يجب على العراق في مثل هذه الحالة. أما إذا كانت انكلترا تنوي الاعتداء على إحدى هاتين الجارتين، فذلك يعني أحد أمرين: تحرش الانكليز بروسيا، أو اتفاقهم معها عليه. أما التحرش بروسيا، فاحتمال بعيد، نظراً لحاجة موقف بريطانيا آنذاك. وأما اتفاق الدولتين على الاعتداء فإن ظاهر الحال لا يدل عليه، فقد كانت روسيا تبدي لبريطانيا سياسة العداء (وذلك قبل أن تبدل سياستها وتعتدي على إيران ببضعة أشهر). ولو كانت انكلترا تنوي الاعتداء على إيران واحتلالها، فمن السهل عليها أن تقوم بعملية إنزال في خليج البصرة وشط العرب، وأن تتغلغل في قلب إيران من سهولها، مستفيدة من السكك الحديدية، دون الحاجة إلى التحشد في العراق، ضاربة بالمعاهدة العراقية الانكليزية عرض الحائط، وجاعلة من العراق مسرحاً لحركات عدائية، ضد جارتين أبديتين تربطنا بهما تقاليد تاريخية، وروابط معنوية، واتفاقية سعد آباد. فيخون العراق بذلك عهوده وحقوق جيرانه، ويؤلب عليه عداة دولتين بدون مبرر، ويدون أن يعود ذلك عليه بنفع ما، بل لخدمة المصالح الامبراطورية فحسب.

ومع ذلك، فالواجب يقضي على الانكليز أن يخبروا المسؤولين في العراق، عن الأغراض التي يرمون إليها من وراء تحشدهم، باعتباره حليفاً لهم (على حد قول الانكليز ونوري والوصي عبد الإله وغيرهم من محبي الانكليز)، والمسؤولون في العراق، هم القائمون على الأمر فيه، أي وزارة الكيلاني وقادة الجيش.

أما وأن هدف الانكليز من تحشدهم في العراق، ينافي كل هذه الاحتمالات، فإنه لم يبق غير احتمال واحد لا احتمال غيره وهو:-

-إن هدف الانكليز من تحشدهم في العراق، هو العراق نفسه، أما غيره فيأتي بعده.

ذلك أن العقيدة القومية انتشرت بين أفراد الشعب العراقي، وعلى رأسه رشيد عالي الكيلاني وأمثاله، وقادة الجيش، ومعهم المفتي وفوزي القاوقجي وغيرهم من أحرار العرب المجاهدين من سوريين وفلسطينيين. والانكليز لا يطمنون لهذا الأمر، وهو لا يروق لهم، لأن العراق همزة الوصل في الشرق الأوسط، ووقوعه على شريان المواصلات الإمبراطورية، قضى عليه أن يبقى طوع إرادة الانكليز قلباً وقالباً، ليتمكنوا بواسطته من اللعب بمقدرات العرب. ولكن ذلك لا يتييسر لهم، ما زال الوطنيون قابضين على زمام الحكم، وما دام أحباء الانكليز وأعوانهم وأذنابهم (واسمهم المعتدلون) قابعين في البيوت. ثم أن اعتناق العقيدة القومية أمر لا تقره شرائع الاستعمار، ولا ترضى به نظم السيطرة على المحميات والدويلات شبه المستقلة التي تربطها المعاهدات ببريطانيا. لذلك طلب الانكليز التحشد في العراق، وإنهم لمعذرون، فلو كنت انكليزياً ونظرت بمنظارهم لفعلت ما فعلوا، ولحشدت جيشاً في العراق، ولأثيت بهؤلاء المقربين إليّ، فأقمتهم على رأس الحكم، وساندتهم وأنعمت عليهم وأكرمتهم بالجاه والمال. ولأقصيت أولئك المزعجين الخطرين وأبعدتهم، وطهرت البلاد منهم (انظر الملحق ٦-). وإن العقيد كالي لمعذور، حين قال لي: «لم تهافتك هذا كله على تسليح الجيش العراقي بالأسلحة الحديثة والمعدات العصرية، مع أن مهمته لا تتعدى صيانة الأمن الداخلي؟» وصيانة الأمن الداخلي معناها مساندة قوى الشرطة على التنكيل بالأحرار، وعلى قتل أبناء العشائر من العرب والأكراد، الذين يستفزهم دعاة الانكليز من النوات، وضباط الارتباط الانكليز المنتسبون لدائرة الاستخبارات.

هذه هي الاستنتاجات التي توصلت إليها، من مناقشة الموقف الحربي والسياسي العام، والاحتمالات التي تتعلق بهما. وهي عين الاستنتاجات التي يتوصل إليها طه الهاشمي وكل عسكري آخر، وهي لا تتفق مع ما يريده نوري. فلماذا كلفني نوري بالاشتراك في جلسات مجلس الدفاع الأعلى، وبإعداد اللائحة وبإبداء رأيي، لو أن نوري كان مطلعاً على أسرار

خفية، مثل عزم روسيا الأكيد على الانضمام إلى جانب بريطانيا، إذن لأقضى بها إلى طه، ولطرحها على بساط البحث والنقاش في مجلس الدفاع الأعلى، ولتبدلت الآراء والاستنتاجات، أم أن نوري كتم أسرارها عن رشيد وأعضاء وزارته، لأنه لا يثق بهم، واستعان بي، لآسيطر على هيئة أركان الجيش وتفكيرهم، فأقول خلاف ما استنتجته، وتأتي اللائحة ملائمة لمقاصده، فترغم رشيد على الإذعان؟ لو كان قد قصد ذلك، فلماذا لم يبق على رأس الوزارة، فيأخذ المسؤولية على عاتقه ويطبق ما يريد. ولماذا حمل رشيداً على تأليف الوزارة من بعده، فلم يقبل رشيد إلا بشروط، منها أن تطلق يده، فلا يكون آلة بيد أحد.

أتيت في فاتحة اللائحة على ذكر الاحتمالات السابقة، باستثناء الاحتمال الأخير، ثم توصلت إلى الاستنتاجات التالية، مستنداً على الموقف السياسي والحربي آنذاك، فسردها بصورة مفصلة، متحاشياً المس بكرامة الأفراد:

١- ليس من المحتمل أن يهدد العراق خطر قريب، لذلك فإن تحشيد جيش بريطاني في العراق، يعتبر مخالفاً لنصوص المعاهدة العراقية البريطانية، نظراً لعدم تحقق هذا الشرط. كما أنه قد يسيء إلى جارتينا، اللتين تربطنا بهما اتفاقية سعد آباد.

٢- إن الخطر الوحيد الذي يهدد العراق يأتي من روسيا، لذلك لا بد من التآني ومسايرة نول المحور، ريثما ينجلي موقف روسيا، فيتحاشى العراق كوارث الحروب ولا نجعل من أراضيه ساحة للحركات الفعلية.

٣- على انكترا أن تثق بالعراق وجيشه، وأن تخلص النية. وحسن النية يفرض على انكترا، أن لا تهمل أمر جيشنا، وأن تعمل على تسليحه قبل أن تطلب التحشد في بلادنا، وإلا فهي سيئة النية، وتعمل على شل قوتنا عن قصد وعمد، لتخضعنا فنكون طوع بئانها. أما تحشد جيش أجنبي بلا مسوغ، فإنه يمس بكرامة الشعب ومعنى الجندية، لذلك فإن الشعب والجيش، لا يطيق أن يرى جيشاً أجنبياً يستعرض بلاده، ويتبخر في أرجائها وشوارعها بأسلحته ومعداته، فيبقى مكتوف الأيدي ويقوم بدور الشرطي الحارس لخطوط المواصلات ومداخر التموين والعتاد، ويكون سجاناً لأحرار البلاد.

تَلَوْتُ مسودة اللائحة على وكيل رئيس أركان الجيش وهيئة ركنه، بحضور كامل شبيب، فوافقوا على محتوياتها بالإجماع، ثم طُبعت ووقع عليها وكيل رئيس أركان الجيش أمين زكي، وأودعت لدى الرئيس الأول الركن محمود الدرة، لتعرض على مجلس الدفاع الأعلى عند اجتماعه.

اجتمع مجلس الدفاع الأعلى برئاسة رشيد عالي الكيلاني للمرة الثالثة، وحضر الاجتماع السادة الذين حضروه في الجلسة السابقة، واستهل نوري الحديث، فأتى على ذكر الموضوع نفسه، فرد عليه ناجي السويدي، واحتدم النقاش بسرعة، وتكهرب الجو بدرجة تفوق بكثير ما يتطلبه موضوع الجلسة. مما دل على أن بينهم امرأ خفياً لا يدخل في موضوع الجلسة، ولا يريدون الجهر به أمامنا. وكان رشيد وناجي يهاجمان نوري بعنف، ويشددان عليه، ليأتي بما عنده من معلومات أو دلائل أو براهين أو أسرار خفية، اطلع عليها خلال تنقلاته، ليؤيد بها حجته فينزله عند رأيه، والا فانهما لن يلعبا بمقدرات البلاد، ولن يتركا الدلائل والاسس التي يقوم عليها الموقف السياسي والحربي العام، إلى مجرد الحدس والتخمين.

وأراد نوري أن يتخلص من تشديد رشيد عالي الكيلاني وناجي السويدي، فطلب أن تقرأ اللائحة للاطلاع على رأي الجيش. وبدا لي أنه كان يتوقع أن تحتوي على مايلأنم رغبته ويؤيد رأيه، وهو يعلم بأنني أنا الذي اعددت مسودتها. أما أنا فكنت أتمنى لوئسيت اللائحة وأهمل شأنها، فلا تتلى بمثل ذلك الجو المكهرب. ولما وصل محمود الدرة في التلاوة إلى فصل الاستنتاجات، التقى نظري بنظر نوري صدفه، فرأيت عينيه المنكششتين تشعان ببريق الغضب وتحديجاني بنظرة ملؤها الوعيد، فكأنني قاتل صهره جعفر.. وقرع نوري على المنضدة وقال:

- «كفى.. كفى. لقد خرجنا عن الموضوع» فأجابه ناجي السويدي:

- «لا بل انه الموضوع بصميمه، فلنستمع إلى الآخر».

فلما انتهت تلاوة اللائحة، عاد ناجي السويدي يستنكر موضوع التحشد الانكليزي، وكلما مضى في النقاش وتعمق في التعليق، زاد حماساً، فما كان من نوري إلا أن تناول قصاصة من الورق، فكتب عليها بسرعة، ودفع بها إلى طه. فلما قرأ طه الورقة، دق على المنضدة وطلب الاكتفاء بهذا الحد وتعطيل الجلسة. ثم نهض نوري وترك القاعة بلا سلام ولا كلام، بعد أن ألقى علي آخر نظراته، فكان ذلك فراقاً بيني وبينه.

دنوت من طه ونحن نغادر القاعة فسألته: -

- لقد انفض الاجتماع نون التوصل إلى قرار، فمتى تعقد الجلسة القادمة؟ فأجاب:

- لقد صرفت النظر عن توجيه الدعوة إلى مجلس الدفاع، ولن يجتمع بعد اليوم.

لماذا اتخذ طه هذا القرار وبأي حق فعل؟

لماذا نزل طه عند طلب نوري؟

لماذا أخذ طه بعد هذه الحادثة، يصبح وهو منا، ويمسي وهو علينا؟ حيناً يشتكى من تصرفات نوري وحيناً من عناد رشيد عالي؟

كل ذلك لا يتفق مع صراحة طه ووطنيته واستقامته. لقد وقف منذ ذلك اليوم موقفاً بين الطرفين، فكانه يلعب على الحبلين، وبقي طه على موقفه هذا، حتى بعد أن أصبح رئيساً للوزراء، وإلى أن قدم استقالة وزارته. ولما أشيع بأن ناجي شوكت قد اتصل بالسفير الألماني (فون بابين) وألح الوصي على رشيد، لإخراج ناجي شوكت من الوزارة، وقف طه بادية الأمر بجانب رشيد، وقال بأن طلب الوصي غير مشروع، لكنه مالبث أن انقلب، فنزل عند إرادة الوصي غير المشروعة، ووافق على إخراج ناجي شوكت من الوزارة. ثم انقلب على رشيد بالذات، إذ أضعف وزارته وزعزع موقفها، فسبب استقالتها. ولوصح اتصال ناجي شوكت بفون بابين، فإنني أقول وأجزم بأن هذا الاتصال ما وقع إلا برضى طه ورشيد وناجي والمفتي.

ولماذا انقلب طه على رشيد، وهو الذي أيد نوري والوصي، وأقنعنا بضرورة تولي رشيد الرئاسة، بعد أن وضحت له من حادثة حسين فوزي وأمين العمري، شروط رشيد وأراؤه التي لا تتفق مع مشاريع نوري وأرائه، ولا تذهب مذهب نوري في تفسير المعاهدة العراقية الانكليزية بالنيابة عن الانكليز، وتطبيقها «نصاً ومعنى» بما يرعى مصالحهم ويحقق رغباتهم.

هذا هو خطأ طه الذي يلام عليه، وقد كلف خطؤه كثيراً وكثيراً جداً، إذ جعلنا نخشى جانبه ونحن إخوانه، ورتاب في صراحته في القول، وتنزهه عن المحاباة في العمل، وتركنا بين الشك واليقين من أمره.

لو كان نوري مطلعاً على سرائر الانكليز وأسرارهم عن روسيا، فلماذا لم يبق على رأس الوزارة، ولماذا لم يأخذ على عاتقه تطبيق ما يريد الانكليز منا، ولماذا رجح الاستقالة وأجبر رشيداً على القبول برئاسة الوزارة.

فإن لم يطلع نوري على هذه الأسرار، إلا بعد أن ترأس رشيد الوزارة (بواسطة نيوكمب الذي قدم من لندن خصيصاً للاجتماع بجميل وجودت والوصي، أو بواسطة الشخصيات الانكليزية التي اتصل بها في القاهرة)، فلماذا كتم هذه الأسرار عن رشيد عالي الكيلاني، مع العلم أنه كان وزيراً للخارجية في وزارة الكيلاني؟ ولئن كان نوري لا يولينا ثقته، فلماذا يجمعنا في داره، فيفشي لنا أسرارها التي لا تفيد غيره؟ ولئن لم تكن موضعاً للثقة، فهل يماثلنا جميع المسؤولين في البلاد، لتكتم هذه الأسرار عنهم جميعاً، فلا يطلعوا على ما يراد من العراق، ولتبقى هذه الأسرار وقفاً على الوصي وجميل وجودت ونوري؟

لا ريب أن مثل هذه المطالب والأسرار، يجب أن تطرح على بساط البحث في مجلس الدفاع الأعلى، وفي الجلسات السرية التي تعقدها مجالس السلطة التشريعية، وكل تصرف مخالف، يعتبر تصرفاً دكتاتورياً ولا يقره الدستور ولا تعاليم الديمقراطية. إنها لأسرار يكتنفها الغموض. أسرار لا يدركها إلا من أراد أن يطبق المعاهدة «نصاً ومعنى»... والمعنى في قلب نوري «الشاعر» بفضل الانكليز على العرب وجميلهم. أما الطرف الآخر، فأنتى له أن يدركها، وهو بعيد عن مثل هذا الشعور بفضل الانكليز ومنتهم؟ لذلك فقد حقت اللعنة عليه.

ملحق رقم -٦-

قام الانكليز بوقائع غادرة للتخلص من الوطنيين العرب المناوئين لهم. من ذلك حادثة اختطاف يس الهاشمي في عهد الحكم العربي في سوريا، وطالب النقيب في العراق. وهما حادثتان يعرفهما كل متتبع للقضايا العربية. ولنوري بن سعيد اليد الطولى في تنظيمها. لذلك فإن من اليسير على نوري، بعد تحشد الجيش البريطاني، أن يتخلص في ليلة واحدة من قادة الجيش ورشيد عالي وغيرهم، ممن لا يرضى الانكليز عنهم. وعلى رأس القائمة المفتي وجماعته وفوزي القاوقجي وعادل العظمة وغيرهم، ولا يستبعد أن يكون طه أيضاً بينهم.

رسائل الصباغ

كتب إلى أحد أصدقائه بتاريخ ١٠/٥/١٩٤٢

لقد اطلعت على الأحكام الصادرة بحقنا من اعدام ومصادرة أملاك، هذا كل ما علمه فيما يختص بي، وما حل بأخواني الآخرين. . أما أنا فقد شاء الله أن لا أموت على الرغم من المناسي والمشاق والمراحل الشاسعة المكسوة بالثلوج، والتي قطعتها على قدمي، وأنا أوصل الليالي، أحمل حقيبة متاعي على ظهري، وأطارد. . . حتى أذن الله أن أجتاز الحدود في ٢ نيسان ١٩٤٢ وأن أصل هذا البلد المنقطع سبواس في ٢٢ نيسان ١٩٤٢ فأمرت بالإقامة فيه. لقد أنهكت قواي ولمست أدري متى أستعيدها.. أنا أجهل ماذا حل بعائلتي، وقبل أربعة شهور، لما كنت في إيران، أرسلت زوجتي التي كانت ترافقني، أرسلتها إلى بغداد هي وطفلها الصغير فردوه بالبقية الباقية القليلة، وكان يرافقهما الجندي الذي بقي مخلصا لي.. لكني لا أدري هل وصلوا بغداد سالمين أم لا... لذلك فانا أجهل ماذا حل بولدي الآخرين وأمهما.. وكل ما أعرف أن شرطة هذا البلد أخبرتني بأن أكبر أولادي نزار كان هنا مع غيره من اللاجئين، وقيل لي أنهم قد أعيذوا إلى العراق.

أرجوا أن لاتفهموا مما تقدم أنني يائس أو أبث الشكوى.. لا والله.. فان ما حصل -شرا كان أو خيرا- ما هو الا رحمة من الله على الذين آمنوا بضرورة انقاذ بلادهم وما المناسي التي قاسيتها وأقاسيها الآن، والتي قد

تزداد شدة وقسوة فيما بعد، ماهي الا لباس ارتديته، وقد كان نصب عيني في جميع اعمالى. وقد يتمزق أو يبقى، فالأقوى به وجه ربي وأنا ناصع الجبين
قرير العين اذ أدت مافى مقدوري من الواجبات المترتبة علي في هذا
المضمار، والتي رضعت لبنها منذ نعومة أظفاري..

تحيتي اليك والى الأخ فخامة رشيد (يك) والاخوان الآخرين، وليعذرني
من الكتابة اليه لأنى أجهل عنوانه. أدامك الله بحفظه

سيواس - ١٠/٥/١٩٤٢

صلاح الدين الصبّاغ

وبتاريخ ١٢ حزيران ١٩٤٢ كتب مابلي:

لقد علمت العصابة التي تحكم العراق الآن أنني أقيم في سيواس،
وأنني لجات الى تركيا، لذلك أسرعت، بكل ماديها من قوة، وأحالت اضيارة
حكم الاعداد الصادرة بحقي الى هذه الحكومة مع طلب تسليمي الى العراق
لتنفيذ الحكم. وعلى هذا قامت محكمة الجزاء الكبرى بأخذ افادتي قبل يومين
مستندة على المادة التاسعة من قانون الجزاء العسكري التركي، وعلى
الاتفاقات العدلية بين العراق وتركيا. ولست أدري ماذا سيكون القرار؟ ولكن
أعتقد بأن المحكمة التركية عادلة، كما أعتقد بأن الشعب التركي والحكومة
التركية يعطقان على قضيتنا وعلينا، وأنها سوف لاترضى بتسليمي، لأن ذلك
يخالف عاداتها التاريخية المشهورة كما يخالف الحقوق البشرية.

صلاح الدين الصبّاغ

وكتب الى الحكومة التركية :

سيواس- أوتيل أورتك

٦ تموز ١٩٤٢

- من الضابط العراقي اللاجيء صلاح الدين الصبّاغ
- الى الجهات ذات الصلاحية :

كان المسيطرون على الحكومة العراقية قد تقدموا الى الحكومة التركية بطلب تسليمي اليهم لكي ينفذوا بحكم الاعدام الجائر، الا أن الحكومة التركية رفضت هذا الطلب لأن قوانينها العادلة اعتبرتني لاجئاً سياسياً، وأشعر بأنني مدين لأصدقائي الأتراك بواجب الشكر والامتنان. وكانت الحكومة العراقية قد أرفقت مع طلبها بتسليمي قرار الحكم باعدامي، فقرأت فيه أنها قررت بالاضافة الى حكم الاعدام مصادرة أملاكى أيضاً. وأنني أعلم أن عائلتي الموجودة حالياً في العراق تعيش في حالة شديدة من الضيق والعسر، لذلك أرجو منكم مساعدتي، بواسطة الطرق الدبلوماسية أو بواسطة الهلال الأحمر، لجلب عائلتي الى تركيا وفيما يلي عنوانها في بغداد: محلة الوزيرية- بواسطة الدكتور محفوظ: زوجتي بتول الصبّاغ.

صلاح الدين الصبّاغ

«الا أن جميع المحاولات التي بذلها صلاح الدين الصبّاغ لجلب عائلته الى تركيا لم

تفلح».

«الناشر»

سادساً:

خصوصيات الحكم وتعلقها بالصالح العام

في أوائل الخريف عام ١٩٤٠، اجتمع في داري فهمي ومحمود وكامل، وكان موعدنا الغد في مقابلة الوصي، فقد دعانا إلى الاجتماع في قصره، لما عاد من مصيف صلاح الدين، وكان قد وقّع على قانون المعارف، بعد أن التمسنا منه ذلك، في المقابلة التي سبقت هذا الموعد. وكان هذا التماسنا الوحيد، الذي تقدّمنا به طوال مسامراتنا، فتكرّم علينا بالموافقة.

ودار الحديث بيننا، عن الكيلاني والهاشمي، وكيف أنهما ما زالا يجهلان سر تلك الموافقة، بعد أن أعيتهما الحيل، لإقناع الوصي على توقيع هذا القانون، وقضيا أشهراً يلحان عليه في الرجاء، ويتبعانه إلى المصيف بون جدوى، ثم أجّل عرضه على المجلس النيابي، والوصي ما زال معرضاً عنهما، يختلق الأعذار حتى انتهى بهما الأمر إلى التذمر أمامنا جهراً، من تصرف الوصي، ومن دس نوري. وكم اشتكى رشيد، وطه لا يقل عنه شكوى، قائلاً: من الذي يدفع الوصي إلى هذا، وهو من الذين ألحوا عليّ، وأصرّوا لقبول رئاسة الوزارة، لما عجزت وزارة نوري عن تحمل تبعات الحكم، وشعرت بضعفها بعد اغتيال رستم حيدر. من الذي يشير عليه بهذه الأساليب الشيطانية، فيتخذ منها سلاحاً لإحراج موقف وزارتي، ولشل سيرها، وهو الأمي الجاهل لمعنى الدستور؟

أما قانون المعارف، فقد أعدت أحكامه لمحاربة السموم التي تبثها المدارس الأجنبية، ولتحديد عددها وتضييق نطاق عملها، لكن الوصي يشترط للموافقة عليه، أن تستثنى من أحكامه المدارس الانكليزية والأمريكية، فيكون كلية فيكتوريا فرع ببغداد، مثل الذي بمصر. ولقد صعب عليّ التوفيق بين مصالح الوصي الشخصية، ومصالح الأمة الحيوية، كما تعذر عليّ إقناعه قبل هذا، بضرورة التمسك بالاتفاق الذي عقده وزارة نوري مع حكومة جلالة عبد

العزیز السعود، وهو ما زال یسمعني قارص الكلام، فأصبر علیه وأورد الحجة تلو الأخرى، أنني ما سلمت رئیس العشيرة، إلا نزولاً عند أحكام ذلك الاتفاق، وبناء على طلب شخصي، تلقيته من جلالتة، وبعد أن قطع على نفسه عهداً بأن لايمسه بأذى، وبأن یكرم مثواه، وقد فعل. أما الوصي، فیرید أن أکتم عن ابن السعود وجود رئیس العشيرة هذا في العراق، فيستخدمه ضد ابن السعود لإرضاء أهوائه الانتقامية، ولو كان ذلك على حساب العراق والعرب. ولا أدري كيف أکتم الأمر، ورئیس العشيرة یزور السفارة السعودية بین أونة وأخرى، وهي التي أنبأتني بمحل إقامته؟

أنا أجهل نوايا الوصي ومرامیه، من وراء هذه الدسائس، ولكن نوري لا یجهلها. وكان على الوصي لكي یحتفظ بمثل هؤلاء، أن یرفض التوقيع على الاتفاق، لما تقدمت به وزارة نوري. وكيف أنكث العهود وأحدث الخلاف بین بلدين عربیین شقیقین، لمجرد أهواء الوصي الانتقامية من آل سعود؟ أو أثير الفتنة بین البلاد العربية وهي، في هذا العالم المحترق بآتون الحرب، أحوج الأمم إلى التعاون والتضامن وترقب الفرصة، لتتال حقوقها وتطرده بقايا الاستعمار من ظهرانیها، وترفع نیر الاستعباد عن كاهلها؟

إنها دسائس یحوکها السفير البريطاني، الذي استغل جهل هذا الوصي، فراح یصل به في قصره مباشرة، لا في البلاط، ولا یكلف نفسه عناء إخباري وأنا رئیس الحكومة. وهذا خرق للمجاملة ولحرمة الاستقلال، ولا تقره الأصول الدولية، ولا ترضی به حكومة مهما ضؤل شأنها. ثم فتح الوصي أبواب قصره للمعارضین من صنائع الانكليز، وقربهم إليه، وهو الذي كان یتظاهر قبل الوصاية بمقتهم، فأخذوا یتنقلون بین السفارة البريطانية وقصر الرحاب، حتى تحول القصر الخاص بالعائلة المالكة إلى دائرة رسمية.

أما أخونا نوري، فقد استقل في تصرفاته وتنقلاته، فكأنه ليس وزيراً للخارجية في وزارتي، فمن داره إلى مقر الوصي، ومن بغداد إلى القاهرة، وأنا لا علم لي بشيء، وأحسب للأعبیه ألف حساب.

وما كان طه الهاشمي لیقل عن رشید عالي الكيلاني تأثراً، يوم كان الكيلاني یقصّ علينا أموراً كنت أنا وهو وطه نعرف ما تعليلها، وما تضمّره خطط الانكليز، إذ تدفع نوري إلى عرض ما یعرض على مجلس الدفاع من مقترحات انكليزية، ویقرنها بالحجة غیر الشرعية لإحراج وزارة الكيلاني. وكان المقصود في الواقع، إخضاع الجيش، لا الكيلاني، ولكن النور كان الدور الثاني، بعد أن أیقن نوري أنه فقد ثقة الجيش به وتأييده له. وتحقق لديه اتفاق الكيلاني مع الجيش. فإذا وعوده المعسولة وجهوده المبذولة لقنص المربع الذهبي -كما یسمینا

الانكليز-، تذهب أدراج الرياح(١).

ثم انتقل بنا الحديث إلى أخبار البلاط وحاشيته، وتصرفات الوصي التي أساءت سمعته، ورحنا نبدي ألمانا وخيبة ألمانا، لما تلوكة الألسن عنه. وابتسم محمده أنا أقص عليهم ما كان من أمري مع الشريف (...).

وقصة ذلك أنني دُعيت إلى وليمة أقامها الوصي بمناسبة زيارة عطا الله باشا المصري إلى بغداد، ليقدم للملك فيصل الثاني هدية الملك فاروق، وقد دعي إليها الوزراء وكبار الضباط، وكان الحاضرون منبئين في الحديقة يتجاذبون أطراف الحديث، وإذا برجل يحمل كأساً فيه وسكي يمد يده لي مصافحاً ويقول، «تشرفت بالأخ صلاح الدين بك... أقدم لك نفسي أنا الشريف (...). يؤسفني أنني لم أتشرف بالتعارف من قبل... أهلاً وسهلاً بك، يسعدني أن أجذك الليلة هنا. فإنني تواق لرؤيتك وإخوانك الكرام... دعني أقبلك يا أخي...» وتلاحقت كلماته وهو يترنح يمنة ويسرة من فرط السكر، ويمسح فاه بين الفينة والفينة، فأجبتة: «لي الشرف العظيم، ولك الشكر الجزيل يا سيدي على ما تكرمت علينا من عطف وحسن ظن»، حتى أغاثني أمر كتيبة الخيالة الأولى صبحي العمري، فأبعدني عنه هامساً: «ما شألك وهذا المهدار، كأنك لا تعلم من أمره شيئاً» قلت «هو شريف من العائلة المالكة» قال: «أجل، وكان ذا حظوة عند غازي، ثم عند عبد الإله اليوم، لكنه جاسوس للانكليز، ومستخدم عند (نون فيل)، يفوق زميليه عبید وعبد الله المضايقي في هذا المضمار، وهو ليس خليقاً بالاحترام والتعظيم، بل يرتاح لأسلوب آخر، فأصنع إلى ما سأقول، يتضح لك ما أعني». وكانت مداعبة باللغة التركية، تضمنت جملاً خجلت من سماعها، فابتعدت وأنا أستعيز بالله من هذا الشريف، الذي يرث تراث محمد، قال محمود معلقاً: هذا غيض من فيض، فإن الشريف (...) يفوقه في هذا المضمار، ولا يجد حرجاً في المفاخرة بما ارتكب من مخازي(٢). وهل أتاكم حديث الوصي

(١) نونت اقتراحات نوري في محاضر مجلس الدفاع الأعلى، وكان نوري يعترض على تدوين المناقشة وضبط محضر تدوين فيه آراؤه، لأنه كان يخشى أن يبقى ذلك مستمسكاً ضده. ولابد أن يقضي نوري على تلك الأضابير ويمحو أثرها إذا وقعت في يده. لأن نوري كالزئيق لا يستقر ولا يمسك، بشهادتك أيها العربي الشهم الرئيس الأول الركن محمود البردة والمقدم الركن رفيق عارف، فقد كنتما تقومان بواجب تدوين محاضر جلسات مجلس الدفاع الأعلى وتحديدان مواعيد انعقاد الجلسات.

(٢) - أنقل هذا على عهدة الراوي، والرواية غيره كثيرون. أما محمود فمطلع على أخبار البلاط وحقيقة ما يجري فيه لأنه كان مرافقاً لفيصل وغازي مدة طويلة. ليس ببني وبين هذا الشريف سابق معرفة ولم تقع عليه عيني قبل ذلك أبداً، لكن سمعته عند الضباط والأهلين سيئة.

ومأساة زوجته المصرية، يوم أرسلها إلى مصر بالطائرة، بحجة زيارة أهلها وكان نوري يرافقها (١) وعبيد وعبد الله المصايفي. وبينما كان الزوج يودع زوجته ويعدّها بالوفاء وقرب اللقاء، كان مرافقها المصايفي يتأبط كتاب طلاقها، فما أن وصلت بيت أبيها حتى وصلها الكتاب. كل هذا وهي لا تدري أنها ضحية لكيد الأنسة الحيدرية (٢) التي رشحتها الخطط البريطانية، لتكون هي (الوصية)، فتلعب بمقدرات العرب. حتى أصبح غرام الأمير بها حديث الخاص والعام، تجري حوادثه في ميدان السباق بواسطة منفي..... وما هذا والله من الشهامة العربية في شيء، وأن الخجل ليعتريني وأنا أتحدث إليكم، بعد أن قدمت لكم الوصي بذلك الوصف الجذاب، إذ لولاي لما اتصلتم به. سألته:

- وما العمل يا محمود؟ أجب:

- لا شيء. وأجابوا:

- لا حول لنا عليه، وإن علينا الصبر، والسعي لتلطيف الأمر.

قلت: - ألا نغار على سمعته؟ قالوا:

- بلى والله.

فأضمرت في نفسي أن أفاتحه بالأمر غداً حين نلتقي.

فلما كانت الساعة الثامنة من مساء اليوم الثاني، جمعتنا قاعة الضيوف الأنيقة في قصر الرحاب، وقد جعل أثاثها على الطراز الأوروبي، وعلق على أحد جدرانها صورة زيتية كبيرة للمغفور له الملك حسين - جد عبد الإله - وهو باللباس العربي. وحضر الوصي بعد قليل فحييناه وقوفاً، ثم جلسنا على شكل دائرة، كعادتنا في كل اجتماع. وانقضت الدقائق الأولى في تبادل التحيات والمجاملات ثم بادرت إلى القول:

- سيدنا، أعتقد أنك من بعد اتصالنا بك وارتباطنا، أصبحت واثقاً من إخلاصنا واستعدادنا للتضحية في سبيل إحياء مجد هذه الأمة، الذي تستهدفه تعاليم محمد، فعاهدنا الله على الأخذ بها وجعلناها نبراساً لنا في الجهاد، حتى يدركنا الأجل أو يتحقق الأمل - هذا العهد يدفعنا إلى الغيرة على سمعته يا آل البيت، لأنها تمس بكرامة محمد، فنتوخى في القول الصراحة ولا نخشى في الحق لومة لائم، لذلك أرجو أن لا يجد سموكم مرارة في

(١) - جمعنا نوري في داره بعد عودته من مصر، وقال أنه ذهب إليها للوقوف على آراء الانكليز، لكنه لم يخبر رشيد عالي الكيلاني بذلك.

(٢) - هي بنت داود الملقب بالحيدري. لعبت هذه الأنسة دوراً هاماً في مقدرات العراق، فقد كانت تطمع بالاقتران بالوصي الذي كان شغفه بها يقارب العبادة. شبت هذه الأنسة على التربية الانكليزية وعلى خلق الانكليز. وقى الله العرب من شر الأعاجم.

صراحتي، إذ أقول كفاكم عبرة مما مضى (١).

إنه لمن الأمور الشخصية التي لا أعترض عليها، أن تنفصلوا عن زوجتكم المصرية لاختلاف الأمزجة، ولكم في ذلك كل الحق. على أن وقوع هذا الأمر عقب وصايتكم على العرش، كان له أثر سيء في نفوس الشعب، واقترن بإشاعات وتقوليات تشوه سمعتك، فكان لا بد من أن نلفت أنظاركم إلى ذلك. إن من حق الشعب عليكم، أن يحافظ على سمعتكم، وأن يناقشكم عليها الحساب، لأنها تمس بكرامته، لأنكم مثال أخلاقه وصدى سمته إذ كنتم من آل نبيه وبيته المالك. ليس الانكليز بأشد من العرب تمسكاً بالتقاليد، لكنهم أبوا على إيوارد الثامن، ملكهم المحبوب أن يعيث بتقاليدهم، فأقصوه عن العرش وهم أسفون، لذلك كان عليكم أن تتجنبوا ما يدعو إلى تدمير الشعب، وهو سزيع التذمر من مثل هذه الأمور كما تعلمون.

لقد ابتلى الله العراق والعرب بأدهى الأشخاص الذين عرفهم تاريخ الاستعمار في قنص الأمم بوسائل دنيئة وسبل وحشية، إذ يخلقون من أذنانهم زعماء ويحكمون على المخلصين بالفناء، هذا يرفعونه إلى مصاف الملائكة، لأنه جاسوس لهم في الدار، وهذا يجعلونه في مصاف الخونة أمام قومه، لأنه أبى الاستعمار. ومنهم من يقضون عليه بالموت، فيقتلونه غيلة، أو يدسون له سمًا، ومنهم من يستميلونه بالعواطف والملاذات والقصور الفخمة والحياة المترفة، حتى ضاق سفر التاريخ بأسماء الجميلات المأجورات، ذوات اليد الطولى في مصائب الشعوب ومصائرهما. ولئن كنت في عنفوان شبابك، فقد سئت للكائنات قيود لا تخرج عنها. إن قيامك بالوصاية على العرش وانتسابك إلى بيت كريم، يقضيان عليك بأن تحكم الإرادة في تصرفاتك، فتكبح جماح ميولك، وتسعى لإزالة ما يشوب سمعة ألك.. أما مطاوعة النفس، فإنها تعود بالضرر على مصالح الأمة، وتحط من ثقة الشعب بالقائمين على أمره.... (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً). وعلينا أن نلفت نظرك إلى ما هو خاف عليك، ورائدنا الإخلاص وحده، والله أعلم أننا كنا وما زلنا شباناً، ولكن نفوسنا أبت أن نقرب السيئة، لأنها تمس بكرامتنا وواجبنا القومي، ونحمد الله على ذلك.

وإنه ليسوء الأمة يا سيدنا، أن تعلم بانصرافك إلى متع الحياة، أو بإصرارك على الاقتران من أنسة غير عربية، زينها لك سماسرة الاستعمار، وهم يمزجون السم بالدسم. لا يخفى عليك أن زيداً أحق منك بالوصاية لأنه عمك، فما فضلتك عليه حجة أسكتت المعارضين وأقنعت الشعب، إلا أن زوجته غير عربية. وهذا ولي عهد إيران، قد تزوج بأميرة مصرية نادرة

(١) هذه إشارة من طرف خفي إلى حادثة قبرص. انظر الملحق رقم ٧-

المثيل، وهو لا يدانيك حسباً ونسباً، ولست أعتقد أن مصر الشقيقة، بمانعة عنك أختها، وهذه بيوتات العرب العريقة، تفتح لك الأبواب على مصراعيها، وانبذ الغادة التي فتنك -إذا صح ما يتردد على الألسنة - فما هي إلا أعجمية غدّارة.

وليشد بعضنا أزر بعض، ولنكن على بصيرة، فإن علينا بمثل هذه الظروف العالمية، أن نستغل الفرصة لانتزاع حقوقنا من غاصبيها، لا أن تلهينا هذه الأمور، فيصرفنا الانكليز بذلك، عن السير في الطرق الموصلة إلى وحدة العرب، وإلى إنقاذ الشقيقتين سوريا وفلسطين في عهدك، وعهد فيصل إن شاء الله. وأكرر الرجاء يا سيدي، بأن تلقى قولي بصدر رحب وخاطر طيب، فالله يعلم، وأنت أيضاً، أننا ليس لنا من وراء ذلك غاية أو مأرب، إنما يدفعنا الإخلاص، ولن تحيد بنا زخارف الحياة ومباهجها عن مبادئنا شيئاً، نرجو الله أن يمدنا بعونه، ويكمل أعمالنا بتوفيقه، فتجني الأمة العربية وآل بيتكم ثمار جهودنا، فتتحقق بذلك أمانينا ونراكم سادة لا مسودين، وملوكاً على العرب وهم أحرار لا مستعبدين.

كان الانفعال ظاهراً على ملامح الوصي وأنا أتكم، فلما فرغت من كلامي ساد صمت عميق، ثم قال: نعم يا صلاح الدين. ولكن لا أرى لأحد الحق أن يناقشني في أموري الشخصية. أه يا عبد الإله: لقد أسمعت لوندريت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي.

واعترض كامل شبيب الحديث على الفور، فأبدل الموضوع بابتسامته الخبيثة المعتادة، وقد أغاظتني.

ملحق رقم ٧-

العائلة المالكة عربية الأصل، والمنقول أنها من أشرف بيوت العرب والمسلمين، إذ تنتمي للدوحة النبوية. لذلك فإن كل ما يسيء إلى سمعة هذا البيت العربي الأصيل، ينال مني ويؤذيني أنا العربي، كما ينال بني قومي ويؤذيهم. ومن طبعي أن لا أتعرض لأحد بالتجريح والتشهير ولو كان أعجباً.

لذلك كان علي أن أكتم الحقائق فلا أجهر بها، مع أن كثيراً من العراقيين يعرفونها. وربما عاد الجهر بها بالضرر على أفراد عائلتي، وأنا أجهل ما يلحقهم الآن من جور، على يد من لا يعرف معنى للقومية والشهامة العربية.

لكن المصلحة القومية، تدفعني إلى الجهر بالحقائق، وأنا أعالج أسباب الحرب بين العراق وانكلترا، وأسباب فشل العراق في الحرب. ولا بد من ذكر عيوبنا التي أخذت تقضي على كيانتنا القومي، وتفكك بتقاليدنا وعاداتنا، ومجابهتها بصراحة، لنتمكن من إزالتها. وقد علمنا عصر الفن والآلة الذي نعيش فيه، أن العطب لا يزول إلا بعد الوقوف على السبب، والنظم الاجتماعية تقوم على هذه القاعدة، كما أن التعاليم الإلهية تأمر بها.

إن السبب الذي أودى بنا إلى هذا الدرك هو حالتنا الاجتماعية، والتربية الأعجمية في بيوتنا، والأناية الفردية التي دفعت عيون قومنا إلى الخيانة الوطنية.

قال الله تعالى «إن الله لا يستحي من الحق» وقال جل جلاله «وإذا أردنا أن نهلك قرية، أمرنا مترفينها، ففسقوا فيها، فحق عليها القول، فدمرناها تدميراً».

يؤسفني أن أقول بأن إحدى فتيات العائلة المالكة تزوجت خادماً يونانياً في قبرص، بعد أن فرّت معه وتصرّت في قداس، عقد في إحدى الكنائس بأوروبا. وقد نشرت هذه الحادثة في الصحف العالمية، وكان المرافق الأقدم المقدم عبد الوهاب، يرافقهم في مصيفهم بقبرص، فلم تؤثر هذه الحادثة على مركزه عند العائلة، وهو لا يزال أمين سرها وصديقها الصدوق.

ويؤسفني أن أقول بأن العائلة المالكة، جعلت طبييها الخاص يهودياً إنكليزياً، بدل أن يكون طبييها عربياً أصيلاً، مع أن فلسطين تتن من الصهيونية اليهودية. وهذا الطبيب يدعى سندرسن، وهو إنكليزي، يهودي، صهيوني، منح لقب (باشا) فأصبح معروفاً بسندرسن باشا. فكيف ينال العرب استقلالهم، بمثل هذه الأفعال التي يأتيها أولو الأمر منهم؟

سابعاً:

وقوف العراق على الحياد

احتدم النقاش في مجلس الدفاع الأعلى، بعد تلاوة اللائحة التي بُسُطت فيها موقف العراق العسكري، بالنظر إلى الوضع العالمي آنذاك. وخلاصة ما جاء في اللائحة أن يتمسك العراق بالحياد ما أمكنه، وأن لا يتعدى حدود المعاهدة بينه وبين انكلترا. ووقف كل من رشيد عالي الكيلاني وناجي السويدي إلى جانبي، فدافعا عما احتوته اللائحة، وأوردا النصوص القانونية في المعاهدة التي تبرر للعراق الوقوف على الحياد.

كان نوري هو الذي اقترح أن أعد تلك اللائحة، للوقوف على رأي الجيش، متوقعاً مني أن أؤيد وجهة نظره، بالسماح للجيش البريطانية بالتحشد في العراق، فلما وجد اللائحة خلاف ما يرغب، طلب من طه، على قصاصة من الورق أن يختتم جلسات مجلس الدفاع، فوافق طه على ذلك، مع أن نوري لم يكن أكثر من وزير للخارجية في وزارة الكيلاني. وكان طبيعياً أن يعقب ذلك، هجوم على الجيش، وتناول على الكيلاني، شنه سماسرة الانكليز في مجلس النواب والأعيان، مثل جميل وجودت وجلال بابان(١). فانبرى لهم طه الهاشمي رادا على أراجيفهم، مدافعاً عن الجيش بصدق وإخلاص، مثبتاً وطنيته وعرويته. أما نوري، فكان يماري، فهو وإن اتفق مع الهاشمي في الدفاع عن الجيش، فقد كان يشجع الأذئاب من وراء الستار، ويحرضهم بواسطة الانكليز وعبد الإله(٢) ومما قاله جلال بابان في خطاب له، عبّر فيه عما يريده الانكليز من العراق، أن على العراق أن يختار بين ثلاثة أمور:

١- الوقوف على الحياد في الحرب، وتطبيق نصوص المعاهدة العراقية الانكليزية. واتباع هذه الخطة دليل على عدم التروي، لأنه لا يتفق مع الصداقة التقليدية التي تربطنا ببريطانيا، ولا مع حرص بريطانيا على المحافظة على كيانتنا. لذلك كان علينا أن نوفي الصداقة حقها.

(١) نشرت خطبهم في جريدتي الزمان والعالم العربي في أواخر عام ١٩٤٠ (أوائل عام ١٩٤١).

(٢) - كان نوري يلمح بهذا من طرف خفي بأن قطع الصلة بيننا وبينه سيعرضنا إلى هجمات هؤلاء الأذئاب لأنه كان مطالعاً على حقيقة موقفنا منهم.

٢- الانحياز إلى الجانب المعادي لبريطانيا. وهذا هو الجنون بعينه، بل إنها خطة جهنمية وخيانة وطنية.

٣- الدخول في الحرب إلى جانب بريطانيا. وهذه هي الخطة القويمة، التي يجب على العراق اتباعها، ليفي بحق الصداقة لحليفته بريطانيا العظمى (انظر الملحق ٨-).

اجتمعنا في دار محمود سلمان بالوزيرية، واستعرضنا ذلك كله، ثم كشر كامل عن أنيابه، وابتسم ابتسامته الصفراء، التي تتم على الغدر عند المحنة، والتملص من الخطر، لينجو بنفسه، وراح يعاتبني ويقول: أنه كان محقاً فيما تنبأ به عن الوصي، يوم كاشفته بما في ضميري، وما كان من أمري أخيراً مع نوري في داره. وأنه مصيب في اعتقاده، بأن من عادة العائلة المالكة أن تجزي الحسنة بالسيدة - وقد صدق كامل- وضرب على ذلك مثلاً، ما كان من تنكّر غازي للأخوين طه ويسين الهاشمي، وهما اللذان علّماه صغيراً ورعياه. فالواجب علينا إذن، أن نتقي في صلتنا بعبد الإله، وأن نستفيد منه بالسير في الطرق التي تلائم طبيعه، ما دما لا نستطيع رعه.

قلنا: -أحسن يا كامل، نوافقك على ذلك، فاعدد للأمير ما يطيب له نفساً إن كنت عالماً بالطرق التي تلائمه.

وابتسمنا، فأجاب: -لا، لا.. نحن عرب لا ننزل إلى هذا الدرك مهما كان السبب، فكيف تقولون هذا؟ (راجع الملحق ٩-).

قلت: -إذن حسبك يا كامل وحسبنا مراوغة ومخادعة لأنفسنا، لقد بلغ السيل الزبي، وما نخشى وقوعه لا محالة واقع. لأن الانكليز وأذنابهم، لا يقصدون الكيلاني، بل الجيش، ونحن تلقاء ذلك بين أمور ثلاثة:-

فأما أن نرضخ للانكليز كما يدعو نوري وعبد الإله والأذناب، ونبقى على رأس جيش، يجعلونه كجيوش المستعمرات، فنتهازل علينا الرواتب الضخمة، ونختال في المناصب الرفيعة، ونغدو والجيش من ورائنا، آلات صنماء في أيديهم، ضاربين عرض الحائط بشرفنا وعهودنا ومقدرات أمتنا.

أو أن نرفع استقالاتنا، ونقبع في بيوتنا، تاركين الحبل على الغارب.

أو أن نبقى على ما عاهدنا الله عليه، فلا نحيد عن مبادئنا، وننصر الشعب ونؤيد رجاله المخلصين، الذين يتمسكون بنصوص المعاهدة العراقية الانكليزية المقيتة. بذلك ننقذ البلاد من حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل، حتى تجين الفرصة التي تعود على البلاد بالنفع، أو

ينجلي الموقف العالمي، شأنا في ذلك شأن الأمم المجاورة لنا.

كفاك يا كامل وكفانا مراوغة ومخادعة، إننا نتذمر من موقف عبد الإله وسوء سمعته، وإن محموداً يعرض على أنامله من الغيظ والندم لما جنت يداه، وما بشر لعبد الإله، حتى رفعه إلى مقام الوصاية. علينا، إذا كان الإصلاح رائدنا، أن نبدأ بالرأس، فنطلعه على السيئة، ليكون على بصيرة، قبل أن يستفحل أمره. أما اقتراحك بأن ننقيه، ففيه خطر عظيم، لأنه سيجعله يقلد الفراغة. ثم إن اقتراحك لا يتفق مع طريقتنا التي سلكناها معه، ولا مع سيرتنا التي مشينا عليها. زد على ذلك أننا لا ندري كيف نطبق هذا الاقتراح، وقد يجرفنا معه، بعد أن أحكمت شرك الانكليز انطباقها عليه، ونفذت إلى أموره الشخصية وعواطفه الصميمة. ومن أين لنا بعد ذلك أن نمنع الكارثة عن الأمة العربية، وعن العراق وجيشه؟ أو كيف نقوى على ذلك، إذا انجرف الوصي بتيارهم، ونحن نعاني الأمرين من الانكليز ومن الكتل الأعجمية التي تشايعهم وتتحين الفرص للقضاء علينا؟ إن الأحداث تشير إلى اقترابنا من الهوة، فهذا الوصي يتصل بحسن السهيل وبالسفير البريطاني، إذ لوحا له برؤوس الأموال اليهودية، وأخذاه إلى بلدروز، لاغتصاب أراضيها من أهلها بالظلم والعدوان، فصرخ الناس «ملوكنا تسلب حقوقنا فلمن نشتكى؟» حتى اضطر محمود أن يلتزم من الوصي الكف عن محاولة شراء الأراضي، لأنها تسيء إلى سمعته، ولكنه باء بالفشل، ولم يكن أسعد حظاً من متصرف بعقوبة، السيد جلال خالد (١).

وهذا الوصي يرافقه السفير البريطاني، يتصل بأمر ربيعة في الكوت وبرؤساء العشائر الأخرى، كما يتصل بعملاء الاستعمار وسماسرته المناوئين للعروبة، حتى ضاق الكيلاني ذرعاً بهذه التصرفات الشاذة.

وهذا الوصي يجمع صفار ضباطنا في قصره يسقيهم الشاي، أو ربما يدعو بعضهم إلى سهراته الخاصة، أو يمهّد السبيل للإنكليز أن يتصلوا بهم، إذ يرافقونهم في صيد ابن

(١) - حسن السهيل نائب في مجلس الأمة العراقي، ولا يعرف القراءة ولا الكتابة. كان جاسوساً يعمل لحساب الانكليز في الحرب العالمية الأولى وأثرى بفضل الانكليز وبركاتهم عليه، فتملك أطيافاً واسعة يجري فيها الماء وتكسوها خضرة يانعة. ادعى رئاسة بني تميم والعشيرة تعرفه صعلوكها لأنه كان يبيع الشوك قبل الحرب على مايروي حسين علوان. كاد الشعب يفتك بحسن السهيل أيام الحرب بين العراق والانكليز لأنه تجسس على بني قومه لحساب الانكليز وأعد لطائراتهم مهابط في أطيافه، ولم ينقذه من الموت إلا التجاؤه إلى عبد الواحد صقر.

أما المتصرف السيد جلال خالد فكان يشكو من تصرفات الوصي وتنقلاته إلى بلدروز برفقة حسن السهيل والسفير البريطاني، وتعددت مراجعاته إلى المقامات العليا بشأن ظلمات الناس في منطقة بلدروز لكنه لم يتوصل إلى نتيجة.

أوى، لكي يحرضهم هو والانكليز، على التمرد على قادتهم ونحن لا رأي لنا في ذلك ولا علم - سائراً في ذلك على غرار ما سار عليه نوري من قبل، فلما أبدينا له استنكارنا، وعد بالكف، لكنه لم يفعل وظل سادراً في غيه، مخفياً أمره عنا.

وهذا الوصي يدعو ابراهيم الراوي (الذي لا أشك في عرويته)، إلى الاشتراك في صيد ابن أوى أو إلى رياضة أخرى يقيمها في كل مناسبة، فأخذ ابراهيم يتنقل من مقره في الديوانية إلى قصر الرحاب، ولو عرف غاية الوصي من الالتفات إليه لما فعل. لا يخفى أن تفضيل أمين زكي عليه في رئاسة أركان الجيش، قد أثار امتعاضه، لأنه أقدم ضباط الأركان بعد حسين فوزي. فهو لذلك يريد رئاسة الوزارة لصديقه علي جودت بن أيوب، لينال أمنيته على يد صديقه. لكن علي جودت صنيعة الانكليز، وهو أقرب إلى جميل منه إلى نوري. ويتبع جميلاً كل من ابراهيم كمال ومصطفى العمري (١)، وهناك الجماعات المناوئة للعروية مثل جلال بابان وأمين زكي ومن لف لفهما (٢). هؤلاء جميعاً يتصلون بالوصي، وهم تلاميذ الانكليز ومروجوا طريقتهم الاستعمارية في العراق.

أتعلمون من هو الصيد الذي تنصب له هذه الشراك؟ إنه ليس الكيلاني، بل نحن

(١) - ابراهيم كمال أبوه أعجمي وأمه عربية من آل توحلة.

أما مصطفى العمري فيمت إلى أمين بالقراية والنسب. وأمين العمري لا يرضى على حكومة لا تستوزر قريبه مصطفى ويطمح برئاسة أركان الجيش مهما كلفه الأمر.

(٢) - أمين زكي هذا غير أمين زكي رئيس أركان الجيش. كان ضابط ركن في الجيش العثماني ثم أحيل على التقاعد وبقي في الاستانة بعد حرب الاستقلال التركي وهو لا يملك شروى نقيير. فلما استغاث بالعراق والعروية جيء به إلى العراق عام ١٩٢٨ أو قبل ذلك ليكون عوناً للعروية وعضداً لقضيتها، فما كاد يستقر به المقام حتى اتخذ الكردية مبدأً له، لا لأنه كردي بل لجني الثروة. وقد كان له ما أراد وتقلد الوزارات وتملك القصور والعقارات في عشر سنوات معبودات. هذا التوفيق ينتظر كل من يشايح الانكليز والاستعمار.

أما جلال بابان فكان في نشأته ضابطاً مدفعياً برتبة ملازم ثان في الجيش العثماني، وهو من عائلة بابان الكردية العريقة. انضم جلال (وابن عمه) للثورة العربية بعد أن أسر في الحرب العالمية، ولا أدري لماذا انضم إليها وهو الذي يجاهر بالاقليمية العراقية ولا يريد العروية للعراق. تقلد مناصب وزارية باسم الكردية وهو في الحقيقة انكليزي النزعة يحب الانكليز أكثر من العرب، ولا يتردد في المجاهرة بالنزعة العراقية حتى في الاجتماعات الرسمية، إذ جمعتني به عدة اجتماعات رسمية في مجلس الدفاع الأعلى وفي مجلس السكك الحديدية. وكان وزيراً حين قال في مجلس الدفاع الأعلى: «نحن عراقيون فمالنا والبلاد العربية» فانبريت له على الفور وقاطعته قائلاً: «أن العراق عربي ياسيد، والعراق موطن العرب والاكراد اخوان العرب، فلا تنكر علينا هذا الحق» فسكت جلال على مضض.

فأمين زكي وجلال بابان انكليزيان أكثر منهما كرديان، وكثير مثلهما يدعون الكردية - والكردية الحقة بريئة منهما - فيتزعمون هذه الحركة في الظاهر، وهم في الباطن عملاء للانكليز يناوئون كل عربي.

والجيش من ورائنا، وهدفهم الحقيقي هو الجيش، لذلك نراهم يشجعون الضباط على مخالفة النظم العسكرية، وبالتالي يحرّضونهم على التمرد علينا، ليتم لهم القضاء علينا والسيطرة على الجيش. إن ريان السفينة والمرجع الأول والأخير، هو نوري الذي يتظاهر بحبه لنا وكراهيته لأولئك. إن نوري لن يستريح إلا بإقحام العراق في هذه الحرب، وليجرّ من ورائه الأقطار العربية شاعت أم أبت، لا نفع يعود على الأمة، بل لمصلحة الانكليز فقط. أما العراق فيكفيه -كما كان يقول لنا- أن تنوم عليه نعم المعاهدة.

كان جديراً بنا أن نكتم سرنا ولا نعلن عقيدتنا، إذن لما وجد نوري وعبد الإله سلاحاً لمقاومتنا، كان جديراً بنا أن نفكر في العواقب، فلا نعدد لهما أسماء من نعول عليهم من إخواننا -تلك الحلقة الذهبية على حد تعبير الانكليز- لكنها غلطتك يا محمود، لأنك أدنيتنا من الوصي، وهي غلطتك يا فهمي، لأنك قدتتنا إلى نوري، ثم هي غلطتي أنا، لأنني طأوتك على مضض، فخالفت رأي أخي الأكبر (١)، وخالفت رأيي الشخصي عن شعور هذا الرجل، وكنت تعرف من أمره شيئاً كثيراً، وتعلم أنه يظهر ما لا يبطن وأنه في الواقع انكليزي.

هل تذكرون مجلسنا في دار نوري، الذي ضم طه الهاشمي واسماعيل نامق وسعيد يحيى بعد عودتي من الرياض، وأنا أقص عليه ما كان من نجاحي في المهمة التي أخذتها على عاتقي، إذ تفضل جلالة الملك ابن السعود بالتوقيع على الاتفاقين العسكريين بين بلدينا، بعد أن قضيت سنتين في تذليل الصعاب التي اعترضت هذا الأمر، إبان وزارة جميل، الذي اعترف أنه كان ظهيري فيه (٢) وجواب نوري: «لقد أصبحت يا صلاح الدين سعودياً، ولكن ابن السعود غدار، كذاب».

ثم هل تذكرون مجلسنا في قصر الوصي، إذ سألتني أن أقص عليه تفاصيل رحلتي

(١) كان أخي حسن شوقي الصباغ من الضباط البارزين في الجيش العراقي وفي الثورة العربية. ولد في الموصل سنة ١٨٩٥م الموافقة ١٣١٢هـ وتوفي سنة ١٩٢٨. كان رحمه الله ضابطاً في الجيش العثماني انضم الى الثورة العربية في الحرب العالمية بعد سقوط بغداد. وكان على رأس الضباط الذين ناوهم نوري ابن سعيد، حاول نوري الكيد به والله في كل مرة. وأذكر بالتخصيص يوم قدوم السيد طالب النقيب الى بغداد واستقباله في المحطة بجانب الكرخ وغضب نوري على أخي. كان أخي يقول لي وفهمي: «أذ أراد الله خير الأمة العربية أمات نوري بن سعيد».

(٢) - أنا أشهد أمام الله والتاريخ أنك يا جميل أشرف من نوري وأنبل منه، بالرغم من صحيفتك السوداء إذ نصرت الانكليز على قوم أبوك وأوآ أباك. لقد عارضت فكرتي يوم كنت رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع عام ١٩٣٩، وكان حسين فوزي رئيساً لأركان الجيش، ونظيف الشاوي معاوناً له، وكنت أنا مديراً للحركات. وإن أنسى لن أنسى الاجتماع التهديدي الذي عقد في وزارة الدفاع مع الوزير السعودي معالي الشيخ يوسف

هذه، وكيف تغيرت ملامح وجهه، وقال لي ما قال نوري بالحرف الواحد: «لقد أصبحت يا صلاح الدين سعودياً الخ...» فكان أن وجهت لي العتاب بعد ذلك يا محمود بقولك: «كان عليك ألا تسترسل في الحديث، وأنت لا تجهل العداء المتأصل بين العائلتين المالكتين، وإن كان في حديثك خير العرب ومصلحتهم.

لئن كان لنوري ما أراد، وقضى على الاتفاقين بالموت (١)، فإن كلماتك لن تموت يا جلالة الملك عبد العزيز السعود. فما زلت أذكر يوم جلسنا في ديوان قصرك، فقلت بحضور نجلك الأكبر الأمير سعود: «أنا أوافق يا صلاح الدين على توقيع هذين الاتفاقين، إذ طالما صرحت أن العراق حصن نجد وبابها، وأن ما يسوؤه يسوؤها. لست أنكر العداء الذي تكنه العائلة الهاشمية لآل سعود، لكن فيصلاً غلب عواطفه بالذكاء والحكمة، فاضطرني إلى مسابرتة وأنا أتبع المثل القائل «عدو عاقل خير من ألف صديق جاهل» أنا لم أخش رجلاً غير فيصل ولن تنجب العائلة الهاشمية رجلاً مثله. والعراق لا ناظم له من بعد فيصل، لأن حكامه مغرضون، تسيرهم الأهواء، وأولهم نوري، الذي سيعمل على إحباط مشروعك هذا».

صدقته يا عبد العزيز، صدقت والله....

إذن بونكم نوري وعبد الإله يا إخواني، فثابروا على الاجتماع بهما لكني سأبقى بعيداً، إن نوري سيضرم نار السلطان عما قريب، ولست أريد أن أكون لها وقوداً.

ثم أضفت مازحاً: - بعد أن خلع على فهمي عباءة، وعلى كامل عباءة، وقدم لي ابنه صباح هدية قبلهما، فلم يبق سوى محمود بلا خلعة ولا هدية...

قال فهمي: سأذهب أنا وكامل إلى سماحة المفتي الأكبر أمين الحسيني، فنسأله أن يدعو لتطهير العباةتين من رجس بريطانيا وسحر نوري، فنكون بعد ذلك من أصحاب العباةات!!!

وابتسمنا جميعاً ثم قلت: -لقد عقدت العزم أن لا أحضر اجتماعات الوصي بعد اليوم. أما نوري فلم تعد له حاجة عندي، إذ أيقن أنني لن أقع بفخه وأن وعوده المعسولة لن تغريني. فاعترض الثلاثة وأصروا علي أن أرافقهم في الاجتماع القادم. وكان الوصي قد طلب مقابلتنا بعد ثلاثة أيام، لكنني لم أترجع ورجوتهم أن يعتذروا لدى سموه بغياي خارج بغداد لتفتيش

(١) - أما نصوص هذين الاتفاقين وتقرير رحلتي إلى الرياض فقد تركتها في خزانة رئاسة أركان الجيش لما توليت قيادة الفرقة الثالثة. وأودعتها لخلفي العقيد الركن نور الدين محمود، وقد ساهم في اعدادها الرئيس الأول الركن محمود الدرة مدير قسم النفير لأنه عربي غيور وهو مطلع على هذه الأحداث كلها.

قطعات فرقتي، والتحكيماات التي تشاد على تخوم العراق الشرقية، قبل أن يكون لي بهذا الاجتماع علم(١).

عادوا وعلى وجوههم الكآبة وخيبة الأمل. وقال محمود سليمان: -ليتنا ما ذهبنا، فقد فاق الأمر ما تصورنا. فالوصي الذي كان يصر على إخراج ناجي شوكت من وزارة رشيد، ثم وافق على رجاء طه بإخراج نوري معه، توفيقاً بين المصالح الانكليزية والتجانس الضروري في هيئة الوزارة، يريد اليوم أن تستقيل وزارة الكيلاني بجملتها، وحجة الوصي في ذلك، لا تختلف عن حجة نوري، وخلصتها أن اشتراك العراق في هذه الحرب إلى جانب الانكليز أمر لا بد منه، ولا يكفي أن نتقيد بحدود المعاهدة، أو أن نقطع علاقتنا بدول المحور. لأن الوصي يعتقد - واعتقاده مستمد من نوري طبعاً - أن لحياء للعرب بعد بريطانيا، فإن ماتت ماتوا.

وقد حاولت اقناعه بالعدول عن ارغام الكيلاني على الاستقالة، لكنه تمسك برأيه، وأصر على ضرورة استقالة الوزارة. وأكد علينا أن حضورك في الاجتماع القادم ضروري، وأنه سيخبرنا بموعده فيما بعد.

فأجبتهم مردداً قول نوري: «ياصلاح الدين، في رأسك صوت، سوف تصيحه، ولكن سوف ترى ماسيجري بالعراق». ألا بالله اجيبوا ياإخواني، هل الصوت في رأسي، أم في رأس نوري؟

أما اصرار الانكليز وعبد الاله على اخراج ناجي شوكت من وزارة رشيد عالي الكيلاني، فسببه دسائس نوري بن سعيد عندهما. فقد ادعى أن ناجي شوكت اتصل بفون بابن سفير ألمانيا في تركيا، ذلك أن مجلس الدفاع الأعلى قرر ايفاد ناجي شوكت إلى انقرة، للاطلاع على رأي السلطات التركية بشأن الحرب، وموقفهم منها، وهل سيلزمون جانب الحياد.. وقد وقع الاختيار على ناجي شوكت كما سبق بيانه، لأنه يتمتع بسمعة حسنة في أوساط السلك السياسي في انقرة، ولأنه صديق عصمت اينونو. ولكن نوري، أصر على مرافقة

(١) - كنت قد أعددت خطة الحركات للدفاع عن العراق في عهد رئيس أركان الجيش حسين فوزي، بصفتي معاوناً لرئيس أركان الجيش ومديراً للحركات (لم تكن هذه الخطة للدفاع عن العراق ضد عدوان انكليزي، بل كانت على أساس التعاون مع الانكليز للدفاع عن العراق من الناحية الشرقية أو الشمالية، أو في حالة انفراد العراق في الدفاع عن نفسه). وكانت معظم التحكيماات الأساسية المقررة في ملاحق هذه الخطة تقع في منطقة الفرقة الثالثة فلما نقلت من منصب معاون رئيس أركان الجيش وتوليت قيادة الفرقة الثالثة هذه، كان علي أن أكون على رأس لجان التحكيماات وسميت هذه التحكيماات (بخط صلاح الدين) ونقشت هذه العبارة على بضعة معازل من هذه التحكيماات.

ناجي في هذه المهمة بصفته وزيراً للخارجية، فوافق مجلس الدفاع الأعلى على طلب نوري كارهاً، لأن ما هو معروف عن نوري من نزعة انكليزية، أقوى من نزعة الانكليز انفسهم. سيحمل السلطات التركية وغيرها إلى الحذر، فنتحاشى الإفضاء بأي شيء يفيد منه العراق. والأدهى من ذلك، أن علي جودت بن أيوب، سافر إلى أنقرة هو الآخر، مع العلم أنه لم يكن مسؤولاً، ولم تكن له أية صفة رسمية. سافر علي جودت ليطلع على ماسيكون من أمر ناجي، ولا أدري هل سفره إليها من تلقاء نفسه، أم بناء على تكاليف جهة من الجهات، كما لا أدري من أفضى لعل جودت بقرار مجلس الدفاع الأعلى. لله در نوري والانكليز.

أما اتصال ناجي شوكت بفون بابين، فلن اعلق عليه بالنقد أو التحبيذ، بل أترك ذلك لتقدير سياسة الدول المستقلة استقلالاً حقيقياً، لا لسياسة الدول ذات الاستقلال الكاذب، هذا إذا صح نبأ اتصال ناجي شوكت بالسفير المشار إليه.

ملحق رقم - ٨ -

مما يلفت النظر، يوم القيت هذه الخطب في مجلس الاعيان، قول نوري في معرض كلامه وهو يرد التهم عن الجيش ويساعد طه: «أنه يشعر بدنو أجله» هل كان نوري يخاف أن تغتاله دائرة الاستخبارات البريطانية (في داوونيك ستريت)، إذا هو لم يحقق لها ما اشار إليه جلال بابان؟

وانما يلفت هذا الكلام النظر، لأننا سمعنا كلاماً يماثله من عبد الاله، عندما حاولنا (أنا وكامل ومحمود وأمين زكي) أن نقبل يده، لتكرمه بقبول رجاينا بتسمية محمد يونس السبعراوي وعلى محمود الشيخ، وزيرين في وزارة رشيد. فقد قال عبد الاله: «نحن آل البيت كتب الله علينا القتل والتعذيب»، وبعد يومين ذهب إلى الديوانية، فأرغم وزارة رشيد على الاستقالة.

هل خاف نوري وعبد الاله من الانكليز، لأنهما قاتلان اشتراكاً في جرم واحد، بعلم من الانكليز وانصياعاً لاوامرهم؟ -اسألوا صباح بن نوري بن سعيد عن قاتل غازي-

ترى من الذي كان يهدد نوري وعبد الإله؟

لئن كان الجيش قصداً فقد أخطأتما. والله انما ترميان الجيش بأمر هو من شيمتكما، لأن الخائن لا يفارقه الخوف. والله ما خطر ذلك على بالنالقط.

أما الآن، فلن أقول ما كان علينا أن نقوم به فقد فات ما فات، وإنما اترك التقدير والانتقاد لمن يقرأ هذه المذكرات..

الملحق رقم ٩-

أيه ياكامل شبيب، يؤسفني أن نشهد بعروبتك. لقد كتب الله عليك أن تظهر على حقيقتك أمام قومك.

لقد كنت مطلعاً على حقيقة طبعك، لكني لم استطع استئصال شأفته، كم غدرت بي ياكامل، ناكصاً على عقيبك يوم المحنة وفي أوان الشدة، ثم عدت خاضعاً نادماً، واعتليت الكرسي، وصرت من اصحاب الزمن.

لقد قبلتك صديقاً لي، وأنا أعلم أن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، وكان شفيك الكبير عندي عروبتك ياكامل. ولكن الجبن والأنانية، وهما اساس طبعك، دفعا بك إلى خيانة صحبك، لتقطع عليهم الطريق، ولتخط من معنويات جيشك وفرقتك، ونحن في أزمة الحرب ياكامل.

قلت لي في طهران -أنا لا علم لي بأمر كتابيك، اللذين أرسلتهما إلى بغداد -أن تدوين المذكرات ليس من عادة العرب. لا أدري إن صح قولك هذا عن العرب، ولكني أعلم أنك لم تقل قولك، إلا لما عرفت بأنني شرعت بتدوين مذكراتي، لأنك تخاف مذكراتي، وتخاف ماسيرد فيها عنك.

لا، لاتخف ياكامل، فإن ما أبوته عنك، يعيدك إلى دارك وبينك، ويرفع من شأنك عند الانكليز وأذنابهم. وهذا همك ياكامل بن شبيب. لكن هناك أيضاً سيكون عذابك، لأنك ستبقى محتقراً من أطفالك، الذين ترعرعوا على العروبة في كنفك وتلقنوا تعاليمك. ألم يكتبوا لك وانت في طهران (بابا .. ياللعار .. كيف طاوعتك نفسك على خيانة قومك وصحبك؟).

مسكين أنت ياكامل، وانه لعذاب كبير. فقد سوّدت وجهك في الدنيا أمام بني قومك، وفي الآخرة أمام الله. بل لقد سوّدت وجهك أمام نوري وعبد الاله .. أسفي عليك يا صديقي كامل، وأسفي على الذكريات.

ومع ذلك فأنت عربي. وقد لقنتك آلك تعاليم العروبة. ولك من المزايا مالم ينلها كثير من أبناء قومك.

الحنين إلى أهله

استبد به الشوق إلى والديه . والحنين إلى بيته . وإلى مسقط رأسه . وكانت قد مضت "١٢" سنة منذ رأى والديه لأخر مرة . لذلك قرر أن يذهب إلى الموصل ليرى والديه . ويتاريخ ١٩١٩/٢/١٥ أخذ وثيقة من حاكم قضاء حلب العسكري يوصي فيها السلطات العسكرية العربية والبريطانية بأن تسهل سبيله . وكان الحاكم العسكري لحلب يدعى علي جودت الأيوبي .

ووصل صلاح الدين العراق بتاريخ ١٩١٩/٣/١١ وقصد بيته في الموصل، فلم يجد فيه أحدا من أهله، بل وجد فيه أناسا لا يعرفهم، وبحث عن أقربائه لوالدته حتى اجتمع بهم، فسألهم عن والده . ووالدته . وبيته . . فجاءته الأنباء الصاعقة وتكشفت له فصول المأساة، إذ مات والده في بغداد عام ١٩١٧ على أثر انهيار أعماله التجارية الواسعة، وصادر القضاء التركي بيته في الموصل، وحاولت والدته اللحاق بزوجها فسافرت إلى بغداد . . إلا أنها اضطرت إلى البقاء في "شهربان" ولم تستطع مواصلة السفر إلى بغداد نظرا لسقوط المدينة بيد الجيش الانكليزي . . "شهربان" (١) مدينة عراقية صغيرة تقع قرب الحدود الشرقية .

صعق محمد صلاح الدين من هول ما سمعت أذنائه . . وقصد "شهربان" فوراً . . وهو يبكي والده . . ويحمد الله على سلامة والدته . . وما كاد يصل شهربان حتى توجه إلى الدار المتواضعة التي كانت والدته تقيم فيها وحيدة غريبة .

(١) شهربان: هي مدينة خانقين الآن. (الناشر)

كانت الشمس قد غابت منذ ساعتين . . ووقف محمد صلاح الدين على الباب يستعد لمفاجأة والدته المسكينة التي لم تره منذ "١٢" سنة . . كان لايمك مالا يشتري به لباسا مدنيا . . أو لعله أبى أن ينزع عنه لباسه العسكري الذي خاض به غمار المعارك الطاحنة وهو في أجمل سنوات عمره . خمس سنوات كاملة مستمرة . . وهاهو اليوم يخرج من ساحات الحرب سليما معافى رغم الجروح الخطيرة التي أصابته، رغم المواقف الخطيرة التي حاقت به، ورغم الاشاعات القوية التي ترددت عن مقتله في المعارك، هاهو يطرق الباب على والدته الحبيبة أخيرا..

فلما طرق الباب فتحتة سيدة.. سالها ان كان هذا هو بيت الحاج علي الشامي فاجابته السيدة بالايجاب.. هكذا، وبهذه السهولة والبساطة التقى الولد بوالدته.. لم يعرفها ولا هي عرفت.. وظلام الليل يزيد من صعوبة تمييز الملامح .. قال للسيدة أنه زميل لولديها محمد صلاح الدين وحسن شوقي.. وأنه يستأذنهما بالدخول ليحدثها بشأنهما.. فرحبت به وأدخلته غرفة بسيطة يضيئها ضوء شاحب.. وعلى هذا الضوء الشاحب استطاع محمد صلاح الدين أن يميز ملامح والدته ويتذكر تقاطيع وجهها شيئا فشيئا.. أما والدته المسكينة فلم تستطع أن تميز ملامح ولدها بعد مرور "١٢" سنة على فراقه عنها.. تركته صغيرا لم يكتمل نموه، وهي اليوم أمام ضابط طويل القامة طويل الشارب!!

سالها أولا عن ولدها حسن شوقي أين هو؟ قالت: سمعت أنه وقع أسيرا بيد الانكليز، وأنه مازال في الأسر... ولكنها لاتدري أين هو على وجه التحديد كما أنها لاتدري عن أحواله شيئا اذ لاتصلها منه أية رسائل..

ثم سالها عن ولدها محمد.. فاتحدرت الدموع من عينيها وقالت "لقد مات محمد.. استشهد في إحدى المعارك"..

فراح يمهّد السبيل شيئا فشيئا ليكشف لها عن شخصيته، وحدثها محمد حديثا طويلا عن ذكرياته في الموصل، وأيام طفولته الأولى وهو في

أحضان أبويه، ووقائع وأحداث لا يعرفها غير محمد ووالدته.. كان محمد صلاح الدين يريد أن يعود بوالدته إلى ذكريات الماضي لتعيش من جديد في تلك الأيام التي كان ولدها محمد صلاح الدين يعيش في كنفها.. كل هذا والوالدة المسكينة تؤيده وهي تبكي.. وتقول نعم، نعم، هكذا كان يفعل ولدي محمد.. ولكن كيف علمت بذلك؟

ونظر محمد صلاح الدين إلى والدته وهي لا تعرفه.. وأجابها بقوله أن ولدها (محمد) طالما حدثه عن ذكرياته تلك.. وأنه كان يفضي له بذكرياته بالتفصيل نظرا لما بينهما من صداقة قوية.

وواصل محمد صلاح الدين الحديث عن تلك الذكريات.. والوالدة الحزينة تنتابها المشاعر العديدة.. فهي تبكي حيناً.. وترعوي حيناً.. ووجد صعوبة كبيرة في كشف شخصيته لوالدته فقد كان يخاف إذا هو فاجأها بنفسه أن لا تقوى على تحمل الصدمة.. ولقت نظر محمد صلاح الدين فتاة في ريعان الشباب تجلس إلى جانب والدته وتصفي لما يقول.. ولم يكن محمد صلاح الدين يعرف هذه الفتاة ولما سأل والدته عنها أجابته: هذه "مريم" لقد ذهبت الحرب بوالديها.. فأصبحت ابنتي.. وأنا اليوم والدتها.

واستمر محمد صلاح الدين في الحديث.. عن نفسه وعن حسن شوقي.. ومضى وقتاً طويلاً وهو على هذه الحال حتى انتصف الليل، كل ذلك والوالدة تصفي بانتباه وتتنظر إلى هذا الطارق الغريب الذي لا تعرفه، ولا تميزه، ولا يخطر لها على بال يأتيه ولدها.. ومرة أربع ساعات أو خمس ساعات والنور الخافت يلقي بصيصاً من النور في قلوب المجتمعين الثلاثة.

وفجأة نهض محمد صلاح الدين واقفاً، وكان يبدو طويلاً بلباسه العسكري، وقال: لقد تأخرت.. وانتصف الليل.. لقد أن الأوان لذهابي، اني استودعكم الله. واتجه محمد صلاح الدين إلى الباب لكنه لم يخرج.. ذلك أن قدماء سارتا باتجاه غير الباب، لقد سارت قدماء نحو والدته.. ووقف أمام والدته ثم قال لها: أماء.. أنا محمد.. وأنت لا تعرفين.. أنا ولدك محمد..

أما...!!

فاحتضنته الأم المسكينة وهي تقبله وتبكي ولا تصدق.. كانت القصة
أقرب إلى الخيال.. أقرب إلى الحلم.. وكانت لحظات لا تنسى..

أبو الحجاج حافظ

في كتابه «شهيد العروبة»

تفاصيل هذه القصة موثقة برسالة كتبها الصباغ بتاريخ ٢٧/٤/١٩١٩ إلى أخيه الأكبر حسن شوقي
الصباغ بدرعا.

(الناشر)



آخر صورة للشهيد صلاح الدين الصباغ، وهو في نفس الملابس حين سلّمه الأتراك إلى الإنكليز على الحدود
السورية، وحين هرب من المعتقل البريطاني، وكذلك حين اقتيد إلى بغداد لأعدامه ١٩٤٤-١٩٤٥.

ثامناً:

الاجتماع الأخير

تقع منطقة ديالى بين بغداد وحدود العراق الشمالية، ويخترقها طريق طهران الذي يصل ايران بالبحر الابيض. وقد جعلت هذه المنطقة في خطط الحركات، من المناطق المحرمة لقربها من العاصمة، ورابطت فيها ثلثا قطعات الفرقة الثالثة، وخيالة الجيش العراقي بأسرها. أما الثلث الآخر ومقر الفرقة، فكان يعسكر في بغداد مؤقتاً بانتظار ثكناته التي كانت قيد الانشاء. ولما كنت قائداً لجميع القطعات المذكورة، ورئيساً للجان التحكيمات، فقد خولني مجلس الوزراء، بواسطة وزير الدفاع طه الهاشمي، صلاحية حاكم جزاء من الدرجة الأولى للسيطرة على الأجانب المتشردين والجواسيس، الذين يدخلون العراق أفواجاً بدون جواز سفر، وإجلاء القاطنين منهم، الذين تحوم حولهم الشبهات ولا يحملون الجنسية العراقية (١) (انظر الملحق). وكان الوصي قد زار هذه المنطقة، يرافقه طه الهاشمي، ليقدم راية لاحد أفواج اللواء التاسع، ثم تجول في قسم من منطقة التحكيمات، حيث رجوت منه أن يطبع اسمه على أول حصن شيد فيها.

قبل أن نجتمع بالوصي اجتماعنا الأخير ببضعة أيام، خابرنى من معسكر جلولا أمر الكتيبة الثالثة الخيالة محمود الهندي (٢)، وكان بالاضافة إلى واجبه الأصلي، رئيساً لاحدى لجان السيطرة على المتشردين في منطقة التحكيمات، يساعده في ذلك ضابط من شعبة الاستخبارات هو الرئيس يحيى نزهت. وطلب محمود مقابلتي في عطلة الأسبوع لأمر هام، فضررت له موعداً عصر يوم الخميس بداري. وجاء محمود في الموعد المحدد، فأخبرني بان

(١) - بشهادة الاستاذ السيد ابراهيم صالح شكر قائم مقام بلدة خانقين.

(٢) - محمود الهندي هو غير محمود بن هندي الطيار، فالثاني من عشيرة اللهيب أما الأول فدمشقي المولد، وأصله من عشيرة الجيش العربية الساكنة في منطقة الموصل.

محمود عربي أصلاً وعقيدة، أبت نفسه أن يخدم في جيش شرقي الاردن الذي يقوده الانكليزي المدعو (بيك)، فالتحق بالجيش العراقي ١٩٢٤، وتدرج في الخيالة حتى تقلد منصب أمر كتيبة الخيالة الثالثة. ومحمود شهم شجاع نورفس أبية. ساهم معنا في جميع أنوار جهادنا. أما عبيد المضايقي مرافق الوصي، فهو صديق محمود في المجتمع لا في المبدأ. وقى الله محموداً وحفظه.

الرئيس عبيد المضايقي مرافق الوصي، قدم الى جلواء بحجة زيارة صديقه يحيى نزهت، ولكنه ماجاء في الواقع الأليدعوني الى مقابلة سمو الوصي هذا اليوم. ثم أضاف بأن عبيد المضايقي على اتصال مستمر بالعقيد مصطفى راغب(١) أمر لواء المشاة التاسع - من ألوية الفرقة الثالثة المرباطة في معسكر جلواء - كما أنه على اتصال بضابط ركنه الرئيس رفيق أحمد القامجي منذ مدة.

وسألني محمود: - هل باستطاعتي أن أقابل الوصي، وما رأيك في هذا الأمر؟

أجبت: - تقضي الأصول العسكرية، كما لا يخفى عليك، أن يقابل الضباط رجال الدولة بعلم من رئاسة أركان الجيش وسماحها، لكنك اليوم أمام أمر واقع فهل قابلت الوصي قبل هذا، ولماذا تقابله الآن؟

قال: - إن الوصي يعرفني شخصياً وتربطني بمرافقه صداقة متينة، وأغلب ظني أنه يريد أن يجعلني رهن إشارة الوصي مثل الذين اتصل بهم هذا المرافق من الضباط، وأغرامهم على الخروج عن سبيل الصواب.

قلت: إذن فاذهب، واتصل بدار محمود سلمان بعد مقابلتك للوصي، فقد تجدني هناك. فالتقط محمود الهاتف، واتفق مع المرافق عبيد على اللقاء في قصر الرحاب في الساعة الثامنة مساءً، وأنه سينتظر سيارة نقله إلى القصر من أحد المطاعم.

وعاد محمود في الساعة العاشرة، فقابلني بدار محمود سلمان وكان فهمي حاضراً،

(١) - كان العقيد مصطفى راغب ضابطاً في الجيش العثماني ثم انخرط في جيش المتطوعين عند الانكليز (الليفي) حتى سنة ١٩٢٩ وهو ليس عربياً كما أنه ليس كردياً يتقن اللغة التركية وهي لغة بيته ويجهل العربية الفصحى والعامية كما يجهل الكتابة بالعربية. وهو يحب الانكليز طبعاً ويحب الأشوريين والأرمن كثيراً، لأنه يعتقد أن الأشوريين والأرمن آريون، واعتقاده هذا صحيح طبعاً، وهو إنما يحبهم لأنهم يمقتون العرب. مصطفى راغب انكليزي النزعة ويمقت الاسلام، وضباط الجيش يمقتونه إلا القليل منهم. أمين زكي يمقته كثيراً وكان قد طلب احالته على التقاعد قبل أن يتولى رئاسة أركان الجيش بالوكالة وحينما كان قائد فرقة. لكن مصطفى راغب لجأ إلي فتداركت أمره ونقلته إلى الفرقة الثالثة ولو لم أفعل لكان متقاعداً منذ سنة ١٩٢٨ ولما وقعت في كيدته ونحن نحارب الانكليز. لكني أخطأت إذ تابعت هذه الحية - والبشر غير معصوم عن الخطأ- هذا الرجل كان يخدعني جداً باظهار اخلاصه الشخصي لي، والله أعلم بما في السرائر. وفي حربنا ضد الانكليز كان يهول في وصف الموقف لضباطه ولن يتصل به ويخيفهم، فحق عليه القول (اتق شر من أحسنت إليه) وكان مبنوّه كمبرد نوري بن سعيد، فإن من طبعهما إيقاع الأذى بمن يحسن إليهما. معلومات مصطفى راغب العسكرية لا بأس بها.

فقص علينا ما كان يدور في خلد الوصي، وكان لا يتعدى ما نقله عن المرافق عبيد.

لم تكن هذه أولى محاولات الوصي التي أتانها علمها، وقد أمضى في نفوسنا أن يتمادى الوصي، فيأخذ على نفسه أمر إعداد المؤامرة، وينفذ تعليمات الانكليز وسماستهم للكيد بنا وإيقاعنا في الشراك، فيستدرج خيرة الضباط الذين أضاء الله قلوبهم بالايمان والقومية، ليجعلهم أداة للشر على جيشهم وقوادهم وأمتهم. فقلنا معاً واتفقت عبارتنا: «أهذا جزاء الاحسان؟ وبمن نستعين يارب؟».

إنها مؤامرة يعدها الاجنبي، وينفذها الوصي، وهو العربي من آل النبي. إنه يحرض ضباط الجيش على الخيانة، بدل أن يشجعهم على الطاعة. فيالسوء طالع العرب، وبالخيبة أمل المسلمين. ألا كفانا الله، وكفى العرب والاسلام، شر نوري وعذنا بالله منه، ما أقوى سحره، وأعظم تأثيره على هذا الوصي، حتى نطق بلسانه وأمن بتلقيناته.

ذلك أن نوري كان يجمعنا في داره ويقول: «ليتكم تزورون الوصي لو مرة بالاسبوع فلا تتركوه وحيداً، بذلك نحتفظ به ونبعده عن الدسّاسين الذين يسعون للاتصال به» فكنا نجيبه: «ليس هذا من شأننا ويكفي اتصالك واتصال طه به» فقد كنا نحسب أنه لا يعلم شيئاً عن اتصالنا بالوصي، شأنه في ذلك شأن طه. وما علمنا أن نوري والوصي متفقان سراً إلا بعد فوات الأوان. وكنا نعجب كيف لا يذكرنا نوري بزيارة الوصي إلا إذا تأخرنا في زيارته فعلاً، ثم زال عجبنا لما شعرنا أنه يعلم بالامر، إذ أسمعنا الوصي ونوري تعابير واحدة ومصطلحات متشابهة (الملحق - ١١).

قصدا الوصي، فكان ذلك آخر اجتماع يجري بيننا على عادتنا في كل اجتماع. وكان ختامه ألماً وندماً، فقد توسمنا الشر في وجهه الممتعض ونحن نصافحه، وفأجأنا بصراحة كأنها التهديد قائلاً:

«يجب أن نماشى الانكليز ونلبّي ما يطلبون بلا قيد ولا شرط، ولا أريد أن نتصلوا برشيد عالي رئيس الوزراء، إنه ومن يواليه مجرمون، ووزارته يجب أن تسقط فوراً».

لزمت جانب الصمت، فلم أنبس طيلة الاجتماع بينت شفة، وتولى الحديث فهمي ومحمود فأجادا وأوردا الحجج المقنعة، وبذلا التوسلات والمحاولات ليغير الوصي رأيه في رشيد عالي الكيلاني لأنه يكن لسموه أعمق الاحترام، وقد خضع لإرادة سموه، فأخرج ناجي شوكت من الوزارة بعد أن وافق سموه على إخراج نوري معه. وأن رأي رشيد يعبر عن رأي الشعب العراقي، ورأي كل عربي لدغه الانكليز عدة مرات، ويعلم ماضي الانكليز وسيرتهم مع العرب.

أما الجيش فهو من الشعب وصدى صوته، وانعكاس أحاسيسه، لكنه ليس له ضلع فيما وقع حتى الساعة من أحداث وما إصرار رشيد على عدم الاستقالة لأن الجيش يشجعه على ذلك، بل لأنه استاذ في الحقوق محيط بمواد القانون وأحكام الدستور.

رمانا أعداؤنا أيام بكر صدقي وبعده، بأننا من صنائع الانكليز إذ خاصمناه، لأنه كان يميل للألمان. فلما جاء جميل للحكم، قيل أننا من جماعة جميل، ثم لما جاء نوري، قالوا إننا من جماعة نوري، ومن أذناب الانكليز. وأجمل أمين العمري ذلك كله بقوله لصلاح الدين بالهاتف، لما أحيل على التقاعد، «إننا صنائع لعبيد الكراسي» واليوم ينعتنا الانكليز بالمربع الذهبي المتوج، يقصدون بالمربع كامل وفهمي ومحمود وصلاح الدين، وبالتاج طه الهاشمي. ولا أكتف على سموكم أن صلاح الدين هو الوحيد بيننا الذي يبدي ميلاً لطله الهاشمي، وله الحق إن فعل لأن طه غيور أبي، لا يضحي بفرد من أمته على مذهب الأنانية الفردية، أو المصالح الأجنبية. قالوا عنا كل ذلك ولكن أبى عليهم الذل أن يقولوا إننا نرعى شرف الجندية، ونضحي في سبيل عز العرب ومجدهم، وأن ليس بيننا صنائع لرشيد أو لغيره في العالم. وما كان منا كاف لإقناع سموكم بأن حزيننا هو حزب الله والعروبة، وأننا عبید الله وصنائع للعرب. انظر ياسيدنا إلى مانملك من حطام الدنيا، وإلى مناصبنا ورتبنا التي نلناها بحق وجدارة، فهي أصدق شاهد على ما أقول، إذ كان المزيد قيد منالنا، فجردتنا عقيدتنا عن الطمع، فلم نتمسك ببكر صدقي، وزهدنا بما يأتينا من نفع شخصي لو فعلنا. وكذلك جميل، وكل من حاد عن جادة الصواب.

ولم يظهر للناس أعمالنا التي عادت على البلاد بالنفع، بل استترنا وراء هذا وذاك حتى نسبت تلك الأعمال إلى نوري وغيره، فعاد عليهم ذلك بالنفع. ولو أننا أعلنّا الحقيقة للملا، وقلنا «إنها أعمال أيدينا نحن الأقوياء الأعلون» إذن لما كان لنوري وجميل من سبيل إلى العراق بعد بكر صدقي. ولما رأيتنا على رتبنا هذه ورواتبنا، وكم من ضابط صغير حاله أفضل من حالنا - كالرئيس محمد خورشيد - ولم نتمسك بالانكليز، ولو فعلنا وانتمرنا بأمرهم، فتغنيا بالعراقية وناهضنا العروبة ووحدتها، إذًا، لأغدقوا علينا الأطياف والقصور، ولغدونا من ذوي الخبرة بالأمور فنعتلي الكراسي، لا يهمننا ما ينزل بالبلاد، قائلين عليك بنفسك لا عاش أحد من بعدك، لكن، عاهدنا الله أن نموت على سواء السبيل، وأن لا نكون آلات بيد الانكليز وعبيدهم.

فلئن جئناك اليوم، يا صاحب السمو، مسترحمين مؤازرة رأي رشيد بالبقاء ضمن نصوص المعاهدة حتى ينجلي الموقف العالمي، فلأن ذلك صوت الشعب وهو صوت الحق، وغايتنا إزالة الخلاف والقضاء على سوء التفاهم الذي أوغر الصدور، وربما أثار العشائر، وسفك دماء الجيش والشعب. إن استرحامنا هذا لا يعني أننا من حزب رشيد، ولو كانت

الحزبية رائدنا لإشباع أطماعنا الشخصية، لما كان سلوكنا على ماقلت مع الذين جاؤوا من قبله أو الذين سيخلفونه، بل إننا لم نكن نعرف رشيداً قبل اتصالنا بسموكم، ثم لما قام بأعباء هذه الوزارة كانت علاقتنا به سطحية جداً، لا تتعدى بضع زيارات، وربما ما كانت لصالح الدين أية صلة به. وأما تلك العلاقة السطحية بيننا، فكانت بعد إصرار نوري وطه على أن نرجو منه، بإسم الجيش، قبول رئاسة الوزارة. وكان ما كان من صلاح الدين، إذ ناشد هؤلاء الثلاثة (نوري وطه ورشيد) أن يوحدوا كلمتهم وجهودهم، وينبذوا الأنانية الفردية والحزابات الشخصية، ويتجنبوا الشقاق والتفرقة ليستطيعوا بذلك الصمود أمام ما يحتمل أن يصيب البلاد من شرور الحرب (١). اسألوا ياسيدي اخواني هؤلاء، أو اسألوا نوري وطه واسماعيل نامق وسعيد يحيى الخياط، يشهدون جميعاً ماكان من اصراري، وحيداً، على إبقاء نوري على رئاسة الوزارة، ومعارضتي على فصل رشيد من رئاسة الديوان الملكي، واجباره على رئاسة الوزارة القائمة. ويشهدون كيف ألح علينا طه ونوري بدعوى أن سموكم يري ذلك، وأن وزارة نوري قد ضعفت بعد اغتيال رستم حيدر، وأصبحت لا تقوى على البقاء في الحكم. أما حقيقة الأمر وأسباب هذه الاستقالة فما زلنا نجهلها حتى يومنا هذا، وربما كانت من الأعياب الانكليز الذين أراؤوا من وزارة رشيد أمراً يرضيهم. ليت سموكم يسأل عن مدى تأثيري يومئذ حتى تركت الاجتماع ودار نوري دون تناول العشاء، فامتنعوا من ذلك جميعاً.

على أن رشيداً ما قبل رئاسة الوزارة إلا نزولاً عند ارادتك، وبعد اصراركم عليه، واشترط أن لا تتعدى علاقتنا مع الانكليز حدود المعاهدة، فإذا بالانكليز لا يكتفون بقطع العلاقات السياسية مع دول المحور، بل يريدون اشراكنا معهم في حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل، دون أن يعترفوا لنا بجميل، أو يدينوا لنا بعوض، وإذا بنوري يصر على تلبية مطالبهم هذه جميعاً.

فلو سرنا مع الانكليز، كما فعل جدك الحسين، فهل يرفعون عن العراق والبلاد العربية قيودهم، وهل يمنحون فلسطين الاستقلال والحرية ويطردون الصهيونية؟ كلا إنهم لا يتطرقون إلى هذا، ولكن نوري لا يريد منهم جزاء ولا شكوراً، فهذه المعاهدة في نظره نعمة علينا،

(١) تقدمت بهذا الاقتراح في دعوة أقامها رشيد عالي الكيلاني بداره بعد اسبوع واحد من تأليف وزارته، وكان نوري وطه واسماعيل نامق بين المدعويين. كما كان كامل فهمي ومحمود حاضرين أيضاً. وجاء في اقتراحي: إن الوزارة الحاضرة تضم من الرجال ما لم تضمه وزارة عراقية غيرها، مثل ناجي شوكت وناجي السويدي والبحراني وغيرهم. اننا نرجو ان نتخذ كلمة الأقطاب الثلاثة في هذه الوزارة نوري وطه ورشيد، فهل تقسمون على توحيد الكلمة فتكسبون ثقة الجيش والشعب ونتأكد جميعاً من حسن إدارة دفة البلاد إلى ساحل الأمان.

ويكفيها كسباً أن لا يحرمننا الانكليز منها، وأن نبقى عليها بعد الحرب.

متي كانت هذه المعاهدة ياسيدنا مثلاً للحرية والاستقلال؟ وهل نلنا هذا الاستقلال -على شوائبه - عفواً بدون ضحايا؟ أم أخذناه من الانكليز قسراً ودماء الشهداء؟ أنضحي اليوم بالعراق والبلاد العربية على مذبح المعاهدة خدمة للمصالح البريطانية. ولم الاسراع في ابداء العداء لدول المحور والحرب سجال؟ والانكليز لا يتحدثون عن حرية العرب، ولو تلميحاً. إن قطع العلاقات مع دول المحور، وتحشيد الجيوش البريطانية في العراق، أمور لا تنص عليها المعاهدة، فإذا شجعنا الانكليز وأطعناهم في ذلك، طلبوا المزيد، فحل بالبلاد الدمار، وغدت ساحة للحرب فنالوا المراد، لماذا لا نكون مثل ايرلندا التي تصر على الحياد وهي في قلب الجزر البريطانية؟ إننا نريد لتضحياتنا عوضاً وثمناً، وإلا فلن نتعدى مالنا وما علينا، ولن نخرج على نصوص المعاهدة التي كان نوري مشرعها الأعظم، والقائل إنها فيض الله علينا وبركات الانكليز. ولا يشجع الانكليز شيء مثل خلق التطاحن في صفوف الشعب، وبث التفرقة، لذلك يجب أن نكون صفاً واحداً ويدا واحدة، فإذا اتحدنا لا خوف علينا ولو كنّا مخطئين، وحسب الأجنبي حسابنا، فوقف عند حده لا يمس كرامتنا بيده ولا بلسانه.

الشعب يريد الكيلاني، والجيش يراعي شعور الشعب ويحترم رأيه، لأنه يتكون منه (خلفاً لرأي بعض الوزراء) لذلك نسترحم منك ياسيدنا أن لا تشجع من نبذته الأمة، وأن لا تهمل أمر الشعب، فتحمله على التذمر، وتثور العشائر، ثم يقمع الجيش ثورتها فتسفك دماء عربية، أولى بها أن تسفك ذوداً عن كرامتها. لقد تعلق الشعب بالجيش وأحبه بعد أن قضى على بكر صدقي، فما نشبت ثورة ولا كانت تفرقة، وأصدق مثال ما كان من اذعان رشيد عالي الكيلاني إذ لبي ارادتك، وأخرج ناجي شوكت من وزارته، ويؤلنا أن نسمع اليوم عن محاولات خفية لشق الجيش على نفسه، وحط سمعته، يقوم بها نفر تسموا بالزعماء والوزراء، يتصلون بصغار الضباط ويشجعونهم على عصيان قوادهم، في وقت نحن أخرج هائكون فيه إلى جيش مخلص مطيع لهم. فهل هذه وطنية منهم وخدمة للبلاد، أم خيانة وخدمة للمستعمر؟

سكت فهمي فقلنا جميعاً نؤيده:

- نتضرع إليك، ياسيدنا أن لا تعرض عن توسلاتنا.

وساد الصمت برهة شخصت فيها أعيننا إلى وجه الأمير الشاحب ننتظر منه الفرج وبلوغ الأمل، فإذا به يقول: «على الجيش أن لا يتدخل في السياسة».

نعم، نعم إنها كلمة حق، ولكنك اردت بها باطلا والله.

وهل أنت السياسي يا عبد الاله؟

ملحق رقم -١٠-

كانت عشائر العزة والكروية وغيرهما من العشائر العربية، تقطن سهول منطقة خانقين بعد الحرب العالمية الأولى، فلما اشتعلت نار الثورة العراقية، أجلى الانكليز كثيراً من هذه القبائل عن المنطقة، واحلوا محلها المتشردين من أكراد عشيرة السنجاويين الايرانية، وهؤلاء لا تربطهم بالعرب أو العراق رابطة، وهم علوج من أجناس مختلفة، لا عمل لهم غير التهريب والتجسس وخدمة الأجانب والانكليز والحاق الضرر بالعراق وبالجارة إيران. وبالنظر لأنهم لا يحملون الجنسية العراقية فقد كانوا إذا كلفوا بدفع الضرائب أو خدمة العلم استنكفوا، وزعموا أنهم ايرانيون، ونزحوا عن العراق، فإذا رفع التكليف عنهم، تسللوا ثانية وانتحلوا الجنسية العراقية بقصد الارتزاق.

هؤلاء هم الذين شملتهم أحكامي وعملت على اقصائهم، يا جلال بابان.

هؤلاء هم الذين دافعت عنهم في خطابك بالمجلس النيابي وأنت تصيح: وا قوماء، الأكراد يُضطهون في الحدود، ويبعدون إلى خارج البلاد أو إلى داخل العراق، وهذا، في نظرك، إجحاف بحقوق الاقليات وأمر لا يطاق، والجيش معتد أثيم يستحق اللعنات، ويستحق قاداته أن يشنوا بالوثاق. لكن دفاعك يا جلال بابان لم يكن في الواقع لحماية الأكراد أو الكردية، بل كان يهدف إلى إلقاء التفرة وزرع الفساد، مستفزاً الاقليات ضد الجيش وقاداته، وممهداً للمؤامرات والاستعدادات التي تقرر لإثارة حرب داخلية مالم تسقط وزارة الكيلاني، ويُحال القادة المسيطرون على الجيش على التقاعد، (سوف ترى ماسيجري بالعراق) وهذا هو الهدف الحقيقي لخطابك كلها.

الملحق رقم - ١١ -

العميد طه الهاشمي يشهد أن نوري كان يطلب إلينا أن نتصل بالوصي عبد الاله أيام كنا نجتمع في داره. وكان نوري لا يطلب إلينا الاتصال بالوصي إلا عندما تتأخر في زيارته فعلاً، وقد أثار ذلك عجبنا. ثم تبين لنا بعد مدة أن نوري كان واقفاً على ما يعقد بيننا وبين الوصي من اجتماعات، لأن الوصي كان يستعمل نفس العبارات وعين المصطلحات التي يستعملها نوري.

وكان نوري يحرص كل الحرص على الاجتماع بنا دون علم طه، ليشكل لنا من تصرفات طه تجاهنا زاعماً أنه كان ينصح طه بأن يطلعنا على كل شيء لنكون على بينة من الأمور، لأننا - على زعم نوري - أكثر من جميع الوزراء خبرة في تمحيص الأمور واتخاذ التدابير اللازمة لإزاعها. لكن طه كان يجيبه (طيب .. طيب ..)

ثم لا يخبرنا بشيء

وكان نوري قد أرسل لي نسخة بالانكليزية من دفاعه عن قضية فلسطين، الذي ألقاه أمام اللجنة التي عقدت في لندن قبيل هذه الحرب الاستعمارية العظمى (والتي صدر الكتاب الأبيض عنها)، لكي أتلوه على اخواني. هذا نوري، وتلك ثغليباته وفسائسه.

تاسعاً:

الجيش والسياسة

إن من بينهم زمام الأمور من عسكريين ومدنيين يقسمون إلى أربع زمر ثقافية:

الزمرة الأولى:

من ذوي الثقافة العالية في الحقوق والادارة، مثل رشيد عالي الكيلاني وناجي السويدي وناجي شوكت والبحراني وعلي محمود ومحمد يونس السبعاعي، وغيرهم ممن اشتهروا بنزعتهم الوطنية، والذين تقلدوا الوزارة ورئاستها مراراً، وجمعتهم وزارة رشيد عام ١٩٤١.

الزمرة الثانية:

من ذوي الثقافة العالية في الفنون والسياسة العسكرية، مثل الأخوين يس وطله الهاشمي وبكر صدقي وحسين فوزي وأمين العمري وغيرهم من القادة وضباط الركن.

الزمرة الثالثة:

وهم أساطين الأذنان، الذين لفظهم الجيش ونبذهم الشعب مثل نوري وجميل وجودت وجلال بابان، فقد كانوا ضباطاً ملازمين في الجيش العثماني، ثم إحتضنهم الإنكليز في الحرب العالمية الماضية وخلقوا منهم زعماء سياسيين وخبراء، لابرغ مستواهم الثقافي، فقد بقي على ماكان، بل لأنهم أجاؤوا النفخ في أبواق الإستعمار، ولولا ذلك لكانوا اليوم مثل باقي الملازمين المتقاعدين.

الزمرة الرابعة:

من الأميين وأولهم عبد الإله، فهو غير مثقف بل شبه أُمي، بقي بعيداً عن المتاعب التي يتطلبها كسب العيش، وترعرع في الدلال والنعيم، لا في معترك الحياة، واستندت الوصاية إليه عام ١٩٣٩ (أي قبل حربنا ضد الإنكليز بسنتين) ولم تؤهله للوصاية ثقافة أو ذكاء أو بطولة، بل لأنه من العائلة المالكة فحسب: عمه فيصل وجده الحسين. تلك مزاياء كلها التي رفعته علي فطاحل العرب وعلمائهم، وقدمته على غيره من الأميين الذين هم أطول منه باعاً في فهم الحياة

ومغازيها، فما كاد الوصي يعتلي الكرسي حتى غداً سياسياً يعمل مع تشرشل وروزفلت في الحقل الديموقراطي، لئلا يكون أن يستشير حكومته وقادة جيشه، مع أنهما يعلان. فكان مثله كمثل حسن السهيل وغيره من الخشب المسندة الذين خصصت لهم الكراسي في مجلس الأمة، ومضى يشرع القوانين في أمور السياسة وفي الحقل الدولي زاعماً أنه سياسي وما هو إلا جاسوس إنكليزي.

لقد باع هذا الأمير دينه وقومه وضميره، ونطق بما أوعزله به السفير البريطاني وأساطين الأذنان، فكان أول من شجع الإنكليز في إعتدائهم على العراق فحاربوه دون حجة أو سبب.

بعد أن فشل نوري في إقناع مجلس الدفاع الأعلى، وبعد أن قتل غازي ورستم حيدر وأحيل حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد في عهد وزارته، لم يرى بداً من الإستقالة لإنجاز ما شرع به من مشاريع، وأصر على أن يؤلف الكيلاني الوزارة من بعده لينال بواسطته ما يريد، ولم تمض على تأليف وزارة الكيلاني بضعة شهور حتى أعاد نوري الكرة، وقدم مطالب بريطانية من العراق بصفته وزيراً للخارجية، وتتلخص بإفساح المجال لجيشها بالتحشد في أرضنا وأن يشترك جيشنا في الحرب فعلاً. ولما كان ذلك من الأمور السياسية العسكرية فقد أحيل على المرجع المختص وهو مجلس الدفاع المؤلف من هيئة أركان الجيش وعدد من الوزراء ورئيسهم، ليناقشه ويقدم قراره إلى مجلس الوزراء، ومن ثم إلى مجلسي الأمة.

عقد مجلس الدفاع، وطرحت مقترحات الإنكليز على بساط البحث، وكان نوري يظن أن الجو قد خلا له بعد إحالة حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد، لكن المقترحات التي تقدم بها رفضت، وخابت آماله، فطلب من طه إنهاء جلسات مجلس الدفاع، ناسياً أنه وزير للخارجية لا رئيس للوزراء. وحول نوري خطته، فاستعان بالوصي وبأساطين الأذنان للطنع بالجيش وبرشيد عالي الكيلاني في مجلس الأمة، فاعتلى جميل المنبر، وتلاه جودت وجلال بابان، وارتفع صراخ الأذنان من أتباعهم، يطلبون حماية الدستور من عبث الجيش والكيلاني، ومنع الجيش من التدخل في السياسة (١).

إنها والله كلمة حق أريد بها باطل، لم تراع مداخلها ومخارجها، وأسقط ذلك من

(١) اللهم عفوك عن البسطاء المخدوعين منهم مثل ابراهيم عطار باشي. اللهم صبب جام غضبك على أساطين المرتزقة المفرضين.

الحساب عمداً، لتكون غشاوة على عيون البسطاء فيخدعون، وذريعة للطعن بالجيش وكيال التهم والسباب، وحجة بيد المرتزقة لكسب الأصوات وإسقاط وزارة رشيد، وإرغام الجيش ومن وراءه الشعب على الرضوخ للإنكليز فيكون آلة صماء بيدهم. وما خطاب جلال بابان في المجلس إلا شاهد عدل على مدى خيانتته، وصحبه، للوطن في كل زمان ومكان، إذ أعلن ما كان في السرائر.

ملاحظة:

اجتمعنا ذات مساء في حديقة طه الهاشمي بالوزيرية، وكان اخواني حاضرين، فقلت: - سيدي الباشا، إننا كعسكريين لا نستطيع الحضور في مجلس الأمة للدفاع عن جيشنا وعن أنفسنا. وقد انيط ذلك بك وحدك، بصفتك وزيراً للدفاع، فكنت ممثلنا الوحيد في المجلس. فلماذا فسحت المجال للأذنان أن يهاجموا الجيش ورشيد عالي الكيلاني وهم في حجبهم يغالطون ويفترون، وأنت تعلم أنهم المعتدون، وأنهم الظالمون. وهل تجيز الديمقراطية أن يطعن جيش البلاد في مجلس الأمة علناً، ابتغاء الحط من كرامته إذ يتمسك بحقوقه المشروعة واختصاصه، ويحافظ على حقوق بلاده؟

أحق أن تجهر هذه الطغمة من الأذنان بعدائها للجيش، ثم تنشر خطبهم السامة في الجرائد لإرغام الجيش على السكوت، ولهدم آخر حصن يصون مقدرات الأمة؟ أحق أن يسعى هؤلاء إلى انتزاع ثقة الأمة بجيشها، ليخلو الميدان للأجنبي ويتصرف كما يشاء، وما الفرق بين أعمال الرتل الخامس من الخونة المارقين، وبين مايقوم به هؤلاء في سبيل خدمة الأجنبي؟؟ من خلق الاختلافات ونشر الفوضى في صفوف الأمة والجيش، حتي غدا مفهوم الديمقراطية يفسح المجال لعبث الجواسيس والدسائس الأجنبية في صفوف الجيش والشعب، وفي مجلس الأمة بصورة علنية؟

لم يكن دفاعك عن الجيش كافياً يا سيدي، ولئن ايدك نوري، وضم صوته إلى صوتك، فهو في الواقع يظهر مالا يبطن. إن ذكرك لإخلاص قواد الجيش، وإشارتك لحسن نيتهم، ونفيك تدخلهم في السياسة ليس بالحجة المقنعة، وما هو إلا تملص من التطرق إلى الحقائق، الغاية منه اسكات المغرضين منهم أو البسطاء المخدوعين. أية سياسة يراد اقضاء الجيش عنها؟ وهل كانت القضايا التي عرضت على مجلس الدفاع الأعلى من اختصاص الجيش أم لا؟ إن تقدير المواقف الحربية وتطوراتها من الوجهة السوقية العالمية، وتأثيرها على السياسة العسكرية، من اختصاص الجيش وصنعتة، وعلى ضوء تقدير الجيش لذلك ترسم السياسة الخارجية، وتنظم شؤون الدولة الداخلية، وياتباع هذه الطريقة، وبالتروي وعدم التسرع في

الأمر تقل الأخطاء. لكنكم بدل أن تعرضوا مقررات مجلس الدفاع الأعلى على مجلس الوزراء ومجلس الأمة، على النحو الذي تقول به الأصول الدستورية والنظم الديمقراطية، فيسكت الأذنان ولا يعلو لهم صوت، وافقتم نوري، واستغفيتم عن رأي مجلس دفاع الأعلى، ورفعتم جلساته إلى أجل غير مسمى بمجرد أن طلب نوري منكم، وهو وزير للخارجية لا أكثر، وخالفتم رغبة رشيد عالي الكيلاني وهو رئيس الوزراء. فكان ذلك تحدياً صريحاً لحقوق القائمين على الجيش في بسط وجهه نظرهم في السياسة العسكرية.

لماذا لا تصرح بحق الجيش في مناقشة هذه الأمور في مجلس الدفاع الأعلى، وتقرن ذلك بالأدلة الدامغة، فتختتم على أفواه تلك الاقلية من الأذنان واساطينها الأربع، فلا تتدخل في أمور هي من حقوق الجيش وهم لا يعلمون. لماذا لا تقول لهم إن ما من ملك دستوري أو رئيس للجمهورية (مثل ليبران)، وما من رئيس للحكومة أو رئيس للوزراء (مثل ديلايه) يجرأ على اعلان الحزب (ضد ألمانيا مثلاً) أو على السماح بتحشد الجيوش الأجنبية (مثل تحشد الجيوش البريطانية في فرنسا وبلجيكا)، أو سوق القطعات العسكرية (إلى النروج مثلاً)، إلا بموافقة القيادة العسكرية وهيئة أركانها ورئيس أركانها. لماذا لا تقول لهم أن هتلر وموسليني وتشيرشل وروزفلت لا يقومون بمشروع إلا بعد أن يشبعه الجيش نقاشاً وبحثاً، وإن الرأي الذي يغلب على قراراتهم كلها هو رأي الجيش، حتى في نواحي الاقتصاد والمواصلات كالصناعة والزراعة والري والطرق والسكك.

تلك هي السياسة التي يعالجها الجيش، لكن الأذنان تعمدوا المغالطة وشطوا عن هذا، يريدون بكلمتهم أن يترك الجيش باب الوزارة مفتوحاً لجميل وجودت وجلال بابان وغيرهم من الأتباع والموالي، فلا يحصرها بزيد ويمنعها عن عمرو. وهم والله لا يفقهون للسياسة معنى غير هذا. ولا تهمهم مطالب الانكليز بشيء، ولا يحركون ساكناً إزاء ما يراد من الجيش ومجلس الدفاع. على أن تهافتهم على الكراسي لا يهمننا بالمقابل، ونحن نرضى بأي واحد من هؤلاء ليكون رئيساً للوزارة بشرط أن تراعي هذه الوزارة الأصول المتبعة في جميع دول العالم، فلا تبت بقرار يتعلق بالسياسة العسكرية قبل موافقة أربابها، أي مجلس الدفاع الأعلى، وشرط أن لا تتدخل تلك الوزارة في الأمور العسكرية البحتة التي هي من اختصاص الجيش وحده، وإن لا تعمل على اقضاء خيرة من تبقى من قواد الجيش، أو أحالتهم على التقاعد (بالطريقة التي اتبعت مع حسين فوزي وأمين العمري) ليخلو لها الجو فلا يوقفها عسكري عند حدها، ولا يمنعها مانع من تلبية رغبات الانكليز ومصالحهم، نون الالتفات إلى حقوق الأمة، أو ذكر نصوص المعاهدة العراقية الانكليزية.

لقد أراد نوري يوماً أن يكون سفيراً للعراق في أمريكا فلماذا عدل، ولماذا لا تصر عليه أن يفعل، وتتبعه بجميل وجودت وجلال، فتجعل منهم سفراء في دول أخرى لتنجو الأمة من شرهم، فلا يجد الانكليز من يتعلق بأذيالهم غير عبد الاله، وليس من وراء عبد الاله نفع أو ضرر إذا بعدت شراك نوري عنه وعنا. وإني على يقين أن الانكليز لن يجروا على اغاظة العرب بالاعتداء على نصوص المعاهدة، ولن يصروا على فرض مطالبهم علينا فرضاً.

أجابني الهاشمي: لا تقيموا وزناً لكلام هؤلاء، انهم لا شأن لهم، وهم لا يعقلون.

توقعت منك غير هذا ياسيدي واستاذي العميد طه الهاشمي - وأنت الذي سماك الانكليز تاج المربع الذهبي، بسبب ماكنه لك من احترام وتقدير - توقعت منك أن تعدّ الدواء قبل أن يتفشى الداء، فتسكت هذه الاقلية المرتزقة بالحجة الدامغة، أو أن تفسح المجال لأحدنا فيقول:

- حسبكم أيها الأذئاب، فالأمر لا يقتصر على قيام وزارة في محل أخرى، ولو أنه وقف عند هذا الحد لهان الخطب فسكتنا عليه لا نجيبكم بشيء. لكننا أمام مطالب انكليزية تتحدى نصوص المعاهدة، ولا بد أن يدرس الجيش هذه المطالب، وأن يناقشها مجلس الدفاع الأعلى قبل أن تقرها السلطان التنفيذية والتشريعية، لأن من حق الجهة العسكرية أن تنظر في أمور واقعة ضمن اختصاصها. أما النقاش في ذلك فيجب أن يجري في جلسات سرية غير علنية، فإذا انعكست الآية كان ذلك من سوء النية. إن شن الحملة على الجيش خيانة للوطن، وتوجيه الطعن لقادة الجيش تحدٍ لهم، وهذا ليس من الحرية الديمقراطية بل أنه الفوضى، حتى إذا شاع الخلاف في صفوف الجيش، وشلّ عزم قادته تشجع الأجنبي، وبناء علينا بضغط جديد لينال ما يريد، بينما يقضي الواجب عليكم أن تثقوا بجيشكم، وتفخروا بعقيده وشعوره.

أما السياسة التي تشغلكم في الليل والنهار، فالجيش لا يتدخل فيها إذا كان استقلال الدولة ناجزاً لا تشويه شائبة، بعكس ما إذا كان استقلال الدولة ناقصاً، وقد غلبت على أمرها (١) كالعراق. وأما السياسة التي لا أرى أن يتدخل الجيش فيها، فهي إقامة العدل وما يتفرع عنها وما يماثل ذلك من الشؤون الداخلية. فما عدا ذلك، فالسياسة لا يمكنها الاستغناء عن رأي الجهة العسكرية، لأن السياسة العسكرية هي الناطم في تحريك دولاب الدولة، وهي العامل الأول في اعداد المناهج الوزارية والمشاريع العمرانية في زمن السلم أو الحرب على السواء. إن الأخذ بمبدأ غير هذا لا يشيد صرحاً للدولة، ولا يضع أساساً وطيداً لحكومة لها

(١) سمعنا هذا الكلام من طه ومن نوري. وسمعناه من نوري خاصة يوم كان رئيساً للوزارة، يدعونا للاجتماع في داره لأننا كنا أصدقاء.

سلطة وسيادة وعليها واجب ومسؤولية، إنما يبدو ظاهرها للعيان كالدولة، وما هي في الواقع الا جماعات أمرها فوضى وفاعليتها معدومة.

إن السياسة العسكرية هي التي ترسم خطط الحركات الحربية دفاعاً وهجوماً منذ السلم. وخطط الحركات تشمل في بنودها كل ما يتعلق بالبلاد وسكانها، ومرافقها الحيوية وجهودها وثقافتها وانتاجها واقتصادها، وعلاقتها مع الدول الأخرى، وقوة تلك الدول ونزعاتها وأطماعها واستعدادها العسكري. وهكذا فإن خطط الحركات لا تترك أمراً من أمور الدولة إلا وتشبعه بحثاً وتمحيصاً لأن الحروب العصرية تتطلب جهوداً جماعية، تشترك فيها الأمة بمجموعها، وتجنّد كافة قواها وجميع مرافقها. (انظر الملحق - ١٢ -)

إن وزير الدفاع الذي يمثل الجهة العسكرية في مجلس الوزراء، ومجلس الدفاع الأعلى الذي يرسم السياسة العسكرية، يستمدان رأيهما من هيئة أركان الجيش ومن قاداته، ويتخذان قراراتهما على ضوء توجيههم. ثم تعرض القرارات على مجلس الوزراء، ثم على مجلسي الأمة، فتطلع السلطات المختلفة على رأي الجهة العسكرية وتوجيهها الفني وما تحدد من شروط تتعلق بالأمور السوقية وسياستها العسكرية.

ويتحتم على السلطة التشريعية أن تحترم هذه الأصول، فإن لم تفعل فإنما لجهل منها بالأمور الإدارية. ويتحتم عليها أيضاً أن تضع لكل سلطة حداً من الصلاحية لا تتجاوزه، ليتم التوازن بين السلطتين المدنية والعسكرية، فإن لم تفعل حلت الفوضى، هذه هي الأصول الديمقراطية، ومن الاستبداد أن يتدخل الملك أو الوصي على العرش، وكلاهما غير مسؤول بحكم الدستور. وأما تدخل غيره من الأذئاب فهو شعوذة وفوضى.

هذا، يا فخامة العميد طه الهاشمي، ما يجب أن يقال في معرض النقاش لاسكات الأذئاب الذين أثاروه، وأنت ذو الثقافة العسكرية العالية، والاطلاع العميق على مافي الوزارات العراقية والمجالس النيابية من أذئاب أميين أو أشباههم، ليس منهم من يفقه للسياسة العسكرية معنى، أو يعلم أنها النظم الأساسي لمناهج الوزارات ولشؤون الأمة الاجتماعية والاقتصادية والخارجية، وكل ما تتطلبه الحروب العصرية لضمان حرب جماعية.

ولكن شاء الله أن لا نقول شيئاً من هذا، فتخذل جيشاً لولاك ما قام له كيان، فيسجل عليك التاريخ خطاك الثاني الذي شجع الانكليز ومواليهم علي الاستهتار بكرامة الأمة وحقوق الجيش، فكان هذا أعظم من خطاك الأول الذي خلق بكر صدقي، إذ فضلت على سائر قوادك فصار خليفتك. وكذلك كان شأنك مع نوري في عهده الأخير.

لقد خدعك نوري، سامحك الله، فكان مثلك ياطه كمثل أبي موسى الأشعري، ونوري كمثل ابن العاص. على أنك، أي مبلغ بلغت أخطاؤك، أجل من أن تطعن بشأنها أو تذم، فقد صدرت أعمالك عن عروبة صحيحة وأخلاق قويمة، وأنا أعلم الناس بحسن نيتك وجيل عملك.

ملحق رقم -١٢-

العلاقة بين السياسة العسكرية والسياسة الخارجية:

من المعاهدات والاتفاقات السياسية ما يعالج أموراً تتعلق بالموازنة العسكرية واسسها السوقية، ومنها ما يعالج أموراً تتعلق بقضايا الحدود وواجبات السفراء والقناصل والمحققين العسكريين الخ .. كما أن المعاهدات والاتفاقات التجارية تعالج أموراً تتعلق بحاجات الجيش وسدّها وما يفيض عليها.

العلاقة بين السياسة العسكرية والمواصلات البرية والبحرية والجوية:

يجب أن يكون للجهات العسكرية القول الفصل في مد السكك الحديدية واشادة الجسور، وشق الطرق، وبناء الموانئ الجوية والمرافئ البحرية، وتسيير الخطوط البحرية والنهرية، وفي مشاريع النقل عامة، سواء كانت آلية أو غير آلية.

العلاقة بين السياسة العسكرية والاقتصاد:

الجهات العسكرية هي التي تبت في جميع المنابع الأرضية، وأمور الري وصناعة البلاد الآلية وغير الآلية، وهي التي تقرر أي المناطق يبقى بوراً أو قفراً، وأيها يكون مستنقعات، وأيها تكون معدة لاغمارها بالمياه، وهي التي توافق على فتح الجداول واقامة السدود وبناء الخزانات ومشاريع التشجير. وهي التي تعين عدد المصانع ونوعها ومناطق اقامتها.

العلاقة بين السياسة العسكرية والسياسة الداخلية:

وتتجلى في قضايا الامن، والسوقيات العسكرية، وفي الاشراف على السابلة والمهاجرين

واللاجئين، وفي كل ما يهم الدفاع السلبي والإيجابي، ومكافحة وسائل دس العدو وتجسسه، وفي الدفاع عن المدن، وفي تعيين المناطق التي يجب إخلاؤها من السكان، والمناطق التي يحرم على الأجانب دخولها.

العلاقة بين السياسة العسكرية والسياسة التعليمية:

وزارة المعارف هي الينبوع الذي يمد الجيش بالضباط، ويرفع من ثقافته العسكرية، ومن مستوى تشكيلاته الفنية والصناعية. وهناك علاقة وثيقة بين التوجيه القومي والتنظيمات العسكرية.

العلاقة بين السياسة العسكرية والشؤون الاجتماعية:

إن أعداد الأمة للنفير والحرب يتطلب تنظيم الدعاية والإذاعة، والتوجيه القومي، والأخلاق الفاضلة، والعقيدة الدينية الراسخة، والمعنويات العالية. كما يتطلب تنظيم الطب والمستشفيات بما يلئم حالة الشعب والجيش في النفير. ويهم الجيش أن يكون الأفراد أقوياء في أبدانهم، وأقوياء في معنوياتهم.

العلاقة بين السياسة العسكرية والسياسة المالية:

يجب تمويل المشاريع التي تتعلق بالتسلح والدفاع عن البلاد، وإعطاء الأسبقية في تمويلها. كما يجب إعداد المال الاحتياطي لسد نفقات الحرب. الخ ...

في صحيفة الجهاد الحلبية

كتب السيد محمد فهمي الحفار تحت عنوان "الصدفة والتعرف":

في ليلة من ليالي صيف حلب كنت راجعا الى البيت من دعوة في بستان حسن فؤاد (بك) آل ابراهيم (باشا)، شاهدت عربة واقفة الى جانب القصر، يحفُّ بها رطب من الناس. فدفعني الفضول الصحفي لأن أتقدم منهم وأرى ما الخبر، فرأيت عملاقا أسمرأ يقف محتارا، فتفرس في وجهي ثم مالبت أن صاح قائلا بلهجة عراقية: الست أنت فهمي الحفار في المخابرات الخاصة في الأركان للفرقة الثالثة عام ١٩١٩ في العزيرية؟

فدهشت. وقلت: من يكون محدثي الكريم؟ فأجاب: أنا صلاح الدين الصبّاغ أحد ضباط جيش فيصل الأول!!

وهنا فطنت من هو البطل العسكري الذي أتحدث اليه، ثم رجعت بذاكرتي الى هذه الشخصية الفذة التي كان العسكري الزعيم أركان حرب (من ألمانيا) محمد اسماعيل الطبّاخ قائد الفرقة الثالثة يعتمد عليها في أخطر المهمات وأعظمها، وكنت أعلم الى جانب ذلك (كصحفي) الدور الكبير الذي لعبه في ثورة رشيد عالي الكيلاني خلال الحرب العالمية الثانية، وما قاساه في تجواله بعد فشل الثورة، في ايران وتركيا.

فتعانقنا مليا ثم سألت كيف وصل الى حلب، مع وجود القوات الانجليزية الى جانب القوات الفرنسية فيها فقال: ان الوقت ثمين وعائلتي واولادي لاجئون في قصر الدكتور حسن فؤاد (بك) ابراهيم (باشا)،

اجتماعي بهم هنا غير معقول، لأن تركيا سلمتني للانجليز رغم أنني لاجئ سياسي، ورغم أنني ربحت الدعوى أمام القضاء التركي بحسب القوانين الدولية بعدم جواز تسليمي للانجليز، وقد هربت قبل ساعة أو أكثر من سجن (الانتلنجرس شرميس) فجئت لأجتمع بولدي ربيعة الذي تركته صغيراً، فهل بالامكان أن أجتمع به في بيتك برهة لأراه وأبثه بعض الوصايا لتكون له سلاحاً في حياته؟

فأجبت: حياً وكرامة، ثم تأبطت ذراعه وسرت معه الى منزلي، فالفيت فيه كتلة أعصاب مهتاجة كانت مستعدة لاذابة الحديد

بعثت الى قصر حسن فؤاد (بك) اطلب ارسال ربيعة لي شاهد أباء، وبعد قليل دخل فتى يافع كفلقه القمر، يشع الذكاء من عينيهِ البراققتين كالشمر، فعا أن اجتاز عتبة البيت حتى انقضَّ البطل على ولده يشبعه تقبيلاً وهو يقول: (يا هلا بربيعة.. ماشاء الله... كلش زين، الحمد لله يا بابا... الماما زين ان شاء الله يارببيعة؟) فأجابه بأنّها مريضة ونائمة، فقال البطل لولده، يا ولدي لاتوقظها بل دعها مرتاحة، فاذا جاء الغد أعلمها بهذا الاجتماع ويلغها سلامي واهتمامي، يا ولدي ان يسر الله وكتب لي السلامة ذهبت الى الرياض، الى ابن سعود، حيث الزعيم رشيد عالي الكيلاني هناك، ولكن اذا قبض الانكليز علي فانهم سوف يسلمونني الى الطاغيتين عبد الاله ونوري السعيد، فعندئذ لا بد من اعدامي. . . ولدي ربيعة: اذا اعدموني فلا تجزع ولا تحزن، فقد ذبحت من كلابهم المستعمرين كثيراً انتقاماً لما سفكوا من دماء العرب، واياك اياك أن تشرب الشهد من انجليزي فهو السم الزعاف الذي يقتل بعد حين يارببيعة: اذا رأيت الانجليزي يغسل الكعبة المشرفة بلحيته، فاعلم أنه يحاول القيام بلعبة يستعمر بها شعباً من شعوب المسلمين المتأخرة، وان جاءك انجليزي يقدم لك القرآن فاحتجز القرآن ثم اصفه لأنه يرمي من وراء ذلك الى فتنة عيني يارببيعة، لاتعمل بالسياسة قبل أن تكمل دراستك لتصبح ذا سلاح علمي ومركز اجتماعي يساعدك على قهر العدو المستعمر،

وأعلمك أن لحياتك قصة عجيبة قد شرحتها لك في مذكراتي التي ستنتشر بعد موتي، فأرجو الله أن يلهمك الأخذ بثمار أبيك وثمار مئات الألوف من ضحايا العرب الذين هم في أعناق الانجليز.

وهنا حضرت مائدة العشاء وبعد ذلك رجوت أن يخلع ثيابه وكلفته بالنوم، ليأخذ قسطاً من الراحة، وحشوت مسدسي، وقعدت ساهراً أحرسه، وبعد ثلاث ساعات سمعت صوت حصي تقذف على أرض الدار، فخرجت فإذا بعامل الحمام الملاصقة لداري المدعو سليم الحلواني يقول: أن دوريات الشرطة والجند يقودها ضباط انجليز قد طوقت دارك فهات هذا الضيف الذي هو عندك لأمره- فتقدمت من البطل الراقد على السرير وأيقظته برفق، وهمست في أذنه معلماً بالأمر، فأخذ يلطم نفسه، وليس بسرعة البرق ثم قال لي: انني أشكر شهامتك فانت من جنودي العسكريين الواعين، ولكن لي عندك رجاء وهو أن اجتمعت بفخامة رئيس الجمهورية شكري القوتلي، ودولة سعد الله الجابري أن تبلغهم تحياتي وتذكرهم بيوم لجأوا الى العراق حينما اتهموا باغتيال الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، فأعطيتهم قصري، ثم لما غادروا العراق الى الرياض ضلت بهم القافلة في الصحراء حتى ظلوا بلا طعام ولا ماء وهددوا بالموت، فبعثت لهم بالطائرات -وأنا يومئذ قائد قوات الجو- وبوحدات الدبابات حتى عثرت عليهم وأنقذتهم من الهلاك، فشكروني وقالوا فيما أذكر: يقدربنا الله على المكافأة! اعلم يا أخا العرب أن السلطات التركية سلمتني على الحدود السورية فسلمت قائد المخفر السوري جميع مذكراتي، وبعد قليل جاء الضابط الانجليزي لاستلامي فأبى قائد المخفر وخاير محافظ حلب -وكان يومئذ احسان الشريف- فأبى التسليم، ولكن الانجليز هبطوا حلب.

ثم قفز الى الجدار ومشى على عرض بضعة سنتيمترات كأنه العصفور حتى وصل الى الجدار الثاني فلتقاء عامل الحمام سليم الحلواني واجتذبه اليه، وجرى على أساطيع الحوانيت الى مدى بعيد ثم أنزله وذهب الى حي

الكتاوية فأواه هناك وعكف على خدمته النساء والرجال يرمقونه رمقة العز والاجلال كبطل من أعظم الأبطال.

والى هنا لم أعلم عن البطل بعد أن سلمته الى عامل الحمام سليم أين استقر، اذ لم تكد تشرق الشمس حتى داهمت منزلي دوريات كبيرة العدد من الشرطة ومفوضيها وعلى رأسهم ثلاثة ضباط برتبة (ميجر) ففتشوا الدار وقفلعوا بكل مافيها من فرش وأثاث ثم اقتادوني معهم الى مخفر باب الفرج، وهناك بلغ الخبر محافظ حلب فاتصل بمدير الشرطة وكان يومئذ الزعيم ابراهيم (بك) قصاب حسن فزارني في المخفر وهذا من روعي وأبلغني تحية المحافظ احسان الشريف ثم ذهب. ويعد حين سلمتني الشرطة الى قيادة الدرك في السراي القديم، وكان هناك العقيد عبد القادر بازرباشي فاعتنى بي كثيرا وهيا لي سريرا مريحا نمت عليه ليلتي وفي الصباح زارني اهلي ومعهم نساء من ذوي معلم الحمام سليم، ورجوني أن أبوح بأمر تسليمي البطل، له فقلت لهم: أنتم يلهاء، ان الأمر لايتعلق بحياة سليم، بل يتعلق بحياة أعظم قائد في بلاد العرب، وقد عاهدت ربي أن أموت تحت التعذيب ولا أبوح بالأمر فكونوا مطمئنين. . .

وفي المساء بعد العشاء، سمعت ضوضاء في صحن السراي، فاذا بثلاثة ضباط انجليز يتكلمون مع الدرك المناوب الملازم بكري الشوا، ثم مالبثوا أن صعدوا معي حتى دخلوا غرفتي ففتحنت لهم، وسلمت عليهم، فقال الميجر الانجليزي للملازم: نريد أن يرافقنا قليلا لأننا نريد أن نسأله بعض الأسئلة!! فانتفض الملازم شوا وقال: - هذا في ذمة حكومتني وأنتم أجانب لأسلمه. ثم نزل الملازم وأومز الى الفئة بأخذ السلاح لمقاومة كل محاولة لخطفي، فكانت شهامة عسكرية وطنية رائعة، فاضطر الضباط الانجليز إلى مغادرة السراي على الفور!!

وبعد ساعتين اتصلت خلالها السلطات الانجليزية بالعاصمة ثم سلموا الملازم أمرا من قائده بلزوم تسليمي للجلادين بناء على برقية، وقبيل مجي

الضباط الانجليز جاء الي رقيب أول من دير الزور وقال أنا مستعد لأن
أضع حياتي من أجلك فماذا تريد؟

قلت: هذه البرقية الي سعد الله الجابري تؤمن ابراقها اليه. قال حبا
وكرامة! وما علاقة ذلك؟ قلت لأنني سوف أسلم للانجليز بنفس الصورة التي
سلم بها البطل صلاح الدين، فأعطيته اياها وهذا نصها:-

في الساعة التي تسلمونني فيها الي الجلادين الانجليز الي دهاليز
التعذيب عاد الي ذهني خطاب الجنرال ديغول يوم نداء تشرشل، بأن
الانجليز لا يعطفون على السوريين لكنهم يريدون اخراج فرنسا منها ليحتلوا
مكانهم. اعلموا أنني سأعذب بعد ساعات تحت العلم السوري الذي يمثل
الاستقلال الذي سفك الشعب أنهار الدماء للحصول عليه، فبرهنوا على
صدق استقلال الحكومة التي أنتم مسئولون عن ادارتها، وليشهد التاريخ
على هذه المهزلة والمأساة .

وأضاف السيد الحفار:

ثم ودعني الملازم والرقيب الأول والعرفاء فركبت في سيارة الجيب مع
الجلادين الانجليز يراقبنا الرئيس فؤاد الاسود رئيس شرطة الجيش السوري
حتى وصلنا الي خان الشريتجي، فأودعت في سرداب رهيب مظلم ضيق ذي
شقوق تخرج منه الجُرد والفئران لتنهش جسمي زيادة في الارهاب والتأثير
على الأعصاب. حتى اذا جاوز نصف الليل جيء بي الي غرفة صغيرة فيها
ثلاثة ضباط انجليز، منهم واحد مسلم من جزيرة قبرص، جنسيته تركية
واسمه منير (بك) وهو ابن مفتي المسلمين الأتراك في قبرص امتهن
الجاسوسية للانجليز!

هنا تكلم معي منير (بك) الكاين الجاسوس باللغة التركية وقال لي:

نحن مسلمون وهؤلاء كفرة ملعونون، تعالى معي. ثم تأبط ذراعي وأخذني الى غرفة منفردة وأخذ يرشيني بلقب (فهمني بك!) فضحكت كثيرا، قال لماذا تضحك؟ قلت: أضحككتني سخافة الأسلوب. ماذا تريد؟ تكلم بون هذه السخافات لأنني مأذون من مدرسة الكواكبي ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني. فقال انك ستتعرض الى أنواع من التعذيب لا يتحملها البشر، وأنا كمسلم أريد أن لاتتعرض لذلك. قل لي أين صلاح الدين الصبّاغ تخرج الآن لساعتك الى بيتك!

قلت: انتني أضففته في بيتي ثم خرج، ولا أعلم الى أين ذهب. ولكن محدثي تركني واستلمني الوحشان الأول انجليزي والثاني استرالي. وتولاني الأسترالي بكلمة على حنكي راح رأسي بها الى الحائط فوقعت مغشيا علي، فبدأ يلبطني بحذائه الفليظ على جانبي ثم جيء بالماء البارد فصب علي حتى أفقت. فوضعت رجلاي في الفلق وبدؤا بالضرب وأنا أصبح حتى أغمي علي، فسالت الدماء من أنفي ورجلاي وأصبح جسمي كدمات سوداء فأرجعت الى الزنازة الظلماء على البلاط فقط، تنهشني الجرذ والصراصير والفئران!!

بقيت على هذه الحال خمسة أيام بلياليها حتى ضج السكان المجاورون وأخذوا يقذفون الحجارة على السجن شاتمين متأثرين بأصوات الاستغاثة الى الله من التعذيب، حتى أشرفت على الموت ويئس أبطال التعذيب الكلاب من أخذ أية اشارة مني، القوني في غرفة غرقت بدمائي وراحوا يضربون أخماسا بأسداس، فهداهم خبثهم الى فكرة نجحوا بها حيث اعتقلوا أحد خدام قصر الدكتور حسن فؤاد (بك) ابراهيم (باشا)، وهو لا في العير ولا في النفير، فجاءوا به الى السجن وأدخلوه الغرفة التي وضعت فيها فشاهدني أكاد ألفظ أنفاسي الأخيرة كما شاهد آثار الدماء في أرض الغرفة فكاد يصعق! ثم أخرج الى غرفة منفردة فكال له الميجر الأسترالي لكمتين التقى رأسه بهما بالحائط فخر مغشيا عليه، فلما أسعف بالماء قال:- لاتعذبوني لأنني لاتحمل العذاب، اذهبوا معي حتى أريكم أين هو!!!

فأركبوه معهم تتبعهم القوات الانجليزية حتى أوصلهم الى بستان في
ضاحية حلب، حيث دلهم على مكان مرقده فقبضوا عليه، وهكذا عاد البطل
الى قبضة جلاديه!!

والسر في ذلك أن الدكتور حسن (بك) حين علم بالعذاب الأليم الذي
الاقية خشي أن لا تحمل الى الآخر فأبوح باسم الشخص الذي أسلمت اليه
البطل، فأوعز الى خادمه هذا فغير مكانه. ولكن القدر مالبث أن دفعه
للدلال عليه!

وفي صبيحة يوم رأيت الرئيس فؤاد أسود رئيس الشرطة العسكرية
للجيش السوري يهجم علي وأنا بين الموت والحياة في السجن يقبلني ويقول
لي: -بارك الله في الأصلاب والأرحام التي جئت منها، فقد ذقت الموت ولم
تقه بكلمة ، حتى اذا جاء غيرك أسلم الرجل الى الاعدام بصفعة واحدة!

ولما فاز الانجليز الطفافة بالفريسة صلاح الدين حملوه بالطائرة الى
بغداد، وعند ذاك أفرج عني فحملت الى بيتي كسيحا لايسأل عني سائل ..

محمد فهمي الحفّار

عاشراً:

فشل الوصي في تنفيذ المؤامرة الإنكليزية لإثارة حرب داخلية

ارتفع ضجيج الأذنان في المجلس وعمت الفوضى، وكانت الأكثرية التي تؤيد الكيلاني من القوميين والمدافعين عن الحق والحرية، وأما الأقلية التي تعارضه، فكانت من أعداء الفكرة العربية الذين يستندون إلى حراب الإنكليز، وهم حزب الشيطان. واشتد ضغط عبد الإله على طه الهاشمي وصادق البصام، فاخترارا القعود على التل، ورفعوا استقالاتهما للكيلاني لإخراج موقف وزارته.

في الساعة الثامنة من مساء ٢٧ كانون الثاني ١٩٤١، دعاني رشيد عالي الكيلاني للحضور في مقر رئاسة الوزارة. وهناك رأيت فهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب ووكيل رئيس أركان الجيش أمين زكي، كما رأيت الكيلاني وعلى وجهه آثار التعب والحزن، يحسب الناظر إليه أنه يكاد يبكي.

استعرض الكيلاني أمامنا موقف وزارته، وأرانا كتب استقالة طه الهاشمي وصادق البصام وعمر نظمي، وقال أنه احتفظ بها ولم يقدمها بعد للوصي لتكتسب صفة النفاذ القانونية.

وقال أيضاً: شاعت الأقدار أن أَرْضخ لإلحاحكم، وإلحاح نوري وعبد الإله وطه معكم، فوافقت على رئاسة هذه الوزارة، وبذلك أوقعتموني في شرك نصبه الإنكليز وأذئابهم، لأكون أول من ينيخ للإستعمار ظهر بلاده ويقدمها مطية لغاياته، ولألقى من بعض المواطنين الإعراض والخيانة بدل المؤازرة والمعونة، وعلى رأس هؤلاء نوري وعبد الإله. وأقول، وأنا واثق، أن الإنكليز ما تشجعوا فقدموا مطالبهم إلا بعد أن وجدوا في صفوفنا ثغرة فتحتها لهم نوري وزملاؤه في بلبلتهم. لولا هذه الثغرة، لاكتفى الإنكليز بما يجنون من المعاهدة الممقوتة، بل لحمدا للعراق

وقوفه عند نصوصها، ولا اعتبروا ذلك خدمة كبرى لهم بمثل هذه الظروف. ويزيدني ألماً ما كان من الأخ طه الذي جعلت له في نفسي مكاناً كبيراً، لأنه أخو يس فقيد العروبة الذي ربطت به مصيري ومقدراتي، فهو مطلع على كل شاردة وواردة، وكان إلى قبل أيام يشاركني في الرأي. وإذعانه لتهديد عبد الإله وضغطه دليل على ضعفه. ولا يليق بطه أن يطعنني من الخلف، فيقدم استقالته جاذباً معه زميليه إرضاءً لرغبة الوصي وإكراهي على الإستقالة بعد أن تفقد وزارتي نصابها القانوني. مع أن طه يدرك خطورة ما يفعل، ولا يجهل ما سيؤول الأمر إليه بعد أن تنتحى عن الحكم أقوى وزارة عرفتها البلاد. ويبرر طه عمله زاعماً أن موضوع البحث هو كرامتي وتضحيتها، وإنه إنما يرمي من وراء ما فعل إلى تلطيف الجو بيني وبين الوصي. ولو كان الأمر كما يقول، لما ترددت في القيام به، إذ ليس بيني وبين الوصي أي عداة شخصي. لكن الأمر يتعلق بمقدرات البلاد، والأنكليز يريدون التصرف فيها كما يحلو لهم، ويسعون إلى إقحامها في نار الحرب ومن ورائها شقيقاتها العربيات، بينما نعلم جميعاً أن حياة العرب وحياة الأمبراطورية البريطانية على طرفي نقيض.

لقد عازمت على البقاء في الحكم وأن لا أستقيل ولو بقي معي من بقي من الوزراء مادام هناك مبرر قانوني دستوري. وإني بصفتي أحد العاملين في تسيير شؤون البلاد ومقدراتها إن أكون أول رئيس وزارة يخضع للأنكليز وإرادة الوصي غير الدستورية. إنني لن أفتح الباب للأنكليز ليعبثوا بالبلاد ومصيرها، وليزيحوا وزارة ويقيموا أخرى، وليحلوا مجلساً وينتخبوا غيره، وفق رغباتهم ومصالحهم.

لقد دعوتكم الساعة لأنني لم أجد وسيطاً بيني وبين الوصي غيركم، فهو يعطف عليكم ولا يرد لكم رجاءً، فهل تقومون بهذه المهمة وتؤكدون لسموه أنني أول الناس في الإخلاص للعائلة المالكة بعد البلاد، وإن إصراري على عدم الإستقالة ليس تحدياً مني له، فإن ذلك لم يجل بخاطري يوماً، وأنا الذي ما قبلت الرئاسة إلا نزولاً عند إرادته وخلافاً لرغبتني. على أن القانون صان شخصيته فجعلها غير مسؤولة، وألقى المسؤولية كلها على عاتق رئيس الحكومة. فكيف أكون أول من يخضع لإرادة الأنكليز دون استشارة مجلس نيابي حر يمثل الأمة تمثيلاً صادقاً، وكيف أنسحب وأفسح المجال من بعدي للوزارة التي يريدونها الأنكليز ولا يريدوها الشعب، وكلنا يعلم ماذا يريد الأنكليز منا، وماستقوم به تلك الوزارة. ولو اتبعت الأصول القانونية في إقالة الوزارات، وما رست الأمر السلطة الموكلة به، بأن يقتصر المجلس النيابي على عدم الثقة بوزارتي، فأتنا من يمثل برحابة صدر، أما أن يأخذ الوصي أمراً لإقالة على عاتقه، فهذا تصرف ديكتاتوري لا يقره الدستور، وأنا لا أمتثل لأمر غير دستوري. إنني أرجو

منكم أن تبسطوا لسموه توسلي ليصد عنه دسائس الأجانب ووشايات الأذئاب فيما نسبوه إلي، ويكف عن الوسائس، ويقنع بعدالة حجتي وحسن نيتي ونزاهة مقصدي، وباعتقادي أن الأمة العربية ستجني خيراً من موقعي، إذ يتثبت الأنكليز من اتحاد كلمتنا وصادق عزمنا على التمسك بما لنا وما علينا، كذلك أرجو منكم أن تتوسلوا من سموه ليوقع على إرادة ملكية بتسمية محمد يونس السبعراوي وعلي محمود وزيرين، بدلاً من ناجي شوكت ونوري سعيد، وقد قدمت له طلباً بذلك قبل يومين. أما طه وزميلاه فإنهما يزاولان أعمالهما، ولن أقبل منهما الإستقالة، ولن أرفعها إلى الوصي.

أوشكنا على مغادرة مقر الرئاسة حين رن جرس الهاتف، فكان المرافق الأقدم عبد الوهاب يدعو وكيل رئيس أركان الجيش أمين زكي إلى مقابلة الوصي في قصر الرحاب فوراً، قائلاً أنه ما فتىء يسأل عنه منذ ساعة.

قال وكيل رئيس أركان الجيش: أرجو أن تستأذن من سموه أن أحضر معي قادة الجيش المرابط في العاصمة.

وجاء الجواب بعد فترة قصيرة أن تفضلوا جميعاً.

بلغت بنا سيارتنا قصر الرحاب في التاسعة والنصف ليلاً، وشكا فهمي ألماً في معدته فتخلف.

... ودخلنا قاعة الضيوف حيث طالما اسقبلنا الوصي، ولم يطل إنتظارنا حتى دخل وكان عابس الوجه، فحيانا وجلسنا جميعاً. وكان أول ما تفوه به موجهاً إلى أمين زكي سألته: - ماذا يجري؟

- لا شيء يا سيدنا، فضل من الله ومنك. إنما هناك قضية رشيد عالي التي تلتبس من سموك... فقطع الوصي كلامه، ووضع يديه على إذنيه وقال:

- لا أستطيع أن أسمع هذا، فإن على الجيش أن لا يتدخل فيما لا يعنيه، وإن يطيعني طاعة عمياء. وما طلبت حضورك إلا بعد أن بلغني نبأ اجتماعكم عند رشيد عالي. لا يمكن أن أتحمل هذا أو أن أسمع ما تقولون أو حتى البقاء معكم. أنا ذاهب.

وأعقب الوصي القول بالعمل، فنهض وغادر القاعة مسرعاً، وتركنا وكأن على رؤوسنا الطير، وشخص بصرنا إلى الباب. وبعد فترة لا أدري ماذا دار في خلد كل منا، قطع أمين زكي حبل الصمت بقوله:

- يالها من بلوى لم تكن بالحسبان، جعلتنا في وادٍ وابن الدلال في وادٍ، بمثل هذا العقل سنقاوم تشرشل وايدن.

فلم نتمالك من الإبتسام. سألته: - وما العمل يا باشا؟

قال: - نعود إلى بيوتنا والأمر يومئذ لله.

وإذ كنا على أهبة الخروج، دخل السيد محمد الصدر فحيانا وقال:

- ماذا وراءكم، خير إن شاء الله.

فاستبشرنا بقدوم هذا الرجل خيرا لعلمنا بما يتمتع به في قصر الرحاب من نفوذ. فدار حوله مجلسنا، وأخذنا نستعطفه ونرجوه. قلنا له: - اليوم يومك يا سماحة السيد لتحل لنا هذه المشكلة. لا يجوز بمثل هذه الظروف أن يثور بعضنا ويكافحه بعضنا الآخر فنقتل، والواجب أن يتضامن الشعب والجيش والحكومة، فلا يجد الأجنبي ثغرة في صفوفنا يلج منها. لا يخفى عليك أن الأمة بأسرها تؤيد رشيد عالي، فاقالة وزارته تقتضي اتباع الأصول القانونية فيقتنع الشعب بأنه ما أزيح بإرادة الأنكليز وضغطهم على الوصي، بل بإرادة المجلس. وفي هذا اعلاء لكرامة الوصي في عيون الأمة وفيه اعلاء لكرامة الأمة عند الأجنبي.

أبدى الصدر ميلا لرأينا وعطفا على حجتنا فقال:

- « سأذهب لمقابلة الوصي فانتظروني حيث أنتم ».

وسرعان ما عاد فقال: - أسف، ألفت سموه ثائر الأعصاب لا يكاد يأخذ أو يعطي، ويظهر أنه ممتعض منكم كثيراً فقال أمين زكي: ولم ذلك وأي ذنب اقترفنا؟ لقد أصبحت أمورنا بيد الأطفال، وحري بالوصي أن يتعظ بما نال جده الحسين من نفي وتشريد على يد الأنكليز، وبما لحق عائلته من اغتراب وتبعثر، فيرحم نفسه وآله وسمعته.

أردفت: لقد قصدنا هذا المكان والخير رائدنا يا سماحة السيد، لقد جئنا لتسوية خلاف أحدثه الأنكليز وأذنا بهم بيننا. فنحن كجنود لا نرى لمهمتنا وزنا إذا هي لم تقترن بالإخلاص، ولا تعلني من شأنها فضيلة إذا لم تكن رحماء على بني قومنا اشداء على من ينتهك كرامتهم. وأين تبقى فضائل الجندية إذا رضي الجندي بأن تحتل الجيوش الأجنبية بلاده، أو بأن يساق لقتل الثائرين من أبناء وطنه، كان هذا الجيش العراقي لم يتألف ولم يتدرب إلا ليكون شرانم من الدرك. إن الأنكليز ومواليهم يحاولون حملنا لتحقيق ما يريدون وارغامنا، لكننا لن نخرج عن فضائل الجندية، ولن نشهر الحراب على بني قومنا ما دمنا قائمين على رأس جيشنا. هذا هو الدافع الذي دفعنا إلى الوصي متوسلين إليه أن لا يترك سبيلاً لغضب الشعب أن يثار، وأن

يتفادى القلاقل والثورات التي يحتمل نشوبها بسبب الخلاف مع الكيلاني وما غايتنا إلا التوفيق وإصلاح ذات البين. على أن هذا لا يعني أننا نعاكس رشيداً أو أعوانه، والوصي يعلم حق العلم أننا لا نبتغي من أعمالنا إلا وجه الله. لذلك نرجو من سموه أن لا يحمل قدومنا على محمل النية السيئة، وأن لا يتكبر علينا ونحن أبناء جلدته ولو كنا من قادة الأنكليز - بل من ضباطهم الصغار - لما كان منه ما كان الساعة. اتراه فاق الراشدين عظمة وحكمة حتى كبرت نفسه وهم المتواضعون، ولم يأبه لتعاليم الإسلام وأمرهم شورى بينهم» وهم الفاعلون؟ لقد قال اعرابي لعمر: (والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد هذا السيف)، ويرى أن عمر جلد ابنه وقلدة كبده لخطيئة ارتكبها حتى مات على المقرعة. فلماذا يمتنع الوصي ان جاءه قادة الجيش وقوة الشعب متوسلين، وماذا يفعل لو جئناه مشيرين؟ وهل هناك من هو أولى منا بأن يكلمه الوصي؟ أم أنه جعل ذلك وقفاً على الأنكليز وحدهم؟ لاحظت على سحنة الصدر امارات الإمتعاض وقاطعني قائلاً:

- سأقوم بما يلزم، وأرى أن تنتظروني عند رشيد عالي في رئاسة الوزراء ريثما تهدأ أعصاب الوصي.

قلنا جميعاً: - لك الفضل والمنة، بورك فيك، لن ننسى لطفك ياسماحة السيد.

وفي الساعة الحادية عشر والنصف وافانا السيد الصدر إلى مقر الرئاسة، فاستقبلناه بالإجلال والترحاب. وقدم الصدر للكيلاني ارادتین بتسمية محمد يونس السبعراوي وعلي محمود وزيرين في وزارته. فشكر الكيلاني الصدر جميل عمله، وأبدى لسمو الوصي اخلاصه ودعا له بطول العمر.

قال الصدر:- بذلك تنتهي مهمتي وأنا ذاهب للنوم فقد تعبت.

قلنا جميعاً:- نشكرك ورافقتك السلامة.

فلما خرج الصدر اقترح محمود سلمان أن نذهب إلى الوصي فوراً لنقدم له شكرنا اذ تفضل بقبول رجائنا، وحبذ الكيلاني الفكرة وقال أنه سيذهب إليه في الغد ليقوم بهذا الواجب.

كان الوصي هادئ الاعصاب، ولما حاولنا بالتعاقب أن نقبل يده كان يمانع تواضعا واستحياء وكان كامل شبيب أجزأنا في ذلك إذ جذب يد الوصي بقوة وهو يقول: - هات يدك لأقبلنها والله.

فلم يتمالك الوصي من الابتسام، ومما بقي عالقاً في ذاكرتي قوله: - أنا لا أريد منكم

أن تقبلوا يدي، واعلموا أنني لن أتردد بعد اليوم في التوقيع على جميع الارادات والمراسيم التي تقدمها لي الحكومات القائمة، متبعاً في ذلك نصوص الدستور التي تصونني من المسؤولية.

وهذه معجزة من المعجزات لا أدري كيف وفق الوصي إلى ارتجالها ونحن اعلم الناس بمقدار كفايته ومدى ادراكه، فقد صوب بكلامه سهماً إلينا نحن الأخوة الأربعة لا إلى أمين زكي. وكان يعني في ايماعته انكم الآن توالون رشيداً وتنسون جميلًا ونوري وجودت وجلال بابان وجماعاتهم، وتتجاهلون الضباط الذين احيلوا على التقاعد، وهم جميعاً خصوم لكم يتحينون الفرصة للكيد بكم. فإذا تقلد أحد هؤلاء الوزارة يوماً وقدم لي كشفاً بأحالتكم على التقاعد - مثل حسين فوزي وأمين العمري - فأنتي لن أتردد في التوقيع عليه، ولماذا أرفض وأنتم تريدون مني اتباع الأصول الدستورية في عدم مسؤوليتي أمام القانون.

أجبتة: - إن ارادة الأمة ياسيدنا من ارادة الله فإذا اقترنت برأيكم فرقابنا أمامكم كالشعرة. ثق ياسيدنا أننا نتطلع إلى ذلك اليوم الذي نرى فيه استقلالنا موطداً متين الأركان ناجزاً لا عيب فيه، ذلك اليوم الذي نراكم فيه سادة أمة حرة لا مسودين، فنشمخ بأنوفنا مثل جنود الأمم المستقلة، ولا نطأطئ هاماتنا شأن ضباط المستعمرات، وثق اننا مخلصون لك ولال البيت جميعاً.

وفي طريق عودتنا قال أمين زكي مازحاً: - وهكذا حملتموني على تقبيل يد هذا الفتى وقد شاب رأسي وأنا ابن الستين. فكأننا مجرمون نلتمس عفوهم، مع أننا لا ناقة لنا في هذه الأمور ولا جمل.

اجبناه باسمين:

- ذلك ابتغاء رضوان الله ومصلحة الأمة، لا ابتغاء نفع شخصي. لولا ذلك لما كان منا ماكان.

وبعد انتصاف الليل بنصف ساعة، كنا في بيوتنا نحمد الله ونشكره على انتهاء الأزمة.

جاء محمود سلمان ظهر يوم الخميس الموافق ٣٠ كانون الثاني ١٩٤١ إلى مقر عملي في معسكر الرشيد، وقال أنه اتصل بالسيد الصدر واخبره أننا سنزوره في داره عصر ذلك اليوم، واقتراح أن ارافقه أنا وفهمي لنشكر الصدر على ما قام به، ونلبي بعد ذلك دعوة رشيد للعشاء في داره، وكان قد وجه لنا الدعوة قبل مدة. واستقبلنا الصدر على باب داره استقبلاً حاراً، وأبدى اغتباطه لزيارتنا الأولى هذه، وفي قاعة الضيوف رأيت صورة لأبيه فسألته:

- أهذه صورة والدكم؟

فمضى الصدر يقص علينا سيرة والده واستطرد قائلاً: - أنا لا أرى ضرورة للانفاق على الجيش وتسليحه، ويجدر بنا الاهتمام بالعشائر وتسليحها لأنها دعامة العراق وحصنه، والجيش عاجز عن منعها إذا أرادت أمراً.

اجبت على ظاهر ما بدا لي من قوله:

- لا أظن ياسماحة السيد أنك جازم فيما تقول، فالروح التي في الجيش، مثل الروح في العشائر أو باقي طبقات الأمة.

فالجيش يستمد الحياة والقوة من الأمة لأنه يتكون من أفرادها. إن قابلية العشائر على القتال الفردي لا تنكر، لكنها تفتقر إلى القيادة والتنظيم، كما تفتقر إلى السلاح الميكانيكي الحديث والتدريب على فنون الحرب العصرية.

قال:

- أنا احترم الجيش وقواده وعقيدتهم الوطنية، خاصة وانتم على رأسه، انما اقصد عدم اهمال العشائر فإن لها صولة وبأساً لا يستهان بهما.

ماكان لي أو لفهمي أو لمحمود أن ندرك أنذاك ما يرمي إليه هذا العلامة بذكرالعشائر، فقد كتم علينا أمر الشراك التي حيكت في الظلام، ثم انجلت الحقيقة أمامي بعد ساعات...

ودعنا الصدر قبل المغيب بساعة، وقصدنا دار كامل شبيب بالأعظمية لنلبي سوية دعوة رشيد فاستقبلنا بالمنامة وقال:

- سأبقى بعيداً عنكم ياأخواني فإن في ساقى أماً يمنعني من الحركة.

قلنا: - ومتى كان ذلك وقد كنت بالأمس سليماً؟

قلنا: - والعشاء عند رشيد؟

قال: - بلغوه اعتذاري واذكروا له مامنعي عن مرافقتكم (١).

لم يكن في دار الكيلاني من المدعوين غير ناجي شوّت ونحن الثلاثة. ودخل رشيد بعد ربع ساعة فقال:

(١) هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون يا كامل؟ أين كنت في لك الليلة بالذات اذ طلبناك فلم نعثر لك على أثر؟ أحقاً كنت في زيارة أختك بجانب الكرخ؟

-يؤسفني أن اترككم، وسينوب عني الأخ ناجي والدار داركم، لابد لي من الذهاب إلى مقر الرئاسة فوراً لأقف على أسباب سفر الوصي إلى الديوانية، ونزوله في مقر الفرقة الرابعة عند ابراهيم الراوي، وقد اخبرني بذلك متصرف لواء الديوانية.

سألناه: - ولماذا سافر الوصي إلى الديوانية

فأجابنا: - لا أعلم أكثر مما تعلمون، وسأخبركم بجلية الأمر حينما أقف عليه، فاستودعكم الله، وبعد أن احتسبنا القهوة جاء ناجي شوكت وقال:

- اتصل بي رشيد هاتفيّاً وهو يرجو أن تحضروا إلى مقر الرئاسة فوراً. قلنا:

- وأنت؟ قال:

- ليس لي أن أرافقكم لأنني لست وزيراً.

أدينا التحية لرئيس الوزراء الكيلاني ولوكيل رئيس أركان الجيش أمين زكي. وكان الكيلاني منصرفاً إلى مخابرة متصرفي الأولوية، مبتدئاً بأحمد السوز متصرف الديوانية ثم بماجد مصطفى متصرف العمارة (١) ثم بكر كوك والدليم والحلة... الخ.

ثم التفت إلينا وقال:

- إخواني كان المجلس صباح اليوم في هرج ومرج، ولو لم أحضر بنفسي لتدارك الأمر لوقع ما لا تحمد عقباه بين الأذئاب، وهم يعدون على الأصابع، وبين بقية أعضاء المجلس. فقد بدأ علي جودت بمهاجمة الوزارة وتناول بصورة خاصة على الوزيرين محمد يونس وعلي محمود. ووجه أحمد الجليلي ألفاظاً لا تليق ليونس السبعوي. لذلك عزمت الحكومة على فض

(١) أحمد السوز خريج كلية الحقوق، عربي الأصل والعقيدة، شهم، ويوالى رشيد عالي الكيلاني.

ماجد مصطفى كردي الأصل والعقيدة. كان ضابطاً في الجيش العثماني واشترك في ثورات الشيخ محمود البرزنجي ضد الحكم العربي. لكن ماجد ذكي شجاع وهو يحب العرب ويعتقد أنهم رافعوا لواء الإسلام لذلك كان تحررهم ضرورياً. اعترف ماجد لي وفهمي في اجتماع ضمنا نحن الثلاثة في دار فهمي بأنه من أصل عربي قرشي وأنه ينتسب للأمويين، لكنه رجائاً أن نكتّم اعترافه. ذلك أن كثيراً من العرب ومن أشرافهم استكروا بعد عهد العباسيين وقطن أغلبهم لواء السليمانية في منطقة راوندوز والعقرة وشمالها. وقفت بنفسي على شهامة ماجد لما أعانتي في حادثة تتعلق بفلسطين أواخر عام ١٩٣٥ يوم كان يس الهاشمي رئيساً للوزراء وكنت أنا معلماً في كلية الأركان الحربية ومديراً عاماً للفتوة، وكان ماجد مصطفى متصرفاً للواء الناصرية. لن أنسى لماجد شهامته نحو اخوانه العرب المسلمين. ويشهد بذلك العقيد الركن اسماعيل صفوت، والرئيس مبارك العلي، وخيري خورشيد وصالح فوزي.

المجلس كما كان مقرراً، والشروع بانتخابات جديدة تجري بحرية تامة، وتقديم البلاد مجلساً يمثل الأمة بحق وصدق وحرية، مجلساً يرسم للحكومة الطريق الذي ينبغي لها أن تسلكه إزاء المطالبات الانكليزية، دون أن يميل لزيد من الناس أو لعمر. بناءً على هذا رفعت إلى سمو الوصي طلباً أرجوه فيه أن يصدر الإرادة الملكية بحل المجلس النيابي، مع اعتقادي بأن أكثرية المجلس الحالي تؤيد حكومتي. والظاهر أن الوصي استغل هذه الفرصة أو أنه كان ينتظرها، فهو بدل أن يجيبني إلى طلبي أو يرفضه، لجأ إلى طريقة عجيبة فذهب إلى الديوانية ليثير علي الأضداد ويكتسب إلى جانبه أكثرية المجلس، وبذلك يخرج موقفني ولا أجد أمامي بدا من الاستقالة.

وهي طريقة شيطانية رسمها الانكليز وأذناهم ولقنت للوصي تلقيناً، وقام فيها علي جودت وزملاؤه بدور رئيسي. واتصل الوصي من مقر الفرقة الرابعة بالمتصرفين جميعاً، وأمرهم بأن يقطعوا الصلة بحكومتي ويردوا أوامرها ويتلقوها منه مباشرة. ولقد أخبرني المتصرفون بذلك وأضافوا أنهم صرفوا الوصي بالحسنى، واعتبروا ما صدر عنه تصرفاً صبيانياً، وأكدوا لي وقوفهم إلى جانب الحكومة وتأييدهم لما تقتضيه الأصول الدستورية. وبلغني أيضاً أن الوصي اتصل بالعشائر محرضاً إياها على الثورة والعصيان، كما قابل محسن أبو طبيع ومتصرف البصرة صالح جبر (وهو من مشجعي حركة الوصي)، لكن رؤساء العشائر تملصوا بكياسة مما أراده الوصي منهم للتخفيف من حدة الأزمة، كما بلغني أن الوصي أوعز إلى ابراهيم الراوي بقطع الصلة بمقر الجيش والامتنال لأوامره هو، ولا أدري ماذا كان جواب ابراهيم.

لقد أجمع مجلس الوزراء على الثبات مهما فعل الوصي، وأن لا ينسحب ما دام الوصي يقوم بدور الديكتاتور مستنداً إلى الانكليز، ضارباً بأحكام الدستور وبحقوق البلاد عرض الحائط. ولكن مجلسنا فضل أن يستشيركم بصفتكم قادة الجيش فما رأيكم؟

قلنا بعد سكوت قصير: والله لا ندري بم نجيب، فهي مهزلة يؤسف لها، ونرى أن تستشيروا الهاشمي والصدر قبلنا.

ثم التفت إلى فهمي ومحمود وقلت لهما همساً: - أأدركتما الآن ماذا رمى إليه الصدر في اشارته إلى بأس العشائر عصر اليوم، وعلاقة ذلك بما يفعله الوصي بالديوانية؟

وجاء لأمين زكي هاتف من الديوانية من قائد الفرقة الرابعة ابراهيم الراوي، فاخبره أنه كان في الحلة، فلما علم أن الوصي ينتظره في مقره بالديوانية عاد إليها فوراً، وأنه فوجئ

بقدم الوصي دون سابق انذار. وأنه لما حاول الاتصال ببغداد من مقره منعه الوصي، لذلك اضطر إلى مخابرة بغداد من مكان آخر. وأنه عل كل حال يجامل الوصي ويعالج أمره بالعقل، وأنه على استعداد لتلبية كل امر يتلقاه من مقر الجيش. وجرى مثل ذلك أيضاً مع العقيد عبد الرزاق حسين أمر منطقة الموصل، فافاد أن الوصي كلفه بعدم الاتصال بمقر الجيش ويرفض اوامره، واضاف أنه طبعاً لا يمثل لهذه الأوامر الصبيانية ولا يقيم لها وزناً.

حضر طه الهاشمي واختلى برشيد عالي الكيلاني خمس دقائق أو أكثر ثم انصرف، ولا حظت من مجرى الأمور أنه اشار على الكيلاني بالكف عن الاصرار وبالاستسلام للأمر الواقع، ونصحه بالاستجابة لطلب الوصي، وإن لم يكن دستورياً، وأن الاستقالة أفضل.

وقبل أن يغادر الهاشمي المكان جاء الصدر، وكان قاسياً في نصحه لرشيد، ومما قال:- لا أدري يافخامة رشيد بك ماذا أقول، فما الأمر هين، ولا المصير محمود والرأي أن نفرض اليد احمد، وإن الوقوف عند هذا الحد أسلم.

ثم تركنا ومضى إلى داره.

استمر اجتماع الوزراء زهاء ساعة، ثم وافانا الكيلاني ودعانا إلى حضور اجتماعهم، وفي غرفة صغيرة متصلة بههو الاستقبال، قابلنا هيئة الوزارة مجتمعة واذكر ممن رأيت: رؤوف البحراني وعلي محمود ويونس السبعراوي وموسى الشابندر ومحمود علي محمود. واستهل الكيلاني الحديث بمقدمة أجمل فيها الموقف الراهن ثم سألنا الرأي. وكان الكلام لأمين زكي فقال:

- إن كل ما يعصف باستقرار البلاد وينشر فيها الفوضى لا يلقي منا ترحيباً. نحن نؤيد الحق، وننصاع إلى احكام القانون والدستور، وليس عندي بعد هذا ما أقول.

أضاف محمود سلمان وكان متحمساً: كفى البلاد ما انتابها من مصائب فهذا يوم لابد فيه من جمع الكلمة وتوحيد الصفوف وراء رجال تثق بوطنيتهن، واني اري الثبات على هذا الموقف، وعدم الإذعان لما يضر مصلحة الأمة ويمس كرامتها. وهذا لا يتم إلا إذا كان الحكم بيد المخلصين. أما الوصي فتدفعه عاطفة ليس فيها مصلحة للبلاد. عاطفة حبيها له الأنكليز وأذئابهم. أما وقد بلغ الأمر بنا هذا الحد فإني أرى أن نبقي عليه.

أما فهمي وكان شجاعاً، فقد عرض الأحداث بشكل منطقي وقال في الختام:

- الجيش آلة صماء بيد الحكومة بشرط أن تكون وطنية ليس للاجانب تأثير عليها، وبشرط أن يتأكد للجيش وللشعب أن القائم على رأس الحكم يبتغي مصلحة البلاد، لا مصلحة

الأجنبي. أما الوصي فالأجانب واذنابهم يدفعونه إلى هذه التصرفات، وكلنا نعلم من هم هؤلاء. ولما كان اعتقادي أن حكومتكم تضم رجالاً مخلصين هم أنتم، فإني ارضخ لأي قرار تتوصلون إليه.

أردفت: الجيش آلة صماء بيد الحكومة إذا كانت صاحبة الكلمة في سياستها الخارجية وشؤونها الداخلية، وإذا كان الشعب حراً في انتخاب ممثليه، لا يؤثر عليه في ذلك مؤثر أجنبي. لقد كان السياسيون من تلاميذ الأجنبي هم الذين اشركوا الجيش في السياسة وشجعوه على خوضها، فلما اختبرهم الجيش واحد بعد واحد واطلع على نواياهم، قالوا أن على الجيش أن لا يتدخل في السياسة، وأرأوا ماسخه إلى شرطة أهلية، تحرس مصالح الإنكليز في وطنها كجيوش المستعمرات، وعارضوا في تسليحه وتوحيده كي لا تقوى شوكته وتنتقد وطنيته.

أي الحكومات ستتلو حكومتكم إلا حكومة تفرض نفسها على البلاد بقوة الإنكليز، ورغم ارادة الشعب، ويكون الجيش في يدها آلة صماء، لا فرق بينه وبين جيوش المستعمرات. وأي الرجال سيقومون مقام ناجي شوكت وطه الهاشمي وناجي السويدي والبحراني والكيلاني، ويكون لهم نفس المؤهلات التي يرضاها الشعب فيهم، فيقررون مصير البلاد يؤيدهم الشعب ويؤازرهم الجيش، غير رجال مثل نوري وجميل وجودت، ثبت للشعب بالتجربة أنهم رجال الإنكليز، وأنهم، ليس أهون عليهم من التضحية بمقدسات البلاد على مذبح المصالح البريطانية. ليس بيننا من يجهل الغاية من تصرفات الوصي هذه، أو يجهل الذين يشجعونه عليها من وراء الستار. فلماذا يريد الوصي أن يتصرف كالديكتاتور وهو ليس بالسياسي ولا بالعسكري. أما الجيش، فقد قال كلمته الفاصلة في مجلس الدفاع، وما من قوة ترجعه عن عزمه في الثاني والتروي، وفي الابتعاد عن التهور والتسرع حتى ينجلي الموقف العالمي الراهن. وقد ذكرت في لائحة أعددها أن الجيش لا يطبق أن يرى الجيوش الأجنبية تجوب بلاده وهي مدججة بالسلح فلا يبدي حراكاً، بل يقوم بواجب الشرطة والدرك، وينفذ ما يطيب لجيوش العلوج، ويسفك دماء زكية من أحرار الأمة ليوطد الأمن في البلاد في سبيل هاتك حراماتها، ولصيانة العاث بمقدساتها. لن يكون ذلك وفي العراق جيش من ابنائه البررة، لأنه ينافي شريعة محمد وأخلاق العرب. ولكن دفعاً لكل التباس قد يتخذ الإنكليز ومواليهم حجة يستترون بها خبث نواياهم - وما أسهل حجة الذئب على الحمل - فإني أقول: - ليكن للوصي ما يريد، ولتستقل الوزارة، ثم نرى ماسيكون، وللبلاد رب يحميها وشعب يذود عنها.

وقع اقتراحي بالاستقالة في آخر الكلام كالصاعقة على محمد يونس السبعاعي، فلم يتمالك نفسه وصاح «اسمحوا لي» وتلك العبارة يرددها يونس كلما استهل حديثاً. وكان يونس

يلتهب حماساً وهو ينادي بالثبات بوجه العاصفة لا الاستقالة، لأنها انصياع لهوى الوصي الذي يريد أن يكون طاغية على امته وعبداً للانكليز، ثم يستفحل امره لأنه جاهل غير مثقف، ويسوق البلاد إلى كارثة إذ يزج بها في اتون الحرب بلا عوض ولا غنم... «ارجوكم ايديا فكرتي».

وهنا تكلم الكيلاني فافاض واستفاض، وكان ممتقع الوجه بادي الألم، ومما قال: استطيع أن اقطع بأن الوصي قد فشل في تمثيل الدور الذي اخذه على عاتقه لأثارة حرب داخلية، لأنه اصبح وحيداً ضعيفاً بعد أن خذله رؤساء العشائر وتخلّى عنه المتصرفون، لكني مع ذلك عزمت على الاستقالة، وسأقدمها الآن. واعلموا ياخواني انني سأقاوم كل حكومة تأتي من بعدي وتضحي بمصالح الأمة لخدمة الأجنيبي الذي، لولا مؤازرة عبد الاله والأذناب، لما تشجع فقدم تلك المطالب المجحفة، وأنا طبعاً لأقوى على القيام بعمل ما يوجب تأييدكم، ومن ورائنا الشعب العراقي لا بل الأمة العربية كلها.

ساد الصمت برهة ثم طلب الكيلاني من يونس السبعائي وعلي محمود اعداد مسودة الاستقالة، وتليت ثم جرى عليها بعض التعديل باشتراك جميع الوزراء، فكانت اقصى استقالة قدمتها وزارة عراقية، وكان فيها بيان للشعب عن دسائس الأجنيبي، واضطرار الوزارة للاستقالة نزولاً عند ارادة الاجنيبي التي تؤثر على الوصي، ثم طيرت إلى الديوانية برقية الاستقالة موجهة إلى الوصي ومذيلة بتوقيع الكيلاني.

وإذ كنا على أهبة الخروج قلت: أرى أيها الاخوان انني العسكري الوحيد الذي قال بالاستقالة. قلت بها وأنا على يقين من أن الوصي وزملاءه انما يهدفون من وراء مناوراتهم إلينا نحن العسكريين، لا اليكم انتم الوزراء. ذلك لأن الانكليز لن يهدأ لهم بال طوال وجودنا على رأس الجيش. انهم لا يستطيعون الاعتماد علينا لأنهم يعلمون حق العلم مدى استعدادنا لمناصرة كل من يطالبهم بحقوق الأمة التي اغتصبوها، وتلك علة العلل، أنتم ذاهبون إلى بيوتكم وبذلك تنتهي مسؤوليتكم أما نحن فسنعرض الآن إلى هجوم الوصي وزملائه مباشرة، وسيقصدوننا رأساً، وسيعملون على اقصائنا من الجيش، ذلك هدفهم الرئيسي لتحقيق خطة الانكليز التي امليت عليهم، لكننا نقطع على انفسنا عهداً اننا لن نفسح لهم المجال، فهل تؤيدوننا على ذلك كما تؤيدكم؟ قالوا: اجل، ونقسم على ذلك. (انظر الملحق -١٣-).

كان يوم الجمعة هو الحادي والثلاثين من شهر كانون الثاني عام ١٩٤١.

نهضت مع التاسعة وأنا متعب، وجاعني من محمود سلمان هاتف فدعاني إلى داره

فوراً، حيث أبدى طه الهاشمي رغبته في محادثتنا. واضاف محمود أنه والاخوان (ويعني فهمي وكامل) بانتظاري.

اجتمعنا نحن الأربعة في دار محمود، والتفتنا إلى كامل نهنئه مازحين على شفائه السريع من ألمه المصطنع، فقد أصبحت اساليبه مألوفة لدينا (١). وحضر طه الهاشمي بعد نصف ساعة، يرافقه وكيل رئيس أركان الجيش امين زكي، وصادق البصام، فسألناه عما حدا بجميل وجودت وابراهيم كمال وصالح جبر لقضاء الليل كله، وهم في سياراتهم يلحقون الوصي إلى الديوانية، هل فشلت خطتهم المرسومة لاثارة حرب داخلية.

أجاب: أنهم يصطادون في الماء العكر، ولكنهم لا يقدمون شيئاً ولا يؤخرون، فاتركوهم يعمهون في ضلالهم. لقد جئت الآن لاستشيركم، فقد طلب الوصي حضوري إلى الديوانية، وسوف اطيّر اليها مع السيد الصدر الذي بلغني أنه كلف برئاسة الوزارة فرفض، لذلك بت اعتقد أن الوصي سيطلب مني مارفضه الصدر، على أنني فضلت أن اراكم أولاً، وسأقبل الرئاسة إذا ايدتموني فما قولكم؟

ساد الصمت ثم كان كامل شبيب أول من قال: «نعم يا باشا» وتلاه الآخرون، الاي.

قلت: - ماكان اجدرني بالاعتباط إذ تسنح فرصة سعيدة طالما تمنيتها وسعيت لتحقيقها منذ قتل بكر صدقي. ولكن الظروف تمنعني اليوم من هذا، فأنت ياسيدي واحد من القلائل الذين لا أشك في نزاهتهم واخلاصهم واحرص عليهم وعلى سمعتهم أن يمسخا السوء في هذه الظروف. اريدك أن تبقى ذخراً للبلاد تقودها إلى ساحل الأمان، وآخر من ينزل إلى الميدان. فليكلفوا برئاسة الوزارة من شأؤوا فإنه لن يتمكن من فل عزمننا وسيحالفه الفشل، وما وقع اختيارهم عليك إلا لعلمهم بما لك في الجيش من منزلة، ليستعينوا بك علينا وهم انما يستعينون بالحديد لفك الحديد، وهي والله خدعة منهم لامحبة بك. الاترى الذين احتكروا الحكم بقوة الانكليز، ماأبعدنا عنهم وعن صداقتهم، وأنه ليعز علينا أن تضطرك الاحداث إلى مناوأتنا - بالرغم من اعتقادك باننا آخر من بقي على رأس الجيش من الاباة الذين يقاومون سياسة الاستعمار واذنابه، ولا يترددون في التضحية في سبيل ذلك بكل مايملكون. إن الانكليز ومواليهم المتزعمين لن يحلو لهم بقاؤنا على رأس الجيش حتى ولو قبلنا بمطالبتهم التي هي قيد البحث، طوعا منا أو كرها. ذلك لانهم يعتقدون - وهم على صواب في اعتقادهم - باننا سنبقى حجر عثرة في طريقهم، واننا سنتحين الفرصة لكسر قيودهم ورفع نفوذهم عن البلاد،

(١) بيتدع كامل طرقات وأساليب شتى للتملص من الميدان حين النزال، حتى اذا أن أوان الجوائز برز إلى الميدان بطلاً مغواراً.

وعلى هذا فإن اصطدامهم بنا واقع لا محالة، شئتنا ذلك أو أبينا، وعاجلاً أو آجلاً. لبتك إذا تبقى على مكانتك الحاضرة محترماً عند العدو والصديق، ولبتك تكون مثل المارشال بيتان الذي يقود فرنسا وهي في أشد المحنة. هذا ما أراه، أما إذا كنت ترى ظروفنا الحاضرة مثل ظروف فرنسا فدونك الرئاسة.

فأجابني: - نعم إن ظروفنا تشبه تلك لظروف.

قلت: - إذاً بشرط أن تسير الوزارة ضمن حدود المعاهدة العراقية الانكليزية، لاتخرج عنها ولا تتعداها، وبشرط أن لا يتدخل احد في شؤون الجيش بصورة مباشرة مخالفة للقانون.

قال: - لكم علي ذلك.

قلنا جميعاً: - وفقك الله وجعل العاقبة خيراً.

وتسلم العميد الركن طه الهاشمي رئاسة الوزارة في حفلة حضرها رؤساء الدوائر الحكومية ووكيل رئيس أركان الجيش، وقواد الفرق المرافطة في العاصمة. وقرئت علينا الارادة الملكية بذلك، فصفق الحاضرون وانتهت التهاني والمراسيم.

وهكذا احبطت المؤامرة الاولى التي هيأها الانكليز وأذئابهم لاثارة حرب داخلية.

لكن كان من واجب نوري أن يقضي على (الحلقة الذهبية). لذلك وطد العزم على أن ينفذ قوله:

- ياصلاح الدين، في رأسك صوت سوف تصيحه، ولكن ستري ماسيجري في العراق.

ملحق رقم - ١٣ -

في الساعة الثالثة من بعد منتصف الليل بلغت داري فاستقبلني من فيها مخضلة بالدموع اعينهم، أسفي عليهم ما اصبرهم على الليالي العديدة التي قضوها في سهاد وقلق، وطوبى لي اني رب بيت عربي، شب على حب التضحية، وتلك سلواي والحمد لله. قضيت الليل وأنا اتقلب على الفراش، تتناوب علي أفكار شتى، فحيناً أقرر الاستقالة من الجيش، وحيناً أفكر بطريقة الارتزاق التي سار عليها كثير من العسكريين والمدنيين حتى كثرت أطيانهم، وتضخمت أبدانهم، وحف بهم الخدم والحشم بعد أن كانوا لا يملكون شروى فقير، فأعيش وأهلي في

نعيم، ولتذهب البلاد ومن فيها إلى الجحيم. مالي والوطنية؟ ما الدين والشرف وما العروبة وتراث الأجداد؟ إن هي إلا كلمات جوفاء لا تسمن ولا تغني من جوع. أين المسلمون الذين ينودون عن كرامة دينهم وتعاليم نبيهم؟ هل هم الزعماء أم العلماء؟ هل هم في الهند والأفغان، أم في تركيا وإيران، أم هم العرب الذين يقودهم المتزعمون باسم انكلترا وغيرها من دول «غرب» ماذا كان مصير محمد بن عبد الكريم الريفى وعبد القادر الجزائري من قبل، ومن ناصرهم من العرب ومن ساعدهم من زعماء العرب بعد أن حكم عليهم بالنفي والتشريد؟ كيف كانت حال زغلول في مصر، والمفتي في فلسطين؟ ماذا كان مصير المجاهد أبي درة عند عبد الله بن الحسين؟ بل ماذا كان مصير الحسين نفسه؟ وما هو موقف زعماء العرب وأحرارهم عند المتزعمين والمستعمرين؟ لماذا لا أصفي لنصح الناصحين يقولون: «مالك تحمل لواء العروبة على رأسك يا صلاح الدين؟ دع عنك هذه السفاسف، وعش مثل باقي أقرانك تجد أمامك ميداناً فسيحاً من السعادة. أنت الوطني الوحيد والعربي الوحيد؟ إن غيرك كثير، وإن سعيك لن يجدي غير الدمار وما ورائه إلا خراب الدار... ماش ركاب نوري وزملائه وعبد الإله، فتحظى بالجاه والنعيم»... إن لي أشهراً من الإجازات تراكت منذ سنين، إذ ضحيت براحتي وراحة أهلي كي لا أبتعد عن عملي يوماً واحداً، ولم أتمتع بإجازاتى كالآخرين الذين لا يفوتهم صيف إلا وهم يسرحون ويمرحون في ربوع لبنان وغيره، فلماذا لا أقضي إجازة طويلة خارج العراق، وبذلك ألعب على الحبلين وأكسب رضى الطرفين، وأكون رب الوطنية عند إخواني المخلصين الساذجين، وأكون صاحب الحظوة عند نوري وزملائه وعبد الإله. لتحل علي يومئذ لعنة الله، ولينح علي ضميري بالتائب والتقرير، ولترمني الوطنية بالمرقوق، وليصمني شرف الجندية بالخيانة.

ثم أعود فأقول: «ويحك صلاح الدين، أيوسوس في صدرك ما يوسوس في صدور الأعاجم الدخلاء، وما فضلك إذا طلبت أجراً ونفعاً؟ أتغريك الأوسمة العسكرية والرواتب الكبيرة على إذلال قومك وخذلان وطنك؟ وهل عندك من الوطنية ومن إباء العروبة شيء إذا أصبحت حارساً لمن يحتل بلادك، وصنيعة للذي يستعمر قومك.

وبعد فهل نسيت يا صلاح الدين عهداً قطعته لأخيك، وبيتاً عربياً ترعرعت فيه، وتعاليم لقتتها وأنت صغير من أبوك ومن أمك؟ وما دمك وما عنصرك؟ لا لن يكون هذا ما دام في العراق جيش يؤمن بالعروبة، وشعب يدين بمبادئ محمد. وأنا وأولادي، شأن كل عربي أبي.



الملك غازي وابنه فيصل



الوصي عبد الإله

حادي عشر :

ضغط الوصي على طه الهاشمي

جاء مع المساء أحمد المناصفي، وهو ربيب نوري بن سعيد. جاء وعلى وجهه ابتسامة مكر ورياء، وكنت وفهمي، نقضي سهرتنا في دار محمود سلمان. استأذن ودخل وسلم، وسأل إن كان بوسع نوري أن يعود إلى بغداد.
قلنا:

- ويحك. ومن طارد نوري حتى ترك بغداد وهرع إلى شرقي الأردن على ما بلغنا، بنفس الليلة التي سافر فيها جميل وجودت وإبراهيم كمال وصالح جبر إلى الديوانية، ليلحقوا بالوصي. وما الغرض من هذه التنقلات «النورية»؟ ومن الذي يطاردهم، وما سبب وسواسهم. وهل أصبح نوري يخاف منا بعد أن كان يصرح بأننا في طليعة المخلصين للبلاد؟ ولماذا يخاف نوري من المخلصين لولا أمور يضمهرها في سرائره؟ وما الذي ساق نوري أن يستأذن منا قبل عودته؟ اتقوا الله، ويحكم، فإن هذه الشراك يجب أن تنتصب في طريق الأجانب المستعمرين لا في طريقنا نحن. وهذه الألاعيب يراد بها تضليل الشعب وإيهامه بأن الجيش يسيطر على الصغيرة والكبيرة وأنه يهدد رجالاتها. ولا ندري كيف سوّغت لنوري نفسه أن يفعل ذلك، وأن يضعنا منه موضع الخصوم وقد كان بالأمس القريب لا يهدأ له بال إلا بعد السؤال عنا، ويدعونا ضيوفاً عليه مرة في الأسبوع أو مرتين، ويكيل لنا المديح والثناء. ثم تنقلب الآية بأسرع من لمح البصر فإذا هو خائف منا هارب، يعد الخطط الشيطانية للإيقاع بنا - وقانا الله ووقى البلاد شرها. ليعد نوري إلى داره يا أحمد مثملاً غادرها بلا استئذان. أجابنا المناصفي:

- ليس صحيحاً ما أتاكم عن نوري، إنه لم يذهب إلى شرق الأردن بل يقيم في المزرعة بصدر اليوسفية عند أخي جعفر العسكري.

مكث الوصي في الديوانية ثلاثة أيام، الله وحده يعلم ماذا قصد بذلك وماذا فعل هناك، ثم عاد إلى بغداد. فلما كان اليوم الثاني أو الثالث، دعاني رئيس الوزراء ووزير الدفاع طه الهاشمي لمقابلته في مقره بوزارة الدفاع. قال:

- صلاح الدين، حدثني الوصي للمرة الثانية بشأن تنقلات الضباط وتجمعاتهم في منطقتي الوشاش وأم الطبول، شاهداً في طريق عودته من الديوانية إلى بغداد فألقت في نفسه قلقاً عظيماً.

قلت: - لا يخفى عليك سيدي الباشا أن هذا موسم التدريب على التمارين الخارجية من دون قطعات، وهو فصل تدريب الضباط على تمارين أعدت لهم منذ شهرين، ووزعت على جميع قطعات الفرقة الثالثة، أما الذين شاهدتهم سمو الوصي فهم ضباط اللواء الأول يطبقون بعض التمارين الخاصة بمنطقة أم الطبول تحت إشراف أمرهم العقيد سعيد يحيى الخياط.

فابتسم طه وهز رأسه وقال: - أرجو أن تأمر بإبطال التمارين في هذه المنطقة وأن تنتقلها إلى منطقة أخرى.

قلت: - حسناً، لكنني أرى للأمر مغزى هاماً، وهو سوء تفاهم بسيط لكنه يؤدي إلى عواقب وخيمة. من الذي أوغر صدر الوصي على الجيش حتى أخذ يخشاه، وكذلك نوري بن سعيد كما ظهر لنا من كلام أحمد المناصفي، وما مصير البلاد إذا تهادى هذا الظن السيء؟ إنها مصائد وأحاييل تعد في الظلام لإيقاعنا والجيش، لذلك أرجو منك يا سيدي أن تزيل كل سوء دسه المغرضون بيننا وبين الوصي.

قال: - نعم يا صلاح الدين إنه الحق ما تقول، قاتل الله المغرضين، وسأعمل على إزالة وساوس الوصي حتى يوجه لكم الدعوة لزيارته في القريب العاجل.

أملت بي وعكة من زكام طارئ في الثاني من شباط ١٩٤١، فأوصاني رئيس أطباء فرقتي بملازمة الدار لا أبرحها. وعادني قائد الفرقة الثانية قاسم مقصود، فطرح علي في أثناء الحديث اقتراحاً مفاده أن أتولى قيادة فرقته الثانية ويقود هو الثالثة بدلاً مني، وأضاف أنه يجد في ذلك ضرراً اقتصادياً، فهو في كركوك يقطن داراً فخمة معدة لسكنى قائد الفرقة هناك على حساب الجيش، ويتمتع بجاه واطمئنان ليس مثلها في المقرات القريبة من العاصمة.

قلت: - فماذا دعاك إلى التضحية براحتك ونعمتك من أجلي يا قاسم؟ أرجو أن أسمع منك الحقيقة بصراحة، فهل كلفك أحد بالوساطة؟.

قال: - نعم إنها رغبة طه، أوصاني أن أكرمها عليك وأن أقوم بذلك تراضياً بيننا، فأرجو أن لا تفتاحه بشيء.

قلت: - حسناً يا قاسم. إن لطفه في نفسي احتراماً كبيراً حتى ليعز علي أن أرد له طلباً، فأنا أعلم الناس بطيب نفسه. لكن الأمر اليوم لا يقتصر على مصلحة شخصية، وأنا فوق

استعدادي للتضحية بها في كل لحظة، أعلم أن قيادة الفرقة الثانية أسهل من الثالثة وأنفع. لكن في الأمر مصلحة عامة، وإني لأتساءل عن الغاية من وراء هذا النقل. فإذا كانت الغاية منه رفع نفوذي عن منطقة بغداد وما جاورها، فإن الأراضي في منطقة الفرقة الثانية أمنع وأصلح لناواة الانكليز وضباطها المخلصون لا يقلون عنهم في الفرقة الثالثة وفي بغداد، وسيان عندي أين أكون إذا كنت أسعى وإخواننا، أن هذا لا يدور في خلدنا البتة. وقبولي لاقتراحك قبول مني لتعلم حق العلم، وأنت أحد إخواننا، أن هذا لا يدور في خلدنا البتة. وقبولي لاقتراحك قبول مني للتهمة التي يلصقها بنا الوصي وأذناب الانكليز ونحن أبرياء، إني بذلك أفتح الباب لزيد وعمرو أن يتدخلوا في شؤون الجيش الذي نجا من تصرفاتهم الاستعمارية منذ عهد بكر صدقي. يريدون أن لا يتدخل الجيش في السياسة لكنهم يتدخلون في أمور هي من اختصاص قيادة الجيش وحدها، فيخالفون بذلك ما يجري في نول الأرض. هب أن حسن السهيل، ذلك الأمي العامي، أو غيره من صنائع الانكليز وجواسيسهم وربما كان وزيراً، تولى وزارة الدفاع بدلاً من طه، وخول له أن يرفع ويخلع وينصب ويعزل فما حال الجيش آنذاك؟! وهل نسينا عهداً انحصرت فيه وزارة الدفاع بنوري أو بصره جعفر، كيف استولت النزعات السامة على روح الجيش وثقافته من سوء ما فعل المجاور أيدي والكلونيل جويس ورفاقهما الانكليز، حتى كان بين جدران وزارة الدفاع دائرة خاصة لمحفل الماسونية، يرأس مدير العينة المجاور براش اجتماعاتها الأسبوعية التي يحضرها هذا وذاك من الضباط، غير العرب، مثل بهاء الدين نوري، وهل كان الجيش العراقي يومئذ عربياً أم (ليفي) تابعاً للانكليز، ونقمة على العرب لا نعمة، إنهم يريدون أن يعود الجيش سيرته الأولى ليسيطروا عليه، وبذلك يطمنون إلى أنه لن تثور بوجههم ثورة عربية أو عراقية في هذه الحرب، بل يريدون أن يزجوا الجيش العراقي في أتون الحرب أيضاً. لذلك كان تعيين الضباط أو نقلهم حقاً منحصرأ برئاسة أركان الجيش لا بوزير الدفاع، لأنها وحدها تعلم اختصاص كل ضابط ومقدرته والمهام المناطة به. أنا أشرف الآن على بدء التحكيمات، وتطبيق خطة الإسكان في منطقة الفرقة الثالثة، وغير ذلك من القضايا المتعلقة بتسليح الجيش وتنظيمه وخططه الحربية، وأنا واضح أسس ذلك كله يوم كنت معاون رئيس أركان الجيش، ومدير الحركات، فهل يُضحى بهذه الخطط وما خُصص لها من أموال طائلة في ميزانية الدولة، إرضاء لعواطف الوصي الشخصية الانتقامية، وتنفيذاً لما يريده الانكليز وأذنابهم؟.

أما سياسة النولة، فالجيش لا يتدخل فيها إذا لم تكن في أيدي عبيد الانكليز، وإذا تقاربت الآراء بين السياسيين والعسكريين بشأن سياسة النولة العليا. وأما عطف الجيش على

وزارة الكيلاني، فلأنها كانت أقوى وزارة في تاريخ العراق، وأقرب حكومة إلى قلب الشعب، فجاء الوصي يريد إسقاطها بطرق ليست من أصول القانون في شيء، وبأساليب مخالفة للديمقراطية وللدستور العراقي بالرغم من نقائصه الواضحة وعيوبه الفاضحة. مع ذلك، فقد نزل الجيش عند إرادة الوصي، وأقيل الكيلاني على كره منه، وهم اليوم يتدخلون في شؤون الجيش، يريدون إقصاءنا ليخلو لهم الجو. وكانوا يظنون أن الجو قد خلا لهم بعد إحالة حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد، لكنهم اصطدموا بصخرة صلباء، فخاب ظنهم والحمد لله. لئن اعتقد طه الهاشمي بأن عبد الإله والذين يدفعونه إلى مناوأتنا، من اتباع الانكليز، سيكتفون بنقلنا، فلا يطلبون من بعده مطلباً، فما أعظم خطاه إذن، وما أعظم أخطاؤه الماضية التي ما كانت لتغتفر لغيره. لا مراء في أن الانكليز وأعاونهم يتعقبون صلاح الدين وإخوانه وكل ضابط أو قائد لا يخدم مصالحهم، ولا يذعن لطبهم في اشراك العراق في الحرب. لذلك لن يهدأ لهم بال إلا بعد اقصائنا عن الجيش، بل إجلائنا عن العراق لو تيسر لهم ذلك، ليكون في مجلس الدفاع الأعلى من بعد صلاح الدين ضباط لا يعرفون العربية ولا الوطنية، فيلبون ما يمليه الانكليز عليهم، وهذا هو ما يصبون إليه، وهذا هو ما يرضي عبد الإله والأنسة التي يريد الاقتران بها والتي تسوقه إلى هذا.

إن موقفهم اليوم مع الهاشمي مثل موقفهم بالأمس مع الكيلاني، حين أصروا عليه بالرئاسة فقد كانت غايتهم من ذلك الإيقاع بيننا وبينه، ظانين أن الكيلاني سيناصبنا العداء لعطفه على حسين فوزي المحال على التقاعد، وبذلك تضطر إلى الالتجاء إليهم وإلى قبول فكرتهم. أراد نوري من ذلك أن يرمي عصفورين بحجر واحد، لكن الله أوقعه في بئر حفره لأخيه وخيب فآله.

واليوم ينصبون نفس المصيدة للإيقاع بيننا وبين الهاشمي حين يفرضون عليه مطالب الانكليز، فإما أن يذعن الجيش لها، أو ينشق على نفسه إذا رفضنا، لأنهم يعلمون أن للهاشمي مكانة عند ضباط الجيش وقادته. وبذلك يتحقق لهم ما يريدون ويصبح الهاشمي آلة في أيديهم ينفذ مطالبهم، فإذا رفض، فرضوا عليه الاستقالة وجاؤوا بأحد الأذئاب فتطلق أيديهم في شؤون الجيش وليس من يناقشهم الحساب.

وبعد، فلئن تبادلنا يا قاسم القيادتين، أترك موافقاً على تدخل هذا وذاك في شؤون الجيش، وهو الوحيد الذي نجا من عبث الإنكليز؟ أترك راضياً عن إقحام العراق في حرب لا ناقة له فيها ولا جمل، وعلى إرغام بقية الأقطار العربية على السكوت دون أن يعترف لها بحق أو عوض. وهل من الصواب في شيء أن نعلن العداوة لدول المحور لمصلحة الجهة التي

تستعمر بلادنا، وهل من سديد الرأي في شيء أن نشترك في حرب ضروس لا نعرف نتيجتها بعد، بل رجحت فيها الآن كفة المحور وهو عدو الذين يستعمرون العرب قال قاسم: لا ولا شك.

قلت: - فما الفائدة من نقلي إذا؟ ألا تراها قرارات صبيانية تفصح عن إندفاع أعمى وراء بوافع إنتقامية؟ إن على عين الوصي غشاوة الغرام، فهو يخاصمنا ليبو للأنسة ذا الحول والطول، وهي تحثه على ذلك. فماذا يريد الوصي منا وما علاقته بأمور هي من اختصاص الجيش وحده؟ متى كان الوصي خبيراً سياسياً أو اختصاصياً عسكرياً، على من درس ذلك وأين، وهو الذي لا يتقن أداء التحية العسكرية؟ أفي عام واحد من الوصاية أصبح عبد الإله علامة في أمور الدولة لا يشق له غبار، وصاحب النفوذ والسلطان في قيادة دفة البلاد؟ وأين بقي الدستور وهو أول العابثين به؟

إن الخروج على نصوص المعاهدة، أو رفض المطالبين الإنكليزية أمران يعود للأمة وحدها حق الاختيار بينهما، فهو ليس من حق عصاة تتكلم باسم الإنكليز مثل نوري وجودت وجلال بابان وتوفيق السويدي وصبيح نجيب وإبراهيم كمال الذين أوقفت عليهم الوزارات، وعلى أذنابهم النيابات، فكأنما لم يبق ناطق باسم العراق والعرب غيرهم. نريد أن يكون مجلسنا النيابي حراً، لا يرضخ لأحد حتى نأخذ منه جواب الأمة الصادق الحق علي مطالب الإنكليز، أما الوصي، فالواجب يقضي عليه أن يتجرد من الأغراض الشخصية، وأن يقف على الحياد لأنه غير مسؤول أمام القانون، وأن يسعى إلى كسب عطف الشعب، وخطب ود الجيش بدل أن يصبح آلة في يد المستعمرين. لقد رجوت طه، مراراً وتكراراً، أن يسوي العلاقات بين الوصي وقادة الجيش، وأن يزيل من تفكير الوصي تهماً باطلة يسندوها إلينا الإنكليز ومواليهم. لكن ثقافة الوصي محدودة، وعلى عينه غشاوة الغرام، والمرأة تلعب باسمه بمقدرات العراق والعرب، وقديماً قيل «فتش عن المرأة»، وأنا أقول «خاصة غير العربية».

وفي مساء اليوم نفسه، كان لي مع إبراهيم الراوي قائد الفرقة الرابعة مثل حديثي مع قاسم مقصود، فقد عادني في داري، وسرد علي ما كان من أمره مع الوصي وكيف أنه احتقر فكرة الوصي، وسعيه إلى إثارة العشائر وشق الجيش على نفسه، مما لا يقوم به إلا المجانين. وأضاف إبراهيم أنه يقاوم فكرة الوصي والذين يسوقونه إلى اقحام البلاد في هذه الحرب، واستخدام الجيش العراقي كما تستخدم جيوش المستعمرات دون أن نجني في مقابل ذلك مغنماً، وأنه سيبقى دوماً على هذا الرأي مؤيداً لقرارات الجيش، وغادرني إبراهيم بعد أن سألتني عن دار فهمي ليحدثه في الموضوع نفسه.

ولما أشرقت الشمس، كنت أتجول في التحكيمات المقامة في التلال المطلة على الحدود الشرقية في خانقين، بالرغم من منع رئيس أطباء الفرقة، وعدت إلى داري مع المساء وقد انتابني سعال لم أر مثله في حياتي، وانقلب الزكام إلى ذات الرئة فأردتني طريحاً من الثالث إلى الثاني والعشرين من شباط عام ١٩٤١. وعادني كثير من السادة والأصدقاء الأوفياء، يؤكدون استعدادهم للتضحية بأنفسهم في سبيلي، وما أكثر هؤلاء في أوج سلطاني، وما أسرع ما انقلبوا علي، وخانوا وجبنوا في الحرب، بل كان منهم من حكم علي وعلي اخواني بالموت شنقاً، حين خفقت في السماء اعلام الجيش البريطاني بدل رايات الجيش العراقي العربي. ولكني أشكر لطف الهاشمي نبيل عاطفته، إذ عادني مخلصاً، ولا أدري مادار بخلد اسماعيل نامق وهو يعودني ثم يعيد الزيارة لنوري. أما نوري فلم يذكرني بقصاصة ورق، وهو الذي كان يطرق باب داري ودائرتي، ويزورني مرة بعد مرة ويسأل هذا وذاك «أين صلاح؟» وما صلاح بأول من كنت خله الوفي ثم تنكرت له لما فرغت منه. أنقذ الله العروبة ووقى أحرارها من شر أحابيك الانكليزية يانوري.

دعانا طه الهاشمي ذات يوم إلى دائرته في وزارة الدفاع، وكان الحاضرون أمين زكي وكيل رئيس أركان الجيش، واسماعيل نامق مدير شؤون الدفاع وكامل شبيب. وبعد مقدمة قصيرة حول تخوفات الوصي الصبائية، اقترح طه على كامل أن يتسلم قيادة الفرقة الرابعة بدل الأولى. أخذ كامل يراوغ في الجواب، فقلت:

- سيدي الباشا، عجيب أن يخاف الوصي منا ونحن عرب، ولا يخاف من الانكليز، وعجيب أن يخاف ونحن أولى منه بالخوف وهو الذي يحكم حباله حولنا، ولا يتورع عن الاتصال بالضباط، محرضاً إياهم على عصيان أوامرنا وشق عصا الطاعة، وقبل يومين كرر الوصي ماسبق أن قام به وأخبرتك عنه. فهو يضمّر لنا السوء في حين أننا مازلنا نحترمه ونجله. نحن أبرياء مما يظن، لكننا لن نخون البلاد، ولن نخدم المصالح الأجنبية، فنكون كالمترتبة من قادة جيوش المستعمرات، لن نقتل أبناء جلدتنا الأحرار، ولن ندفع بهم إلى ساحات الحرب كالأنعام اعلاءً لمجد بريطانيا. لقاء دريهمات نأخذها لاشباع أجسام خلت من الضمير والشرف والعزة القومية. إن الجيش العراقي لم يتشكل ليكون مطية لبريطانيا التي قتلت أحرارنا ومزقت بلادنا العربية، إنما ليكون سباقاً إلى تحرير العرب، ورفع نير الاستعمار عن كاهلهم. لا... وإلى الأبد لا... لن يكون بجانب بريطانيا جندي من العرب الأباة، لأن بريطانيا هادمة صرح العروبة والإسلام.

ثم نهضت لأترك الاجتماع، فكان هذا تهوراً أسفت له ولم أحمد نفسي عليه (١).

وفي يوم آخر، جمعنا طه الهاشمي في بيته، وكان الحاضرون قادة الفرق كلهم وأمين زكي واسماعيل نامق - باستثناء فهمي ومحمود لأنهما ما كانا يومذاك في عداد القادة - وكان اجتماعنا، هذا، عقب المقابلة التي جرت بين توفيق السويدي وزير الخارجية العراقي والمستر ايدن وزير الخارجية البريطانية. (انظر الملحق رقم -١٤-) (وكان توفيق السويدي وزيراً للخارجية في وزارة طه).

أخذ طه يمهّد السبيل إلى غايته، وبدأ لي، وهو يعلل الأسباب الموجبة، ضعيفاً بصورة لم أعهد لها. ولعل منشأ ذلك خلق طه العربي، فهو نبيل في عقيدته صريح في قوله، ولا يجري على لسانه إلا ما في قلبه - إلا مرة واحدة - وبعد المقدمات المستفيضة، طرق طه أصل الموضوع وهو: - «إن على العراق أن يلبي ما يريده الانكليز، هكذا طلب المستر ايدن».

لم ينبس أحدنا ببنت شفة، ثم تتحنن اسماعيل نامق وقال: - أنت يا باشا «أبو الكل» والاعتماد عليك والأمر موكل إليك، فأفعل ما ترى فيه الخير للبلاد تجدنا رهن اشارتك وطوع بنائك (٢) ثم تكلم قاسم مقصود، فعبّر عما يدور في خلدنا أصدق تعبير، وقال:

(١) بدر مني قبل هذا تهور تجاه أمين العمري حين نوه أمامي بكلام مفاده أنني أصبحت آلة بيد نوري بن سعيد، كما بدر مني تهور بعد هذا تجاه رشيد عالي الكيلاني في وزارة الخارجية حين كنا نحارب الانكليز، وكان ذلك بحضور الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين وفهمي سعيد ومحمود سلمان ومحمد يونس السبعاوي.

فوالله ما زلت خجلاً حتى الساعة لما بدر مني، وأني ما قصدت قط أشخاص أولئك السادة الكرام، بل كنت مندفعاً بعاطفة وطنية جارفة ألهبها ما يأتيه المستترون بستار العروبة وهم ليس في عروقم قطرة واحدة من الدماء العربية، بل سعي ثوب لإيقاع الخلاف بين من تبقى من المخلصين.

فمعدرة يا طه الهاشمي، ومعدرة يا أمين العمري، ومعدرة يا رشيد عالي الكيلاني إن ما بدر مني لم يكن موجهاً لكم بل موجهاً لنفسي.

(١) عبر اسماعيل نامق في حديثه هذا عن حقيقة طبعه في مسابقة القوى ولو كان انكليزياً. فهو بالرغم من به لجعفر والنوري، وبالرغم من زعمه أنه يناوئ بكر صدقي تقدم باقتراح أن يصنع ركاب من الفضّة باسم خيالة الجيش تنقش عليه أسماء الضباط وقدمه هدية لبكر صدقي بمناسبة زواجه بالأعجمية النمساوية وهو زواجه الثالث. وهكذا فإنه لم يفعل شيئاً في مناوأة جميل، إلا بعد أن قتل، عند ذلك اتفق معنا في الأفعال. وهو يحب جميل أيام وزارة جميل، ويخلص لنوري أيام وزارة نوري، ويقول لطل أيام وزارة طه أنه أبو الكل وأنه الكل في الكل مع أنني على يقين بأنه لا يكن لطل حباً ولا صداقةً. وأذكر أن اسماعيل نامق قال في دار نوري بحضورنا وعلى مسمع من طه الهاشمي أنه يفضل أن لا يعارض الانكليز فيما يريدون حتى ولو قيل عنه أنه انكليزي وأنه غير وطني. كان نجم اسماعيل نامق متألقاً زمن الانتداب (قبل عام ١٩٣٢) ولكنه أقل زمن بكر صدقي، ثم عاد فتألق من جديد في عهده معنا، وأست أدري ما هو اسماعيل الآن بعد خروجنا من العراق. وهو صديق نوري بن سعيد كما أنه صديقي وصديق فهمي ولنا معاً ذكريات

- إن الحرب في حالتها الحاضرة لا تعطي فكرة واضحة عن الاتجاه الذي يجب أن نسلكه، وقد انفردت انكلترا أمام ألمانيا بعد انهيار فرنسا، فلماذا نربط مصيرنا بمصيرها ونناصب ألمانيا العداء وهي التي لا يذكر التاريخ أنها كانت عدوة لنا يوماً. لقد وقفت الدول الأخرى كلها موقفاً معادياً من العرب، وكانت ألداهم وأدهاهم بريطانيا. وبعد أن سامتنا بريطانيا العذاب ألواناً ومزقت بلادنا وانتهكت حرمانتنا، تطلب منا اليوم - وهي في أشد المحنة - أن نضحى ببلادنا ونسفك دماغنا بدون مقابل. أنا لا أريد أن نقلب لبريطانيا ظهر المجن، لكنني أرى أن على بريطانيا ألا تطمع بأكثر مما نالت من العرب، وأن علينا بالحزم والروية والتمسك بنصوص المعاهدة التي أملتها علينا بريطانيا، وقبلناها مكرهين. وما زلنا نذكر قول المغفور له فيصل الأول بشأن المعاهدة، وهو يخاطب أكثرية أعضاء المجلس التأسيسي التي ألفت حول أخيك ياسين، أن «لا تتركوا فيصلاً بين السماء والأرض» ثم ما كان من أمر نوري وقرينه جعفر العسكري يومئذ. أما أن يطلب الانكليز اشتراكنا في الحرب، فهذا أمر لا تنص عليه المعاهدة، ومن حق الأمة وحدها أن تقرر قبوله أو رفضه، وليس لبضعة أفراد تولوا الحكم في العراق أن يقرروا ذلك، وكلنا نعلم من هم هؤلاء والهوة السحيقة التي تفصلهم عن الشعب باستثناء القليل منهم. إن الحق للأمة بلا نزاع، لذلك يجب أن تمنح الأمة ملء حريتها لتنتخب نواباً يمثلونها حق التمثيل. هكذا تقول الديمقراطية وهكذا ينص القرآن في الشورى. أما المجلس الحالي فأغلب أعضائه أجراء موظفون اختارهم نوري وكل قائم على الحكم، فهم أبواق لكل حكومة يتوسمون فيها القدرة على حل مجلسهم، ومنهم أبواق تدبغ ما عبأه أولئك المتزعمون في اسطوانات الانكليز لضرار البلاد. ويمثل المتزعمون أدوارهم على المسرح بالتتالي، فلا يكاد أحدهم ينتهي من تمثيل دوره، حتى يستقيل ويفسح المجال لغيره أن يمثل دوراً آخر، ويظهرون لبعضهم الخصومة والعدواة ليخادعوا الشعب ويشاغلوهم بها، ساترين بذلك حقيقة أمرهم، إذ يركضون جميعاً نحو هدف واحد، وهو إرضاء الانكليز على حساب الأمة. فما تم التصديق على المعاهدة العراقية الانكليزية حتى استقال جعفر ونوري، وما قتل رستم حتى استقال نوري، وما أتم جميل واجبه في التضحية بشط العرب، إرضاء لساتته الانكليز، (بدعوى أنه عراقي وعربي أصيل)، حتى استقال بتحريض من نوري ...

نحن لا نريد أن تقع في شركهم، فيكون مصيرك مثل مصيرهم، بعد أن حافظت على كرامتك حتى اليوم. ولا نريد أن تستقل برأيك، أو تعمل بما يشيره الأذناب عليك، وتترك الأمة ورجالها الكرام، ونحن على يقين أنهم سيوقعون بك وسيقيلونك من الحكم وأنت كاره، كما فعلوا بالكيلاني من قبل، ليطبّقوا ماتم لهم على يدك، وهذا ما لا نرضاه لك وللأمة. وأخيراً، فإذا كان

لا بد من اجابة الانكليز، فعليك بالانتخابات النيابية فوراً، ودع الجواب للمجلس الذي يمثل الأمة. سكت قاسم، وكان طه ينقل نظره بيننا، وقد لاحظ له بلاريب علائم الارتياح لما قال قاسم ترسم على وجوهنا. كما لاحظ تأييدنا له (باستثناء اسماعيل نامق طبعاً) أما أنا فلم أخرج عن السكوت طيلة الجلسة، وقد اعجبت أيما اعجاب بروح قاسم وهي تتجلى بهذا المظهر الوطني الرائع، وأكبرت فيه أيما إكبار ذلك الإخلاص والصدق، وما كان لي بذلك علم.

انفض الاجتماع دون أن ينبثنا الهاشمي بما نوى، وشعرنا أنه مزعج - وليت الانكليز ونوري يكتفون بما أزعج - على قطع العلاقات السياسية مع إيطاليا فجأة، كما فعل نوري مع ألمانيا من قبل. وبذلك يقع طه في الشراك التي نصبها حزب الشيطان بواسطة عبد الاله، ويستقيل طوعاً أو كرهاً بعد أن يفقد سمعته وتأييد الجيش له، ويتولى الحكم من بعده الأذئاب، فيقصون على طه واخوانه في الجيش في ليلة دهماء، وبأسلوب أتكفه نوري وعبد الاله لما أحيل حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد، فيخلو لهم الجو عندئذ ويقدمون للانكليز ما يطلبون.

وما مضى يومان، حتى طلب طه الهاشمي أن أقابله في وزارة الدفاع على إنفراد، وطلب مني، بصورة خصوصية، أن أنقل مقر فرقتي من بغداد إلى مصيف الملك فيصل الأول في علياوة بجوار خانقين وكان جلياً أن الغاية من ذلك هي ابعادي عن بغداد نزولاً عند ارادة عبد الاله ومن أعد الشراك من الأذئاب وكان طلباً غريباً في بابه، وغريباً من طه، وله وقع لا يقل غرابة على كل عسكري وكل أجنبي، وعلى جارتنا إيران إذ ترى قائد الفرقة الثالثة يؤسس مقره على الحدود، في حين تعسكر قطعات الفرقة وألويتها في معسكراتها السلمية في الخلف ومقدمتها تمتد حتى بغداد. على أنني، مع ذلك، أعجبت بالفكرة، لأنني كنت بحاجة ماسة للراحة والنقاها، كما أن الإقامة في القصر الصيفي المذكور أقل نفقة لأنه يحتوي علي أثاث ومرافق لم أحلم بمثلها. ويقع القصر على رابية، ويشرف منها على سهول واسعة وتلال، ويجري من تحته نهر الوند، وتعترض النظر من الجهة الأخرى جبال إيران الشاهقة، فكان جميلاً أن أقضي فصل الصيف هناك أنا وأهلي. لكنني توقفت عن تلبية هذا الطلب ورجوت طه أن يمهلني بضعة أيام.

ملحق رقم - ١٤ -

كنت في زيارة السيدين جميل مردم بك رئيس الوزارة السورية وسعد الله الجابري - وكانا قد حلا في فندق بجانب الرصافة ضيفين في العراق العربي، فالتقيت بتوفيق السويدي للمرة الأولى إذ جاء برفقة صبيح نجيب. استطرد صبيح نجيب في الحديث، فلوح لي وهو يبتسم عن صلتنا بنوري، وما كان من أمرنا في اسقاط وزارة جميل التي كان هو وزيراً للدفاع فيها - لنا مع صبيح زكريات أنا وفهمي وكامل - فأجبت بصراحة: «لقد كنت أنت السبب في سقوط وزارة جميل يا أخي، فقد نسيت أنك جندي مثلاً، وقد حز في نفوسنا أن تكون أول من يعمل على شق الجيش على نفسه ليصبح معسكرين متناحرين، ولا يأتي بهذا العمل وطني يحب بلاده، فكيف طاوعتك نفسك أن تأتيه؟»

لقد أرسلت لإسماعيل نامق كتاباً من برلين حيث لجأت فراراً من وجه بكر صدقي، وصفتنا فيه بأننا خيرة شباب الأمة والجيش، وآليت على نفسك أن تحترم أولئك الشباب لا بل أن تقدسهم طيلة حياتك، فلماذا سعيت إلى تكتيل فريق يناصبهم العداء من بين صفوف الجيش؟

سكت وسكت صبيح نجيب وكلانا يبتسم. لكن توفيق السويدي الذي كان وزيراً للخارجية في وزارة جميل المشار إليها، شق عليه جوابي هذا وقال وهو يرتجف:

- مالكم أيها العسكريون بكل هذه الأمور؟ فأجبت:

- لا بل مالكم أنتم وماذا تريدون منا؟ ثم أنني ليس لي بك معرفة سابقة، لقد سمعت عنك أنك من بيت عربي كريم وأنت درست في فرنسا، وأن ثقافتك عالية، لكني أقول أننا سنمنا التنازع على كراسي الحكم، وأن البلاد سنمت الزعماء الدجالين الذين لاهم لهم سوى كسب المغانم من وراء الكراسي والتنكيل بأحرار العرب الذين يناهضونهم. ولو أن هؤلاء برهنوا للشعب والجيش على حسن طويتهم فوجدوا الصفوف لإيصال البلاد إلى أهدافها، إذاً لكان من حقه ومن حق غيرك أن تطلب من الشعب والجيش الانصياع لكم والاعتماد عليكم لكنكم، مع الأسف، متطاحنون متناحرون وأموركم فوضى بينكم.

وقد جرى هذا الحديث على مسمع من الزائرين مردم والجابري أبناء الشقيقة سوريا، وعلى مسمع من أخي المقدم صالح زكي الطائي الموصلية.

أعتقد أن توفيق السويدي بيت لي البغضاء منذ هذا اللقاء.

شهادة رقم (10)

نزار الصباغ يلتقي الرئيس جمال عبد الناصر

في يوم الاثنين ٢٩ ابريل ١٩٥٧

في تمام الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر في مبنى رئاسة الوزراء بشارع القصر العيني بالقاهرة.

فتح (صلاح الشاهد) باب الغرفة وان هي الا لحظة حتى وجدت نفسي امام جمال عبد الناصر وجها لوجه.. وحدنا في غرفة كبيرة . وكان جمال عبد الناصر جالسا امام مكتب كبير في صدر الغرفة وخلفه شباك يطل على حديقة صغيرة.

وكان جمال عبد الناصر مستغرقا في تلاوة ورقة أمامه. وان هي الا دقيقة واحدة حتى رفع رأسه المشوب باليباؤ، ونظر اليّ وابتمس ابتسامة لطيفة وديعة جعلتني أنسى كل رهبة أو وجل، وأنا في حضرة زعيم العرب الأكبر ويطل بور سعيد ومؤم قناة السويس. وقف على قدميه وغادر مكتبه ثم استند بيده على حافة المكتب الامامية، وهو واقف يحدثني عن حالي وأين أسكن..؟

وقفت مترددا هل أبدا الكلام أم يبدأ هذا الرجل العظيم الواقف أمامي. وكنت خلال ذلك أتلصص في باطن عقلي عن كلمات أستهل بها الحديث معه. وساورني الشك في قدرتي على الانطلاق بالحديث، وخفت أن يرتج عليّ فلا أستطيع الكلام. ولكن الله فتح عليّ، وشرح لي صدري، وحل عقدة لساني، فاناطلقت في حديث مسهب، هادي، منتظم، تتخلله عبارات الاخلاص والمحبة والتفاني في سبيل القومية العربية. وكان حديثا لأنساء مدى الحياة.

قال أنه كان قد استلم مني رسالة.. وأنه يشكرني عليها.. فقلت له ان المباديء التي استشهد والذي من أجلها موجودة كلها في هذه المذكرات، وأنت يا جمال عبد الناصر حققت الأمن والأهداف التي كان والذي يسعى اليها والتي ضحى بحياته من أجلها.. وأنتي إذ أقدم لك ياسيادة الرئيس مذكرات والذي أرجو أن تقودني، وأن تقود معي الشعب العربي كله، الى التحرر والوحدة.. أن أمامنا معركة في فلسطين.. والطريق الى استعادة فلسطين.. يبدأ في بغداد، لذلك لا بد أن نقيم الاعتبار الأول للمعركة في العراق ضد نوري السعيد وعبد الاله. ثم قلت له: ياسيادة الرئيس: أنت زعيم العرب كله، وعليك عقد العرب أمانيهم، وأنا كجندي أمشي وراءك وأمتثل لأوامرك وليس لك الا أن تأمرني فأطيع.. وأنا مستعد أن أسير، اذا ما أمرتني بالسير، حتى ولو كانت أمامي نار حامية أو هاوية سحيقة. ان أرواحنا هناك... سلمت ودمت يا جمال عبد الناصر.. فابتسم جمال عبد الناصر ابتسامة حبيبة رقيقة.. وقال لي أن أملنا بكم أنتم أيها الشباب، فأنتم عدة المستقبل، قلت له: لم يبق بين العرب سوى عمر بن الخطاب واحد، وخالد بن الوليد واحد، وصلاح الدين الأيوبي واحد... ولم يبق بين العرب سوى جمال عبد الناصر واحد.. أنت الذي سوف تحقق للعرب وحدتهم وحريتهم ومجدهم. ونحن جميعا من وراءك، نفتديك بأرواحنا.

نزار الصبّاغ يلتقي رشيد عالي الكيلاني

في ابريل عام ١٩٤٢ في مدينة سيواس:

كان في طريقه الى ألمانيا.. وتوقف القطار به لمدة نصف ساعة في

محطة سيواس..

وذهبت لمقابلته، ومع بعض العراقيين الذين كانوا معي كلاجئين

سياسيين.. قلت له.. أنا نزار .. ابن صلاح الدين الصبّاغ، فبهت رشيد

عالي.. لم يكن يتصور أن يلتقني في هذه المدينة النائية.. أخذ يربت على كتفي ثم جلس يحدثنا.. كان متفائلا وهو يقول لنا:

لقد ضحينا بكل شيء في سبيل بلادنا.. وسنظل نكافح حتى نخلس بلادنا من أخطبوط الاستعمار وأنابته في العراق..

لقد أثار رشيد عالي فينا الأمل..

وأذكر أنني سألته عن أبي.. قال لي أنه بخير في إيران.. وأنه سيلحق به بعد أسابيع..

تهللت أساريرى.. وأخذ الأمل يراودني في أن ألقى أبي.. أدركت أنه سيمر بنا..

ولكن لم يمر شهر واحد حتى قامت بريطانيا بالاعتداء على إيران.. واستسلمت إيران في نفس يوم الغزو.

ثم جاءت بقية الأنباء.. قبضت السلطات البريطانية على قادة الجيش العراقي الذين التجأوا الى إيران. مادت الأرض تحت قدمي.. وتصورت أن أبي بين المقبوض عليهم.. لم أكن أعرف أنه اختفى.. ولم أكن أعرف قصة تنكره في زي الدراويش ورحلته الى تركيا.. ولم أكن أعرف أن السلطات التركية ستأتي به الى سيواس، نفس المدينة التي أميش فيها.. ولم أكن أعرف أكثر من ذلك أنه سينزل في فندق "أورتاك" الذي عشت فيه.. ويحتل أيضا في نفس الحجرة..

قلت لنفسى.. أن مكانك الآن في العراق يجب أن أعود الى بغداد لأكون قريبا من أبي..

كنت أعرف ماينتظره من نوري السعيد.

ويسرعة تقدمت الى السلطات التركية وأبلغتها رغبتى في العودة الى العراق.. وكان هناك ١٤ عراقيا آخرون يريدون العودة.. ولم تمنح السلطات التركية في عودتنا..

كنت أريد أن أرى أبي ولو مرة واحدة قبل أن يقتلوه..

وان تتصوروا.. تركت سيواس في نفس الأسبوع الذي وصل فيه اليها أبي.

نقلتنا السلطات التركية الى أقرب نقطة الى حدود العراق.. ان اسمها جزيرة "ابن عمر" وهي تقع على نهر دجلة ولكن في داخل أراضى تركيا.. وأخذنا نسير بمحاذاة النهر حتى تسللنا أثناء الليل عبر الحدود.. كنا نسير أثناء الليل وننام في النهار.. كانت رحلة شاقة.. وقد انتهت بوصولي الى بغداد.. فذهبت متسللا الى بيت أحد أصدقائي.. وهناك كانت المفاجأة.. عرفت لأول مرة أن أبي لم يقبض عليه.. وأنه الوحيد الذي اختفى.. اختفى ولا أحد يعرف أين ذهب.. ولم يكن أمامي الا أن أسلم نفسي للسلطات العراقية..

قبضوا علي حيث وجهوا الي التهمة الوحيدة التي امكنهم أن يجدوها ضدي.. وهي تهمة الفرار من الكلية العسكرية..

لم أقل شيئا حتى بعد أن حكموا علي بالسجن لمدة شهر واحد.. وقضيت هذا الشهر في السجن.. وبعدها عدت الى الكلية العسكرية.. لفقوا تهما خطيرة ضدي.

أثارت قصة اختفاء أبي ثم التجائه الى تركيا أعصاب الانجليز وأذئابهم في العراق. ولم اتصور أبدا أن يحاولوا الانتقام منه في شخصي.. ففروا أن يتخذوني رهينة حتى يسلم أبي نفسه..

واسمعوا ماحدث بالضبط.. بينما أنا في كليتي جات الشرطة تحمل أمرا بالقبض علي.. وذهبت معهم لأسمع الاتهامات الموجهة ضدي.. أنا متهم بالتآمر ضد سلامة الدولة.. ومتهم بتدبير اغتيال عدد كبير من رجال العراق الرسميين وبعض رؤساء الوزراء السابقين.. ومتهم أيضا بتدبير مؤامرة ترمي لنسف الجسور والقناطر وتدمير السكك الحديدية.. اتهامات من كل نوع.. وانتهى التحقيق معي بأن أمر المحقق بالقائي في السجن بدون محاكمة لمدة تسعة أشهر.. وفي هذه الأثناء كانت المحكمة العسكرية

تجري محاكمتها التاريخية لقادة الثورة.. وانتهت هذه المحاكمات بإصدار أحكام الاعدام التي أصدرتها المحكمة بالجملة.. وتصوروا مرة أخرى.. لقد قدموني الى نفس المحكمة التي حاكمت أبي غيايبا.. وحاكمت رشيد عالي الكيلاني وبقية قواد الجيش.. ساقوني في شوارع بغداد وأنا مكبل بالأصفاد.. وأمام المحكمة العسكرية تكلمت لأول مرة..

قلت: انني بريء.. وليس لي ذنب الا أنني ابن صلاح الدين الصبّاغ.. ولم يكن من رئيس المحكمة الا أن حكم لي بالبراءة..

رهينة لمدة ٤ سنوات

لم يفرجوا عني.. أبقوني في السجن رهينة حتى يسلم أبي نفسه .. أضريت عن تناول الطعام.. واضطروا لأن يخرجوني من السجن، ولكن ليسلوا بي الى معتقل العمارة وهو في منتصف الطريق بين بغداد والبصرة.. وفي هذا المعتقل احتجزت الحكومة العراقية كل الذين لم تجد المحكمة العسكرية ماتدينهم به.. وتقابلت في هذا المعتقل مع كثيرين من شخصيات العراق.. علوان الياصري الذي كان رئيسا لمجلس النواب.. وفائق السامرائي وصديق شنشل وماجد مصطفى من الشباب الواعي.. وتقابلت أيضا مع الشيخ عبد الواحد صقر من زعماء العشائر المعروفين.. وكان في المعتقل أيضا السيد خليل كنه الذي كان من أعوان رشيد عالي الكيلاني ثم انقلب عليه بعد أن تزوج ابنة أخت نوري السعيد.. وكان هذا الزواج مؤهلا له لكي يصبح وزير المعارف في حكومة نوري السعيد..

وتقابلت أيضا مع المرحوم السيد عبد القادر الحسيني.. وكان لاجئنا في العراق.. وقد اعتقله الانجليز هو وكل اللاجئين العرب الذين فتحت لهم العراق أبوابها في العهد الوطني..

وبقيت في المعتقل أربع سنوات كاملة وكنت قد عكفت أثناء اعتقالني على الدراسة.. طلبت اليهم أن يسمحوا لي بالتقدم لنيل شهادة

البكالوريا ولكنهم رفضوا!!

أبي يحتج على اعتقاله

بقيت أنا في المعتقل.. ولم أكن أعرف شيئاً عن محاولات حكومة بغداد لاقناع الأتراك بتسليمهم أبي.. وكانت حكومة تركيا قد سمحت له بأن ينتقل من مدينة سيواس الى مدينة أخرى اسمها بورسور.. وفي هذه المدينة استطاع أبي أن يعرف قصتي وكيف انتهى بي المطاف الى معتقل العمارة..

وكان حمدي الباجه جي رئيساً للحكومة في ذلك الوقت..

فأرسل اليه أبي رسالة بتاريخ ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٤.

ولكن تركيا عادت فسلمت أبي الى جلاديه في العراق..

واسمعوا ماحدث بالضبط..

بعد انتهاء الحرب العالمية، قام الأمير عبد الله ومعهُ نوري السعيد

بزيارة رسمية للولايات المتحدة..

ولم يكن في نيتهما زيارة تركيا.. ولكن فجأة مرا بها في طريق

العودة..

وفي تركيا جرت مفاوضات سرية بين نوري السعيد والحكومة التركية..

وانتهت هذه المفاوضات بعقد معاهدة صداقة وحسن جوار بين

الحكومتين.. وتعهدت حكومة العراق بأن تبني في تركيا خزانا ضخما يكلف

حكومة العراق عدة ملايين من الجنيهات مقابل تسليم صلاح الدين

الصباغ..

كانت هناك رغبة جارفة للانتقام منه بأي ثمن.. وبسبب هذه الرغبة

دفعت العراق عدة ملايين من الجنيهات من أجل القبض عليه واعدامه.. وهنا

يجب أن نتساءل.. كيف تحايلت تركيا على القانون التركي وعملت على

تسليم أبي الى العراق!!

الثابت أن تركيا كانت تعرف أن الإنجليز هم حلفاء نوري السعيد..

وتعرف أيضا أن هؤلاء الانجليز يحتلون سوريا، مرضت على نوري أن
تعمل من جانبها على تسليم أبي إلى الدرك السوري عند الحدود..
وطلبت إليه أن يستخدم نفوذه عند الانجليز ليقوموا بباقي المهمة..
وهي نقله إلى العراق!!

وعلى أثر هذا الاتفاق فاجأ البوليس التركي أبي وكان يقضي أيامه
الآخيرة في تركيا في مدينة بوردور..

طلب إليه أن يستعد للسفر في الحال.. وتصوروا.. لم يسعه الوقت..
ترك حاجاته في تركيا.. ولم يأخذ معه إلا مذكراته..

وكان منذ لجأ إلى إيران قد عكف على كتابة هذه المذكرات فسجل
فيها مرحلة تاريخية مثيرة من حياة العراق..

ونقله البوليس التركي من بوردور إلى الحدود السورية..

وعند هذه الحدود كانت في انتظاره قوة من رجال الدرك السوري..

أدرك أبي الخطة التي وضعت للقبض عليه.

وبينما هو في القطار الذي أقله تحت الحراسة إلى حلب اختار واحدا
من رجال الدرك السوري الذين كانوا معه.. وأخذ يقطع الوقت معه في
الحديث حتى اكتسب ثقته.. وبعدها قال له: - اسمع: أريدك أن تقسم لي
بالله وبكل المقدسات أنك تستطيع أن تقدم لي خدمة.. وأقسم رجل الدرك
السوري..

قال له أبي: كما تعرف.. أنا ذاهب ليعدموني.. أنا في طريقي إلى
الموت.. وزوجتي تعيش في حلب.. خذ هذه الأوراق وسلمها إليها.. وإذا لم
تستطع فسلمها إلى رئيسك.

ووافق رجل الدرك السوري!!

وقابل أخيه ربيعة

وفي محطة حلب استطاع أبي أن يهرب..

اتجه رأسا الى بيت حسن فؤاد ابراهيم "باشا" حيث كانت أمي تقيم
في ضيافة عائلة الرجل صاحب القلب الكبير..

وأمام البيت وجد أخي "ربيعة" وقال له أنا كنت أريد أشوف أم نزار..
ولكن ليس عندي وقت.. بلغها تحياتي ياربيعة..

ثم خلع أبي ساعتة وأعطاها لربيعة.. كما أعطاه قلمه الحبر. وروى له
كيف سلم لرجل الدرك السوري أوراقه.. قائلا- إنها أوراق هامة، تهكم،
ولازم تحصلوا عليها. واختفى أبي بسرعة كما ظهر أمام ربيعة..

صحفي سوري يساعده على الهرب

وعندما عدت الى حلب عرفت بقية قصة أبي في حلب..

بينما كان سائرا يبحث له عن ملوى يختفي فيه التقى بالصحفي
السوري فهمي الحفار صاحب جريدة "الجهاد"، في حلب.. وكان فهمي
يعرف أبي.. فوجيء به أمامه في الطريق.. قال له- صلاح.. كيف حالك..
أشو جايك بلادنا.. وروى له والذي كيف قبض عليه.. وكيف هرب؟ وعمل
فهمي الحفار على إخفاء أبي.. فكلف أحد أصدقائه بأن ينقله في سيارة
الى أحد البعثاتين في ضواحي حلب.. وبقي أبي ثلاثة أيام هاربا.. وفي
نفس الوقت أخذ رجال المخابرات البريطانية يقلبون المدينة رأسا على عقب
بحثا عنه.. وكان أبي يتأهب لمواصلة الفرار الى المملكة العربية السعودية
عندما نعى الى علم الانجليز أن فهمي الحفار قدعاون أبي على الفرار..
فقبضوا عليه وأخذوا يسومونه العذاب.. وبطريقة ما علم الانكليز بمكان
اختفاء والذي..!!

وأسرع الانجليز يطوفون المنطقة بدورية كاملة من الجنود وقبضوا
على أبي.. وفي نفس اليوم نقلته طائرة حربية خاصة الى القاعدة
البريطانية في الحبانية بالعراق.. ولم تمر ٤٨ ساعة حتى أعدت مشنقة
أمام مبنى وزارة الدفاع في شارع الرشيد وتقرر اعدامه في الشارع..
لقد أعدم عند الفجر.. وقد تركت جثته معلقة حتى الساعة التاسعة من

الصباح..

وسمعت وأنا في العراق قصة مثيرة.. قبل اعدام أبي بساعتين حيث
طلب واحد من المسؤولين في بغداد أن يرى أبي.. كان مخمورا وهو يتصل
بالسجن ويطلب نقل أبي الى بيته مكيلا بالحديد.. وحاول هذا المسؤول أن
يتشفى منه..

قال له.. عاجبك حالك الآن..

قال له أبي.. عاجبني.. طبعا..

ويعجيني أكثر أن أراك بجانبني على المشنقة!

وأثار اعدام أبي سخط العراق كله!

سلموني وصية أبي

كنت وقتئذ في المعتقل.. أخفوا عني كل شيء عن اعدام أبي.. ولم

أعرف أنهم قتلوه الا بعد ثلاثة أشهر..

يكيت بحرقه.. لم أكن أملك الا البكاء.. ومع هذه الانباء صدر قرار

بالافراج عني..

قالوا عليك أن تغادر العراق فورا..

سألت عن السبب وعرفت أن الحكومة العراقية قررت تجريدي من

الجنسية العراقية.. وأصبحت شريدا بلا جنسية..

نزار صلاح الدين الصباغ

ثاني عشر :

مصير وزارة طه الهاشمي

في اليوم الثامن والعشرين من شهر شباط عام ١٩٤١، اجتمع السادة: «مصطفى وعبد العزيز وأحمد ورضوان وفرهود وجاسم وفارس» وهذه أسماء مستعارة لكرام ليس بوسعي الآن أن اذكر اسمائهم، لهم مكانة سامية بين أرباب القوة الإجرائية والسياسية في العراق وفلسطين وسورية، ولهم ارتباط وثيق بباقي الوطنيين من أحرار العرب في تلك الأقطار، والذين يرتبط معهم الهاشمي بعهد وميثاق.

أما العمدة وموضع الثقة فكان مصطفى، وقد إرتبط الجيش به منذ بضع سنين وهو الذي كفل عبد العزيز وربط به الجيش. وكان قسم عظيم تلاه كل واحد من المجتمعين جهراً (انظر الملحق - ١٥ -)، يعاهد الله على أن يجعل من مضمون القسم نبزاً يسير على هديه في كل تصرفاته، وأن يعمل بكل ما أوتي من قوة لإنقاذ البلاد العربية، وأن ينبذ الخلافات الناشئة عن الأنانية والحزابات الشخصية، وأن يكون «مصطفى» ناظماً لنا ورئيساً مطاعاً.

واجتمعت الآراء يومئذ على هذا القرار: -

لما كان الإنكليز قد اقدموا بتشجيع أذئابهم على فرض مطالب مجحفة تتوخى زج العراق في الحرب، وإرغام باقي الأقطار العربية على السكوت وعدم المطالبة بحقوقها، فإن عزم طه على قطع العلاقات السياسية مع إيطاليا بصورة فجائية وبدون إستشارة المجلس النيابي أو الجيش لن يرضي الإنكليز، ولن يقعدهم عن تحقيق غاياتهم كاملة. لذلك، فإن الإنكليز سيعملون على إقصاء قادة الجيش المخلصين، ليسيطروا عليه ومن ثم ينقاد العراق لهم كما يشاؤون.

على أن قطع العلاقات السياسية مع إيطاليا يعتبر في حد ذاته خطوة كبيرة نحو ما يريد الإنكليز من إخضاع العراق والأمة العربية، ومن شق الجيش العراقي على نفسه، والخط من قوة طه الهاشمي وسمعته. ويصبح طه بعد قطع العلاقات أمام أمرين: أن يرضخ للإنكليز ويلبي مطالبهم كاملة، أو أن يرغمه الوصي على الاستقالة كما أرغم الكيلاني من قبل. ولما

كانت المسألة من طبع طه، فإنه من المستبعد أن يقاوم الوصي مهما عبث بحقوق الأمة والدستور (إذا كان للعراق دستور)، وهكذا لا يبقى أمام طه إلا اختيار الطريق الثاني وتفضيل الاستقالة، بعد أن يكون قد وقع في الخطأ كما كان شأنه مع بكر صدقي، ويتنحى عن الحكم لوزارة مؤلفة على نحو ما يريده الانكليز، فتقوم تلك الوزارة قبل كل شيء بتصفية قادة الجيش بحسب ما تقضي مصالح الانكليز فتحيل البعض على التقاعد، وتلقي البعض الآخر في غياهب السجن أو تبعدهم. يتم ذلك كله فجأة وفي ليلة ليلاء، والجيش والشعب يغطان في نوم عميق. ولما كان انتظار ذلك اليوم المحتوم يعني الخضوع للأمر الواقع والاستسلام للانكليز، ويؤدي إلى قيام ثورات داخلية، ويقضي على وحدة الجيش، فيتحقق للانكليز وأذنابهم ما يتمنون، لذلك يجب اتخاذ التدابير التالية:

- ١- المحافظة على الوضع الراهن والتمسك بالمعاهدة العراقية - الانكليزية التي قررت مالنا وما علينا، حتى يتوفر الوقت لدراسة الموقف العالمي، وانتظار تطور الأحداث في المستقبل القريب. لذلك كان لابد من الروية والتبصر في الأمور.
- ٢- التوسل بجميع الحجج المقنعة لحمل طه الهاشمي على العدول عن رأيه والانتظار ثلاثة أشهر أخرى، ينجلي بعدها الموقف العالمي وتبين الحالة السوقية.
- ٣- إذا كان لابد من قطع العلاقات السياسية مع إيطاليا، والموافقة على مطالب الانكليز فوراً، فليوافق على ذلك مجلس نيابي حر، يمثل رأي الأمة الصحيح لا استناداً إلى رغبة الوصي وقرار مجلس الوزراء فحسب.
- ٤- لما كانت الأكثرية في مجلس النواب الحالي لا تمثل الأمة، ولما كان أغلب أعضائه من المرتزقة الذين عينهم نوري وجميل وجودت تعييناً، فمن الواجب حل المجلس، وفسح المجال لانتخاب مجلس نيابي جديد، يمثل الأمة تمثيلاً صادقاً، ثم تعرض عليه طلبات الانكليز.
- ٥- لما كان نوري وجميل وجودت هم دائماً وأبداً سبب الخلاف واراقة الدماء، فمن الواجب تعيين نوري سفيراً للعراق في أمريكا، وجميلاً في مصر، وجودت في سفارة غيرها، انقذاً للبلاد من عبثهم إبان الحرب الحاضرة، وتحقيقاً لسلامة الانتخابات النيابية.
- ٦- لما كان الوصي غير مسؤول أمام القانون، وهو مع ذلك يواصل القيام بنشاط مخالف للدستور، ويأتي بتصرفات ديكتاتورية على غرار تصرفاته التي أودت بوزارة الكيلاني، ولما كانت التجربة قد أثبتت ضعف المجالس النيابية في العراق، وعدم تمرسها في استعمال صلاحيتها، في إيقاف الوصي (أو الجالس على العرش) عند

حده، وفي كبح جماح ميوله الاستبدادية أو الشخصية، فمن الواجب أن تدون في الدستور مادة تنص على طريقة معالجة هذا الأمر، والسلطة التي تكلف بتنفيذها.

٧- التوسل بكل الوسائل لاستمالة الوصي ليرضى على قادة الجيش.

٨- يكلف الهاشمي بالاستقالة إذا فشل في تحقيق ما ورد أعلاه أو امتنع عنه، وذلك صوتاً لسمعته، واستباقاً للأحداث الخطيرة التي ينتظر وقوعها بعد أن تمت التمهيدات إليها. ويعوّل على أخلاق طه الحميدة في الموافقة على هذا الرجاء فور التقدم به.

٩- بعد استقالة طه، يقصد الوصي وفد من كرام رجالات العراق والعرب ومن قادة الجيش، فيعرضون عليه توسلاتهم ليوافق على اسناد رئاسة الوزراء إلى رشيد عالي الكيلاني، وليوافق على حل المجلس النيابي، وانتخاب مجلس جديد فوراً، ليقول كلمته في طلبات الانكليز التي تخرج عن المعاهدة العراقية الانكليزية، وللإقتراع على الثقة بوزارة الكيلاني، فيقرر بقاها أو استقالتها وفق أحكام الدستور.

١٠- يقطع الجيش على نفسه عهداً صارماً أن لا يتدخل في شؤون الحكومة القائمة، إذا توثق من سلامة الانتخابات النيابية، وتأكّد لديه أن السلطة التشريعية تمارس كل مآلديها من صلاحيات، وأنها ليست آلة بيد الوزارة أو الوصي أو الجالس على العرش، وأن ما من وزارة تتولى الحكم بتأثير الأجنبي أو بدسائسه.

مرت عدة أيام، والكرام الذين أشرت إلى أسمائهم المستعارة وغيرهم، يترددون على طه الهاشمي جماعات ووحداً، ضحى وعشية، في داره بشارع المعظم أو في تلك بالوزيرية، متوسلين إليه أن يحقق الأماني، وهو يدنو منهم تارة، ويتأفف ولا يدلي بشيء تارة أخرى، حتى مل وملوا، فكشف طه القناع وقال:

«لا بد من الموافقة على ما يريده الانكليز، وأما رضى الوصي على قادة الجيش

فمستحيل».

كان ذلك فصل الخطاب، واقترب موعد الشروع بالعمل.

ملحق رقم -١٥-

في عهد وزارة جميل الملقب بالمدفعي، كان نوري يلح علينا مراراً وتكراراً بواسطة فهمي للاجتماع به، وكان قوام تلك الاجتماعات طه وفهمي وكامل وأنا، وكانت تجري في دار قريب نوري الرئيس الأول المتقاعد أحمد رمزي (المعروف بأحمد جويريد وهو تركي الأصل) وكانت دار أحمد رمزي بالوزيرية تلاصق قصر نوري.

وفي أحد الأيام قال كامل بن شبيب أنه إذا أراد نوري وطه أن ينتفعا من تأييد الجيش لهما، فليقسم نوري قسماً على أن يأخذ بعضنا بناصر بعض، وعلى الاخلاص للعروبة، وعلى مقاومة الانكليز والاستعمار الأجنبي في البلاد العربية. لكن نوري رفض أن يقسم، لأنه على استعداد للقسم بأي قسم، ماعدا مقاومة الانكليز واستعمارهم. ونوري لا يفتك بأحد ولا يغتال أحداً إلا إذا كان الانكليز قد قرروا الفتك به أو اغتياله.



الشهيد فهمي سعيد في معتقل أرواد عام ١٩٢١ حين اعتقله الفرنسيون

ثالث عشر : المؤامرة

في ليلة ١ - ٢/نيسان من سنة ١٩٤١، احتدم الصراع بيني وبين العواطف والأمانى، ثم قدمت مستقبلي البسام الحافل بالمجد والنعيم، ضحية على مذبح الوطنية وقرباناً في سبيل بلادي.

في تلك الليلة انتدب فهمي بدلاً مني، بعد أن رفضت مرافقة أمين زكي وكيل رئيس أركان الجيش، لتقديم الرجاء إلى طه الهاشمي بالاستقالة. وكانت علامات التردد واضحة على وجه فهمي وهو الذي لا يستحي من الحق، لأنه يحب طه، وطه محبوب لوطنيته، رغم ما ارتكب من أغلاط، وعلى علاقته.

عاد فهمي، يحمل كتاب الهاشمي إلى الوصي بالاستقالة. وأعطاني الكتاب لأحتفظ به، على أن يرفعه الوفد الذي تقرر تأليفه في اجتماع ٢٨ شباط، إلى الوصي في اليوم التالي.

وفي صباح اليوم التالي، حضر رشيد عالي الكيلاني إلى مقرى بمعسكر الرشيد، وأخذني وأمين زكي إلى دار طه الهاشمي حيث كانت وزارته مجتمعة بكامل أعضائها. فاستقبلنا طه وقادنا إلى مكتبه باسماء، وبعد دقائق حضر ناجي السويدي وأخوه توفيق.

استهل الهاشمي الحديث لطيفاً باسماء، وراح يستميلنا للعدول عن فكرتنا، وقال أنه سيعيد النظر في أمر قطع العلاقات السياسية، وغير ذلك من مطالب الانكليز، وأنه سيتبع الطرق الدستورية، ويسعى لكسب رضى الوصي على الجيش، ويزيل سوء التفاهم.

وهنا قاطعه توفيق السويدي وقال بغضب:

- لا، لن يكون هذا وسنفعل ما نريد.

ثم هدد وأرعد، فتوتر الجو وتكهرب، وأجابه الكيلاني بلين وتودة، ثم أجابه أخوه بعنف

وشدة، والتفت توفيق بعد ذلك نحوي وقال:

- أما أنتم يا ضباط الجيش، فاتركوا الأمور لأهلها، ولا تتدخلوا فيما لا يعينكم، وأنا أوصيكم بهذا، فإذا رجعت عن غيكم عفونا عنكم.

كانت نبرات صوته وملامح وجهه تنم على مايكنه للجيش من حقد دفين، أو على الأصح لي أنا، لأنني اشتركت في تحطيم آماله وآمال عصبته المؤلفة من صبيح نجيب وابراهيم كمال، لما اسقط الجيش وزارة جميل وهو فيها وزير للخارجية، ولأنني جابهته بالحقيقة المرة حين قابلته في أحد فنادق بغداد في زيارة السيدين الجابري ومردم، ولأنني اطلعت على زيارته لدار فهمي لما حاول استمالته ليصبح رئيساً للوزراء، أو وزيراً للخارجية في إحدى الوزارات (١) وكان السويدي الكبير ممتعضاً من تهور أخيه الصغير.

قلت:

- على رسلك ياسيدي، واقتصد في كلامك وتهديدك. أنا ما جئت لاستميتح أحداً العفو، أو لأسأله الصفح، بل نزولاً عند إرادة الهاشمي الذي يعترف له الجيش بالاخلاص وصدق العقيدة. أما المغفرة فأتت ومن يشاطرك الرأي أولى بطلبها منا، لأننا على حق وأنت على باطل. فنحن نأبى أن نصبح من ضباط المستعمرات اشباعاً لأطماعك، وإبقاءً على مقامك. أما أنت، فعليك بأخيك والذين معه فاقنعهم بالحق إذا كنت محقاً قبل اقناعي. وها أنا انسحب راجياً أن تبت مع الحاضرين فيما يعود على البلاد بالنفع، ترانا بعد ذلك صاغرين إلى ما تفرضون علينا من عقاب.

ثم استأذنت، وتركت المكان متضرعاً إلى الله أن يسوي ما بين طه والآخرين من رجال الأمة المخلصين، وما بلغت باب الدار، حتى ادركني ناجي السويدي فقال:

- لا تكثر لما قال أخي، فهو مغرض طماع وآلة بيد الانكليز.

قلت: - أرجو الله أن يوصلكم ياسيدي إلى نتيجة مرضية، ويعاد للهاشمي كتاب الاستقالة فتسوى هذه الصفحة المحزنة.

وبعد ساعة أخبرنا الكيلاني، وكنت في مقرّي بمعسكر الرشيد، أنه اتفق مع الهاشمي على كل شيء، فاستبشرنا خيراً وحمدنا الله على هذا، وعادت وزارة الهاشمي فشغلت الدوائر كالسابق، وكم تآقت نفسي إلى رد كتاب الاستقالة لطفه بنفسي وأشكر الله على عودته إلى

(١) يشهد على ذلك فهمي والرئيس حمود السعلون.

لله دركم من رجال عميت أبصاركم وطبع الله على قلوبكم.

الحكم مستنداً إلى رغبة العرب والشعب العراقي.

... ولكن أين الوصي؟

وماذا حل به؟

إن في الأمر لسراً!

هذا ما دار على الألسنة منذ الصباح، وجاء قرب الزوال رشيد عالي الكيلاني ومحمد يونس السبعائي إلى مقرّي في معسكر الرشيد، فأنبأني بما كان من أمر الوصي فهو ما كاد يسمع من طه نبأ استقالته بالأمس، حتى ذهب إلى معسكر الانكليز بالحبانية يرافقه علي جودت بن أيوب، وكان (دون فيل) ضابط الاستخبارات البريطاني رفيقه في السفر ودليله، وقيل أن جميلاً ذهب إلى الموصل، وأنه الآن عند متصرفها تحسين علي، يستثيران العشائر الكردية والعربية، وعشيرة شمر بصورة خاصة، لما لتحسين علي من تأثير عليها بسبب الصداقة المتينة التي كانت تربطه بزعميها الراحل المرحوم عجيل الياور^(١).

واجتمع في مقرّي القواد، ووكيل رئيس أركان الجيش، فكان وقع النبأ عليهم كوقع الصاعقة ... الويل ثم الويل. إنها لمؤامرة مبيتة: الوصي عبد الله بن علي بن الحسين ... ابن محمد (صلعم) يرافق جاسوس الانكليز على العرب، ويستمد من المستعمرين قوته، ليفرض أطماعهم على بني قومه وهم مرغمون. لم يرد في تاريخ العرب مثل هذا إلا مرتين كانتا في

(١) عين (دون فيل) عام ١٩٢٦ عضواً في البعثة العسكرية البريطانية في العراق وكانت رتبته في الجيش البريطاني آنذاك ملازم أول. أما في الجيش العراقي فقد عين معلماً أولاً في كتيبة الخيالة الثالثة برتبة عقيد مؤقت، وكان العراق تحت الانتداب في تلك الأيام. وكان دون فيل شاذاً بين ضباط البعثة البريطانية، همه الأول قضاء الليالي مع الساقطات في المواخير والمراقص، ولعب القمار وشرب الخمرة في الليل والنهار، واستطاع بهذه الطريقة أن يتصل بصغار الضباط وكان أسبقهم في هذا المضمار. وأتقن اللغة العربية باللهجة البغدادية العامية واختلط بمختلف الطبقات. بقي دون فيل على هذا النهج حتى انفصل من الجيش العراقي والتحق بكلوب الشهير بأبي حنك بين عشائر شرقي الأردن العربية وبإبادة الشام (وكلوب هو ثاني لورنس تنجبه بريطانيا، وهو من الانكليز الاقحاح وبلاء على العرب الرحل). وفي عام ١٩٣٩ عاد دون فيل إلى العراق وهو يرتدي بزة أمر سرب من القوة الجوية البريطانية (سكوادرون ليدر) فتولى هذه المرة رئاسة الاستخبارات للقوات الجوية البريطانية في العراق وجعل مقره في بغداد على طريق معسكر الرشيد، لا في الحبانية حيث تعسكر القوة الجوية البريطانية. فكان مقر دون فيل في بغداد هو مقر الجاسوسية البريطانية علي العراق. وكان دون فيل يتصل بي حين كنت معاوناً لرئيس أركان الجيش ومديراً للحركات بقصد تبادل المعلومات فيما يتعلق بالاستخبارات. كثيرون من ضباط الخيالة يعرفون (دون فيل).

عصور الجاهلية الأولى وقبل الرسالة النبوية. فأما الأولى، فكان جزاء أمريء القيس أن مات بأنقرة كمداً. وأما الثانية، فكان جزاء أبي رغال أن رجمه النبي العربي بالحجارة إلى الأبد. بل إنها لخيانة عظيمة: خيانة لا تجيزها مدنية القرن العشرين، ولا تحلها تقاليد الأسلاف الأولين. إنه ليس من الكرامة والعزة، ولا من شهامة العروبة في شيء، أن يتراعى الوصي على عرش عربي في أحضان الانكليز، ويتآمرون وإياهم على إعداد الثورات ويخدم مصالحهم. وليس في هذا قول من قال: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً».

ويدعون أنهم من آل النبي ثم يفضلون المربية الانكليزية، والحاشية الأعجمية على العربية، وينفرون من التخاطب باللغة العربية ليظهروا بمظهر عصري. وليس في هذا شيء من تقاليد محمد.

لذلك، عدنا إلى ما كنا عليه، وقررنا الاستمرار فيه، فإنه لا أمان للعرب مادام أذئاب الاستعمار في البلاد، وأنه لا حكومة إلا التي عليها الثقة والاعتماد. وفي اليوم نفسه، طلب من طه أن يتنحى عن الرئاسة بعد أن اتضحت المؤامرة، وهكذا، شاء الله أن يبقى كتاب استقالته في الخزانة الحديدية بمقري، لم يرفع إلى الوصي ولم يعد إلى الهاشمي.

التحق جميل بالوصي على طائرة انكليزية، نقلته إلى مطار الانكليز بالحبانية من مكان سري، حطت فيه بجوار الموصل بموجب تدابير سرية قام بها المتصرف تحسين علي. وراح متصرف البصرة صالح جبر، ي كاتب العشائر في البصرة والناصرية فيحرضهم على الثورة، وقيل أن محسن أبو طبيع يقوم في الديوانية، بنفس العمل بالاشتراك مع رايح العطية. وتلقى الشيخ محمود الكردي الأوامر الانكليزية، فهرب إلى السلیمانية ليقوم بثورة كردية. وتم القرار على مايلي:

- ١- تأليف مجلس للدفاع الوطني ينظر في شؤون المملكة طوال غيبة الوصي.
- ٢- النظر في أمر الوصي إذا رفض الرجوع عن غيه، وبقي مصرأً علي وضعه المخزي في أحضان الانكليز في معسكر الحبانية.
- ٣- توقيف صالح جبر وجلبه إلى بغداد، وفصل تحسين علي، وتوقيف محسن أبو طبيع ورايح العطية وجلب الأول إلى بغداد، وإبعاد الشريف فواز والشريف حسين إلى شرق الأردن، لأنهما جاسوسان للانكليز في البلاط، وفصل باقر سرکشك مدير التشریفات في البلاط، لأنه منافق يدعو بالأقلمية العراقية(١) ولا يحمل عقيدة عربية،

(١) سرکشك، بلدة في ايران (باقر) منها، ولقبه واسمه يدلان على أصله، واللغة الايرانية هي لغة بيته.

وتعيين نوري بن سعيد سفيرا للعراق في أمريكا، واسناد وظائف مماثلة، خارج العراق، لكل من جميل وجودت، وإبعاد جلال بابان خطيب الانكليز في المجلس.

أما الوجيه السيد محسن أبو طبيخ فهو صديقي وصديق فهمي، ولنا منذ عهد بكر صدقي وقبله ذكريات مشتركة في سبيل العروبة، ويشهد جميل الملقب بالمدفعي، كم رجوته وكم رجاه فهمي أن يطلق سراح البطل العربي الأبى عبد الواحد صقر والسيد محسن أبو طبيخ، وكان بكر صدقي قد أمر بسجنهما لأنه كان يكره فيهما العروبة والإباء، ولكن جميلاً أصر على اطالة أمد سجنهما بعد مقتل بكر صدقي، لأنه كان يكره فيهما الانتصار لياسين الهاشمي. لذلك كان علي أن أزيل ما علق بالأذهان عن هذا الصديق، وكان عليه أن يؤيد بدوره حسن ظننا به، وقد كان منه ذلك، وزال سوء التفاهم حالاً التقيت به في دار الوطني العربي العقيد المتقاعد (ك)، وذلك بعد يوم واحد من القرار الذي أصدره مجلس النواب بخلع الوصي عبد الاله باجماع الآراء.

أما السبب في اسناد سفارة العراق بأمريكا إلى نوري فليس بخاف عليه. وكان نوري قد وعدنا بذلك، ثم انقلب كالحرباء، وطلب أن يصحبه مفتي فلسطين الأكبر، وتفصيل ذلك أن طه كلفه بالسفارة المذكورة بحضوري وحضور فهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب واسماعيل نامق في داره، فوافق نوري، ولكنه اشترط أن يذهب معه مفتي فلسطين، لاعتقاده بأن أمريكا ستضع يدها على تراث بريطانيا بعد خروجها من هذه الحرب، لذلك فإن على العرب أن يكسبوا عطفها، خاصة في قضية فلسطين. ثم عدل نوري عن رأيه بعد خمسة أيام. (راجع الملحق -١٦-)

ملحق رقم -١٦-

يشهد طه الهاشمي واسماعيل نامق واخواني أن نوري قال مرة: - «لو عرفت أن انكلترا سوف تخسر الحرب لكنت أول من يشهر مسدسه ويطلقه على صدر الانكليز، وأول من يعلن عليهم حرباً شعواء».

فإذا كنت تعرف وتقول بأن بريطانيا عدوة العرب، فلماذا تقتل الشباب المثقف الحر لا لذنوب إلا لأنهم قاوموا أسيادك الانكليز؟

صدق يا نوري فبريطانيا هي عدوة العرب وعدوة المسلمين، لكنك كذبت لما زعمت أنك تشهر مسدسك على الانكليز، لأنك لم تشهره إلا على صدور أحرار العرب، كما فعل أسلافك من قبل مع أجدادنا الأحرار.

إن الذين تولوا الحكم والسلطان من بعدنا، ليسوا عرباً يا نوري، وقد كان العراق عربياً في عهدنا نحن، ونحن الذين أنقذنا العروبة من مخالبتكم على قلة عددنا. وإنما خشيتمونا لأن قلّتنا غلبت كثرتكم واستطاعت أن تطردكم، لكن الانكليز كانوا يسندونكم من وراء، ونحن ماكان يسندنا أحد.

أتدري يا نوري كم انتظر العرب حتى كان بينهم مثل صلاح الدين وفهمي والسبعراوي ومحمود وغيرهم من الاخوان الذين حكمت عليهم بالموت شنقاً؟ أتدري يا نوري أية مصيبة حل بالعرب إذا هم فقدوا شبابهم المثقف المدرب؟ كيف ينادي النشء الجديد بالوطنية، وكيف يشعر بالعزة والكرامة القومية إذا شب على تعاليمك ودعا إلى صداقة الانكليز، ورمى ابن العروبة البار بالخيانة والخروج على القانون؟ أو كيف يكون للبلاد جيش وطني إذا سار على دربك، ونادى بصداقة الانكليز وهو في الحقيقة يخدم المصالح الاستعمارية، ويقاوم النزعات الوطنية؟ دمت يا نوري حليفاً لبريطانيا أنت ومن معك، ولكن ضحية، أنا وغيري من العرب.

رابع عشر :

المنشور والملكة

في السابعة والنصف من مساء الخميس، الموافق ٢ نيسان ١٩٤١ جلس المحاميان (ي) و(ص)، وهما من خيرة الشباب العراقي، في مقر فرقتي بمعسكر الرشيد وفي الغرفة المجاورة لغرفتي، يعدان مسودة المنشور الذي يبسط للشعب الحالة الراهنة، وما نجم عن غيبة الوصي وموقفه المخزي.

وكنت آنذاك أفكر في حل مرضٍ على ضوء المادة السادسة من قرارات ٢٨ شباط. حل يحد من تصرفات الوصي الديكتاتورية التي يقوم بها بدافع من الغرور والدلال اللذين يتأصلان عادة في طباع الأمراء الذين يشبون على تملق حاشيتهم وتزلفهم، حل ينشله من الهوة المخزية التي تردى فيها، فأساء لسمعة العرب وتقاليدهم ولآل بيته أيما اساءة. فخطرت لي فكرة تعديل نظام الوصاية على العرش في الدستور، وتأسيس مجلس للوصاية مؤلف من أربعة أشخاص مثلاً والأمير خامسهم على غرار مجلس الوصاية اليوغسلافي الذي يرأسه الأمير بول عم الملك الشاب بطرس. وبذلك تودع السلطة العليا في البلاد بيد جماعة من أخصار المواطنين ذوي الفضل والعقل، وتتخلص البلاد، ويسلم الجيش من ديكتاتورية الفرد وتصرفاته الشخصية ونزعاته الإنتقامية، ثم لا يبقى للوصي أو لنوري أو للأنكليز تأثير على قرارات هذا المجلس الديمقراطي المثالي الخبير، فتهدأ النفوس، ويطمئن الجيش إلى سير الأمور ضمن نصوص المعاهدة وقوانين البلاد.

تجسّمت هذه الفكرة في مخيلتي، ولاح لي أن أعرضها على سموالوصي فإذا وافق عليها انحلت الأزمة الراهنة حلاً ناجعاً، يرفع عن كاهله أعباء لا طاقة له بها. واتصلت هاتفياً بقصر جلالة الملكة، اخت الوصي ووالدة الملك الطفل فيصل الثاني، لالتمس من جلالته أن تداني على وسيلة لمقابلة الوصي. خاطبني المرافق الأقدم عبد الوهاب عبد اللطيف، فطلبت اليه أن يتوسل من جلالة الملكة الوالدة لتكلمني في أمر يتعلق بسمو اخيها الوصي. وانتظرت فترة وأنا أتضرع إلى الله أن يمدني بعونه لتحقيق ما أقوم به على مسؤوليتي الخاصة دون أن استشير أحداً من اخواني، إذ صبح عزمي على مسك المنشور وعدم اذاعته اذا رأيت من

جلالاتها ما يشجعني، في أول حديث لي مع سيدة العرب، وعقدت كل آمالي على ذلك.

وجاعني صوت غاضب يصيح:

- ماذا تريد؟

صوت الملكة الوالدة عالية، أم الملك الطفل فيصل الثاني، وزوج الملك غازي ضحية الأنكليز.

قلت: - سيدتي صاحبة الجلالة، أريد أن أكرمك بشأن سمو الوصي وإذا ...

- لكن.. من أنت حتى تكلمني؟

- أنا يا سيدتي صلاح الدين الصباغ قائد الفرقة الثالثة.

- اي...! ليس لي كلام معك.

وانقطع صوت الملكة، وسمعت الهاتف يطرح بعنف، فاستولى علي النفور والامتعاض، لكنني تغلبت عليهما وخاطبت المرافق عبد الوهاب بعد قليل.

قلت: لقد استنكفت الملكة فما كلمتني، وأنا أحاول الوساطة بالخير فيما يتعلق بسمو الوصي، وإن تمر ساعة أو ساعتان حتى يسبق السيف العذل.

وبعد برهة رن جرس الهاتف فالتقطته فاذا المرافق عبد الوهاب يقول:

- جلالة الملكة تكلمك.

قلت: نعم ياسيدتي جلالة الملكة أنا صلاح الدين .

قالت: العفو، فقد كنت متاثرة، لكنني أرجو أن يكلمني رئيس أركان الجيش .

قلت: سيدتي، الأمر يتعلق بسمو الوصي، وأنا وسيط بالخير فكيف أتصل به؟

قالت: لا علم لي بمكانه، ولا يمكنني أن أخبرك به، وإذا كان لكم ماتقولون فليكلمني رئيس أركان الجيش .

- ولكنني يا سيدتي عربي

- نعم، وليكلمني رئيس أركان الجيش .

واتصلت برئيس أركان الجيش سريعاً، ورجوته أن يتصل بالملكة عله يهتدي منها إلى وسيلة للإتصال بالوصي وبعد ساعة كان رئيس أركان الجيش في مقرى بعد أن وقع المنشور الذي أرسل اليه في داره. ولما سألته عما بينه وبين الملكة أجاب: رأيت أن لا أسترسل في

محدثتها، فقد لمست في حديثها الغرور وقصر العقل (انظر الملحق - ١٧)

والله لقد خالفت وأخوك وعمك تعاليم القرآن وتقاليد العرب في جميع العصور والأزمان. لكنها مقادير شاء الله أن يراها صلاح الدين وأخوانه وكل عربي وطني. وشاء الله أن يذاع المنشور فتتلاقفه الأيدي، وتنشره الجرائد، وينادي المناادي ويردد الشعب شيباً وشباناً: «يسقط الخونة، يسقط عبد الإله الوصي الجاسوس الأنكليزي» كل ذلك وليس للشعب، وليس لنا وإياكم، من ثأر أو عداً أو مطمع شخصي. إنها فروض كان لزاماً علينا أدائها ولزاماً على كل عربي أبيّ.

وما أذيع المنشور، حتى رست في ثغر البصرة بارجتان انكليزيتان على حين غرة، فلا استأذنتا ولا اطلقتا التحية، وقد خرقتا بذلك أصول المجاملات الدولية استهتاراً بكرامة العرب والعراق، ثم جاعنا بعد ذلك نبأ وصول الوصي عبد الإله وجميل وجودت إلى فندق شط العرب، بعد أن نقلتهم إلى الشعبية طائرة بريطانية. وأن متصرف البصرة قام بجمع ضباط حاميتها، وتقديمهم لعبد الإله وأن هذا حرضهم على شق عصا الطاعة، وحثهم على عدم الإمتثال لأوامر مقر الجيش في بغداد، ليساعده في الجرب الداخلية. فكان جوابهم بالنفي، وأكّدوا امتثالهم لأوامر القيادة العسكرية، ورفضوا الوقوف بجانب من يخون البلاد.

وفي اليوم نفسه، انعقد بوزارة الدفاع في بغداد مجلس حكومة الدفاع الوطني، برئاسة رشيد عالي الكيلاني، وحضره وكيل رئيس أركان الجيش أمين زكي، ومدير شؤون الدفاع اسماعيل نامق، ومدير الحركات نور الدين محمود، وقادة الفرق (باستثناء قائد الفرقة الثانية قاسم مقصود لبعد مقره عن العاصمة) واتخذ المجلس المقررات التالية:

١ - تقديم مذكرة إلى الحكومة البريطانية على الفور، بضرورة احترام نصوص المعاهدة، وعدم التدخل في شؤون العراق الداخلية، واحترام الحقوق الدولية، فإن تشجيع الحكومة البريطانية للوصي ولمن لاذ بالمعسكر الإنكليزي من المواطنين، ومحافظتها عليهم في معسكراتها وسفنها الحربية، ووضع وسائل النقل تحت تصرفهم، ينتقلون بها في الأراضي والمياه العراقية سرّاً وعلناً، ومساعدتهم على أحداث القلاقل والثورات، وتخصيص محطة لاسلكية للبث تنطق بلسانهم، كل ذلك يعدّ تدخلاً شائناً في أمور البلاد الداخلية، لاتقرّه الأصول الدولية، ولا المعاهدة المعقودة بين البلدين، مما يسيء إلى استمرار العلاقات الحسنة بينهما.

٢ - إيفاد قوة إضافية لتعزيز حامية البصرة، لقمع أية حركة من حركات العصيان قد

يثيرها عملاء الإنكليز هناك. وعلى ذلك تحرك لواء المشاة الثاني ولواء مدفعية الصحراء الأول، وهما من قطعات الفرقة الأولى، وعسكرا في منطقة البصرة.

٣ - توقيف صالح جبر متصرف لواء البصرة، وطلبه إلى بغداد لأنه قطع الإتصال بالعاصمة.

٤ - إطلاق الحرية للوصي على ألا يُسمح له بالإتصال مع العشائر.

وأوفد للإشراف على تنفيذ هذه المقررات، ضابطا ركن برتبة رئيس أول هما محمود الدرة من دائرة الحركات، ومحمد حسن الطريحي ضابط ركن مدفعية الفرقة الثالثة. وقدم لي الطريحي تقريره، فإذا هو طافح بأعمال الوصي وأعدائه المخزية (١)، وانهاكت من البصرة الطلبات بضرورة وضع حد لتلك التصرفات، لكني بالرغم من ذلك، طيَّرت برقية إلى الطريحي وإلى حامية البصرة، أكدت فيها وجوب الإبتعاد عن كل مايمس بشخص الوصي والذين معه، وإطلاق الحرية لهم، فإنهم لا تأثير لهم ولأعمالهم بعد أن وضحت للشعب حقيقتهم. أما الإنكليز فلم يعدلوا عن تحديدهم وعدوانهم، وأخذت محطة إذاعتهم السرية في مطار الشعبية تذيع باسم عبد الإله ماعن لها وطاب من طعن وقدح باحزار العرب وبجيش البلاد.

لم تطل إقامة الوصي في فندق شط العرب، فإنتقل ومن معه إلى إحدى البارجتين الراسيتين في وسط النهر مقابل البصرة، ومكثوا فيها بضعة أيام، ومن حولهم ربابنة البارجتين والكولونيل وورث، وهم يحتسون الويسكي كل مساء تحت ظلال العلم البريطاني وفي المياه العراقية، على مرأى من افراد الشعب والجيش الواقفين على ضفاف النهر وهم يعجبون لصروف الدهر، ويأسفون لحالة رجل ينتمي إلى الدوحة النبوية، ورجال اغتصبوا الزعامة الوطنية، فثبتتها لهم الحراب الأجنبية. أنت يا عبد الإله ثاني من لجأ إلى بوارج الإنكليز من المسلمين، وصاحبك، آخر ملوك بني عثمان، الذي لجأ إلى البارجة الإنكليزية، وقومه يندبون عن الحرية، كفى الله التاريخ بكما، ولم يجعل لكما ثالثاً في المسلمين. وأسفاً عليك إذ كنت عريباً عريق النسب، وأين منك شهامة العرب وأحكام القرآن، وهل أنت يا عبد الإله أعقل العرب وأتقاهم لتكون مولاهم؟ أم أنك لو جردت من الحسب والنسب، ونزعت عنك الكسوة والمنصب، لغدوت ضعيف العقل واهن الجسم بلا مزية عند العرب؟

ولكن «كما تكونوا يولَّ عليكم». اللهم أعد للعرب إنز قويم الأخلاق، ومتعمهم بالاستقلال والحرية، كما أعدتها للأمة التركية التي اتبعت تعاليم الاسلام فطردت السلطان، وكان أقرب

(١) تركت تقرير الطريحي في الخزانة الحديدية في مقر فرقتي ببغداد، وليته ينشر يوماً ليبين للملا مساوئ الوصي وأعدائه، ومدى خيانتهم للبلاد.

إلى الأوثان منه إلى البشر، وأقامت مقامه فرداً عالماً عاقلاً من أفراد المجتمع، عارك الدهر، وخبر الأيام وكان طيلة حياته جندياً. «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» صدق الله العظيم.

ملحق رقم -١٧-

كانت الطائرات الانكليزية تلقي على قصر الملكة، والمربية معها، الرسالة تلو الرسالة مثلما كانت تلقي الرسائل علي السفارة الانكليزية في بغداد، وأخطأ الطيار الانكليزي المرمى يوماً، فالتقط الرسالة جندي عربي فقرأ فيها ما موجه:

«اختي عالية: في ١٤ حزيران، ساكون مع الجيوش الانكليزية في بغداد، فالتقي بكم وبالعزیز فیصل - التوقيع: عبد الاله المقيم في معسكر الانكليز بالحبانية».

لذلك، تقرر نقل الملكة وطفلها إلى المصيف الخاص بالملك (مصيف صلاح الدين)، لإبعادهما عن تحكيمات خط دفاع بغداد، صيانةً لها وخوفاً على طفلها من قنبلة تلقيها عليهما طائرة انكليزية لإثارة فتنة في الجيش والعراق، بعد أن يضحي بها ويطفلها مثلما ضحي بزوجها من قبل، فالملكة قد لا تدري أن أخاها كان شريكاً لنوري في الجريمة، وأن أخاها طامع في العرش ليكون ملكاً لا وصياً. وفيصل الثاني قد يكون مثل أبيه غازي وجده فيصل الأول، لا مثل خاله عبد الاله، وأنه قد يثار إذا كبر، فعلى نوري أن يلحقه بأبيه كي يؤمن على مستقبل وحيدة صباح وبنيه.

تذكرت تلك الببوية المتواضعة من أطراف العرب، التي أثارت النخوة في العشائر العربية أيام الثورة العراقية، إذ صرخت ونساء الحي من خلفها يصرخن: «ويلاه ياعرب ويلاه .. أيهتك كوكس حرمتنا؟» فحثت أبناء عمومته من العشائر العربية في الديوانية على الاقبال بعد أن أدبرت أمام الجيوش الانكليزية بقيادة كوكس طاغية الاستعمار، فكان للببوية ماتمنت، وجابهت العشائر الحديد والنار في موقعتي العارضيات وال نارنجية، وكان النصر فيهما حليف العرب بدلاً من الذل والعار. لم يكن نوري يومذاك حامي بيضة العراق، ولا جعفر ولا جميل ولا جودت ولا بابان لكي يتقلدوا فيما بعد الزعامة، ويتمتعوا بالقصور ويتملكوا الأطنان، ولكن شاعت مقادير الاله منذ عهد العباسيين أن يغرس العرب ليجني غيرهم ثمار غرسهم، لذلك كان مصير أحرار العرب وشيوخها في العراق وسوريا وفي مصر والمغرب الانزواء أو السجون أو

القبور ... وهذا مصير شعلان أبي الجون وعبد الواحد صقر والعظمة.

يا جلالة الملكة: بعد أن سلم نوري مفاتيح العاصمة السورية لغورو، قائد القوة الفرنسية الفاتحة، لما جمعتها في بيروت مائدة الطعام، فهم فيصل الأول على وجهه طريداً، وبعد أن وقع جدك الحسين في أسر الانكليز بقبرص ولأن أبوك بالفرار ولم يبق لكم دار ولا قرار، فتح لكم العراق أبوابه، وتوجكم ملوكاً عليه .. والعراق، هو الذي توجكم عليه لا نوري ولا كوكس الغدار.

يا ابنة النبي، تلك البدوية هي التي حققت لك عرشاً، وسلمته لك بدون مقابل أو عوض .. والله لو سرت على نهجها، وفعلت فعلها أنت وأخوك، لما بقي في العراق صعلوك أجنبي، لكن لا عتب عليك، فهذا دأب من جاءه الملك بلا تعب، وكانت حاشيته قليلة الأدب، ومن الأجانب لا من العرب، وانصرف إلى أموره الشخصية. وهذه مساوئ التربية الأعجمية الافرنجية التي تسربت إلى دار فيصل وعلي، فجعلتكم تنفرون من التخاطب بالعربية وهي لغة جدكم محمد، وجعلتكم تطردون من داركم كل عربي قومي.

هل كان أبوك ليرضى بهذا لو كان على قيد الحياة؟ وهل أرضاك وأنت في شرفة قصرك استعراض الجيوش الانكليزية، وهي تتدفق من الهند والبصرة ومن فلسطين والحبانية، وفيها الهندي والانكليزي واليوناني والبولوني، بدلاً من الحجازي واليماني والسوري والفلسطيني والمصري والمغربي والعراقي، وهل أعجبك نشيد أولئك العلوج، فأنشدت معهم نشيد التاج البريطاني (حفظ الله الملك) وقلت معهم سحقاً للقائد العربي صلاح الدين الصباغ، وليحيا القائد الانكليزي المنصور وجيوشه الأجنبية؟ هل أقمت الحفلات والأفراح لأن صلاح الدين راح وحل محله كورنواليس السفاح؟ أم شعرت بمثل تلك البدوية من الفرات؟ أو اختها التي قالت في أيام الجاهلية:

ما ألقى من بلاء وعنا

ليت للبراق عيناً فترى

فعلى من يقع اللوم يا جلالة الملكة الوالدة، يا ابنة قريش؟ ويا سيدات العرب في كل مكان .. ليكن شعاركن الأخلاق القومية، والعروبة الأصيلة، والوطنية الصادقة، لتجعلن من أشبالكن أسوداً تطهر البلاد من كل أجنبي دخيل، وتثار لمحمود وفهمي وصلاح الدين ومن مضى قبلهم.

شهادة رقم (11)

في رده على كتاب المفوضية العراقية :

التاريخ ١٩٤١/٧/٩

الى - من خابرنى باسم المفوضية العراقية في طهران
من - العقيد صلاح الدين الصبّاح قائد الفيلق (القيادة الغربية)
الموضوع - طلب سيارة

كتابتكم المؤرخ في ١٩٤١/٧/٨ المؤرخ الي:

اولا - ماهو رقم السيارة التي تطالبوني بها والى من تعود؟ اذ ان
السيارة التي في حوزتي تعود الى شخصي، واني لم اجلب معي سيارة
تعود الى غيري، فاذا كان لديكم دعوى مقامة علي من هذا القبيل
فارجو توديعها الى المحاكم الايرانية.

ثانيا - اني لم اتبلغ من حكومتي الشرعية بانني مقال او محال على
تقاعد، او . او الخ. واني مازلت ضابطا في الحكومة العراقية الشرعية
وادعى بـ(العقيد الركن صلاح الدين الصبّاح) ومنصبي الأخير قائد
الفيلق (قائد القيادة الغربية) والذي قاتل الانكليز مع حكومته الشرعية
دفاعا عن حقوق بلاده ومن ثم التجأ الى ايران وصودرت منه أسلحته
على الحدود بموجب الأصول الدولية. لذلك اني لاعترف بمخابرتكم الي،
ولا بمفوضية لاتقرها حكومتي التي تعلم اني قائد جيشها من أول يوم
تشكل فيه الجيش العراقي.

ثالثا - ان الوصي على العرش العراقي الشرعي وأعضاء حكومتي
الشرعية هم الآن في طهران وعليه أرجو اتباع الأصول الدولية. وأن

تتوسطوا الحكومة الايرانية لتوجيه كتابكم الى حكومتى وذلك بعدما
اطلعت انى لست ممن يعترف بغيرها.

العقيد الركن قائد فيلق

(قائد القيادة الغربية)

صورة الى: فخامة رئيس الوزراء السيد رشيد عالي الكيلاني.

وقال الصباغ في دفاعه الاخير امام الاتراك:

ان جيش العراق وشعبه يحبني ويحب رفاقي الذين اعدموا ويحبهم
حتى تدمى عيونهم والانكليز واذنايهم، المضرجة ايديهم بدماء اخواني،
يتلفون قتلنا، لانهم يعلمون ان الشعب الذي يحبنا لن يطأنا لهم راسه
حتى ولو انتصر الانكليز في هذه الحرب... انهم خائفون لان الجيش
العراقي مازال متملقا بي وبزملاني... انهم يلفقون ويحتالون ويتلفون
القبض علي، فاذا كان لهم ذلك لم يكتفوا باعدامي، وان يروى غليلهم
سوى التمثيل بجسدي، لانني كنت اقدم رفاقي الذين اعدموا وقائدهم...
ان العراق لن يجد من يحل محل اصحابي الذين اعدموا لعشرين سنة
اخرى.

ويختتم صلاح الدين الصباغ دفاعه المجيد بهذه العبارة الرائعة:
لادراهم عندي لتوكيل محام.. وليس ورائي حراب انكليزية تحميني.. ولا
اية قوة اخرى الا الله، وعدالة قضيتي التي فديتها بكل شيء...

خامس عشر :

خلع عبد الاله وغدر الانكليز

هكذا، احتضن الوصي نوري وجميل وجودت، ومثل نور الديكتاتور مستغلاً منصبه وراث أجداده للإيقاع بقيادة الجيش من أبناء قومه. وأثيرت قضايا نوري وشرع بتطبيق حلولها وفق تعاليم نيوكمب - فاستقال رشيد عالي الكيلاني بسبب ديكتاتورية الوصي يوم ذهب إلى الديوانية، وأقصى صوته الذي كان يصيح في مجلس النواب بأنه ليس مناوئاً للانكليز، لكنه يريد أن يطبق المعاهدة بالنص والحرف.

أما وزارة طه الهاشمي التي جاءت على أعقاب وزارة الكيلاني، فقد كانت ضعيفة أمام جميل وجلال بابان وعلي جودت الذين حملوا على الجيش في خطبهم، كما أنها لم تستطع أن تحد من جبروت الوصي، أو تكبح من جماح ديكتاتوريته، أو تخفف من حدة خصومته وجام غضبه الذي صبه على قادة الجيش. بل إنها لم تتمكن من تهدئة أعصاب الوصي التي أثارها تحريض الانكليز وأذئابهم من الوزراء والدسائسين من حاشية القصر الذين ناصبونا العداء لأننا قاومنا بكر صدقي، وقد كانوا يؤيدونه (١) أو لأننا عرب، ندعو إلى عروبة العراق، وهم أعاجم اقليميون يبشرون بمبدأ العراق للعراقيين.

هذا التحريض، وهذا الدس، هول أمرنا على الوصي، وأثار كبرياءه علينا، وجعلنا في نظره قتلة سفاحين. فاختلق علينا واقترى، وأظهر الخوف من الحركات التي تقوم بها وحدتنا العسكرية أثناء تدريبها اليومي في منطقة الوشاش وأم الطبول، أو في منطقة المعسكرات، لذلك رجائنا طه أن نكف عن اجراء التمرينات هناك، وأن نمتنع عن اصدار أمر الانذار لأن الوصي يعد ذلك تهديداً موجهاً إليه بالذات. فاستعذنا بالله ثم بطله من الاختلاف ومن وساوس الوصي، وتوسلنا إليه أن يجمعنا بالوصي ليشملنا بحلمه ورضاه، وليرزقنا سوء ظنه بنا. لكن الوصي، المستجد في مهنته الذي لم تمض عليه في الوصاية إلا سنتين، بقي على اصراره، وأخذ يضغط على طه بغرور وكبرياء لتشيتيتنا وأقصائنا عن مسلكتنا الذي نشأنا فيه منذ نعومة أظفارنا، ونحن على دأبنا أوفياء لمهنتنا، مخلصين في واجبنا الذي تفرضه علينا مراكزنا

(١) مثل المرافق الأقدم المقدم عبد الوهاب عبد اللطيف.

وعقائدنا وتقاليدها، يشهد الله أننا لم نفكر يوماً بأن نناصب عبد الإله العدا، أو بأن ننشر علينا خصومته، أو بأن نمس كرامته أو كرامة آله بسوء. يشهد الله أننا بقينا على ذلك طوال وجودنا على رأس الجيش. ولكن شاعت إرادة الله أن نبثلي بخصومة الوصي العائدة، فراح يتحين الفرص للإيقاع بنا، ولو كان ثمن ذلك أن يرتمي في أحضان الانكليز. وراح يقول، في الخطاب الذي ألقاه بعد عودته إلى بغداد، إن الإله لطف به وأنقذه من أيدينا بأعجوبة، ولولا تلك الأعجوبة لفتكنا به. إنه يفترى في هذا القول ليستريحه، وليبرر ارتعائه في أحضان الانكليز، فيضلل الشعب عن الحقيقة، ويخفي عنه ما كان مقررأً من خطط وتدابير لا يليق بأمر عربي أن يقوم بها، ولا تليق بالأنبي (١) إنه والله ما كان مكراً ولا مطارداً ولا مطروداً، وما كان عند عمته الأميرة صالحة، ولا عند العشائر من بني جلده في الديوانية، ولا في الموصل ولا في الناصرية، لأنه يتحاشى الاتصال ببني قومه، ويتعمد الحط من كرامتهم، ويتقصد مخالفة تقاليدهم، ظاناً أنه يفرض شخصيته على الشعب بالغرسة والكبرياء، بدل التودد والاسترضاء، ليدل الشعب بالمستعمرين الذين يدين لهم بالولاء. أنه كان في الحبانية، مرتعياً في أحضان الانكليز، لا خائفاً، بل عامداً، فقد جاد دورهم للادلاء بدلهم، فنقلوه وجماعته من معسكرهم بالحبانية إلى معسكرهم بالشعبية على متن طائراتهم، ثم نقلوهم إلى بارجة، يرفرف عليها العلم البريطاني، قصدت البصرة من عرض البحار، ترافقها بارجة أخرى، فرستا في الميناء العراقي بدون علم السلطات العراقية، وبدون اطلاق التحية، ليثير الوصي حرباً داخلية، يتذرع بها الانكليز للتدخل في شؤون البلاد، كما فعلوا في ثورة عرابي المصرية، ثم لينتقل بعد ذلك إلى فلسطين فيتعاون مع الانكليز في الحرب وفتح البلاد، كما يفعل راجات الهند. ولولا الزور والافتراء لما وجد الانكليز سبباً يبرر اعتداهم علينا ونحن أبرياء.

(١) يقول المثل «كلام الملوك ملك الكلام» لكن الأغراض تعمي البصائر. والأمير عبد الإله لا يتورع عن الكذب الذي لا يناسب مقامه وسمعة آله. فالشعب العراقي بأسره يعلم أنه كان في أحضان الانكليز وأنه كان ينتقل في طائراتهم من الحبانية إلى الشعبية إلى البارجة الراسية في ميناء البصرة ثم إلى فلسطين. ويقول الأمير عبد الإله في خطابه أنه اخترق الحصار بلطف الله، وإني لأعجب كيف استطاع أن يخترق الحصار إذا كان قصره مطوقاً، ولو كان هنالك حصار، لما تمكن الوصي من الذهاب إلى دار عمته الأميرة صالحة الواقعة في الرصافة فيعبر الجسور تحت سمع الجيش وبصره، الجيش الذي زعم أنه يخشاه. لكن الجيش بريء والله، وقول الأمير زور والله، فإن الجيش لو أراد به سوء لأصدر الأمر إلى حرس القصر بإلقاء القبض عليه مباشرة، ولما فسخ له المجال لأن يغادر القصر بسيارته. لكن الأمير شاء أن يتطرق لمواضيع يعرفها الشعب ثم أراد أن يسترها بالتلفيق كما كانت عملية اغتيال غازي. إن الذي يتولى زعامة قومه بالحرب الأجنبية هذا رأيه.

من ثعالبه الانكليز ومستعمريهم الدهاة (ادمونس)، فهو خليفة كوكس ولورانس وصنو كورنواليس ونيوكمب (١) حرصت بريطانيا على ابقائه في العراق، واصرت على تعيينه مستشاراً خاصاً لوزارة الداخلية، ونديماً لباقي الوزارات العراقية، بصرف النظر عن تطور الظروف السياسية. يدعي ادمونس أنه صديق الكيلاني بالزمالة والاختصاص: لأن الكيلاني تولى وزارة الداخلية عدة مرات، ولما له من خبرة في شؤون البلاد الداخلية.

جاء ادمونس يوماً، فاكّد للكيلاني بشرف بريطانيا العظمى، أن حكومته لا تنوي شراءً، وأنه سيقوم بإزالة ما علق بالأذهان، في المحافل البريطانية، حول الكيلاني والحكومة والجيش. وأن حكومة جلالة ملك بريطانيا وافقت على إخراج عبد الله من العراق، وإنها ستعلن اعترافها بحكومة الكيلاني فوز اقتراع المجلس النيابي على خلع عبد الله عندما ينتخب خلفاً له، وأنها لا تصرّ على طلباتها التي نجم عنها سوء التفاهم، وتود أن تقف عند حدود المعاهدة مع العراق الخ ..

رأيت رشيد عالي الكيلاني يشيع ادمونس إلى باب قاعة الرئاسة، وكان قد دعاني لمقابلته، فصافحني وهو يكاد يطير من الفرح وقال:

-لقد انفرجت الازمة ياصلاح الدين، والحمد لله. لقد وعدني ادمونس وعد صدق، ولست أظنه كاذباً أو مخادعاً فهو صديقي.

وبالفعل، انقطع صوت الإنذاعة البريطانية السرية في تلك الليلة بالذات، ثم أماناً، في صباح اليوم التالي، نبأ وصول عبد الله وجماعته أرض بيت المقدس على متن طائرة بريطانية. اجتمع مجلس النواب، وقرر بإجماع الآراء، خلع الوصي عبد الله، وانتخاب الشريف

(١) يقال أن نيوكمب صديق العرب مثل لورانس وأنه يدافع عن حقوقه مثلما دافع لورنس عنها وعن قضية الحسين، ذلك الدفاع الذي قطع أوصال البلاد العربية وجعل الحسين شهيداً لقضية فلسطين. جاء هذا الانكليزي من لندن إلى بغداد ليجتمع بنوري وجميل وجودت وعبد الإله سرّاً، لا ليجتمع برئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني وأقيمت على شرف نيوكمب الحفلات والضيافات فلم يبق جاسوس بريطاني لم يدع إليها، ثم عاد نيوكمب إلى لندن بعد أن زود هؤلاء الجواسيس بالتعليمات السرية وهو على تمام الثقة بأنه قد توصل إلى القضاء على الجيش وأن المسألة العراقية قد انتهت وكان لنوري من بعدها أن يتشجع ويقول: (يا صلاح الدين برأسك صوت سوف تصيحه لكن ستري ما سيجري بالعراق).

أما أدمونس فيزعم أنه خليفة (الميجر صون) لبعث الأمة الكردية وأنه كان حرياً به أن يكون كردياً لولا أن الأقدار أخطأت فولدته أمه انكليزياً! يجيد أدمونس اللغة الكردية وله شغف كبير بالقضية الكردية مثل شغف بلغور بالقضية اليهودية، على أن المقصد الحقيقي هو الإضرار بالعرب والاكرد وليس المصلحة البريطانية فقط.

شرف وصياً^(١) فاستبشرت البلاد، وحمدنا الله على إخفاق المؤامرة الثانية، وانقطاع دابر المؤمرات السرية كلها. ولكن فاتنا أن بريطانيا قد عقدت النية على أخذ العراق على غرة والفتك به. فاتنا أن تاريخ بريطانيا ملئ بالمظالم، وأن شيمتها الغدر لكسب المغنم، وأنها شاربة دماء الشعوب المسالمة البريئة.

ذلك، أن قسماً من الجيش العراقي، كان يربط في منطقة الفلوجة وسن الذبان بقيادة فهمي سعيد، وفي ليلة الجمعة، أي قبل أن يغدر الانكليز بالجيش العراقي والعرب بليلة واحدة، جاني المقدم الركن حقي عبد الكريم، وأخبرني أن مكالمة هاتفية جرت بين معسكر الانكليز في الجبانية وبين السفارة الانكليزية في بغداد، جاء فيها أن المستر بيلي سيعقد قرانه على مس كورنواليس غداً. أما المستر بيلي، فهو مفتش في دائرة البرق والبريد يقال أنه يهودي، وأما مس كورنواليس، فهي ابنة السفير الأنكليزي في العراق الذي تم تعيينه خلال الحودث الأخيرة. وأما عبارة Will engaged فمعناها باللغة العربية عقد قران، ولكن معناها بالاصطلاح العسكري الالتحام أو الهجوم. ولما كان غير معقول أن يعقد قران المستر بيلي هذا، على ابنة كورنواليس في ذلك الوقت، والانكليز يسحبون نساءهم من العراق، ويبعثون بهن إلى البصرة ومنها إلى الهند، فقد كانت هذه الإشارة واضحة على غدر الانكليز. لذلك اخبرت فهمي بالأمر فوراً، ووضحت له اعتقادي بأن الإشارة تدل على أن الانكليز يبيتون شراً، وانهم سيقومون بالهجوم. كما اخبرت رئاسة أركان الجيش بذلك.

وفي الساعة الخامسة من صباح يوم الجمعة الموافق ٢ مايس ١٩٤١، طبق الانكليز مافطروا عليه من وحشية تجاه الشعوب الضعيفة، فغدروا بالعراق وجيشه المسالم، وقصفوا المعسكرات وأراقوا الدماء، بلا سابق انذار، ألا ما أوحشكم يابني سكسون، ما أوحشكم مع العرب خاصة، أما تأكيد ادمونس وشرف بريطانيا العظمى فقد ذهب أدراج الرياح.

مضت على عبد الاله وأعوانه بضعة ايام وهم في شرق الاردن، ثم جاء منه هاتف يريد مخابرة أخته الملكة في قصر الزهور، فأذنت له بذلك. وجاء المقدم الركن حقي عبد الكريم مسرعاً وقال: اقترح ياسيدي قطع الاتصال بين قصر الزهور وخارج العراق في مثل هذه الظروف، فسألته: ولماذا يا حقي؟

قال: بعد أن خابر الوصي أخته، وطلب إرسال ملابسه العسكرية والمدنية، خابر الأنسة الحيدرية، ووعداها بقرب اللقاء في العراق، أما الأنسة، فقد طلبت من الأمير أن يبر بالوعد، وهو

(١) الشريف شرف من أولاد عون وهو في السبعين من العمر. تجدر الملاحظة هنا أن المجلس النيابي قرر خلع عبد الإله باجماع الآراء بالأكثرية.



الأمير سيرُّ بوعده .. وهو تعليق أربع ضحايا على باب وزارة الدفاع ..

تعليق أربع ضحايا على باب وزارة الدفاع عربون الحب والإتفاق.

قلت: كلا، لاتمنع القصر من الإتصال بمن يريد، وأخبر دائرة المراقبة بذلك.

عاد حقي بعد قليل، فأخبرني أن الأنسة الحيدرية اتصلت بالأنسة مآرب بنت الدكتور سامي شوكت، فبشرتها بقرب العودة (لم تذكر الوصي)، وأنه وعدها بتعليق الضحايا (لم تذكر العدد ولا وزارة الدفاع). وفات الحيدرية أن المراقبة كانت تصغي، وهي تخاطب عبد الاله.

سألت حقي عبد الكريم وأنا اتجاهل: وماذا وراء هذا اللغز إذ يقولون بتعليق الضحايا الأربعة على باب وزارة الدفاع؟ ولماذا على باب وزارة الدفاع بالتخصيص؟

أجابني: هذا واضح ياسيدي، فالضحايا أربعة من العسكريين.

قلت: ولكن، ما بال هؤلاء النسوة وأهلهن يتدخلون فيما لا يعنهم، وهم جميعاً يسرحون في قصورهم ويمرحون، ونحن ليس بيننا وبينهم عداً سابق.

قال: أنتم ياسيدي تجاهرون بعروبتكم، وهذا لايرضي الأنسة الحيدرية التي نشأت على التربية الانكليزية، والتي تطمع بأن تكون (وصية). واقترح إتخاذ الإجراءات بحق هؤلاء الخونة

وأهلهم حالاً، واتباع قول الشاعر: «إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا».

قلت: لا يباحي فالانكليز ذنب الأفعى، والانكليز رأسها. لا العربي ولا أي مواطن عراقي. إننا لو قضينا على هؤلاء، الساعة أو من قبل، كما تفعل الأمم المستقلة، لقضي على العشرات كل يوم، فلا ينتهي الأمر إلا بازدياد الضغائن والاحقاد، ومن السهل أن يقوم خائن إذا مات خائن مادام الانكليز في العراق، فالانكليز هم السبب، لولاهم لما كان نوري ولا عبد الاله ولا من لف لفهما. الانكليز هم الأصل والخونة فروع لهم، وأنت مهما قطعت من الفروع نمت مكانها أخرى، لكنك إذا تخلصت من الأصل نوت الأغصان وانقطع دابرها.

وما انصرف حتي رن جرس الهاتف، فسمعت صوت طه الهاشمي يقول: صلاح الدين أضحك إنكم تريدون بأعضاء وزارتي سوءاً؟

قلت: وكيف سوغت لك نفسك أن تسألني مثل هذا السؤال ياسيدي؟ وهل عرفت عنا أننا مجرمون، أم عهدت فينا الحطة في الأخلاق وأنت مطلع على سرائرنا؟

قال: لا يساورني شك فيما تقول، لكنها إشاعة راجت فبلغت سمعي. فهل جدٌ جديد بينك وبين توفيق السويدي؟

قلت: قاتل الله المفرضين وشيعة الأجانب وأذئاب المستعمرين، ليس بيني وبين السويدي أو غيره من عدا، وما أرجو إلا أن يقينا الله شرهم. إن السوء ياسيدي من شمائلهم، فإنهم لو أفلحوا لما عفوا عنا، لكنه ليس من شمائلنا ولن ينالهم منا إلا الخير، فلتهدأ نفوسهم لأنهم في حرز حرز. والله لقد تأثرت لأنك تطرقت إلى ذكر هذا الأمر وأنت أعلم الناس بحقيقتي. قال ضاحكاً: أشكرك يا صلاح الدين. وودعني.

وشاء الله أن لا ينقضي شهر واحد حتى يعود عبد الاله وجميل وجودت إلى الحبانية، فيهيئون للقيادة الانكليزية طرق التجسس، ويكتبون المناشير، ويرشدون الانكليز على نقاط الضعف في صفوفنا نفعاً لخططهم الحربية، ويخبرونهم عن دار صلاح الدين الصباغ أين تقع لتصلبها طائراتهم برشاشاتها، فتصاب امرأة وطفلها بطلقة نارية، كل هذا وعوائل عبد الاله وجميل وجودت يسرحون في القصور ويمرحون في حماية صلاح الدين واخوانه، وفي حرز الشيمة والشهامة العربية(١).

(١) فمن هو الدخيل يا جميل؟ أهو أنا لأن والدي سوري عربي ووالدتي موصلية، أبوها كرخي من عقيل نجد؟ أم أنتم الدخلاء يا نوري ويا جميل، إذ أنتما من أبوين لا يعرفان العربية. وأبوك يا جميل مثل أبوك يا نوري. كلاهما ليس عراقياً.

لقد طرقتما هذا الباب فحق عليكمما الجواب.

وشاء الله أن أكون، بعد شهرين، في إيران دخيلاً في وطن باقر سرکشك، وأجداد نوري وجميل، اقرأ نص حكم الإعدام الصادر علي وعلى اخواني، وأنا في زي درويش اتوكأ على عصاي، وأقطع سهول تبريز وجبالها المكسوة بالثلج، وتقفو أثري الجيوش الانكليزية والشيوعية ومن يواليهم من العلوج. لا جديد تحت الشمس ياهؤلاء، وليس ثمة ما يثير العجب إذ حكمتما علينا بالشنق، فأنتما اليوم على غرار أسلافكما بالأمس، تريدان أن يخلو لكما الجو كما خلا لهم زمن العباسيين، واحكامكما هذه شهادة خالدة عليكم. (انظر الملحق -١٨-)

أيك ادعو أيها العربي فاستيقظ واتعظ.. أترى بين من حكم عليهم بالإعدام أعجماً غير

عربي؟

إصح أذن أيها العربي وأرجع إلى تاريخك، وتأمل في قول من قال: «ماحن أعجمي على عربي، لا ورب الكعبة».

وردد أيها المطرب البغدادي محمد القبنجي:

زرعت المجد في وطني وغيري قد جنى الثمرا

ذلك لأن صلاح الدين واخوانه يقولون:

ولي وطن أليت ألا أبيعهُ وأن لا أرى غيري له الدهر مالكا

بلادي، بلادي، ليتني أراك سعيدة أبية، طاهرة نقية، وقد خلت لاهلك الدار، وطهرت

ربوعك من دنس الأجنبي والاستعمار.

أنت عزيزة يابلادي وإن جُرّت عليّ، وليس لي من بعدك دار ولا قرار. أنا يابلادي لا

أؤمن بمبادئ الانكليز والألمان، ولا بمبادئ الروس والطلّيان، فمبدئي العروبة وأنا عربي عربي.

فلماذا يصبح الأجنبي حاكماً، والصهيوني أصيلاً، ويعد ابن الصباغ دخيلاً؟

هل كذب التاريخ؟ أم أن العرب اليوم غير العرب بالأمس؟

لا بل «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» صدق الله العظيم.

ملحق رقم -١٨-

ترجمة عن جريدة (الاطلاعات) الإيرانية -

العدد ٤٧٦٢ تاريخ ٢٠ كانون الأول سنة ١٩٤١

صدر الأحكام في بغداد على رشيد عالي وصحبه

بناء على الأخبار الأخيرة من إذاعة بغداد، كانت قد تشكلت محكمة عرقية عسكرية لمحاكمة رشيد عالي وصحبه. وقد صدرت الأحكام على رشيد عالي والمتهمين الآخرين.

وقد جاء فيها الحكم بالإعدام على رشيد عالي، ووزيرين من وزرائه، وأربعة من ضباط الجيش، منهم الجنرال أمين زكي رئيس أركان الجيش العراقي، كما جاء فيها الحكم بمصادرة أموالهم ووضعها تحت تصرف الحكومة. ومن بين المحكومين بالإعدام وزير العدل في وزارة رشيد عالي، واسمه (علي محمود) ومعاون رئيس أركان الجيش، الجنرال صلاح الدين الصباغ، واللواء محمود سلمان، أما باقي صحبه، فقد صدرت عليهم الأحكام بنسبة الجرم، وهي تتراوح بين سنة واحدة وخمسة عشر سنة.

ولما كان عدد من المحكومين خارج العراق، فقد جرت محاكمتهم غيابياً. أما أمين زكي رئيس أركان الجيش، فقد خفض حكم الإعدام الصادر عليه إلى السجن المؤبد، بعد أن أُلقي القبض عليه في طهران، وأرسل منها إلى بغداد. وأمين زكي مسجون الآن في بغداد.

أما رشيد عالي، فقد غادر أنقرة، وهو يقيم الآن في برلين. وقد ذكرنا هذا في عدد سابق.

هذا، وما زالت المحكمة العسكرية توالي عقد جلساتها لمحاكمة باقي صحب رشيد عالي، وإصدار الأحكام عليهم كل بنسبة خطورة جرمه.

وقد حكم على ناجي شوكت (وزير الدفاع في وزارة رشيد عالي) بالسجن خمسة عشر عاماً. وهو الآن في تركيا.

الحوار الأخير

بين الوصي عبد الإله وصلاح الدين الصبّاغ قبل تنفيذ الإعدام

عبد الإله : هل يعجبك حالك الآن ؟ وهل هذا هو المعيد الذي تتعناه وتسعى إليه...؟

صلاح الدين: نعم.. يعجبني حالي الآن! وأنا لست نادما على ما فعلت.. ولست أسفا على شيء.. ولو أعاد التاريخ نفسه، ووجدت نفسي في نفس المركز الذي كنت أحتله وعلى عاتقي نفس المسؤوليات، لما ترددت في القيام بنفس العمل... إن ضميمري مرتاح تماما لأنني أعتقد بأنني قمت بواجبي خير قيام لنجاة وطني وعرويتي..

عبد الإله : هل عندك حديث أخير تريد أن تقوله لي قبل أن تموت.
صلاح الدين : انني أخاف عليك من نفس المصير.. (!!!) وليس عندي سوى هذا التحذير أسوقه اليك يا عبد الإله...

ونشرت جريدة الأخبار الصادرة في بغداد يوم ١٧ تشرين الأول عام ١٩٤٥ تحت عنوان "إعدام صلاح الدين الصبّاغ": في الساعة الرابعة من صباح أمس (١٦-١٠-٤٥) نفذ حكم الإعدام شنقا بالعقيد صلاح الدين الصبّاغ، وقد أعدم علنا أمام وزارة الدفاع وبقيت جثته معلقة حتى الساعة التاسعة ..

وصلاح الدين الصبّاغ هو العقيد الرابع الذي يعدم لاشتراكه في معركة ١٩٤١ أما الثلاثة الذين سبق أن أعدموا فهم العقيد الركن كامل شبيب والعقيد الركن فهمي سعيد وعقيد الجو محمود سلمان.

ونفذ حكم الإعدام به بناء على محاكمة ، فقد حوكم أثناء غيابه والحكم الغيابي يكتسب الصفة القطعية بعد مرور ستة أشهر من تاريخ صدوره، ولذلك

صدرت الارادة الملكية بتنفيذ حكم الاعدام فيه ونفذ أمس...
وأشرف على تنفيذ الحكم مدير الشرطة العام ورئيس المجلس العرفي العسكري
والمدعي العام ومدير سجن بغداد وطبيب السجن ، وقامت بالتنفيذ مديرية السجون
وكان المحل محروسا من قبل حرس الجيش والشرطة . .
ووضعت على صدره لوحة فيها اسمه وملخص الحكم الصادر عليه من المجلس
العرفي العسكري والمادة التي حوكم بموجبها وهي ٨٩(1) من قانون العقوبات
البغدادي، وهي تطبق بحق كل من شهر سلاحا بوجه دولة بالاتفاق مع دولة
أخرى...

ثم تناولت الصحيفة تاريخ حياة البطل الشهيد محاولة أن تجد ثغرة لتطعن
البطل، وترفض عبد الاله ونوري والانجليز وعندما عجزت قالت تحت عنوان. . . معتد
بنفسه. . . وكانت التقارير الواردة عنه من انكلترا والهند عن دراسته هناك
جيدة، وقد اكتشف فيه أمر النورة في كمبرلي بانكلترا اعتداده بنفسه وتدخله فيما
لايعنيه، فقال عنه في تقريره: "صفتة الظاهرة ثقته بنفسه واعتداده بها،
واستعداده لابتداء رايه في أي مسألة يجري البحث فيها... ولا ريب في أن هذا هو
الذي قاده الى هذه الخاتمة التعمسة...!!

الفصل الرابع

العدوان الانكليزي على العراق عام ١٩٤١ الحرب العراقية الانكليزية

لقد فرض الانكليز علينا القتال، فوقفنا بوجه العدوان، لنعلن للعالم أجمع، أن الأمة العربية لا تقبل الاستعمار، ولا ترضخ لجور الإنكليز، وترفض تقديم فلسطين العربية للصهاينة.

♦ دور الإنكليز والحالة المعنوية في العراق

♦ قواعد الإنكليز في العراق

♦ من وقائع قتالنا مع الإنكليز

أولاً:

دور الإنكليز

والحالة المعنوية في العراق

للإستعمار أساليب لا يدركها إلا من احتك بالمستعمرين، أو ألمّ ببعض الالمام بالطرق التي ينتهجها الفاتحون لاختضاع قوم لا يمتّون إلى عنصرهم، أو تهيات له فرص الدرس في المعاهد العسكرية العالية الإنكليزية، أو وقف على اسرار بواثر استخباراتهم - فإنه لا بدّ مدرك أن للاستعمار اساليب جاء ذكرها في الآية: «إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة، وكذلك يفعلون»... وكذلك يفعل المستعمرون، من إنكليز وفرنسيين، أو طليان وأسبان، وكل مستعمر على شاكلتهم.

شَاءَ الله أن يبتليني يوماً، فأوقعني بيد جبارٍ كان يكرم مثواي لغرض في نفسه، وهو قادر على قتلي بلحظة، وطلي سجلي من عالم الوجود متى أراد، فلا يسأله عني سائل. وكان قد أطلع على أمري بعد أن ألقى علي القبض وأنا أجوب الفياقي والقفار النائية، وأطارد في سبيل بلادي ولا نصير لي إلا الله.

كنت مستسلماً لمشينة الله عندما جاء يوماً، فعرض على عرضاً، قال إنه لن يعلم بأمره غير الله ورئيس دائرة الإستخبارات في حكومته. فإن قبلت العرض، أنقذت نفسي من الموت، وكسبت متاع الحياة الدنيا وزينتها، وعفا عني الإنكليز وأعوانهم. أما فضائل الأخلاق فافقدها، وأما راحة الضمير فأضيعها، وأما عند الله فأكون ملعوناً إلى الأبد.

سألته: - لماذا وقع اختياركم عليّ لمثل هذه المهمة، وهي لا تتفق مع سمعتي ولا مع

عادتي.

فأجابني: - أأقول هذا وأنت العسكري الذي شغل المناصب العالية؟ ألم تتح لك تلك المناصب أن تعلم بأنك، ومن مائلك أو علاك منصباً وسمعة وجاهاً، هم الذين يجب أن يقع الإختيار عليهم، وهم الذين يُقدّمون على العامة، ويُفضّلون على الصغار الذين لا شأن لهم في

بلادهم ولا مركز، لأنهم يتوصلون بما لهم من جاه وسمعة عند قومهم إلى إعتلاء أسمى المناصب والإختلاط باسمى الطبقات، ويتمكنون من التأثير على رؤوسهم وعلى سواد الشعب. قلت: - ولكن كيف تثق بي؟ وما الذي يضمن لك بقائي على العهد إذا ما أفلتت من قبضتكم، وبلغت مكاناً أميناً فلا تدري أين أنا ولا تسمع من خبري شيئاً؟ قال: - هناك قيود معينة تفرض عليك، فإذا تحديتها أو خرجت عنها لقيت حتفك.

وهنا، مرّ أمام عيني شبح نوري، وتذكرت خطابه في مجلس الأعيان لما اشتدت الأزمة وألح الإنكليز في طلباتهم التي فرضوها، إذ قال: «إني أشعر بدنو أجلي». فتعذر علينا تفسير قوله هذا، ولم نتمكن من الإهتمام إلى الأشخاص الذين كان يخشاهم، فقد كان يعلم أن الجيش بعيد جداً عن التدني لإغتياله أو لفس كرامته بآدي.

ثم مرّ أمامي شبح الأمير عبد الإله، وتذكرت يوم كنا في قصره نحاول تقبيل يده، ومعنا أمين زكي، قبل الذهاب سموه إلى الديوانية، وإكراه رشيد عالي الكيلاني على الاستقالة، إذ قال: - «نحن آل البيت، كتب علينا القتل والتعذيب» فتساعلنا ممن يخاف القتل والتعذيب وهو يعلم أننا من عشيرته وأخوانه؟ لعله كان يخاف الذين قتلوا غازي؟ الله أعلم بذلك.

ولزمت جانب الصمت، وناجيت نفسي قائلاً:

- أهذا ما كتبت علي يارب أن أسمعه وأنا في محنتي.

فأعاد علي السؤال: - «ماذا تقول؟»

قلت: - والله لا أدري ماذا أجيبك الآن.

قال: إذن، أعمل فكرك، وأجمع رأيك وسأراك بعد ثلاثة أيام.

وبعد ثلاثة أيام، كنت هائماً على وجهي، وقد منّ الله علي فأفقت من قبضة الجبار بأعجوبة، ولم يظفر مني بشيء والحمد لله، لأنني كنت صادقاً والصدق أنجي والله يحب الصادقين. وسوف أعود إلى ذكر هذه الحادثة بالتفصيل في كتاباتي القادمة إن شاء الله.

هذا هو الأسلوب الذي اتبعه الإنكليز في العراق، منذ وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حتى الآن وانكسرت أدهى الدول الاستعمارية في هذا المضمار. ولم يتبع الاستعمار هذا الأسلوب إلا بعد أن اصطدم بإياء شعب بكر، عاش تحت راية الإسلام، وأمن بمبادئه السامية متمسكاً ببعض التقاليد والسجايا العربية العريقة، فقد كانت العزة القومية من شيمة أهل العراق، وكانوا يترفعون عن مخالطة الأجنبي الغاصب أو التعاون معه، وكان الأنانيون من

رجال العراق الطامعون بجر المغنم، لا يجروون على مد أيديهم للمستعمر، بالرغم من العطاء الذي بذله لهم، والسلطان الذي أغراهم به ليستميلهم، وليسيطر بواسطتهم على بني قومهم.

إذ ما كاد عمال الانكليز وصنائعهم يندمجون في صفوف الزمر الوطنية، إثر تتويج فيصل الأول (المنكوب من الفرنسيين والانكليز) ملكاً على العراق، حتى رأينا الشقاق والنفاق يدبّان في صفوفهم، وإذا بهم يتسابقون إلى خطب ودّ الانكليز، فمن فاز بودهم كان المبرز في حلبة السباق.

وما كاد الانكليز يرمون لعمالهم وصنائعهم بالعظام الفارغة، وبفتات المائدة التي احتوتها المعاهدة العراقية الانكليزية، حتى رأينا الأخ يكيّد لأخيه (١) ويريد به شراً، فساعت نوايا المسؤولين، واستسلموا للأثمانية والغواية، فطاب المقام للانكليز، ونالوا المديح والإكرام.

ودامت الحال على ذلك حتى دهمتنا الحرب الحاضرة، فإذا من بالعراق من رجال مدنيين أو عسكريين، قد شغلهم التناحر والتباغض، وتوكأ معظمهم على الانكليز. وإذا بأساطين الرتل الخامس، قد اختزنوا الملك الطفل في البلاط، وأنبتوا في الوزارات ودوائر الدولة، وتوزعوا في صفوف الجيش والمدارس وفي أنحاء البلاد. وأغلب هؤلاء اعتلوا المناصب بتعاونهم مع الغاصب.

أما الطبقة الوسطى والعامّة من أفراد الشعب، والبقية الباقية من زعماء الثورة العراقية، فقد كانوا هم المواطنين، لذلك، تنكر لهم القائمون على الحكم، ونفر منهم أولو الأمر في الجيش، وكانوا يرمقون الحكومة والجيش بنظرات التهكم لأنه جيش الشريف فيصل، وما فيصل وحكومته وجيشه إلا آلات مسيرة يديرها الأجنبي كيف ومتى شاء، شأن الراجات في المستعمرات.

فلما كانت واقعة الأشوريين، وقفت الحكومة موقفاً حازماً، وتصرفت كما تتصرف الحكومات المستقلة فأوقفت الأجنبي عند حده، لأن الحكم كان بيد حكمت سليمان ورشيد عالي الكيلاني وياسين الهاشمي، ولو كان الحكم بيد نوري وأمثاله، لما استطاعوا أن يقفوا موقفاً مثله. فلما أحرز الجيش النصر على الطامعين ببلاده، تعلقت به القلوب واطمأنت إليه النفوس، ثم أقبل الشعب على الجيش بكليته بعد أن قتل بكر صدقي، فأولاه ثقته وأناط إليه أمر رعايته. فقد أدرك الشعب أن الجيش وحده هو موضع الثقة في الملمات، وأيقن أنه هو الراعي الذي يصدّ العابثين بأمور البلاد، ويقف بوجه تصرفاتهم الديكتاتورية.

(١) كما كاد توفيق السويدي صنيعة الانكليز لأخيه ناجي عدو الانكليز.

والحكم في العراق دستوري ديموقراطي في ظاهره، وهذا ما يراه الزائر الأجنبي في المراسيم والتشريفات، وما يقرأه القارئ في بطون القوانين. إلا أن واقع الحكم وتطبيقه، في العراق، ديكتاتوري على أبشع صورة. حكم استبدادي قائم على الحزبات الشخصية، والتناحر لإشباع الأنانية عن طريق خدمة المصالح الأجنبية. أما المجالس النيابية في العراق، فما هي إلا نماذج عن المجالس التي كانت في عهد السلطان عبد الحميد، ليس لها سلطة ولا رأي ولا حرية.

وهكذا أصبح تشريع البلاد العوبة بيد القائمين على دفة الحكم وممثلي السلطة العليا، والسلطة العليا، نفسها، آلة بيد الانكليز وصنائعهم، والويل لمن يخالفهم.

لكن الجيش خالفهم مرتين، وتغلب عليهم، فقلّم أظافرهم مرتين. وهبّ الجيش إلى إطلاق الحرية، فكان على الانكليز أن يتدخلوا في المرة الثانية، ليحتضنوا مواليهم وعبيدهم علناً، فيخرج الجيش صفر اليدين أمام الأكثرية. فالذين مارسوا الحكم في البلاد، ونالوا الجاه والسلطان برعاية الانكليز وحضانتهم، كانوا هم الأكثرية المعروفة في الأوساط السياسية، وما جرى تطبيق المعاهدة البريطانية (نصاً وروحاً) كما يريد الانكليز، إلا بفضل تلك الأكثرية، وقلة عدد الوطنيين في صفوف المسؤولين السياسيين والعسكريين.

ثانياً:

قواعد الإنكليز في العراق

اتخذ الإنكليز في العراق معسكرين، الأول في سن الذبان، والثاني في الشعيبة، ولا تنحصر أهمية هذين المعسكرين، من الوجهة السوقية، بتأمين خطوط المواصلات الإمبراطورية في حالة وقوع إعتداء من خارج العراق فحسب، بل هما بمثابة سهمين صوباً على عقدة الأعصاب لشل أية محاولة عدائية قد تبدر من داخل العراق. وهذان المعسكران طعتان دامتان مزمنتان في صنم كل ضابط يغار على كرامة قومه، ويطمح إلى استقلال ناجز غير مزيف، ويتطلع إلى تكوين جيش قوي يحمي حمى البلاد بنفسه لا بمعونة غيره.

لما أعلنت الحرب الحاضرة، كان الجيش العراقي يفتقر إلى خطة للحركات (أي خطط الحرب) يبنى عليها تنظيمه ووضعه وتسليحه وتدريبه، ويقرر على ضوءها كيفية الدفاع عن تخومه، أما خطة الحركات التي كان قد وضعها قائدي وأستاذي العميد الركن طه الهاشمي لما كان رئيساً لأركان الجيش عام ١٩٣٣، فقد مضى عهد تطبيقها، ولم تعد تتفق مع الموقف العام سنة ١٩٣٩، ولا مع حالة الجيش العراقي. وكان أساس تلك الخطة أن يقوم الجيش العراقي بمهمة الستار والمشاغلة لكسب الوقت ريثما ترد النجندات البريطانية من وراء البحار، لكنها لا تشير إلى أكثر من ذلك، أي أنها ليست شاملة الأطراف. وقد تعذر ذلك على واضع الخطة، وأشار إلى هذا الوضع الشاذ قائلاً أنه يجهل مقدار المساعدة التي يقدمها الجيش البريطاني وأوانها. وكان الجيش العراقي آنذاك، مؤلفاً من أفواج وكتائب لا يزيد عددها على عشرين ألفاً بين ضابط وجندي.

أما وقد شغلت منصب معاون رئيس أركان الجيش العراقي، وأنا ذلك الضابط الذي يدمى قلبه كلما رأى طائرات الإنكليز تحلق في سماءه، ومصفحاتهم تصول وتجول في أرضه، والعلم البريطاني يرفرف على مطاراتهم ومعسكراتهم الفخمة، يقولون جميعاً، للأجانب الذين يزورون بلادي، إن الهيمنة لهم والسطوة بيدهم، وأن استقلال العراق وغرور جيشه وكرامة شعبه وعزة ملكه أو وصيه ومن يليهما، ما هي إلا مظاهر مزيفة، فقد كان علي، وأنا أعد خطة الحركات، أن أحاول استغلال الفرصة التي سنحت بقيام الحرب الحاضرة لأسد هذا الفراغ،

وأضعا نصب عيني الدفاع عن العراق ضد كل أجنبي طامع، ولم أستثن الأنكليز من حسابي، بل أدخلتهم أيضاً ولم أجعل الدفاع مقتصرأً عن تخوم العراق الشرقية والشمالية فحسب، بل شاملاً الدفاع عن الغرب والجنوب أيضاً ضد الأنكليز والفرنسيين، وشلاً الهيمنة السوقية لمعسكري سن الذبان والشعبية في أي وقت تسوّل للإنكليز أنفسهم أن يغدروا بالعراق ويعتدوا على حقوقه المشروعة.

لذلك، قمت بجولة استطلاعية بالسيارة والطيارة استغرقت مدة من الزمن، يرافقني رئيس ركن القوة الجوية المقدم الركن سامي فتاح، وضابط ركن قسم النفير في شعبة الحركات الرئيس الأول الركن محمود الدرة. وتوصلت بعد هذه الجولة إلى وضع خطة مفصلة للحركات، صادق عليها رئيس أركان الجيش الفريق الركن حسين فوزي، ووزير الدفاع العميد الركن طه الهاشمي، وشملت الخطة ملاحق سار عليها الجيش في وضعه وتنظيمه، وتوسيعه وتسليحه وتدريبه وتحكيمه. وعيّنت المناطق التي يجب تحكيمها بمعاقل من الإسمنت وأرصدت المبالغ لها.

فلما علم رئيس البعثة البريطانية بتحكيم تخوم العراق الشرقية، أهتم بالأمر وربت على كتفي مادحاً عملي، وكيف لا يهتم الجنرال وترهاوز بهذا الأمر وقد انقلبت روسيا على بريطانيا وحالفت المانيا، وعادت البعثة البريطانية من روسيا تجر أذبال الخيبة والفشل. واستدعى الجنرال وترهاوز ضابطين من مهندسي الجيش البريطاني المدافع عن طبرق، في طرابلس الغرب، وبقياً شهراً واحداً، شيذاً خلاله معقلاً نموذجياً مماثلاً للمعاقل التي شيدها في قلعة طبرق.

واستمر العمل دون انقطاع، حتى غدر الإنكليز بنا، وبذلك قضوا على أحد ملاحق الخطة كنت قد كتتمته عنهم وعن كل إنسان، أعدته واحتفظت به، ثم مزقته يوم غادرت بغداد وهو قسم من ملحقات التحكيمات خاص بتحكيم الفاو، وضفتي شط العرب، وهور عبد الله، ومنطقة الزبير، وصندر أبو غريب، والفلوجة، وصدر السرية، والرمادي، والرطبة، والحديثة، وبيجي، وبغداد، وغيرها من المواقع على دجلة والفرات.

وكننت أترقب وصول الجيشين الألماني والإيطالي أبواب الإسكندرية مهددين الشرق العربي، لأنه كان السبيل الوحيد لإقناع الإنكليز بضرورة تحكيم الناحية الغربية من العراق، متعللاً باحتمال تدفق السيل الألماني والموالين للألمان من جيش حكومة فيشي في سورية. اذاً لوافق الإنكليز على ذلك بطيب خاطر ولما ساورهم الشك فيما أرمي إليه من وراء تحكيم الناحية الغربية من العراق. ولكن شاء الله أن لا أكون في العراق لما سنحت تلك الفرصة

المرتقبة.

ولو أقيمت التحكيمات في نواحي العراق الغربية، لما أقدم الإنكليز على الإعتداء على العراق، ولما تجرأوا على ضرب بنود المعاهدة عرض الحائط. فلا يجدون بداً من ابدال المعاهدة القائمة بمعاهدة الند للند، ولعاهدونا على انقاذ سورية من الفرنسيين وانقاذ فلسطين من الصهيونيين. ولو فعل الإنكليز ذلك، لكسبوا تأييد العراق وجيشه وتأييد البلاد العربية جمعاء، ولدامت عليهم الفوائد التي يجنونها، وأهمها حماية خطط مواصلاتهم، ولزمت البلاد العربية جانبهم وهي موحدة قوية ناجزة الإستقلال.

ليت هذه الحرب وقعت عام ١٩٤٥ لا عام ١٩٣٩، ليتها وقعت بعد أن تنجز الخطط ويتسلح الجيش، ويتسلح أحرار العرب في العراق، اذن لرأينا الإنكليز يخطبون ود العرب راغمين. ولتحررت سورية وفلسطين نون تغب أو نصب، ولأصبحنا على وفاق مع الإنكليز وتقابلت مصالحنا، ولما علا ضجيج الإنتهازيين والأذئاب، ولما كان للخصام باب .

لكن أنى للإنكليز أن يدركوا، وعقليتهم تراجع الغابر وتتمسك بالحاضر. ولو كنت انكليزيا أنظر بمنظارهم لفعلت ما فعلوا، لكني عربي لا أفعل إلا ما يفعله كل عربي .

ثالثاً:

من وقائع قتالنا مع الإنكليز

لقد فرض الإنكليز علينا الحرب فرضاً لأنهم كانوا يريدون توجيه سياسة العراق وفق مصالحهم الإستعمارية متجاوزين نصوص المعاهدة الانكليزية - العراقية، وما قصدنا قتالهم أو الاشتباك معهم، ولكنهم بدأوا بقتالنا، فكان لابد لنا من الدفاع عن شرفنا ووطننا، وكان من عوامل اخفاقنا:

١- مخالفة فهمي سعيد لأوامري الصادرة إليه. فهو بدلاً من أن يمسك رأس جسر الفلوجة وصدر السرية والرمادي، ذهب من تلقاء نفسه، واشغل التلؤل التي تحيط بسن الذبان قبل أن يحاربنا الانكليز بيومين. وكان ما قام به هذا الأخ خطأ سوكياً فاحشاً قلب خططي التي كان علي أن أتخذها رأساً على عقب، وألجائي إلى اتخاذ تدابير ثانوية، ولكن استحال علي أن أعيد ما كان متصوراً بهذه التدابير الثانوية. (يشهد بذلك كامل شبيب والرئيس الأول الركن نعمان الأعظمي. وقد كتبت أوامر بهذه الصدد).

٢- بعد أن اعتدى الانكليز علينا وقصفوا قطعائنا بيوم واحد (أي يوم السبت)، طلبت من فهمي بإلحاح أن يهاجم سن الذبان فوراً وفي تلك الليلة بالذات، قبل أن تتكاثر نجدات الانكليز وأسلحتهم، وهي ترد عليهم بالطائرات. وكانت نسبة قوة فهمي إلى قوة الانكليز عشرة إلى واحد، ما عدا الطائرات. أما نسبة المدفعية فكانت واحداً إلى صفر.

لكن فهمي أجل هجومه يوماً بعد يوم حتى هجم الانكليز أخيراً بفوج واحد تجاه عشرة فغلبوا قوات فهمي لأنه أهمل الوصايا التي أصدرتها بشأن اتخاذ تدابير الدفاع وتوزيع القطعات عندما كان يحاصر سن الذبان.

٣- سقطت الفلوجة بيد مئتي جندي آشوري، أنزلوا بواسطة الطائرات في الحصوة شرقها. بينما كانت الأوامر صريحة بضرورة مراقبة هذه المنطقة بدوريات ثانية لمنع

مثل هذه الحركة. لكن أمر اللواء وضباطه أهملوا ذلك خيانة منهم، وكان عددهم أكثر من ١٥٠٠ لما استسلموا لمئتي جندي، وكانوا متحصنين بالخنادق، وكان سلاحهم أقوى من سلاح العدو.

٤- كانت خطة الزعيم اسماعيل حقي في استرداد الفلوجة خاطئة، كما أن القوة لم تكن كافية فضلاً عن ضعف المعنويات. فالهجوم على الفلوجة، كان يجب أن يتم بقوة لا تقل عن ثلاثة أفواج بالإضافة إلى القطعات السيارة الأخرى وبطارية مدفعية ملحقة بها، كان يجب أن يجري الهجوم على الفلوجة بالمشاة من جنوب البلدة بمحاذاة النهر، لا من شرقها، وبفوج واحد يستولي على الهدف الأول وهو الجسر والقسم من البناء الواقع جنوب الشارع المؤدي إلى الجسر، بينما تقوم سرية الخيالة والدبابات بمشاغلة القطعات المخدقة شرق البلدة وشمالها ومنعها من الافلات إلى الشمال. وبعد أن يستولي الفوج الأول على الهدف، يتخلله فوج آخر فيستولي على الهدف الثاني بينما يحصن الهدف الأول. ويبقى دائماً فوج للاحتياط. لكن هيئة ركن الزعيم، كانت تتأخر في إرسال صور من أوامرها لأطلع عليها، وتتصل برئاسة أركان الجيش (دون أن يكون لها الحق) وتهملني. ولقد كتبت إلى اسماعيل ولفت نظره إلى ذلك إلا أن هيئة الركن استمرت على خطتها، وأظنها كانت تقصد الوقعة بيني وبين اسماعيل وهو أقدم مني رتبة، إذ أن الرئيس الركن عباس يميل إلى الانكليز.

ومع أن القطعات العراقية تمكنت من دخول الفلوجة بالفعل، إلا أن الاستيلاء على المدينة فشل لسببين:

(١) لعدم وجود احتياط

(٢) لتضعف المعنويات من طائرات الأعداء، ولعدم وجود طائرات تساند قطعائنا.

٥- طلب التوسط بالمشاركة.

٦- الموقف السلبي الذي وقفه كل من سعيد يحيى الخياط وكامل شبيب.

٧- انهيار المعنويات تماماً، وعدم إطاعة الأوامر، وخيانة الفوج (..)، وعدم موافقة الضباط على قيادة الفرق.

ملحق رقم -١٩-

١- لماذا لم نواصل القتال ضد الانكليز؟

في فمي ماء، وهل ينطق من في فيه ماء؟ لست بقادر والله أن آتي على ذكر أسباب ذلك الآن، وعلي أن أختار السكوت لأن مصلحة أمتي وسمعة جيشي الذي أحبه يقضيان علي ذلك. ولن أحميد عن هذا الموقف في الوقت الحاضر ولو قطعت إرباً إرباً.

ولكن إذا مد الله في عمري إلى ما بعد هذه الحرب، أعلنت الحقيقة على الملأ، فقليل من اخواني يلمون بها؟ لذلك أسأل الله أن يظهرها وأن لا تدفن مع أصحابها في أعماق القبور. وليؤكد كل عربي إنني واخواني ضحينا في سبيل الوطن بكل عزيز لدينا، بمالنا وبأنفسنا وبسمعتنا، وتلك تضحية قلما يوثق التاريخ مثيلاً لأحد.

٢- هل عادت الحرب بيننا وبين الانكليز علي البلاد بالنفع أم بالضرر؟

ليس من المعقول أن يبدأ الحمل بالهجوم على الذئب، ومن يصدق ذلك كان مغرضاً أو عديم الإيمان. وعلى الرغم من أننا لم نبدأ الحزب. فإن وقوفنا بوجه العدوان الانكليزي أعلن للعالم أجمع أن الأمة العربية لا تقبل الاستعمار، ولا ترسخ لجور الانكليز، ولا توافق على الصهيونية في فلسطين، لقد أعلننا على رؤوس الاشهاد أن العربي لا ينسى الثأر ولو انتقل إلى الأجيال القادمة، إلا إذا نال مهر الدم وحاز الاستقلال. وقديماً قيل:

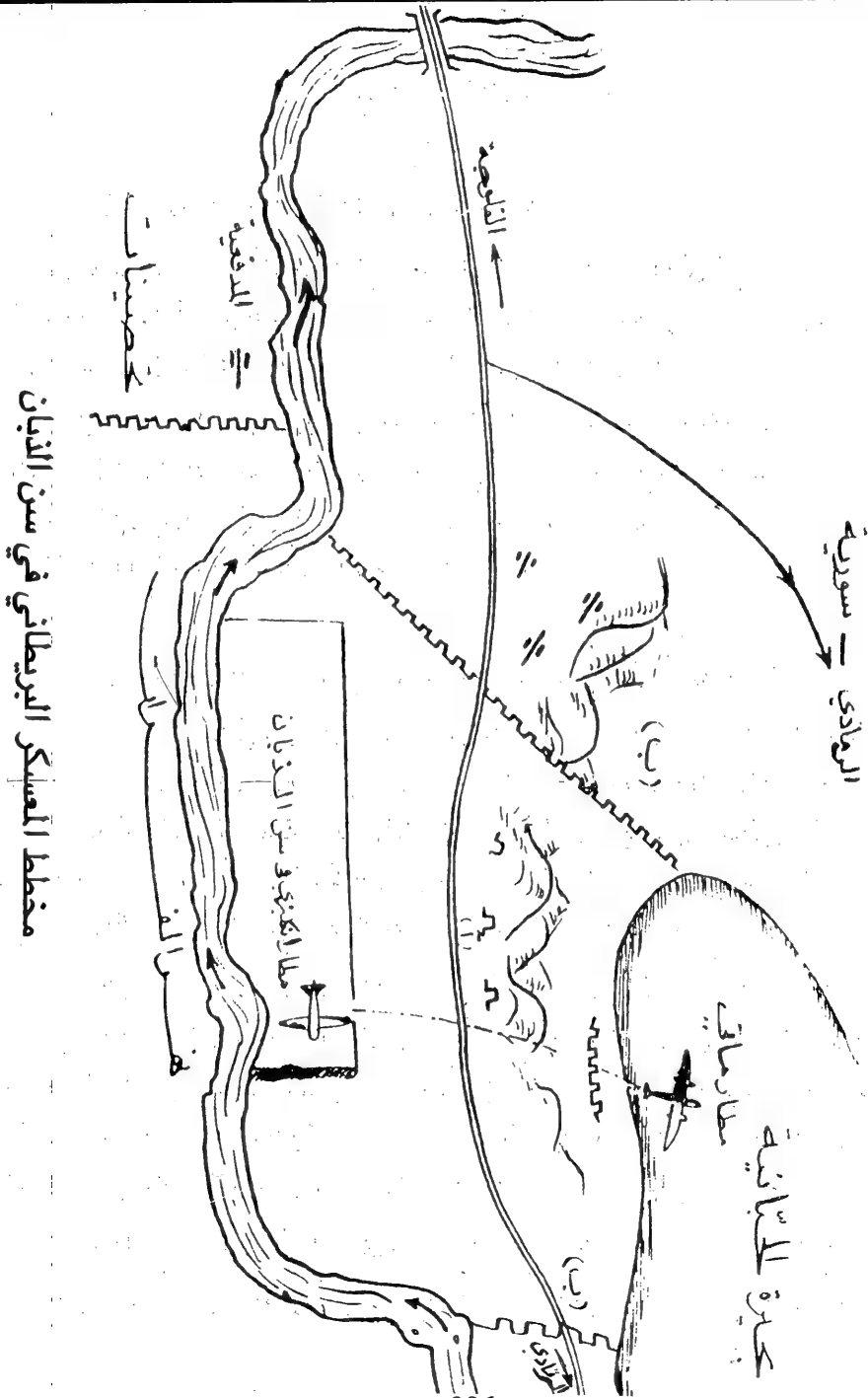
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

فإذا انتصر الانكليز في هذه الحرب لا نصرهم الله، وإذا تصرفوا تصرفاً عاقلاً حكيماً فمناحوا الأمة العربية بعض الامتيازات وقليلاً من الحقوق البشرية، فهم إنما سيفعلون ذلك متأثرين بنتائج الحرب العراقية - الانكليزية. لأن الدول الضعيفة تأخذ الاستقلال بالمطالبة والنضال، فهي كالطفل الرضيع لا يعطى لبناً إلا إذا بكى.

وإني لعلى يقين أن سياسة نوري وأمثاله والذين سيخلقهم الاستعمار من بعده

- وهي والله خيانة وطنية عظمى لا سياسة - تتلخص بالسير في ركاب الانكليز إلى

الأبد.



كيف حصل الابن على مذكرات أبيه

قصة المذكرات التي دونها الشهيد

ذهبت الى سوريا حيث عرفت من أخي ربيعة ماقاله أبي عن الأوراق التي أعطاهها لرجل الدرك السوري.. وكنت أعرف أن من عادة أبي أن يكتب آرائه في الكثير من المشاكل التي يصادفها في حياته.. أدركت أنه كتب مذكرات سياسية.. وأن هذه المذكرات على جانب كبير من الأهمية.. وأخذت أفتش عن رجل الدرك حتى عرفت.. وعرفت منه أنه سلم الأوراق الى رئيسه... وذهبت الى رئيسه فقال أنه سلمها الى ضابطه.. والضابط سلمها الى رئيسه..

وظلت الأوراق تنتقل من يد الى أخرى حتى وصلت الى السيد احسان الشريف محافظ حلب.. فذهبت اليه.. وكانت المفاجأة..

صحيح أن هذه الأوراق وصلت اليه، ولكنه لم يدرك ماتحويه.. ألقاها جانباً ثم أخذها معه الى دمشق وتركها في بيته..

وذهبت الى دمشق وحصلت على هذه الأوراق..

كانت مذكرات سياسية خطيرة..

وفيها يكشف الستار عن مؤامرة الانجليز وأذنابهم في العراق..

أبي لم يعدم ولكنهم قتلوه

بقيت كلمة واحدة أقولها..

أبي لم يعدم.. ولكنهم قتلوه..

لقد حكموا عليه بالاعدام غيابياً.. وكان مفروضاً بعد أن قبضوا عليه

رفضوا اجابة رغبته.. حرموه من ان يراني.. وحرمني حتى من ان
القي عليه نظرة اخيرة..

نزار الصبياح



صلاح الدين الصَّبَاغ معلماً في كلية الأركان العراقية عام ١٩٣٥.

[illegible]

صورة نادرة لليثاق القومي العربي بخط يد البطل العربي صلاح الدين الصباغ

الفصل الخامس

الخاتمة

- ♦ ليلة النجاة .
- ♦ رسالة إلى حمدي الباجه جي .
- ♦ العدل التركي - دفاع الضابط العراقي
- صلاح الدين الصباغ .
- ♦ إلى أولادي .

❖ أخي فهمي: يا صديقي الذي لا يفوته في الاخلاص صديق، سمعت أمس من الإذاعة أن نوري شنقك أنت ويونس السبعراوي ومحمود سلمان .. وأنكم الآن تحت الثرى، وقد لا يعرف لكم قدر أو قبر.

لا أدري كيف أنعيك يا فهمي، وكيف أشيد بك وأمجد أعمالك العظيمة، وأنت الذي ضحيت بمالك ونفسك في سبيل بلادك، واهملت نفسك وأطفالك الذين أصبحوا الآن بلا أم ولا أب، بلا إرث ولا دار.

أخي فهمي: لا أدري هل بكاك أحد غيري، وأنت وحيد بلا أخ ولا أم ولا عم ولا خال، وحيد كما كانت خصالك وشجاعتك ونزاهتك.

هل كان لنوري وغازي وعبد الإله وآلهم دار أو قرار في العراق لولاك يا فهمي؟ وأنت اشجع اخوانك وأصلبهم في مقاومة بكر صدقي. لقد كان جزاؤك من الذين أعدت لهم الملك والجاه والعقار، جزاء سنمار.

هل مر بخيالك، وأنت واقف على المشنقة، شبخ نوري، فتذكرت قولك وكررت: «سوف تقع الفأس على هذه الرأس، على رؤوسنا ياباشا .. خطية والله خطية وأنتم دائماً على ساحل السلامة ياباشا. رؤوسنا ياباشا .. خطية والله خطية».

عليك رحمة الله يا أبا يعرب .. عليكم رحمة الله يا يونس ويا محمود. وعزاء للعرب وللعراق، طوبى لكم أيها الشهداء، فهذا هو المصير الذي وضعناه نصب أعيننا، وعزائي أنكم استشهدتم في سبيل بلادكم. وليعيش الباشا وأحفاد الباشا وأمثاله على جماجمكم وزرعكم، كما عاش اسلافهم من قبل على جماجم وزرع أجدادكم.

لقد عاجلك نوري بالشنق ليسكت صوتك يا فهمي، وليطمر معك ماتعلم من أسرارته. وهو يطلب من الأتراك الآن بإلحاح إعادتي إلى العراق ليلحقني بك وبإخواني وإخوانك، إذ لم يبق على قيد الحياة من يعلم بأمره وأمره سوى.

لقد أرسل نوري للأتراك إضبارة الحكم بالإعدام الصادرة عليّ، وهي مليئة بالكاذيب المنافقين من شهود الزور، وطالب بإعادتي إلى العراق لتنفيذ حكم الإعدام بحقي. لكن طلبه رفض لأن قانون الجزاء التركي يعتبرني مذنباً سياسياً. ثم أعاد نوري طلبه فرفض من جديد.

والله لست سياسياً، ولست بالمذنب السياسي. لكنني مذنب لأنني وطني، وكفى ذنباً أن أكون وطنياً، لأنها في شريعتهم أكبر الذنوب وأقبح العيوب .

أولاً:

ليلة النجاة

يمتد مجال الرؤية بعيداً عن الثلوج التي تغطي أديم الأرض متراً أو أكثر، فتعكس أشعة النجوم المتلألئة بعد أن ودعها القمر، وأنا وصاحبي نغذّ في سيرنا مجدّين، ننتزع من الثلوج ساقاً طمست إلى ما فوق الركبة، فتغور فيها الساق الثانية، والعرق يتصبّب منّا بالرغم من نسيم الليل وبرده القارس، وإتجهنا نحو هضبة عريضة على نجد من الجبال الواقعة على الحدود الإيرانية التركية بين بلدي (ماكو) الإيرانية و(بايزيد) التركية.

وقف صاحبي رضا قولي على حين غرة، وأشار بيده ثم قال همساً:

— وصلنا والحمد لله، هو ذا المخفر، ألا تراه؟ قلت:

لا —

قال: قف مكانك، وسأذهب وحدي ثم أعود.

وتقدم عدة خطوات ثم أطلق من فمه ثلاث صفرات متتابعة، فجاء صوت يقول بالتركية:

قف، من هناك؟

فتثبتت عندئذ من موقع المخفر الذي كانت الثلوج تطمره، وسرت في جسمي قشعريرة من وقع هذا الإيعاز التركي، فقد أحيا ذكريات مضت عليها إثنتان وعشرون سنة، يوم كنت ضابطاً في الجيش العثماني، (الذي انفصلت عنه وأنا في التاسعة عشرة من العمر مستهدفاً إنقاذ العروبة من براثن الإستعمار الغربي). وتمثل أمامي شبح فهمي، ونحن الإثنين نحارب الإنكليز في الحرب العالمية الأولى، ثم ونحن نحارب الفرنسيين في موقعة ميسلون بسوريا. وأخيراً ونحن نحارب الإنكليز مرة أخرى لما اعتدوا علينا في العراق.

بركت وأنا خائر القوى، واستندت على الثلوج، ثم شخصت ببصري نحو المخفر، وقلت محدثاً نفسي وأنا أهز رأسي (آه.. تركيا بعد سبعة شهور من المشاق.. ترى هل نجوت؟ لقد نفذت طاقتي والله، وإني لأشعر بالتعب. لك الحمد يا ربي والشكر. ترى ماذا حل بإخواني الذين بقوا في طهران؟). ثم غاد صاحبي بعد دقائق وقال:

- هيا بنا إلى المخفر.

يتألف المخفر من قاعتين شيدتا بالطين والحجر، وسقفتا بجنوع الشجر، وكانت القاعة التي إنتظرت فيها مهمة بلا أثاث، قد أقيم في أحد جدرانها موقد كان يحرق آخر ماتبقى فيه من روث الحيوانات الذي يتخذ في هذه النواحي وقوداً لخلوها من الغابات والأشجار. اظن أن القاعة خصصت لمقابلة من هم على شاكليتي ولمراجعة القرويين المجاورين للمخفر.

وخلعت نعليّ اللذين ألتفتتهما الثلوج، وحاولت نزع جوربي المصطبغين بالدم والقيح من أصابع قدمي المتورمة المزرقّة، وبينما كنت أصلي، دخل القاعة العريف حسن ونائب عريف رضا قولي، وكان بيتسم برفق، قال :

- أهلاً بك ، وحمداً لله على سلامتك، هل لي أن أعلم باسم حضرتك؟

فأجبتّه: - يعز علي أن لأجيبك على سؤالك، لكنني سأجيب أمريك أو قائد الحدود. إنني أخشى محذوراً إذا أفضيت لك باسمي وأمري، ولكن لك أن تعلم أنني لاجيء أرجو منك قبولي، وأنني مسلم، وأنني كنت ضابطاً في جيشكم في الحرب العالمية الأولى. وقد تعلم من قادتك غداً من أنا إذا سهل الله وإلتقيت بهم، فهل يرضيك رجائي هذا؟

قال : - سمعاً وطاعة، ولك ياسيدي ماتريد .

هكذا كان العريف حسن لطيفاً رقيقاً منذ إلتقينا حتى افترقنا. وبقي، هو ومن معه، لا يعرفون هويتي ولا حقيقة أمري، وقد كتمت عنهم ذلك لثلاثة أسباب:

الأول - لخشيتي من تعليمات معينة تمنع دخولي تركيا وإلتجاء إليها، نظراً لإتفاق تركيا مع الإنكليز وأنا ممن حاربوا الإنكليز.

الثاني - ليهتم رجال الحامية بأمري، فيعجلوا بإرسالني إلى قوادهم بصورة أمينة.

الثالث - لعلمي بأن العربي ممقوت عند الأتراك، والإيرانيين، بل عند أمم الأرض كافة، وإننا لمستحقون مقت الشعوب مادامنا خاضعين للمستعمرين وأذنابهم.

وقد لفتت حالي نظر العريف حسن، وكانت موضع عنايته، فقد كان وجهي محترقاً وشفتاي متورمتين وقدماي داميتين، فرجاني أن أرافقه إلى قاعة الجنود ففعلت، وقوبلت هناك بوجوه باشة مرحبة، وانهاالت علي التهاني بينما كان العريف حسن ينزع جوربي، ويغسل قدمي بالماء الحار، ثم يعد لي طعاماً ويحسن وفادتي. وجعلت أقص عليهم من قصص الجندية والمواقع الحربية الصغرى ما طاب لهم، فكانوا يصغون إلي بآداب واحترام حتى كاد يخيل إلي،

وأنا أحدهم، بأنني لست بالرجل الدخيل، بل ذلك الضابط الذي يخاطب أمثال هؤلاء الجنود في الحرب العالمية الماضية، وهم الذين تفاخر بهم تركيا لما هو معروف عنهم من طاعة للرؤساء وصبر على المكاره.

فلما دونت في مذكرتي العبارة التالية: (وصلت المخفر التركي في قطاع قيزيل ديزه في الساعة ٢٣.٤٥ من ليلة ٢/٣ نيسان عام ١٩٤٢ ميلادية، أو ربيع الأول ١٣٥٨ هجرية، وهي ليلة من توكل على الله وصبر) تذكرت حقيقة مكانتي ومكانة أمتي بين الأمم، فلزمت الصمت فوراً، وهذه ظاهرة نفسية تعاودني كلما ناقشت رجلاً من أمة حرة مستقلة. واستأذنت للنوم، فأجابوا بصوت واحد «عم مساءً» ثم أغمضت عيني في فراش العريف حسن الذي أعده لي، وأنا أقارن بين هؤلاء الجنود الذين يحرسون بحق حدود بلادهم المستقلة، وبين بعض الجنود في الأقطار العربية - إن صحت فيهم هذه الصفة - تلك الجموع المرتزقة من الضباط الذين نشأوا على يد أسيادهم الانكليز والفرنسيين والطيالان والإسبان، مثل الذين استسلموا مع وحداتهم عن رضى وطوع، لحفنة من العلوج في الفلوجة والحبانية دون إطلاق رصاصة، وانحازوا إلى جانبهم وهم مسلحون بالمدافع والرشاشات والبنادق والطائرات. أولئك الذين فتحوا أبواب البلاد للأجنبي، ووافقوا على أن يصبحوا حراساً لمواصلاته ومدآخره مقابل رتب كاذبة و أوسمة زائفة ودراهم معدودة. أولئك الذين يسرحون الآن ويمرحون، متفاخرين لأنهم حلفاء للأجانب وأعوان لهم، متباهين لأنهم يتآمرون على بني جلدتهم، فرحين لأنهم ينكون بأحرار البلاد، ويقدمونهم إلى المشانق. أولئك الذين اعتنقوا مذهب لبيك يا أباحنيك، لبيك يا بيبك، لبيك يا وترهاون، لبيك أيها الانكليزي، لبيك أيها الفرنسي، لبيك أيها الايطالي، لبيك أيها الأسباني، سواء في شرقي الأردن أو العراق أو مصر أو سورية أو المغرب العربي.

يستكين العرب لهذا الذل والعار، وعددهم يربو على أربعة أمثال عدد الأتراك، وهم لا يملكون من أمرهم شيئاً، وليس لهم عشر معشار ما لتركيا من المكانة والاعتبار. فكيف أفاخر وأكابر، وكيف أقول إن بلادنا حرة مستقلة؟ وهل تحق للوكننا وأمراننا ألقابهم. أم لمالكهم وإماراتهم هذا المفهوم، أم لمجالسهم هذه الصفة؟ وهل ينطبق على جيوشهم معنى الجندية وهي التي تدعم وتحرس المصالح الأجنبية، وتحافظ على القيود الاستعمارية، وهم وحاشيتهم ومجالسهم وجيوشهم أسود جيابرة على بني قومهم، وصعاليك مماليك للأجانب.

استيقظت في الساعة التاسعة وأنا أشعر بشيء من الراحة والنشاط، وكانت أشعة الشمس تأتي من نوافذ القاعة التي لم يبق فيها أحد غيري. فقد تسلل الجنود إلى واجباتهم لئلا يثيروا ضجة متفادين إزعاجي. وما كدت اعتدل في الفراش حتى دخل العريف حسن

ومعه عريف آخر، على ذراعه شارة مذهبة لا تشبه شارة العريف حسن. فعلمت أن هذا العريف الجديد ضابط صف أقدم متخرج من مدرسة ضباط الصف، وله من الامتيازات ما ليس للعريف حسن وأمثاله المتدرجين إلى رتبهم من الوحدات، كما هي الحال في الجيش العراقي.

- عم صباحاً، أقدم لك عريف مخفرنا، العريف الأقدم السيد مصطفى، كان غائباً في بعض واجبه فلم تراه عند قدومك، وحضر بعد منتصف الليل وأنت نائم.

كان العريف مصطفى لا يقل عن رفيقه أدباً وتواضعاً على الرغم من مظهره الرزين الذي يمارس به السيطرة على جنوده. فلما شرعت بتناول طعام الفطور أخذ العريف مصطفى يستجوبني بلباقة وأسلوب أعجبني صوغه للإطلاع على أمري وما أحمل معي. وراح يدون أجوبتي التي أدليت بها للعريف حسن من قبل، بخط لاتيني واضح. ثم أخرجت من حقيبتي كل ما أملك من ملابس ودراهم فوضعتها أمامه قائلاً: - لقد وضعت في هذه الحقيبة كل ما أملك من حطام الدنيا أما الملابس التي أردتها الآن، فسأخلعها واعطيها إلى صاحبي رضا قولي.

كانت ملابسني، الرثة البالية، هدية عظيمة لذلك القروي الفقير رث الثياب رضا قولي لما ودعته، فتقبلها ولسانه يلهج بالشكر. وما كان أكبره وهو يحاول أن يرفض عشرة تومانات، كانت آخر ما تبقى عندي من العملة الإيرانية، وهو يقول: - لا ياسيدي، ليس لي أن أخذ هذه الدراهم لأنها تنفلك، وما أجري عند الله إذا أخذتها منك مقابل عملي؟ أنا لم أفعل إلا ما أمرني به الدين، والحمد لله على الاسلام.

وأخذ يقبل يدي، ثم انحنى ليقبل قدمي طالباً العفو لأنه فقير لا يملك ما يقدمه لغذائي وعشائي لما كنت في داره غير الخبز والسمن. صافحت هذا النبيل المتلهف لكسب رضى الله مودعاً، فشيّعني بنظرات العطف والود مشفوعة بأدعيته لي بالسلامة والتوفيق، ورددت كلماته بعينها: «الحمد لله على الاسلام».

ولكن مهلاً يارضا قولي ... أترك محافظاً على هذه السجايا، متلهفاً لرضى الله لو أتاحت لك التربية العصرية أن تتخرج من إحدى المدارس الانكليزية أو الفاشية أو البلشفية أو النازية، وأن تتخلق بأخلاق المدنية والثقافة العصرية؟ أم نابذاً اسم الله ورضاه من بيتك، لتصبح ذنباً أكلاً لحوم البشر وهو في ثياب إنسان وعبداً للآلة والدينار؟

وداعاً يارضا قولي وداعاً. أعز الله من اعتنق مبادئك السامية التي وضعت للبشرية أسس السلام، ومكنني من الإقرار بفضلك والاعتراف بجميل أولئك الكرام في إيران من

أمثالك.

ومشينا إلى قرية كردية متواضعة، تقع في وادٍ ضيق، يبعد عن المخفر زهاء ألف متر. فأخذوا لي منها برنوناً كردياً امتطيته بعد أن صافحت العريف مصطفى الذي شيعنا حتى غادرنا تخوم القرية. وانحدرت قافلتنا المؤلفة من جنديين والعريف حسن، وكانوا يقودون البرنون بالمناوبة خشية سقوطه في هوة ثلجية وانقضت الثلوج حين اقتربنا من سهل قيزيل ديزه حتى وصلنا منزل الآغا الكردي، وهنا استشارني العريف حسن، تأدياً منه، بالموافقة على تناول الغذاء والاستراحة، وكانت الساعة تقارب الواحدة بعد الظهر.

يقوم منزل الآغا الكردي منفرداً على سفح مرتفعات تحده من الشمال، وتشرف على جميع القرى المبعثرة في سهل قيزيل ديزه في الجنوب، ويقع على عين ماء صغيرة، ويشمل مضيقاً وداراً للحرم والخدم. ورجب بنا الآغا ومن معه، وهش وبش للعريف حسن مما دل على معرفة سابقة بينهما، لكنها كانت مجاملة فيها تكلف وتظاهر. وأبدى الآغا اهتماماً بأمري لما رأى العريف حسن يقوم على خدمتي ويصب الماء على يدي، على الرغم من مظهري وملبسي. ومال الآغا على العريف حسن يكلمه بصوت خفيض، وبدأ لي أنه يحاول الاطلاع على حقيقة أمري ولكنه، لم يحصل علي جواب شاف غير كوني لاجئاً إلى تركيا، وقد تأكد لي ذلك من نظراته التي بقيت عالقة بي، مترقبة حركاتي وسكناتي طوال مكوثنا عنده.

وكان الحديث ونحن نتناول الطعام يدور بين الآغا والعريف حسن حول الحرب وموقف الأمم المجاورة لتركيا، وتطرق الحديث إلى العرب وموقفهم وحرب الانكليز والعراق، فلزمت جانب الصمت، واكتفيت بالإصغاء إليهما. وفجأة علا صوت الآغا وانهال على العرب بالشتم والسب، ثم قال بشماتة: - إن الله عادل قهار، والعرب يستحقون أن يحل بهم ضعف ما أصابهم جزاء لما جحدوا وأنكروا النعمة، وما أسمع عن بؤس حالهم يسرني، قاتلهم الله وحل عليهم غضبه جزاء ما فعلوا بنا.

والتفت إلي ليرى هل أصدق قوله، وأردف: - ألا ترى معي بأن العرب كفرة وبائي إنما أقول الحق يا بيك؟

* * *

خضت غمار الحرب العالمية الأولى في فوج من الأفواج التركية، وكنت آخر من تبقى من الضباط الأولين، وكان ضباط الفوج يحبونني. وفي فترة ساد السكون فيها أرجاء الجبهة، جلسنا نتجاذب أطراف الحديث، فما كان من مرافق الفوج المدعو توفيق وهو شاب من الأستانة

بمثل عمري، كان قد انتسب إلى الفوج حديثاً، إلا أنه انهال على العرب وعلى الشريف حسين وآله بالشتم والسب. فنهضت وصفعته، ثم طرحته أرضاً، وكنت أقوى منه فتغلبت عليه. فراح يبكي ويستغيث وإذا بأمر الفوج يدخل علينا بدون سابق انذار، فصاح:

- ما هذا ويلكم؟

فوقفت وصرخت بوجه أمر الفوج قائلاً بدون شعور:

- سيدي القائد. لونكم إياي، فأعدموني فوراً بلا رحمة ولا شفقة. أنا عربي. أنا عربي. فأفعلوا ما تريدون. ماذا أساء العرب إليكم لكي يهانوا ويشتموا؟ وهل بين ضباطك من أقراني ضابط قام بمثل ما قمت به من خدمات طوال وجودي في هذا الفوج، مع أنني عربي، فلماذا تشتموننا؟

ثم انخرطت في البكاء، وجميع الضباط في وضع الاستعداد وكأن على رؤوسهم الطير. وتقدم القائد نحو مرافقه وهو ممتنع الوجه وصاح به:

- لك الوليل يا خائن، من بث فيك هذه السموم؟ ألا يكفيك ما آلت إليه حالة بلادنا وقد تمزقت أوصالها؟

ثم بصق على وجهه، وأمر بسجنه فوراً، وخرج لا يلوي على شيء. وبعد ساعة دعاني أمر الفوج - وكان في الخامسة والأربعين من العمر تقريباً - فريت على كتفي وقال:

- يا بني، أرجو أن تنسى ما سمعت، وأن تمحوه من ذاكرتك. إن العدو الأكبر الذي يخيفنا ليس هذا العدو الذي يجابهنا الآن بمدافعه وجيوشه الجاررة، بل هذه الأفكار الهدامة التي تناهض كيان الدولة العثمانية ودينها والعرب عز الاسلام ودعامته، وأنا أول العاملين ضد هذه السموم، ولا أطيق أن أرى في فوجي أحداً يبشر بهذه الأفكار، فهل تعبدني بنسيان ما حدث؟

وفي اليوم التالي، أرسل توفيق إلى قيادة الفرقة ولم أره بعد ذلك. أما أنا فبقيت أحارب الانكليز حتى كانت الهدنة، ونقمتي تشدد على كل طامع باستعمار العرب. وقد أحسن أمر الفوج فيما فعل.

نسيت توفيق ونسيت الحادثة، لكن توفيق نبهني إلى عروبتني فاتقدت جنوتها على مر السنين بالرغم مما لقيته في مراحل الدراسة، وكانت اللغة العربية تستبعد من برامج التدريس. شرعت منذ ذلك اليوم أقرأ كل ما كتب بالعربية، وأصغي إلى كل ما قيل بالعربية. وثار الطبع منذ ذلك اليوم فغلب الطبع، وأمنت أن لا إسلام ولا سلام للعالم إلا بالعرب، وأيقنت أن العرب

أثمة الهدى، ونبراس احترق ولا يزال يحترق لينير لغيره، لكن جزاءهم كجزاء سنمار.

تأملت هذا الآغا الكردي ذا القامة المديدة والبنية القوية، وهو في العقد السادس من العمر، واكتشفت سر احتفاظه بالأطيان والقرى التي يملكها في سهل قيزيل ديزه. فهو مداهن مثل غيره من المثولين عبيد القوة .. وهو أيضاً سياسي على جهله وبالرغم من تأخر الوسط الذي يعيش فيه. وحاولت أن أتفادى الجواب، وأن أسكت على مضض إذ تذكرت حادثة توفيق، فأنا اليوم لست كما كنت بالأمس، وأنا أعلم اليوم ما لم أكن أعلمه في الماضي، وللأيام عبر ودروس قاسية، علمتني على كره مني ضرورة المداينة - وما أمرها على طبعي - كما تعلمها من قبلي هذا الآغا البسيط فحافظ على حياته ونمط عيشه.

لكن الآغا، أعاد علي السؤال وألح في طلب الجواب، فقلت: في اعتقادي أن القرآن ما أنزل عربياً إلا لأن الله أراد العرب بقوله «كنتم خير أمة أخرجت للناس».

إن أنبياء العالم ورسله من العرب، وإنهم كالشمعة احترقوا لإنارة غيرهم. وقال محمد صلى الله عليه وسلم: - «من أحب العرب فقد أحبني». «أنا مسلم وهذا ما أعرفه عن العرب وكلنا مسلمون، لذلك أرى أن لا نصدق كل ما نسمعه عن العرب، فقد نكون مخطئين». وسرعان ما تبدلت أفكار السبطاء، وصدقني القوم والآغا في طليعتهم.

مسك الآغا عنان البرنون وهو يودعني، ليته ومن معه علموا بأن محدثهم عربي، وأن العروبة أعز عزيز عندي. ليتهم علموا مقدار تأثيري من قول الآغا لأنه باطل، ليتهم علموا أنني حملت نفسي على المداينة اضطراراً، فلم أعلن لهم عروبتني، بل لجأت إلى الدفاع عن العرب باسم الدين، دون أن أذكر شيئاً عما ورثه الغرب من فضائل ومزايا صافية كصفاء سمائهم، عالية كعلو نجومها، مع أن الطريقة الأولى أسهل وأقرب إلى عقول هؤلاء البسطاء.

لا، لا تطاوعني نفسي أن أسمع طعناً بعبد الإله صادراً عن إنسان غير عربي. لا لن استعين على عبد الإله بالأجنبي، لأنه ابن عمي، أنا منه وهو مني وإن قتلتني أو قتلني. فالعربي أصيل في مادته أصالة فرسه، بهي في الباطن بهاءه في الظاهر، لا يتبدل إلا إذا تبدلت بيئته وجوهره.

فطغيان الأثانية على العقيدة، ولا سيما في أوساط الساسة المسؤولين العرب، جعلهم لا يرون في الضرر الذي يحيق بقوميتهم وعروبتهم أي خطر، مادامت مصالحهم مؤمنة، ولولا هذا لفضل كل منهم أن يموت إلى جانب قومه على أن يختمي بالمستعمر الأجنبي.

ثانياً:

رسالة إلى حمدي الباجه جي

حضرة الأخ النبيل السيد حمدي الباجه جي:

بوربور في ١٨ آب ١٩٤٤

الألقاب مؤقتة، وكلمات مثل صاحب الفخامة والمعالى والمقام الرفيع يمجّها كل عربي لأنها تنافي نوقه وتقاليده، وكذلك النازية والفاشية والشيوعية والديموقراطية فإنها نعتت أعجمية، إذا كان في غاياتها من نيل فهو لا يعدو ما تنطوي عليه الآية «إنما المؤمنون اخوة» من معان سامية. هذه الآية رمز لنا نحن العرب، ولما كنت أعلم بأن حضرتك ينتمي إلى أسرة عربية وإلى عشيرة عربية فقد فاتحتك بقولي: «حضرة الأخ» لا «يا صاحب الفخامة». ولو كنت أعجمياً لترفعت عن الكتابة إليك لأنني أعتقد بقول القائل: «ما حن أعجمي على عربي لا ورب الكعبة» وما أكثر الضحايا العربية على يد الأعاجم.

غادرت بغداد، وتركت فيها أهلي وأطفالي الثلاثة نزار وربيعه وأنمار، ونزار أكبرهم في التاسعة عشرة، وأنمار أصغرهم في الخامسة من عمره اليوم. تركتهم في بغداد لأسباب ثلاثة:

الأول: - لأنني لست من ذوي الأموال أو الأطيان والإيراد، ولم أكن أملك حين غادرت العراق غير راتبي الأخير الذي اقتسمته مع أهلي، وهو لا يكفي لوقايتهم من العوز لو أخذتهم معي. غادرت بغداد وأنا أردد قول الشاعر:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزةً وأهلي وإن ضنّوا عليّ كرام

الثاني: - لأنني أعتقد أن أبنائي هم أبناء أمتي أيضاً، وامتي أحوج إلى أبنائها وإلى تثقيفهم من سائر الأمم.

الثالث: - لأنني حريص على عروبتهم وثقافتهم العربية وهم في بدء نشأتهم. وأن لا يكونوا عالة وشرأ على بلادهم.

وتركت نزاراً في بغداد تلميذاً في المدرسة العسكرية بارزاً في صفه، متفوقاً على أقرانه في جميع مراحل الدراسة التي سبقت المدرسة العسكرية، وقد فهمت من كتاب أخذته من زوجتي قبل بضعة أيام، أن ولدي نزار قد منع من متابعة الدرس منذ أكثر من سنتين. فاستنتجت من هذا أن ولدي معتقل أو مسجون وإلا لما انقطع عن الدرس، كما استنتجت من التاريخ أنه اعتقل قبل أن يتم السابعة عشرة من عمره (ألا تراه طفلاً). وإني، وإن كنت أجهل الذنب الذي اقترفه وأسباب اعتقاله أو سجنه، إلا أنه مهما كانت الأسباب طفل. وقتل الطفل عندي خير من بقائه جاهلاً غير مثقف، لأنه يصبح عالماً وضرراً لما تستهدفه الأمة ولما يريده أبواه.

فليقتل هذا الطفل إذا استحق هذا الحكم.

أنا لم أنتقم من عربي لأنني عربي. ولأني أعتقد أن كل عربي يريد لقومه الخير، ويتوخى ايصالها إلى الهدف، لكن التباين في الطرق المؤدية إلى هذا الهدف، يدفع بأنانية البعض إلى الانتقام من مزاحمهم الذي هو أقوى منهم حجة، والنتيجة خسران مبين للأمة، مع الأسف.

ومما لا يخفى على حضرتك، أن الأغراض الانتقامية تعمي وتفقد البصيرة والحكمة، ولا تتماشى مع مقتضيات العدل والسيادة. وإني أرجو أن لا تكون الدوافع الانتقامية عند من سبقك في الحكم، هي التي أودت بهذا الطفل إلى السجون والمعتقلات، وإلى حرمانه من متابعة الدرس، خاصة وهو ليس ذا مال ليتمكن في المستقبل من تعويض ما يفقده الآن، وهو ولي أخوته وأهله من بعدي.

إن اعتقادي بنزاهتك وبماضيك وبعرويتك وببعدك عن الأنانية وترفعك عن النزعات الانتقامية، ساقني إلى مراسلتك ومفاتحتك بأمر لا يتعلق بشخصي لأنني لا بد أن أموت يوماً، بل بأمر طفل ومن ورائه أطفال قصر، سيقون ملكاً للأمة وهم لادار لهم ولا عقار، وليس من سبب للأخذ منهم بالثأر.

إسأل الله أن يسدد خطاك إلى ما فيه خير البلاد، وسلام الله عليك.

صلاح الدين الصباغ

ثالثاً:

العدل التركي

دفاع الضابط العراقي صلاح الدين الصباغ

المقيم في سيواس

١٩ تشرين الأول ١٩٤٤

اصدرت الحكومة العراقية، التي تدين بالولاء للإنكليز، حكمها علي وعلى رفاقي بالإعدام مستندة على التهم التالية: —

١ - عدم موافقتنا على إدخال العناصر الموالية للإنكليز في الوزارات العراقية، أو جعل رئيسها منهم، وسعينا إلى اسقاط مثل هذه الوزارات إن وجدت.

٢ - خلع الوصي السابق وتنصيب وصي غيره.

٣ - قيادة الجيش والشعب إلى قتال الإنكليز.

وقد حكم بالإعدام على خمسة، ونفذ الحكم بثلاثة منهم، وبقيت على قيد الحياة أنا ورشيد عالي الكيلاني، أما رئيس أركان الجيش الجنرال أمين زكي وباقي قواد الفرق فهم في غياهب السجون. وأحد قواد الفرق موجود الآن في إيطاليا. أما أنا فقد كنت قائد الفرقة الثالثة، ثم توليت، أيام حربنا مع الإنكليز، قيادة الفرقتين الأولى والثالثة واللواء المصفح.

وكان أتباع الإنكليز في العراق قد قدموا إلى الحكومة التركية طلباً بتسليمي قبل خمسة شهور، لينفذوا بحقي حكم الإعدام، لكن تركيا رفضت ذلك لأن قوانينها العادلة تعتبر مسألتني سياسية. إلا أن أتباع الإنكليز لم يخلوا وجعلوا يبحثون عن وسيلة ثانية لتسلمني تركيا إليهم، فينفذون حكمهم بإعدامي.

لم تكن لي أو لزملائي سواء منهم العسكريون أو المدنيون، الذين أعدموا أو الذين

مازالوا على قيد الحياة، لم تكن لنا مآرب شخصية أو غايات انتقامية من الحوادث التي وقعت في العراق منذ عام ١٩٣٥، بل العكس فإننا لو توخينا النفع الشخصي لما آل أمرنا إلى هذه الحال. كانت رواتبنا الكبيرة ومراكزنا العالية في الجيش توفر لنا أماناً ورفاهاً لا يحظى بهما الوزراء، لأن الوزارة في البلاد الواقعة تحت حماية الأجنبي قصيرة العمر لا تلبث أن تستقيل، فيغدو الوزير بعدها لا شيء. وكان جواب الذين كلفوا بالوزارة من قادة الجيش أنهم يفضلون الإحالة على التقاعد من تولي الوزارة ومن تولي رئاسة الوزارة أيضاً.

كانت الحكومة العراقية، قد طلبت من الحكومة التركية تسليمي إليها، لتنفذ حكمها بإعدامي وقد استمعت محكمة الجزاء بسيواس إلى إفادتي بتاريخ ١٢ حزيران ١٩٤٢، وقابلتها بالإتهام الذي أصدره ضدي أتباع الإنكليز في العراق، فقررت براءتي، واعتبرت مسألتني سياسية، ورفضت طلب إعادتي إلى العراق لتنفيذ الحكم، فبرهنت على عدلها وعدالة قوانينها.

إن الذين يطلبون إعدامي يستمدون القوة من حراب الإنكليز، ويملكون جميع الوسائل لتحقيق مآربهم. لقد استعانوا بشهود الزور، من كل خائف أو كاذب أو مرتش، ليملاؤا بأقوالهم اضطرابات الإتهام، أما أنا فلي، بعد الله، سند عظيم، هو وجودي في تركيا وإرتباطي بها. لذلك أترك للقانون التركي أن يدحض هذه التهم، وأن ينود عن حقوقي، وما علي غير قول الحق.

صدر الحكم في العراق بإعدام كل من رشيد عالي الكيلاني وصلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمود سلمان ويونس السبعاني. وقد ألقى الإنكليز القبض على رفاقي الثلاثة الآخرين في إيران، ونفذ بهم حكم الإعدام قبل خمسة شهور ولما بلغ الحكومة غير الشرعية القائمة الآن في العراق أن الحكومة التركية رفضت طلبها بتسليمي، كررت الطلب من جديد بعد أن نسبت لي تهمة معينة فصلتها عن باقي التهم الواردة في طلبها السابق، ألا وهي تهمة الإعتداء على الوصي، لكي تعتبر قضيتي غير سياسية، حتى إذا ما سلمتني الحكومة التركية إلى العراق نفذ الحكم بإعدامي حالاً. إن ما في هذه المحاولة من تضليل يكفي للدلالة على ظلمهم وديناعتهم، وكان أحرى بهم أن يخجلوا من مراجعة القضاء التركي بمثل هذه الحيلة، لأنه يعلم ما يتخذ من قرارات، لكنهم يبتغون إلقاء القبض عليّ بأية طريقة لإعدامي. وليس عجيباً أن يبتغي ذلك من دخل البلاد بحراب الإنكليز الذين سفكوا دماء شعبه، وانتهكوا حرمان وطنه، وقد فصلت ذلك في إفادتي قبل خمسة شهور.

لأدري هل تعد هذه التهم قانونية أم لا، فأنا عسكري ولا علم لي بتفاريع القانون، لذلك أترك تقدير هذا الأمر للقضاء. إنهم يريدون إعدامي ليجعلوا مني عبرة للعراقيين وللعرب

جميعاً، فيظهر للملأ بأس الإنكليز وعظمتهم، وينذرون الناس بأن من يناوي الإنكليز يلقي نفس المصير وأنهم قادرون على أن يأتوا به حيثما ذهب.

والوطني منكوب في البلاد الرازحة تحت نير الإستعمار، معرض للموت أو العذاب والحرمان هو وأولاده، وهكذا شأني وشأن رفاقي الذين أعدموا وهذا جزاء وطنيتنا الصادقة، ولو ماشينا الإنكليز، شأن الخونة الذين يحكمون العراق اليوم، لكننا الآن في بيوتنا نقبض رواتبنا الضخمة، وننتقل في سياراتنا الفخمة بين حفلة يقيمها الوصي اليوم، وأخرى يقيمها رئيس الوزراء غداً وثالثة يقيمها الإنكليز بعد غد. لكننا ضحينا بذلك، وكنت قبل تسعة شهور أجوب جبال إيران وأنا في زي درويش، وأقاسي برد الشتاء وأنا فقير رث الثياب، ومررت بين الجيشين الإنكليزي والروسي حتى بلغت الحدود التركية يوم ٢ نيسان ١٩٤٢.

إن جيش العراق وشعبه يحبني، ويحب رفاقي الذين أعدموا، ويكيهم حتى تدمى عيونه. والإنكليز وأذنابهم المضرجة أيديهم بدماء إخواني، يتلهفون لقتلنا لأنهم يعلمون أن الشعب الذي يحبنا لن يطأطأ لهم رأسه حتى ولو انتصر الإنكليز في هذه الحرب.

أنا لست مجرمًا ولا مجرمًا سياسيًا، لأنني لم أنتقم من أحد ولم أعتد على أحد، لكنني عسكري وطني محارب للإنكليز. ولقد كنت عسكرياً منذ خمس وعشرين سنة أو أكثر فلم يتلطح اسمي يوماً، وكانت صفحتي بيضاء يوماً، بل انني كنت من ألمع ضباط الجيش العراقي، ومن أحبهم إلى أفرادهم. وتخرجت من أعلى المدارس العسكرية في العراق والهند وإنجلترا، ومن تركيا قبل ذلك، وشغلت في السنوات العشر الماضية مناصب معاون رئيس أركان الجيش، ومدير الحركات وقائد فرقة، وقائد فيلق، وكنت، أثناء الحرب العراقية الإنكليزية، قائد الجبهة الغربية. فتربتي وثقافتني لا تسمحان لي بالوقوف موقفاً خشناً من أحد، وما ينسب لي ولرفاقي من اعتداء على الوصي لا ينطبق على الحقيقة، لأن سياق الحوادث في العراق لم يكن يتطلب منا ذلك. وسأذكر بالأقسام الخمسة التالية موجزاً لما وقع في العراق من أحداث منذ ست سنوات:

القسم الأول - وزارة جميل الملقب بالمدفعي - من سنة ١٩٣٧ حتى ٢٤ كانون الأول من

سنة ١٩٣٨

القسم الثاني - وزارة نوري بن سعيد - من كانون الأول ١٩٣٨ حتى نيسان ١٩٤٠

القسم الثالث - وزارة رشيد عالي الكيلاني - من نيسان ١٩٤٠ حتى كانون الثاني ١٩٤١

القسم الرابع - وزارة طه الهاشمي - من كانون الثاني ١٩٤١ حتى نيسان ١٩٤١

القسم الخامس - وزارة رشيد عالي الكيلاني - من نيسان ١٩٤١ حتى حزيران ١٩٤١ وفيه خلع الوصي والعبوان الإنكليزي.

قبل الشروع في إيضاح هذه الأقسام الخمسة أقول: -

أولاً: - إن الخطط البريطانية في العراق تتلخص بما يلي:

أ - تحريض العشائر وأفراد الشعب على الثورة، وشق عصا الطاعة على الحكومة، ليثبتوا بذلك العداء بين الجيش والشعب، ويستنزفوا قوى الجيش وسلاحه.

ب - جعل الجيش في حالة ضعف دائم، وإشاعة التفرقة وعدم الثقة بين قواد الجيش، وهذه إحدى وظائف البعثة العسكرية البريطانية الموجودة في العراق بموجب المعاهدة العراقية الإنكليزية.

ج - اغتيال الوطنيين أو وصم اسمائهم بما يشينها، لكي يرسلوا إلى الحدود النائية حيث ينسى أمرهم.

د - تنصيب نصف الوزراء على الأقل ممن يدين لهم بالولاء.

ثانياً: - تنص المعاهدة العراقية الإنكليزية على ما يلي:

أ - للإنكليز أن يتخذوا لهم معسكرات ومطارات في الشاطيء الأيمن من الفرات على بعد ٦٥ كيلو متراً غربي بغداد، وفي جوار البصرة.

ب - للإنكليز أن يسوقوا من الهند إلى فلسطين وبالعكس عن طريق شاطيء الفرات الأيمن، ما لا يزيد عن اللواء الواحد من قواتهم العسكرية بشكل متفرق في حالة السلم أو الحرب. على أنه لا يجوز لهم نقل جيوشهم عن طريق أخرى، أو باتجاه آخر، أي في باقي المناطق العراقية الواقعة شرقي نهر الفرات. والغاية من هذا: أن لا يستفيد الإنكليز من العراق ضد تركيا أو إيران وقد أخذت هذه الناحية بعين الاعتبار منذ أن عقدت المعاهدة.

ح - إذا لم يشترك العراق في الحرب، فإنه لا يسمح للجيش الإنكليزي بالتحشد في العراق، وإذا أعلنت إنكلترا الحرب على دولة أخرى، فإن الحكومة العراقية ليست ملزمة بقطع العلاقات مع تلك الدولة. هذه العوامل الثلاثة كانت السبب في نشوب الحرب العراقية الإنكليزية، وأعني بها: التحشد الإنكليزي في العراق، وقطع العلاقات السياسية بين العراق والدول المعادية للإنكليز، ووضع الجيش العراقي تحت الإدارة الإنكليزية. وكان هدف الإنكليز من وراء ذلك الإعتداء على سوريا وإيران وإحتلالهما، وقد حدث هذا بالفعل بعد أن جعلوا

العراق قاعدة لحركاتهم الحربية.

القسم الأول

في عام ١٩٣٦ قام رئيس أركان الجيش العراقي المرشال طه الهاشمي بزيارة رسمية لأوروبا وانكلترا، فانتهز وكيله، الجنرال بكر صدقي قائد الفرقة الثانية، فرصة وجوده على رأس الجيش فضيق الخناق على الوزارة، حتى أسقطها واغتال جعفر باشا وزير الدفاع، آنذاك وصهر نوري بن سعيد وهذان الأخيران معروفان بميلهما إلى الانكليز.

وقد لاذ كل من نوري وجميل وعلي جودت بالفرار لأنهم من أتباع الانكليز، أما طه الهاشمي فقد أثر البقاء في تركيا لأنه كان لا يحبه. وأما الملك غازي فقد كان راضياً عن هذه الحركة.

ومنذ أن وقعت هذه الحادثة، أخذ الجيش بالتدخل في تأليف الوزارات أو في انتقاء وزارة الدفاع، ولكن تدخله لم يكن متواصلاً بل أنياً وليد الساعة. وغني عن البيان أن الدولة ذات الاستقلال الناجز تعتبر هذا التدخل من جانب الجيش أمراً غير مألوف، لكنه يصبح ضرورة وواجباً في الدول الرازحة تحت نفوذ الأجنبي، إذ كلما اشتدت رقابة الجيش على الوزارات قل عدد الوزراء الموالين للاستعمار، وبالتالي قل نفوذ الاستعمار.

أخذ الجيش بالتكتل، واتحدت كلمته شيئاً فشيئاً، حتى إذا كان عام ١٩٣٧ قتل بكر صدقي، فتولى جميل الملقب بالدفعي رئاسة الوزارة وهو من الموالين للانكليز. كما تولى صبيح نجيب وزارة الدفاع، وهو من أركان الحرب المتقاعدین، وهو اليوم سفير العراق في أنقرة. وصبيح نجيب يميل للانكليز كثيراً، لذلك سعى إلى شطر الجيش شطرين. فما كان من الجيش إلا أن ضغط على الوزارة، وحملها على الاستقالة بسبب تصرف صبيح نجيب وأبدى الجيش رغبته في أن يتولى طه الهاشمي رئاسة الوزارة، لكن هذا اعتذر قائلاً أنه رجل عسكري ليس بمقبوره أن يتولى غير وزارة الدفاع، وأنه صلب في علاقته بالانكليز، لذلك يقترح إسناد رئاسة الوزارة لنوري بن سعيد. وقد أصر طه الهاشمي على موقفه هذا، لذلك أسندت رئاسة الوزارة لنوري. وبعد أن قتل بكر صدقي، أصبح حسين فوزي رئيساً لأركان الجيش، وكنت آنذاك معاوناً لرئيس أركان الجيش ومديراً للشعبة الأولى (مديراً للحركات).

القسم الثاني

يبدأ هذا القسم في ٢٤ كانون الأول ١٩٣٨ وينتهي في نيسان سنة ١٩٤٠ لما كان نوري رئيساً للوزراء، البارزون في هذه الفترة هم نوري بن سعيد رئيس الوزراء، وطه

الهاشمي وزير الدفاع، ورستم حيدر وزير المالية، ورشيد عالي الكيلاني رئيس الديوان الملكي في بلاط الملك غازي. سارت الوزارة في أشهرها الثمانية الأولى نحو الإصلاح، فتضاعف عدد أفراد الجيش وخطت التربية والتعليم خطوات واسعة، وتفتحت أنظار الشعب، وزالت البغضاء بين الجيش والشعب وانتهى عهد الثورات المسلحة في العراق.

كان الملك غازي يمقت نوري بن سعيد، كما أن نوري بن سعيد كان يبادل الملك غازي مقتاً بمقت، وكان الملك غازي معروفاً بعدائه للانكليز من قبل أن يكون ملكاً، وكانت محطة الإذاعة الخاصة التي يملكها غازي تذيع من قصره برامجها المعادية للانكليز، منددة بفظائع الانكليز في فلسطين وباقي البلاد العربية. كما أن الملك غازي كان يتطلع إلى ضم إمارة الكويت إلى العراق.

لكن هذه الحال لم تدم طويلاً، ومن البديهي أن لا تدوم، إذ قتل الملك غازي في ليلة ٤-٥ نيسان ١٩٣٩ بموجب الخطط الإنكليزية، وعلل القتل بحادث سيارة، لكن الشعب والجيش لم يصدقوا هذا التلفيق، واتضح أن الوصي ولنوري إصبعاً في الموضوع. وأقدم سكان الموصل على قتل القنصل البريطاني في بلدهم، وتجمعت في الأفق سحبات قاتمة السواد، فزج بمئات الناس في السجون حذراً من الطوازي، أما الجيش فقد حافظ على الهدوء، ولم يحرك ساكناً بالرغم من تأثره العظيم.

وخلف غازي وصي على العرش اسمه عبد الإله، وهو أخو الملكة وابن عم غازي، وخال الملك الصغير الحالي. لكن الوصاية لم تكن في الواقع من حق عبد الإله وإنما كانت من حق الأمير زيد عم الملك الطفل، وهو في الخمسين من العمر، لكن الأمير زيد كان عدواً للانكليز مثل غازي.

ولما تولى الأمير عبد الإله الوصاية، جعل يتودد للجيش بإخلاص وحرارة، كما توثقت علاقته بنوري بن سعيد توثقاً عظيماً. وبنتيجة تقرب عبد الإله ونوري من الجيش، عقدت بيننا وبين الوصي اجتماعات أسبوعية أو نصف شهرية تمتد ساعتين أو أكثر، كنا نتناول خلالها الأحاديث الأخوية، ونأتي على ذكر ما يلقيه الجيش على يد الانكليز من مواقف العداء، ونحدثهما عن مساوىء الانكليز وحبائلهن، فنرى على وجه عبد الإله ونوري بن سعيد امتعاضاً وعدم ارتياح. وكانا يدافعان عن وجهة النظر الانكليزية، ويبذلان جهوداً كبيرة لإقناعنا بسلوك هذا الطريق. واستمرت اجتماعاتنا من شهر مايس ١٩٣٩ حتى شهر كانون الثاني ١٩٤١.

بعد شهرين طلق عبد الإله زوجته المصرية، ووقع في غرام فتاة يعد أبوها من أنصار

الانكليز الكبار، ويتقاضى منهم راتباً شهرياً ضخماً. وما لبث عبد الإله، بتأثير هذا وبتأثير نوري بن سعيد وبتأثير باقي أتباع الانكليز، أن أصبح عبداً للانكليز بمعنى الكلمة، وأخذ يقضي كل أيامه بين ظهرانيهم.

وبعد أن أعلنت انكلترا الحرب على ألمانيا في أيلول عام ١٩٣٩، عقدت مؤتمرات عديدة، وكان علي، بحكم وظيفتي، أن أحضر الاجتماعات العسكرية التي يعقدها الانكليز أو مجلس الدفاع الأعلى العراقي - وقد حضرت بعضها برفقة رئيس أركان الجيش حسين فوزي، كما حضرت بعض المؤتمرات الخاصة التي عقدتها هيئة أركان الحرب التابعة للجنرال ويفل في مصر عند قدومها إلى العراق. وقد بادر نوري بن سعيد، بالاتفاق مع عبد الإله، إلى قطع العلاقات السياسية بين العراق وألمانيا حالما أعلنت انكلترا الحرب عليها. فعل ذلك دون أن يخبر أحداً، ودون أن يستشير المجلس النيابي بينما كانت الدومنيونات البريطانية ما زالت على علاقاتها بألمانيا. وهكذا سبق العراق كلاً من كندا وأستراليا وجنوب أفريقيا في هذا المضمار، وكان نوري بن سعيد يريد بما فعل أن يجر مصر والبلدان العربية الأخرى إلى خوض غمار الحرب بجانب الانكليز. وقد تحدى نوري الجيش والشعب بتصرفه هذا، وأثار امتعاضها، لكنه لم يكتف بما كان منه، بل وعد السفير البريطاني بأن يدخل العراق الحرب بجانب الانكليز، وقدم لمجلس الدفاع الأعلى اقتراحاً بذلك، ولكن المجلس رد اقتراحه وقابله بفتور واشمئزاز. كما اقترح نوري مراراً أن يرسل العراق فرقة أو فرقتين من جيشه للقتال في صحراء ليبيا بمصر، فكان طه الهاشمي ورستم حيدر (وزير المالية) وحسين فوزي (رئيس أركان الجيش) يردون اقتراحه رداً خشناً.

ثم حاول نوري بن سعيد إقناعي واستمالي إلى، فتعلق بي وتعددت زيارته لي على انفراد في مقر عملي، أو دعاني إلى بيته، وكنا نقضي في الحديث ساعات طوالاً فلا يظفر مني بطاقل. كذلك قام نوري بعدة محاولات لقطع العلاقات السياسية بين العراق وإيطاليا.

ألفى نوري نفسه في مأزق حرج لأنه لم يقلح في تنفيذ مطالب الانكليز، ولم يجد حلاً، لكنه لم يلبث أن وجد الحل. ففي ١٨ كانون الثاني من عام ١٩٤٠ أطلق رجل النار على وزير المالية رستم حيدر وهو يزاول مهام وزارته، وكان تدبير ذلك بخطة انكليزية، وقضى رستم نحبه بعد خمسة أيام، وزج بالكثيرين في السجن من جراء هذا الحادث الذي هز وزارة نوري بن سعيد وضعفها. وجاء نوري يوماً فقال أنه يعتقد بأن رشيد عالي هو الشخص الوحيد الذي يستطيع إعادة الأوضاع إلى نصابها. واستطاع نوري إقناع طه الهاشمي بهذه الفكرة، ودعاه مع قواد الجيش إلى داره ليبسط لنا رأيه. وكان رأيه أنه سيتولى وزارة الخارجية، إذا وافق

رشيد عالي الكيلاني على رئاسة الوزارة، كما أن طه الهاشمي سيتولى وزارة الدفاع.

نجحنا في إقناع الكيلاني بعد كثير من الرجاء والإلحاح، فلما قدم نوري استقالة وزارته، ذهب رئيس أركان الجيش حسين فوزي لمقابلة الوصي ورجاه أن لا يوافق على إشراك نوري بن سعيد في الوزارة المقبلة. فكانت النتيجة أن الوصي ونوري أحالا حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد. فامتنع الكيلاني ولم تؤلف الوزارة، وهكذا عاد نوري إلى كرسي الرئاسة، ولكنه كان يدير الدفة بصعوبة. وبقي شهراً كاملاً وهو يرجو قواد الجيش وطه الهاشمي والوصي أن يحملوا الكيلاني على تأليف الوزارة بعد أن اشترط شروطاً قطعية لسياسته.

القسم الثالث

يبدأ هذا القسم في نيسان ١٩٤٠ وينتهي في كانون الثاني ١٩٤١ لما كان رشيد عالي رئيساً للوزراء. وكان نوري بن سعيد وزيراً للخارجية، وناجي شوكت للداخلية، وناجي السويدي للمالية، وطه الهاشمي للدفاع. وهذه الوزارة كانت أقوى الوزارات التي شهدتها العراق، وكانت قراراتها تلقى موافقة الجيش وتأييد الشعب، إذ أيقنا أن أعضاءها لا يخضعون لسلطان الانكليز ولا ياتَمرون بأمر نوري ابن سعيد. أما نوري وعبد الإله فكانا يحاولان أن يكسبا تأييد هذه الوزارة القوية ليحققا مآربهما، ويزجا العراق في الحرب دون أن يلقيا معارضة من أحد. فلا تجد مصر، ولا تجد البلاد العربية الأخرى، بدا من الاقتداء بالعراق والدخول في الحرب إلى جانب الانكليز. لكن كيدهما ارتد إلى نحريهما، ووقع في الشرك الذي نصباه، فلم يبق أمامهما غير اللجوء إلى الانكليز، وتحريضهم على الاعتداء على العراق.

وجاء في بيان الكيلاني، الذي أعلن بموجبه سياسة وزارته على الأمة والمجلس، أن حكومته ستحترم المعاهدة العراقية البريطانية وتراعي نصوصها، وأنها لن تخرج عن ذلك قيد شعرة. وكان يعيد هذا التصريح في كل مناسبة بشكل قطعي جازم. وما مضى شهر أو شهران، حتى تقدم نوري بنفس الاقتراحات التي طرحها على بساط البحث لما كان رئيساً للوزراء. وانعقد مجلس الدفاع الأعلى، وحضره الوزراء المذكورة أسماؤهم أعلاه، وباقى أعضاء الوزارة، وحضر عن الجانب العسكري أنا ورئيس أركان الجيش. وكان المجلس قد رأى دعوتي لحضور جلساته على الرغم من انتقالي من منصب معاون رئيس أركان الجيش إلى قيادة الفرقة الثالثة. قال نوري أن على الحكومة العراقية أن تحدد سياستها تجاه بريطانيا لكي تتوثق الأواصر بين البلدين. فأنجاب الكيلاني أنه قد رسم سياسة العراق تجاه بريطانيا في بيانه الوزاري، وأنه لن يحيد عن ذلك. فاقترح نوري قطع العلاقات مع إيطاليا، فقال

الكيلااني ووزرائه إن قطعنا العلاقات مع ألمانيا كان سابقاً لأوانه، وكان خطأ كبيراً، لأننا نجاور دولاً تدين بديننا ويربطنا بها ميثاق سعد آباد، فقيامنا بقطع العلاقات مع ألمانيا وإيطاليا ووقفنا منهما موقفاً عدائياً، قبل معرفة الخطة التي ستنهج عليها الدول المجاورة لنا، قد يثير استياءها، وقد يؤثر عليها تأثيراً سيئاً. ثم أن المعاهدة العراقية البريطانية صريحة، ولا يوجد فيها نص يلزم العراق بقطع علاقاته مع الدول الأخرى، أو بإعلان الحرب ضد الدول الأخرى. فتساهلنا في أمر ليس للانكليز حق فيه لن يعود علينا إلا بالضرر. وبالفعل فقد كان العراق هو السبب الذي حدا بمصر إلى قطع علاقاتها مع ألمانيا.

وطال الحديث في هذا الموضوع، ثم استقر الرأي أخيراً على إرسال ناجي شوكت إلى أنقرة ليوقف على وجهة النظر التركية في هذا الصدد، لما له من مكانة عند الأتراك، وما كاد المجلس ينتهي إلى هذا القرار حتى طلب نوري إرساله مع ناجي شوكت بصفتهم وزيراً للخارجية، وأصر على طلبه هذا.

ورد في اتهامات المدعي العام التي صدر علي بموجبها حكم الإعدام أن سفر ناجي شوكت إلى تركيا كان خلافاً لرأي الوزارة، ووصف ناجي شوكت بأنه «ثائر» إلا أن ما جاء في إفادة علي جودت يؤيد ما ذكرته أعلاه، ويقول فيها أنه سافر هو أيضاً بالإضافة إلى من ذكر، ولما كان سفره بدون علم من أحد فإنه يعتبر تجسساً. وهذه المناورات والأكاذيب لا يتقنها إلا أنصار الانكليز والذين في قلوبهم مرض.

كان ناجي شوكت معروفاً في الأوساط السياسية التركية، وعلى هذا فقد أقام عدد من السفراء الولايم على شرفه، وأظن أن الفون بابن دعاه إلى حفلة شاي. فانتبهز نوري بن سعيد هذه الحادثة واتصل بسفير انكلترا في أنقرة فقام هذا بنقل الخبر إلى السفير الانكليزي في بغداد، وبالتالي إلى الوصي. وهكذا قامت قيامة الوصي وسفير انكلترا في أنقرة وبغداد، وراحوا يطالبون على لسان نوري بن سعيد أن يحدد العراق موقفه من بريطانيا وأن تطبق المعاهدة روحاً ومعنى. وما عاد يرضيهم تصريح الكيلااني الذي أعاده مراراً وتكراراً على الشعب والمجلس أنه سيطبق نصوص المعاهدة حرفياً.

وكان الكيلااني يحرص على حضور الاجتماعات التي تبحث في اقتراحات نوري بن سعيد، بيد أن مقترحات نوري كانت لا تلقى الموافقة، ولا يؤخذ بها لذلك عمد الوصي إلى التدخل في شؤون الوزارة والتأثير عليها تأثيراً فعلياً، كما أنه امتنع عن إقرار القوانين التي يجب أن تعرض على المجلس، وأوقف لديه كثيراً من الإيرادات الملكية لكي يخرج موقف الوزارة. وأخيراً طلب الوصي إقصاء ناجي شوكت من الوزارة فلم يوافق الكيلااني على ذلك، ولم يجد

سبباً يبرر هذا الأمر. وانقطع نوري عن الدوام في دائرته بوزارة الخارجية، وأخذ يتصل بالوصي والانكليز رأساً، ثم يسافر إلى القاهرة ويعود دون أن يقابل الكيلاني. وهكذا اتضح الموقف بين الكيلاني وأنصار الانكليز، وقام بعضهم بالهجوم على الكيلاني في البرلمان. وأخيراً تدخل طه الهاشمي وشخصيات أخرى للتوفيق بين الطرفين، واقترحوا إقصاء كل من نوري بن سعيد وناجي شوكت من الوزارة. وحصل الاتفاق على هذا، وكان الوصي قد وافق عليه أيضاً.

وبعد أيام عاد الوصي يقول أنه لا يستطيع الاتفاق مع الكيلاني أبداً، وأنه لا يريد أن يرى وجهه، وأنه يريد اخراج رشيد عالي واسقاط وزارته. قال الكيلاني أنه جاء إلى الحكم بناءً على توسلنا وإلحاحنا، لكنه بعد أن تولى الحكم، لا يرضخ ولا ينسحب تجاه هذه المعاملة الشائنة. وكان يؤيد الكيلاني كثير من العشائر وأفراد الشعب، وما لبث أن اكتسب تأييداً شعبياً اجماعياً منقطع النظير. على أن بعض وزرائه قدموا استقالاتهم بتأثير الوصي عليهم، كما انسحب طه الهاشمي من الوزارة لأنه كان يقف على الحياد. قال الكيلاني أنه باقٍ على رأس الحكومة هو ومن معه من الوزراء الذين يكتمل بهم النصاب القانوني، وأنه لن يفسح المجال لأحد أن يلعب بمقدرات البلاد. أما السفير البريطاني فقد قطع صلته بالوزارة ورئاستها، ولم يعد يراجعها، وأخذ يتصل بالوصي مباشرةً خلافاً للقوانين والتقاليد الدولية، ويواصل زيارته لأنصار الانكليز مثل جميل وجودت ورئيس مجلس الأعيان.

وفي إحدى الليالي استدعى الكيلاني القادة العسكريين الموجودة مقراتهم في بغداد، وهم أمين زكي رئيس أركان الجيش وأنا وفهمي سعيد وكامل شبيب ومحمود سلمان قال لنا: -أيها الرفاق تعرفون ما هي المطالبات الانكليزية، ويؤسفني أن أقول أن وصيّنَا عبد الإله قد فسخ المجال واستجاب لمطالبات الانكليز على علاتها ولون روية، فأدى بنا إلى هذا الوضع. أنا على رأس وزارة شرعية، وقد توليت الحكم بعد تردد ورجاء من الوصي ومن نوري بن سعيد ومن طه الهاشمي، ومنكم يا قواد الجيش - وقد اشترطت لقبولي شروطاً قطعية وافق الجميع عليها. والآن فإنني لن أترك الوزارة لنوري أو لأي إنسان غيره، ليضحي بالأمة وبمصالح البلاد. ولن أترك الوزارة حتى ولو بقي في وزارتي ثلاثة من رفاقي نظراً لوجود النصاب القانوني. ولقد دعوتكم الليلة لإعتقادي بأن الوصي يستجيب لرجاء قواد الجيش، لذلك أرجو أن تذهبوا غداً لمقابلة سمو الوصي فترجون منه ذلك. وإنني أقوم بهذا في سبيل البلاد لأن الانكليز اذا لمسوا من جانبنا تراخياً تتابعت مطالبهم الخارجية على نصوص المعاهدة واحدة بعد واحدة. كما أرجو أن تسترحموا من الوصي أن يوافق على تسمية محمد يونس السبعائي وعلي محمود الشيخ علي وزراً في الحكومة بدلاً من نوري بن سعيد وناجي شوكت، وأن تقدموا

لسمو الوصي احترامامي العميق.

كان رئيس أركان الجيش أمين زكي في رئاسة الوزراء حين طلب على الهاتف، وكان محدثه مرافق الوصي فقال له أن الوصي يريد أن يراه فطلب أمين زكي من مرافق الوصي أن يأذن الأمير ويسمح له بإحضار قادة الجيش معه. وبعد دقيقة جاء الجواب: نعم ليحضروا.

ورد في بيان الوصي ما يؤيد هذا، إذ يقول أنه هو الذي دعانا وأننا لم نذهب إليه من تلقاء أنفسنا. ولما كانت خطة الانكليز إثارة العشائر وتشجيعها على العصيان كلما رأوا الجيش والشعب متحدين لأن الثورة يعقبها بالضرورة تدخل الجيش، وبالتالي إيقاد جذوة البغضاء والعداوة بين الشعب والجيش من جديد، وكنا نحن أفراد الجيش نعلم أننا نقلت أبناء وطننا. وكانت القلوب قد أخذت تميل إلى الجيش بعد أن مرت على العراق خمس سنوات لم تحدث خلالها ثورة. والواقع فإنه ليس بين أفراد الجيش أو بين الوطنيين المخلصين من يتمنى وقوع العداوة بين الشعب والجيش خاصة في مثل تلك الأيام. ويتأثير هذه الفكرة تحركت بنا سياراتنا لمقابلة الوصي، وبعد أن قدمت لنا القهوة أعلن عن تشريف الوصي، فرأيناه في حالة عصبية شديدة. قال يسأل رئيس أركان الجيش: -ما الذي يجري؟ فأجابه رئيس أركان الجيش: -لا شيء أبداً يا سيدنا والحمد لله. إن الكيلاني يسترحم منكم اللطف وأرجو أن تسمحوا لي ببسط الأمر أمامكم.

فقطع الوصي كلامه وقال: -لا، لا، لن أسمح لكم أبداً أن تتكلموا في هذا الموضوع. وأنا ما طلبت مقابلتكم إلا بعد أن علمت أنكم مجتمعون عند رشيد عالي الكيلاني، لذلك لن أجلس معكم وسأذهب. قال هذا ثم خرج وتركنا في حيرة واضطراب. فلما أوشكنا على الخروج من القاعة دخل رئيس مجلس الأعيان محمد الصدر فقال: لماذا أراكم هنا؟ خيراً إن شاء الله.

ولما كنا نعلم بما لهذا الرجل من تأثير عظيم على الوصي وآله، فقد سرنا وجوده بيننا وشرحنا له تفصيل ما حدث، وقلنا له نرجوك يا صاحب السماحة أن تعمل على إنقاذ الأمة، فالجيش هو الذي سيدفع ثمن هذا الوضع السيء وعواقبه الوخيمة، وهذا ما يريده الانكليز. نحن لا نريد إراقة دماء الشعب، فقد أريق دماء كثيرة بدسائس الانكليز، لذلك نتوسل إليك أن تعمل على إقناع الوصي ليأخذ بوجهة نظر الكيلاني ولو بصورة مؤقتة، ولو لشهر واحد. وقد ينسحب الكيلاني من تلقاء نفسه إذا رأى أنه لا ينسحب بضغط أجنبي.

قال حسناً انتظروا، وذهب. ثم عاد فقال: -أرى أن تذهبوا الآن وسأعمل على تسوية

الأمر إن شاء الله، فانتظروني عند الكيلاني فشكرناه كثيراً، وافترقنا على أتم وفاق وعدنا إلى رئاسة الوزارة. وعند انتصاف الليل تقريباً نجح رئيس مجلس الأعيان في تسمية الوزيرين اللذين أرادهما الكيلاني، ثم ودعنا وقال إنه ذاهب إلى منزله.

واتصل محمود سلمان قائد القوة الجوية، بمرافق الوصي هاتفياً، مستأذناً السماح لنا بتقديم شكرنا للوصي، فذهبنا وقابلنا الوصي وقدمنا له شكرنا بإخلاص وقبلنا جميعاً يد هذا الشاب الذي لم يتجاوز الثالثة والثلاثين من العمر، وبيننا رئيس أركان الجيش الذي يبلغ الستين، ثم عدنا إلى بيوتنا.

إنهم يزعمون في اتهامهم أننا اعتدينا على الوصي في هذا الوقت. وأنا لم أر وجه الوصي منذ ذلك الحين، وأرجو أن لا يقدر الله أن أرى وجهه مرة أخرى.

وهناك تناقض كبير بين البيان الشخصي الذي أدلى به الوصي المخلوع عبد الإله، وبين إفادة رئيس مجلس الأعيان محمد الصدر، هذا التناقض يظهر في الأمور التالية:

١- يقول الوصي في بيانه أنه هو الذي دعانا، وهذا صحيح. إذ لم يكن بنيتنا الذهاب إلى الوصي ليلة رجاء الكيلاني رجاءه، بل كان بنيتنا الذهاب إليه صباح اليوم الثاني. وما ذهبنا إليه في تلك الليلة بالذات إلا بناءً على طلبه، وبعد أن وافق على حضورنا جميعاً برفقة رئيس أركان الجيش. وبعد أن قابلنا الوصي وخرج رأينا رئيس مجلس الأعيان. وهذا أيضاً أمر طبيعي إذ لا بد لمن دعانا من أن يرانا، وإلا فلماذا دعانا؟

٢- لما سئل رئيس مجلس الأعيان عن فحوى العبارات التي قلناها له حين رأيناه والتي كانت ضد الوصي، أجاب بأنه لا يذكر فحواها، إلا أنها عبارات خشنة لو نقلها إلى الوصي لتأثر واستشاط غضباً. يستدل من هذا أننا حين قابلنا الوصي لم نهدهد ولم نوجه إليه كلاماً خشناً. وعلى هذا فالوصي لم يكن بالأصل غاضباً علينا ولا متأثراً منا. أما وأن الأمر كذلك فلماذا يتهمنا هذا الرجل؟ وما معنى قوله (لا أذكرها، لكني لم أنقلها للوصي) إنه تلاعب بالألفاظ وقلب للحقائق.

٣- لا يذكر الوصي في بيانه شيئاً عن نوع لباسنا، ولا يقول أننا نحمل مسدساتنا لما قابلناه. لكن رئيس مجلس الأعيان، هذا المعمم الذي لا يعرف من الأمور العسكرية شيئاً، يقول أن ذهابنا إلى قصر الوصي بلباسنا العسكري، يعتبر بمثابة تهديد للوصي.

وغني عن البيان أن العسكريين لا يراجعون المقامات العليا إلا بلباسهم العسكري، ولعل هذا التقليد متبع في تركيا أيضاً. أما اللباس المدني، مثل لباس السهرة وغيره، فلا يرتدى

عندنا إلا نادراً. ثم إن الأوامر العسكرية تفرض علينا الذهاب إلى قصر الوصي باللباس العسكري، وتحظر علينا الذهاب إليه باللباس المدني. ولا ينحصر ذلك في المراجعات الرسمية فحسب، بل يشمل الحفلات ومراسيم التهنئة بالأعياد أيضاً. الحق أن من يعد ذهابنا إلى الوصي باللباس العسكري تهديداً له، جاهل لا يعرف شيئاً.

٤- يقول رئيس مجلس الأعيان أننا قابلنا الوصي حاملين مسدساتنا، والواقع أن أحداً منا لم يكن يحمل مسدسه، وسأثبت ذلك بعد قليل. وعلى فرض ذهابنا إليه بمسدساتنا فإن هذا الرجل لا يميز بين القادة الكبار وبين ضباط الجيش الصغار الذين يتبخترون بمسدساتهم في الشوارع، لأن الأنظمة والأوامر لا تمنع ضباط الجيش عندنا من حمل السلاح في الأوقات العادية، بشرط أن يكونوا بملابسهم العسكرية. كان الجو بارداً في تلك الأيام من شهر كانون الثاني، لذلك تدرننا بمعاطفنا، لكننا أعطينا المعاطف والأنطقة إلى الخدم قبل أن ندخل القاعة حسب العادة المتبعة. فكيف رأنا رئيس مجلس الأعيان في القاعة بمسدساتنا ونحن لا نطابق علينا لنحمل به المسدس.

٥- يقول رئيس مجلس الأعيان أن رفاقي كانوا يضعون مسدساتهم تحت السترة، لكنني أحمل مسدسي فوق سترتي. إن المسدسات المستعملة في جيشنا تزن كيلو غراماً أو أكثر وهي من المسدسات الانكليزية الضخمة. فإذا حملها الضابط تحت السترة كان مظهره قبيحاً غير منسجم، كما أن أنظمة الجيش تمنع حمل السلاح تحت السترة منعاً باتاً تحت طائلة العقوبة. على أنه يجوز للضباط أن يحملوا مسدساتهم فوق السترة وعلى النطاق فقط. ولا يعقل أن يصدر رئيس أركان الجيش وقادة الفرق أمراً بمنع شيء معين، ثم يكونون أول من يخالف هذه الأوامر. بل إن هذا لا يخطر لهم على بال.

٦- الواقع أن أحداً منا لم يكن يحمل مسدسه البتة. فإن لرئيس أركان الجيش البالغ من العمر الستين، ولي ولكل من رفاقي قواد الفرقة، ولقائد القوة الجوية، لكل منا سيارة خاصة به وسائناً للسيارة، وعريف انضباط، ومرافق خاص. وهؤلاء جميعاً يحملون مسدساتهم فماذا يدعوننا إلى حمل مسدساتنا وممن نخاف كل هذا الخوف؟ ولو كنا نحمل مسدساتنا فعلاً بقصد تهديد الوصي، فهل من المعقول أن يذهب إلى الوصي، أشخاص بهذا العمر وبهذا المقام فيشبهون عليه مسدساتهم ويقولون له: أيها الوصي افعل هذا ولا تفعل ذاك وإلا قتلناك.

لو كان بنيتنا أن نقوم بعمل كهذا، لفعلنا ونحن جالسون في مقراتنا. كان يكفي أن نرسل إلى قصر الوصي ضابطاً برتبة مقدم، أو أحد أفراد سرية حرسه فيقول له: أيها الوصي أنت موقوف. وكان يكفي أن يتوجه إليه أحدنا فيقدم له مطالبتنا فإذا رفضها لجأ إلى

التهديد. لأن الجيش كله كان في قبضتنا وقد ثبت ذلك حينما حاربنا الانكليز.

واضح من هذا أن ذهابنا جميعاً لتهديده لا يستقيم، وإن ذهابنا إليه بهذا الشكل الجماعي لا يفسر إلا بالالتماس والاسترحام، لأن رجاء الجماعة أقرب إلى الاستجابة من رجاء الفرد.

٧- ذهبت عصر اليوم الثاني بصحبة فهمي ومحمود سلمان إلى منزل رئيس مجلس الأعيان لنشكره. وهو يذكر زيارتنا هذه في إفادته. وقد استغرقت زيارتنا نصف ساعة حدثنا خلالها عن سيرته وسيرة أبيه إذ سألته عن الصورة المعلقة في صدر المكان، وكانت صورة أبيه. ثم تطرق إلى ذكر العشائر وبأسها وضرورة الاهتمام بتسليحها والاستفادة منها، فأجبتة بأن الجيش يشعر بمثل شعور العشائر، ولكنه يمتاز عليها بالقيادة والتنظيم والسلاح الحديث، فقال:- أخواني: أنتم والجيش معكم قرة عين الأمة، وأنا احترم الجيش وعقيدته الوطنية، خاصة وأنتم على رأسه، ولكنني قصدت الاستفادة من العشائر فلا نهمل أمرها.

واضح من هذا أن رئيس مجلس الأعيان لا يذكر العبارات التي قلناها، كما لا يذكر أين قلناها، وإفادته بهذا الصدد مليئة بالمغالطات، بعيدة عن الحقيقة. فإنه ما قال قوله الذي أتيت على ذكره في قصر الوصي، بل في داره هو، إذ أراد أن يظهر اغتباطه بزيارتنا الأولى له، فراح يعبر عن تعلقه القوي بالجيش. ولو أننا كنا قد هددنا الوصي كما يدعي هذا الشخص، فلماذا سكت على ذلك ولم يعلنه على الملأ، أو على قادة الجيش في حينه؟

قصدنا بعد ذلك دار الكيلاني رئيس الوزراء وكان قد دعانا إلى العشاء، فجلسنا في القاعة أنا وفهمي سعيد ومحمود سلمان وناجي شوكت. وكان الكيلاني يتكلم بالهاتف فلما فرغ، دخل وقال:- تفضلوا إلى الطعام أيها الاخوان، ومعدرة لتخلفي عن المائدة، إذ لا بد من ذهابي إلى رئاسة الوزراء بعد أن أخبرني متصرف الديوانية بالهاتف، أن الوصي في الديوانية، وأنه الآن في مقر الفرقة الرابعة هناك. وكان الكيلاني شاحب الوجه.

ودعانا الكيلاني إلى رئاسة الوزراء بعد ساعة، فرأينا فيها رئيس أركان الجيش وباقي قواد الجيش، كما رأينا رئيس مجلس الأعيان يحدث الكيلاني قائلاً: قلت لك يا فخامة رشيد بك أن لا تصر على طلب حل المجلس النيابي، لأن الوصي لن يوافق، وهكذا أصبحت الآن في موقف حرج.

وكان قائد الفرقة الرابعة - وهو الآن في إيطاليا - يخبر رئيس أركان الجيش بالهاتف من الديوانية. قال له أن الوصي جالس في مقره، وقد طلب مقابلة بعض رؤساء العشائر

ليحرّضهم ويحرّضه هو أيضاً، على التمرد على الكيلاني وأنه اتصل بالمتصرفين هاتفياً ودعاهم إلى مادعانا إليه، وأردف لكنه صغير السن لا يدري ما يفعل وأنه سيعمل على إحباط محاولاته دون أن يشعر، فشكره أمين زكي على ذلك.

واتصل المتصرفون بالكيلاني فأخبروه بما طلب الوصي منهم. ولما انتصف الليل اجتمع الكيلاني بأعضاء وزارته في غرفة خاصة، ثم دعانا لإبداء رأينا فأجبناه بأننا نتمنى وضع حد لهذا الحال ضمن حدود القانون، ونأسف لتردي الأوضاع إلى هذه الهوة. وأننا مع اعتقادنا بأن الحق بجانب الكيلاني، وخاصة فيما حدث تلك الليلة، لأنه محاولة لإقالة الوزارة بطريقة غير مشروعة، نرجح استقالة الوزارة. وكان الهاشمي قد أبدى رأياً مثله ثم انصرف. وهكذا قدم الكيلاني استقالته للوصي برقياً، وثبتها بكتاب أرسله إلى الديوانية فاستدعى الوصي طه الهاشمي إلى الديوانية وكلفه بتأليف الوزارة، فدامت وزارة الهاشمي من كانون الثاني عام ١٩٤١ حتى نيسان ١٩٤١.

إن اتصالنا بالوصي، والتهم التي تنسب إلينا معطوفة كلها على هذا القسم، إذ تألفت وزارة الهاشمي المحايدة بعد انتهاء هذا القسم مباشرة، وطه الهاشمي محبوب لدى الجيش.

يقول الوصي في بيانه أنه ذهب إلى الديوانية ليتخلص من ضغط الجيش عليه، في حين أنه كان يجلس في مقر الجيش بالديوانية، ولو كان بنية الجيش أن يضغط على الوصي، لأصدر أوامره إلى قيادة الفرقة الرابعة أن تفعل. ولو كان بنيتنا أن نعتدي على الوصي أو أن نلقي القبض عليه، لما كان هناك حاجة تدعونا إلى إرسال الدبابات، وحشد لواء من الجنود لمحاصرة قصره، إذ يكفي أن نرسل ضابطاً كبيراً مع نفر من جنود الانضباط إلى قصر الوصي، فيلقون القبض عليه، ويضعونه تحت رقابتهم فيحولون دون خروجه. أو يكفي أن يصدر أحد قادة الفرق أمره إلى سرية الحرس فيلقي القبض على الوصي دون ضجة أو صوت.

لقد كنا ننظر إلى الوصي بعين الاحترام سواء في ذلك الوقت أو بعد انسحاب وزارة طه الهاشمي، وحتى بعد خلعه والتجائه إلى المدمرة البريطانية، وذهابه إلى القدس بعد ذلك بطائرة إنكليزية، وسأثبت ذلك في القسم الخامس، إلا أن الإنكليز ونوري بن سعيد وعلي جودت وجميل الملقب بالمدفعي، دبروا هذه المكيدة ليقسموا الجيش على نفسه، وليثيروا العداء بين الجيش والشعب، وليحيلوا ألع قادة الجيش على التقاعد، وبعد أن يتم لهم إضعاف الجيش على هذه الصورة، يتوصلون إلى تنفيذ مطالب الإنكليز باشتراك فرقة أو فرقتين من الجيش العراقي في ميادين القتال، ويضعون الجيش والشعب تحت تصرف الإنكليز الدائم، ويفسحون المجال

لحشد الجيوش الإنكليزية في العراق، ومنه يهاجمون سوريا وإيران وربما تركيا أيضاً اذا اقتضى الحال. وفعلاً هاجم الإنكليز سوريا وإيران بعد خمسة شهور من الحرب العراقية الإنكليزية.

وسأوضح في القسم الخامس كيف تكررت المحاولات بعد أربعة أشهر لإبعاد الوصي عن التدخل في مثل هذه الخلافات، مستنداً في ذلك إلى افادة صالح جبر الموالي للإنكليز، وإلى افادة الضابط محمد حسين الطريحي.

يقول الوصي في بيانه أنه لم يقابلنا أثناء وزارة الهاشمي أو بعدها، وهذا صحيح واضيف عليه ان طه الهاشمي طلب مراراً أن يقدم قادة الجيش - وأنا منهم - إلى الوصي ليقللوا يده وليتمسوا منه أن لا يضمّر لهم العداوة والبغضاء، لأنها مكيدة من تدبير الإنكليز واتباعهم تبتغي اخراجنا من الجيش ليسيظروا عليه من بعدنا.

إلا أن محاولات الهاشمي رفضت جميعاً، وكان الوصي يقول: أنا لأحب الجيش ولا قادته هؤلاء.

إن ما حدث على عهد وزارة الهاشمي جدير بالتأمل، إذ لو صح أننا اعتدينا على الوصي، لتوصل القائمون على الحكم إلى اتخاذ هذا الحادث دليلاً قانونياً ضدنا. إلا أن الوزارة لم تفعل شيئاً من ذلك، وهذا ما يثبت براءتنا مما نسب إلينا.

إننا لم نعتد على الوصي ولا على غيره في أي وقت من الأوقات، كما أنني لم أر وجه الوصي منذ أن رفض مقابلتنا وحتى الساعة. وهذه الإتهامات التي رمانا بها أعداؤنا ليس لها إلا تفسير واحد، وهو أنهم يريدون الإنتقام ليتخلصوا منا فيصفو لهم الجو، ويحكمون العراق وفقاً للخطط التي وضعوها دون أن يعارضهم معارض.

القسم الرابع

يبدأ هذا القسم في كانون الثاني من عام ١٩٤١، وينتهي في نيسان عام ١٩٤١، وهو عهد وزارة طه الهاشمي.

تلقى الشعب والجيش نبأ انسحاب رشيد عالي الكيلاني من الحكم بالأسف العظيم، وكان قد اذاع بياناً مؤثراً أوضح فيه أسباب انسحابه. ومع ذلك فقد اغتبط الجيش لتولي طه الهاشمي مقاليد الأمور بعد الكيلاني.

يقوم قصر الوصي غربي دجلة على حدود بغداد، وعلى بعد مائتي متر شمال القصر تقع مناطق التدريب والمقرات والمعسكرات التابعة للفرقة الأولى. وكانت أفواج هذه الفرقة

ومدفعيتها تتجمع، بين حين وآخر، في ساحة التدريب لتقوم بتمارينها المعتادة. وفي أحد الأيام تلقى رئيس الوزراء وزير الدفاع طه الهاشمي هاتفاً من الوصي قال فيه أن هؤلاء الجنود الذين يقومون بتمارينهم يريدون به سوءاً، وأنه يخشى أن يكون جمعهم وتدريبهم وسيلة لتنفيذ مآربهم في ليلة ليلاء، وهكذا كان الوصي سبباً في إرجاء التمارين أو صرف النظر عنها قبل انتهائها. ويذكرني ذلك بقصة قرأتها في جريدة (تصوير الأفكار) عن السلطان السابق عبد الحميد، فقد كان كثير الوسواس والشكوك، وكان أفراد حاشيته يزينون الطين بلة إذ يختلقون أخباراً يبتدعونها من خيالهم الخصب فيوسوسون بها صدر عبد الحميد لينالوا الحظوة عنده، فيقوى مركزهم. وجاءه أحدهم يوماً بنبأ مفاده أن طائفة ممن يريدون به شراً عزموا على تطيير منطاد مشحون بالمفرقات لا يكاد يصل سماء القصر حتى يسقط عليها بجهاز ميكانيكي فينفجر. فاستبد الخوف بالسلطان وساكني القصر، وانقلب ومن فيه رأساً على عقب.

لم تكن لمحاولات الوصي هذه أي معنى، وهي أن دلت على شيء فانما تدل على أحد أمرين: التوهم بتأثير وسواس حاشيته الموالية للانكليز، أو تعمد القيام بها لبث التفرقة في الصفوف وفقاً لتدابير الانكليز وشراكمهم. وقد نقل لنا طه الهاشمي كثيراً من أخبار الوصي هذه، وكان رئيس أركان الجيش لايفنك يرجو من طه ويشكو إليه قائلاً إن موقف الوصي غير معقول، لأنه يتدخل في شؤون الجيش واختصاص قادته. لماذا ينفر الوصي منا ويمقتنا، ومن يدفعه ويشجعه على ذلك؟ أرجو أن تقدمنا إلى الأمير الوصي لتقبل يده ونطلب منه العفو، مع أننا غير مذنبين وغير مسيئين. على أن مساعي طه الهاشمي في هذا السبيل فشلت، وهكذا ذهبت محاولتنا لاسترضاء الأمير أدراج الرياح، ولم نر وجهه ولا قدر الله أن نراه بعد اليوم.

ولما جاء وزير الخارجية البريطانية المستر ايدن إلى القاهرة، قابل فيها وزير الخارجية العراقية وطلب منه المطالبات بشكل قطعي بات:

١- قطع العلاقات السياسية بين العراق وإيطاليا.

٢- السماح للجيش البريطاني بالتحشد في الأراضي العراقية.

٣- عدم ارتياح الانكليز لموقف قادة الجيش العراقي.

وكان على انصار الانكليز أن يجدوا وسيلة لتنفيذ مطالب الانكليز، لذلك دأب الوصي عبد الله على ازعاج طه هاشمي والضغط عليه باستمرار.

ولما أصبت بذات الرئة، قام طه الهاشمي بزيارتي كما قام بزيارتي بعض الوزراء.

قال طه الهاشمي أنه: لولا مرضي لافضي إليّ بخبر يهمني، ولكنه يخشى أن يؤثر

قوله علي وأنا مريض، فلما رجوته أن يفصح، قال أن هناك مؤثرات تضغط عليه، وبعد أيام زارني قائد الفرقة الثانية قاسم مقصود (وهو الآن مسجون) فاخبرني أن القائمين على الحكم، يريدون انتقالني إلى قيادة فرقته الثانية بدلاً من فرقتي الثالثة وانتقال قائد الفرقة الأولى كامل شبيب (وهو الآن مسجون أيضاً) إلى قيادة الفرقة الرابعة.

فلفتُ نظر قاسم مقصود إلى أن مثل هذه التقلات يجب أن تجري بموافقة رئاسة أركان الجيش. لأن النظم العسكرية عندنا تقضي بحصر أمر تنقلات الضباط بيد رئاسة أركان الجيش. وليس للوصي أو لوزير الدفاع أو لاية جهة أخرى أن يمارس هذه الصلاحية، أو أن يتدخل في هذا الأمر، لأنه من اختصاصات رئاسة أركان الجيش وحدها، والكلمة لها في تقرير تنقلات الضباط على ضوء معلوماتها عن كفاءاتهم ومزاياهم. أما قادة الفرق فلا يكون نقلهم إلا بقرار تصدره هيئة عسكرية خاصة، ويوافق عليه رئيس أركان الجيش ثم وزير الدفاع. إن اطلاق يد الوصي في شؤون الجيش، يخضعه لأوامر الانكليز وإدارتهم، إذ يستجيب الوصي إلى مطالب الانكليز فيكيدها لنا ويحيلنا على التقاعد، فيسير الجيش من بعدنا في ركاب الانكليز ويتضح من مراجعة افادة الوصي أنه كان يبيت هذا بالفعل.

لم يساورنا الشك في وطنية طه الهاشمي، ولا تبادر إلى أذهاننا يوماً أنه يفضل مصلحة أخرى على مصلحة بلاده، لكنه كان هدفاً لضغط قوي، لم يستطع أن يخفف من حقد الوصي وبغضائه التي أبداها لقادة الجيش دون سبب مبرر وبدون ذنب جنوه. وكان يعلم حق العلم أنه لا سبيل إلى الوقوف بوجه المطالبين الانكليزية أو معارضة مايرينون. وإزاء هذا الموقف الذي وقفه الوصي والانكليز واتباعهم أعرب الشعب والجيش عن تمنياته بتولي رشيد عالي الكيلاني رئاسة الوزارة. وكان الرأي العام صريحاً في هذا الموقف، لذلك توجه رئيس أركان الجيش يرافقه فهمي سعيد (وقد نفذ فيه حكم الاعدام) إلى طه الهاشمي فأعطاهما هذا استقالته بخط يده، وعدّ الهاشمي ذلك فضلاً منه وعملاً معروفاً. وحاولاً رفع كتاب الاستقالة إلى الوصي، لكن الوصي لم يكن موجوداً في قصره، ولا يدري أحد أين ذهب. وهكذا أرسلت لي الورقة التي حرر عليها الهاشمي استقالته فوضعتها في الخزانة الحديدية بمقر غرفتي ومازالت هناك. وتبين لنا في اليوم التالي أن الامير قصد المعسكر البريطاني الواقع على بعد ٦٥ كيلو متر غربي بغداد بعد أن أخبره الهاشمي هاتفياً بأمر استقالته.

يجدر الوقوف هنا قليلاً لمناقشة بعض الجمل والعبارات الواردة في بيان الوصي، قبل الانتقال إلى سرد وقائع القسم الخامس:

١- أعود فأقول أن الوصي والثلاثة المشهورين بمواليتهم للانكليز: نوري وجوهر

وجميل، كانوا في قبضتنا وكان بمقدورنا القاء القبض عليهم أو اتخاذ أي إجراء آخر ضدهم، لو كان ذلك في نيتنا. وكان من الميسور أن يتم ذلك دونما صوت أو ضجة قبل أن يقدم الهاشمي استقالته. فنأمر مثلاً سرية الحرس القائمة على حراسة الوصي بأن لاتسمح له بمغادرة قصره، أو يرسل مدير الشرطة العام مفارز من الشرطة إلى منازل الثلاثة الآخرين فيضعهم تحت الرقابة. أما الإتهام المزعوم بأننا قمنا باحتلال بغداد بالدبابات وألوية المشاة، أو بتطويق قصر الوصي بها، فإنه زعم لا صحة له. لقد كان الشعب معنا والجيش بيدنا، وما من قوة تقف أمامنا أو تمنعنا، فلماذا نكلف جنودنا هذا العناء ولماذا نحملهم على إجراء هذه المناورات الممتازة بدون حاجة تدعو لذلك. لقد كانت أكثر من فرقتين من الجيش العراقي تعسكر في بغداد بالفعل، فما معنى ماورد في الاتهام من احتلال بغداد؟

٢- جاء في بيان الوصي ذكر الاميرة صالحة، وهي تقيم شرقي دجلة على الشاطئ الايسر وفي داخل بغداد، أما معسكر الطيران البريطاني فإنه يقع على بعد ٦٥ كيلو متراً غربي بغداد وعلى الشاطئ الأيمن من نهر الفرات، وأما قصر الوصي فإنه يقع غربي دجلة وعلى شاطئه الأيمن بجوار ثكنات الفرقة الأولى والطريق التي تصله بالمعسكر البريطاني معبدة بالاسفلت.

فلو كان الوصي قد ذهب إلى منزل عمته الاميرة صالحة كما يدعي في بيانه، فلا بد له علي كل حال من عبور دجلة على أحد الجسور، ولابد له أيضاً من اجتياز جسر آخر قبل وصوله إلى المعسكر البريطاني. فلو صدق زعمه بأننا طوقنا قصره واحتلنا بغداد ووضعنا الدبابات على رؤوس الجسور واستخدمنا في ذلك قوات الجيش والشرطة، فكيف تمكن من اختراق كل هذه الحواجز عند ذهابه إلى منزل عمته بعد منتصف الليل ثم عند خروجه في الصباح مرة ثانية؟ كيف تمكن من ذلك إذا كانت بغداد كما يقول؟ لا بل إن الوصي يستحي أن يقول في بيانه أنه ذهب إلى المعسكر البريطاني برفقة صديقه دونفيل، الضابط الانكليزي في دائرة الاستخبارات في السفارة البريطانية.

٣- قلت أن قصر الوصي يقع في منطقة مقرات الفرقة الأولى، وأن ثكناتها تبعد مائتي متر عن القصر باتجاه الشمال الغربي. وهذه المنطقة ليس لفرقتي (الثالثة) علاقة بها. لأن الفرقة الثالثة التي أنا قائدها تنحصر منطقتها بين الشاطئ الأيمن لدجلة وتمتد شرقاً إلى الحدود الايرانية. وربما كانت إحدى السرايا أو الأفواج التابعة للفرقة تقوم بالتدريب، وربما أن هذا لم يحدث البتة، لا أدري على وجه التحقيق لأن هذه المنطقة ليست منطقة فرقتي. إلا أنني أعلم علم اليقين أن الدوريات تبدأ عملها حول المعسكرات عند حلول الظلام، وهذا تقليد

عسكري تسير عليه الجيوش كلها. ومن المحتمل أن يكون الوصي قد رأى بالصدفة إحدى هذه الدوريات تقوم بواجبها فحسب أنها تبتغي محاصرته. على أنني في جميع الحالات لأعلم شيئاً عما يقول في هذا الصدد، وهو إنما فعل ذلك عمداً وفق خطة إنكليزية مدبرة، أو أنه فعله بوحى من حاشيته، وجميعها من الموالين للإنكليز، وتأويلهم لأوامره. إن من يقرأ بيان الوصي لا يخرج بنتيجة غير قوله:

«لقد حاصرني، يريدون القاء القبض علي. إلا أن أحداً لم يجرؤ على ذلك، فنجوت بحمد الله - وقضيت ليلتي عند عمتي...»

القسم الخامس

يبدأ هذا القسم في نيسان ١٩٤١، وينتهي في حزيران ١٩٤١. وفيه أُنْتُخِبَ الشريف شرف، خال عبد الله وصياً على العرش، وقامت وزارة الكيلاني، ووقعت الحرب بين العراق وإنكلترا.

انتقل الوصي ومعه نوري وجميل وجودت من المعسكر البريطاني إلى البصرة بطائرة إنكليزية، ثم ذهبوا إلى مدمرتين بريطانيتين دخلتا شط العرب قبل ثلاثة أيام بدون إذن ورستا بجوار البصرة. ثم ذهب الوصي ومن معه إلى القدس، فقام الكيلاني بتأليف حكومة مؤقتة.

(جاء في الاتهام أن الوصي ذهب إلى سفينة بريطانية، والصحيح أنه ذهب إلى بارجة بريطانية، وإفادة صالح جبر تؤيد ذلك).

علمنا أن الوصي اتصل برؤساء العشائر المقيمة بأطراف البصرة لما كان هناك. وأنه خابر المتصرفين بلسانه، وحرّضهم جميعاً على العصيان. وكانت محطة إنكليزية للاذاعة تنطق بلسانه من مكان مجهول. فلما ايقنوا أن أقوالهم لا تلقى اذناً صاغية، قبعوا في البارجة البريطانية، وتلقيت أمراً هاتفياً من الحكومة المؤقتة ومن رئاسة أركان الجيش بمنع الوصي المخلوع من الاستفادة من وسائل المخابرة كي لا يتصل بأحد لما كان في البصرة، فقامت بدوري بارسال البرقية الموجودة مسودتها في الاضبارة محررة بخط يدي.

فلما علم الشعب بما كان من أمر الوصي، قام بمظاهرات حماسية ضده ووصمه بالخيانة ورماه بالجحود بحق أمته، ونشر رئيس أركان الجيش بياناً موقعاً بامضائه ندد فيه بتصرفات الوصي هذه. وقامت حكومة الكيلاني المؤقتة بدعوة أعضاء مجلسي النواب والاعيان إلى الاجتماع. فقرر المجلسان باجماع الآراء خلع الوصي عبد الله وانتخاب الشريف شرف وصياً عوضاً عنه، وهو شيخ وقور محترم في السبعين من العمر، وينتسب إلى العائلة المالكة.

وقد كلف الوصي الجديد رشيد عالي الكيلاني بتأليف الوزارة. أما الوصي السابق فقد قضى في البارجة البريطانية عشرة أيام أو أكثر، حتى إذا بلغه نبأ عزله وانتخاب وصي غيره غادر البصرة بطائرة انكليزية قاصداً فلسطين، ثم ذهب إلى عمه الامير عبد الله أمير شرقي الاردن.

اعترفت معظم الدول بحكومتنا الجديدة مثل المانيا وايطاليا واليابان ورومانيا وبلغاريا والمجر، باستثناء انكلترا وأمريكا وبعض الدول الأخرى، أما الانكليز فقد أخذوا يسامون حكومتنا الجديدة ويفاوضونها، وقالوا إن الحكومة البريطانية على استعداد للاعتراف بحكومتنا إذا وافقت على قطع العلاقات بدول المحور، وسمحت للجيش البريطانية بالتحشد في العراق.

أثناء هذه المساومة، قام الانكليز فجأة بانزال جنودهم في البصرة وما جاورها من بواخر عديدة يحميها اسطول بريطاني، فاتصل رئيس الوزراء الكيلاني بالسفير البريطاني وطلب منه أيضاً لهذه الحركة الانكليزية التي تخالف نصوص المعاهدة، والتي تشعر الحكومة العراقية بها مسبقاً. فجاءه الجواب بأن قدوم هذه الفرقة كان اضطرارياً وأن ألوية الفرقة ستسافر إلى فلسطين لواء بعد لواء وأن مثل هذا الخطأ لن يتكرر. إلا أنه لم تمض ثلاثة أيام حتى جرى انزال لواء مصفح بصورة مفاجئة وبدون اذن، وبدون أن تسافر الفرقة كما وعدوا. وفي الوقت نفسه تقاطرت الطائرات البريطانية على الطرق قادمة من فلسطين والهند. فقدمت حكومة الكيلاني للانكليز احتجاجاً ثانياً شديد اللهجة، فكانت حجتهم أن البواخر القادمة من الهند لا تبحر إلا مجمعة في قوافل، وحاولوا وضعنا أمام الأمر الواقع. ولم يمض يومان حتى بلغنا أن رتلأ كبيراً من السيارات المصفحة تحرك من فلسطين باتجاه العراق. كما وصلت العراق عدة بواخر انكليزية محملة بالجنود قادمة من البحرين.

لم يكن الوقت وقت تقديم احتجاج ثالث، لأن المسألة لم تعد مسألة احتجاجات، إذ أصبح الوضع صريحاً سافراً وكان مغناه أن البصرة ضاعت من أيدينا. فصدر الأمر حالاً بتعييني قائداً للجبهة الغربية، كما توليت قيادة الفرقة الأولى والقوات المصفحة أيضاً بالإضافة إلى قيادة الفرقة الثالثة. وبادرنا إلى مسك رؤوس الجسور وسد الطرق والمنافذ، إلا أننا كنا نسمح للمفارز الانكليزية الصغيرة بالذهاب والاياب، وكنا حتى ذلك الحين لا نصدق أن الانكليز سيجرؤون على قتالنا، وأنهم سيعلمونها علينا حرباً شعواء.

هكذا كان الجيش العراقي حين قامت الطائرات الانكليزية بالقاء النشرات على مدن العراق الرئيسية، ويقصف معسكرات الجيش العراقي ومواقع التي يحتلها قصفاً عنيفاً. وكان ذلك في الساعة الخامسة من صباح يوم الجمعة وبصورة مباغتة ودام القتال شهراً واحداً

بدون اعلان النفير العام. ولما كنا نعلم بضغفنا فقد أثّرنا انتهاء الحرب، حقناً للدماء وصوناً للأرواح والممتلكات وحفظاً للمؤسسات والمرافق العراقية التي استغرق انشاؤها عشرين عاماً وكلفت العراق غالياً. ولو شئنا أن نواصل القتال لفعلنا ذلك ستة أشهر أخرى، ولكن حبنا للوطن أهاب بنا إلى قطع النار، وهكذا التجأ الكيلاني وأعضاء وزارته وقواد الجيش إلى إيران. وجاء الانكليز بالقائمين على الحكم الآن من اتباعهم، ونصبوا عبد الإله وصياً من جديد، لأنهم ينفذون مشيئة الانكليز بتفانٍ وإخلاص، وما قع بأيديهم واحد منا إلا وأعدموه. وما مضى زمن طويل على انقطاع القتال في العراق حتى هجم الانكليز على سوريا، ثم جاء بعدها دور إيران المسكينة، فأنطبقت عليها الجيوش الانكليزية المحتشدة في العراق والجيوش الروسية. وكان هجومهم على إيران بدون ذنب ارتكبته، لذلك تذرّعوا بنفس الحجة التي تذرّعوا بها في العراق. فلما احتلوا هذه الدولة التي تدين بديننا ألقوا القبض على زملائي، فأرسل بعضهم إلى العراق فكان نصيبهم الموت أو السجن، وأرسل البعض الآخر إلى جنوب افريقيا.

أما أنا، فقد قضيت تسعة شهور في بؤس شديد وفقير مدقع، وقاسيت برد الشتاء الماضي وأنا أجوب حبال إيران حتى تراميت على الحدود التركية في الثاني من شهر نيسان عام ١٩٤٢.

ولما وقعت الحرب بين العراق وانكلترا كان عبد الإله ونوري وجميل وجودت في معسكرات الانكليز، يتمتعون انفسهم برؤية دماء قومهم المسفوكة. وسيذكر التاريخ أنهم قاموا ضد وطنهم في هذه الحرب جنباً إلى جنب مع الانكليز.

هذا موجز الحوادث التي مرت على العراق، وما كان من خلع الوصي عبد الإله، وهكذا دفعنا الانكليز دفْعاً إلى القيام بما قمنا به، وقبل أن أتناول بالبحث اضبارة الاتهام الجديدة الطافحة بالمغالطات أقول إنني لست بمحام، ولا مال عندي لتوكيل محام يشير علي ويساعدني. ولكنني واثق أن القضاء هو محامي الصادقين، وأن القضاء هو الذي سيدافع عني دفاعه عن الحق والعدل.

١- قبل خمسة أشهر رد القضاء التركي الطلب الذي تقدم به العراق لتسليمي وبالتالي لاعدامي، إذ اعتبر القضاء قضيتي سياسية. وكان الذي حكم علي بالأعدام قد أورد في ذلك الطلب جميع الأسباب الموجبة للحكم وسرد الاتهامات كلها. فلما علم أعوان الانكليز في العراق أن تركيا رفضت طلبهم، قاموا بفرز نفس التهم السابقة الملفقة التي وردت في الاضبارة الأولى. فهل يجيز القانون اصدار حكم جديد بالأعدام إلى جانب حكم الاعدام

السابق؟ وهل هذا من العدل أو القانون في شيء؟ إن العدل والقانون لا يعنيه كثير، ولا يهمهم بأية وسيلة يتوصلون إلى إلقاء القبض علي وأعدامي، ولو كانت كذباً وتلفيقاً.

٢- سمعت من اذاعة بيروت وبغداد، كما قرأت في الصحف الإعلان التالي قبل

اسبوعين:-

إلى العقيد الركن المتقاعد صلاح الدين الصباغ

لقد اقتضى تكليفك بالحضور، للإجابة على التهم الموجهة إليك حسب المادة ٣٠ و ٤١ من قانون العقوبات العسكري، وعليه وجب حضورك أمام هذه المحكمة خلال ثلاثين يوماً من تاريخ هذا الاعلان. وعند عندم حضورك، ستجري محاكمتك غيابياً ويحكم عليك باسقاط الحقوق المدنية عنك وحجز اموالك المنقولة وغير المنقولة، وسيكلف جميع الموظفين المدنيين بإلقاء القبض عليك، والزام كل شخص يعلم بمحل اختفائك أن يخبر الجهة العسكرية بذلك وفقاً للمادة (٥٨) من قانون الأصول العسكري.

الزعيم الركن رئيس المحكمة العسكرية للفرقة الأولى

لم ينشر هذا الاعلان إلا بعد أن رفض القضاء التركي اعداتي إلى العراق، وهم انما يريدون إلقاء القبض علي لينفذوا بي حكم الاعدام، ويكسروا شوكة الوطنيين في العراق.

٣- تنص المادة التاسعة من قانون الجزاء التركي علي مايلي: «إذا طالبت دولة أجنبية بإعادة احد المجرمين السياسيين أو ممن لهم علاقة بالسياسة، إلى تلك الدولة فإن طلبها لا يقبل»

لقد عاد الوصي المخلوع عبد الاله إلى العراق بقوة الحراب الانكليزية فأعدم زملائي، وقد يشاء الله فيعود الكيلاني إلى العراق، ولا يجد اتباع الانكليز الذين أعدموا زملائي ملجأ يلونون به غير تركيا. ولن تعتبرهم تركيا إلا لاجئين سياسيين، لأن الاتراك لا يسلمون من التجأ إليهم. وما كان الكيلاني في تلك الحالة ليتقدم اليكم بطلب تسليمهم. فكيف بنا ونحن لم نؤذ أحداً من أبناء وطننا ولم نسفك دماءه، ولا انتقمنا ولا انتقمنا. هل من الحق في شيء أن يتقدم اتباع الانكليز بهذا الطلب؟!

٤- إننا نعتبر حكومة نوري بن سعيد القائمة في العراق غير شرعية. ونعتبر وصاية الوصي الموجود في العراق غير شرعية أيضاً. وهناك دول كثيرة لم تعترف بشرعيتها حتى

الآن بالاضافة إلى دول المحور.

لقد خلع الانقلاب التركي السلطان وحيد الدين، فالتجأ إلى الاسطول البريطاني وقام بنفس الافعال التي قام بها الوصي المخلوع عبد الاله. كما أصدر حكمه بإعدام أتاتورك وزملائه. ترى أي الطرفين كان محقاً وأي الطرفين نال مؤازرة الشعب؟ ماذا كان مصير أتاتورك لو انتصر وحيد الدين ومن معه بقوة الحراب الانكليزية؟ وهل كانت لحركة أتاتورك صفة سياسية أم لا؟ وهل كان يفهم من الحكم الذي أصدره وحيد الدين من بعد التجائه إلى البارجة البريطانية بإعدام أتاتورك، أنه ما أصدر حكمه إلا لأن أتاتورك اعتدى عليه واجبره على الهروب إلى البارجة البريطانية؟ ثم هل كان يجوز لوحيد الدين أن يصدر حكماً جديداً في نفس التهم السابقة التي حكم بموجبها على أتاتورك بالأعدام بعد أن يفرزها ويفسرهما بشكل ملفق لأظهار أتاتورك بمظهر المجرم العادي؟

هـ- إن الوصي الشرعي على عرش العراق هو الشريف شرف الذي زج به في سجون أفريقيا الجنوبية. أما عبد الاله الذي عاد إلى العراق بقوة الحراب الانكليزية ونصب وصياً من جديد فإنه وصي غير شرعي. إن الحكومة العراقية الشرعية هي حكومة الكيلاني لأنها قامت بإرادة الأمة، أما الحكومة التي أقامها في العراق أتباع الإنكليز مثل نوري بن سعيد وغيره فإنها حكومة غير شرعية، ومثل هذه الحكومة تنهار حالما تنسحب الحراب الانكليزية من العراق.

وما سعيهم للتخلص منا بأي ثمن ولهفتهم هذه إلا دليلاً على خوفهم منا، لأن الشعب والجيش يحبنا ويمقتهم.

الخلاصة

يقوم هذا الاتهام الجديد علي ثلاث حجج كاذبة، ليسند بها زعمه بأنني اعتديت على عبد الاله الوصي غير الشرعي:-

- ١- الإدعاء بأنني وجهت للوصي كلاماً خشناً أو هددته.
- ٢- الإدعاء بأنني وزملائي كنا نحمل مسدساتنا في حضرة الوصي، وينحصر هذا الإدعاء في افادة رئيس مجلس الأعيان وحدها.
- ٣- الإدعاء بأن رئيس مجلس الاعيان قال لنا بأن الأمة هي مصدر القوة لا الجيش (وقد تناولت هذا الموضوع بالبحث في القسم الثالث).

أما تهديد الوصي لما كان بالبصرة فلا مجال للبحث فيه إذ لا علاقة لي بشخص استغني عنه بعد خلع فاقام في بارجة بريطانية.

ما هذه الاتهامات إلا مغالطات لا أساس لها من الصحة، فإننا إذا راجعناها وتحريّنا تاريخ وقوعها تبين لنا أنها كاذبة كلها، ملفقة من أساسها. فالوصي في بيانه، ورئيس مجلس الاعيان في افادته، يقولان أن هذه الحوادث وقعت قبل ذهاب الوصي إلى مقر الفرقة الرابعة بالديوانية، أي في غضون شهر كانون الثاني ١٩٤١ ويتضمن هذا التاريخ ما حدث في القسمين الثالث والرابع لما تولى طه الهاشمي رئاسة الوزارة، ثم يلي ذلك القسم الخامس الذي تم فيه تأليف حكومة الكيلاني ووقع العنوان الأنكليزي على العراق. وتفصل بين كانون الثاني ونيسان من سنة ١٩٤١ فترة قامت فيها وزارة الهاشمي، فلو كنت -أو كان واحد من رفاقي الذين أعدموا- قد قام بهذه الأفعال المنسوبة لي، فلماذا لم أحاكم عليها آنذاك من قبل تلك الوزارة، وهي الوزارة التي تألفت برغبة الوصي؟ ولو كانت الاتهامات المنسوبة لي قد وقعت بالفعل إذن لقامت الوزارة باثبات الجرم علينا واتخاذ ما يقتضيه القانون بحقنا من تطبيق الاحكام واصدار القرارات.

أوضحت في القسم الثالث أن رئيس مجلس الأعيان لم يكن حاضراً حين قابلنا الوصي، بل أننا لم نقابلهما معاً في حياتنا، ولم تجر بيننا احاديث غير التي أتيت على ذكرها في القسم الثالث، كما لم تصدر منا أية عبارة تنال من كرامة الوصي، وليس من سبب يدفعنا إلى استعمال مثل هذه الألفاظ التي لاتليق بمراكزنا وقياداتنا. ولا تليق برئيس اركان الجيش الذي يبلغ الستين من العمر.

أما حمل المسدسات فلم يرد ذكره إلا في افادة رئيس مجلس الأعيان محمد الصدر،

وبيان الوصي والإفادات الأخرى لاتأتي على ذكره. وقد سبق الرد على هذا في الفقرات (٦٣ و٦٤ و٦٥) من القسم الثالث، ويزعم رئيس مجلس الأعيان أنه قال لنا أن الأمة هي مصدر القوة لا الجيش. وهذا الزعم لا ينطبق على الحقيقة، لأن ما حدثنا به لم يكن في قصر الوصي بل في منزله هو حين ذهبنا لزيارته.

وجميع أقواله مذكورة في الفقرة (٧) من القسم الثالث.

لم يقع على الوصي حين مر بالبصرة أي اعتداء، ولم يحاول أحد القاء القبض عليه. ويتضح من مراجعة إفادة الضابط محمد حسن الطريحي أن الوصي قام بتصرفات ضارة حين مر بالبصرة وأنه طلب من القيادة العليا مراراً تفويضه بإلقاء القبض على الوصي لمنعه من المضي في تلك التصرفات، خاصة بعد أن خلع من الوصاية وأصبح شخصاً اعتيادياً. كما ورد في إفادة صالح جبر مايدل على أن الوصي اجتمع بضباط الجيش في البصرة وحرّضهم على التمرد، ولكن لم يرد فيها مايدل على وقوع مايمس بالوصي، وليس في الإفادات التي أدلى بها أنصار الانكليز الكبار مايدل على قيام أحد من الناس بأي عمل يمكن اعتباره اعتداء على الوصي المخلوع، مع أن تلك الإفادات تكيل لنا الطعن بلا حساب.

ولو أننا اتخذنا التدابير للحد من تصرفاتهم، لما تمكنوا من الطيران إلى البصرة بطائرة بريطانية، فناموا ليلتهم هناك في دار أحد الانكليز، ثم ذهبوا بعدئذ إلى البارجة البريطانية ومنها إلى فلسطين بالطائرة، فالواقع أنهم كانوا أحراراً في تنقلاتهم، ولو أردنا القاء القبض عليهم لما نجوا من أيدينا، ونحن نملك جميع القوى والوسائل. إلا أننا لم نفعل شيئاً من ذلك، ولم يكن بنيّتنا أن نفعل. وكانت نتيجة حسن نيتنا أن الانكليز اعادوهم إلى العراق فوضعوا زمام الأمور بأيديهم من جديد، فكان جزاؤنا الاعدام، وهم يطلبون من تركيا الآن اعادتي إلى العراق لاعدامي بعد أن أعدموا زملائي.

على أننا لم نجعل هؤلاء هدفاً لنا، فقد كان الانكليز هدفنا، ولم يخطر على بالنا يوماً أن هؤلاء الأشخاص سيستقر بهم المقام في معسكرات الجيش الأجنبي الذي يسحق أبناء وطنهم بقدمه.

الخاتمة

قبل خمسة شهور، طلب القائمون علي حكم في العراق من تركيا تسليمي إليهم لينفذوا حكمهم باعدامي، إلا أن طلبهم ردٌ باعتبار قضيتي سياسية، ومن جملة الاتهامات التي نُسبت إليّ وإلى رفاقي تهمة معينة هي الاعتداء على الوصي. وقد حكم علينا اتباع الانكليز بالإعدام استناداً إلى هذه التهمة وغيرها من التهم الملفقة. لكنهم لما أئخنا جواب الحكومة التركية، ذلك الجواب العادل القاضي بعدم تسليمي، ولما علموا أنهم لن يتمكنوا من القبض عليّ أبداً، أفردوا اتهاماً واحداً من الاتهامات العديدة التي وردت في الافادات الملفقة التي أدلى بها اتباع الانكليز، ليتمكنوا من اتهامي بجريمة عادية فيصدر فيها القضاء حكماً جديداً.

لا أدري إن كانت مثل هذه اللعبة في حدود القانون، لكنني واثق أن القوانين لن تجيزها بأي حال لأنني بريء مما يدعون، ولأنني لم أوقع الضرر بانسان. وإنما يأتي القانون على ذكر هذه الألاعيب ليبعد القضاء عنها ويمنع وقوعه فيها. ولماذا يفردون اتهاماً معيناً من حكم الأعدام السابق ومن نفس الافادات؟ لقد أرسلوا هذا الاتهام وهم يأملون أن ينطلي على نباهة القضاء التركي وحصافته، ولم يعترهم الخجل مما يفعلون، ألا أنهم قتلة موتورون، مضرّجة أيديهم بدماء أصحابي، وهمم الوحيد هو إلحاقني بأصحابي الذين أعدموا، هذه غايتهم، يريدون الوصول إليها بأية وسيلة، ولا يتورعون عن الكذب والاحتتيال في هذا السبيل. ذلك أنهم خائفون، لأن الجيش العراقي مازال متعلقاً بي وبزملائي. إنهم يخافون يوماً نعود فيه، لذلك يلقفون ويحتالون ويتلهفون للقبض عليّ، فإذا كان لهم ذلك لم يكتفوا باعدامي، وإن يروي غليلهم سوى التمثيل بجسدي، لأنني كنت أقدم رفاقي الذي أعدموا وقائداهم.

لقد كنا، أنا ورفاقي الذين أعدموا، لانقيم لهؤلاء وزناً ولا نحسب لهم حساباً، لذلك لم يخطر على بالنا يوماً أن نسيء لهم، فتركناهم أحراراً وسمحنا لهم بالتنقل، فلبّأوا إلى أحضان الانكليز، لأن قضيتنا لم تكن ضد عبد الاله أو غيره، أي أنها لم تكن ضد أشخاص معينين، بل كانت ضد الانكليز، إذ لم نوافق على خرق المعاهدة العراقية الانكليزية، ثم دافعنا عن وطننا وشعبنا وعن حكومتنا الشرعية، ووقفنا بوجه الهجوم الغادر الذي قام به الانكليز على حين غرة لاجبارنا على الرضوخ لمطالبهم، ولم تقع حوادث أخرى على عهدنا.

لو كان هؤلاء وطنين لساعدونا ولو خفية ولما كنا في ذلك الوضع. لأنني لست ممن يبيع نفسه لألمانيا أو لأية دولة أجنبية أخرى. وكذلك أصحابي. ولقد كان لنا هدف واحد فقط هو الانكليز، الانكليز الذين يسحقون بلادنا.

لو كان هؤلاء وطنيين لما لفقوا هذه الاتهامات الكاذبة ليقتلوا بها أبناء وطنهم، لأن العراق لن يجد من يحلّ محلّ أصحابي الذي أعدموا لعشرين سنة أخرى. أما نحن فلم نعدم أحد ولم نسفك دماً ولا حقّرنا فرداً. لقد كان الأنكليز همنا الأول والأخير، والأنكليز فقط. لكنهم كانوا أكثر انكليزية من الأنكليز، ولم يرو غليلهم ما أراقوه من دماء الشعب حتى الآن.

أعود فأقول إننا أبرياء لم نجن ذنباً، وإنني لم أحقر أحد، ولا صدر مني كلام خشن ضد أحد لأن ذلك لا يتفق مع مركزي ولا مع ثقافتني وتربيتني. إن تاريخ الافادات التي توجه الاتهام ضدي وتاريخ الحوادث التي ذكرها الوصي المخلوع عبد الله في البيان الرسمي الذي اذاعه في الراديو بنفسه، توضح ظلم هؤلاء ويعدمهم عن الحق فيما يدعون، إذا ما قورن ذلك التاريخ بالحوادث التي أتيت على ذكرها في القسم الثالث والأقسام التي تليه. إنهم يريدون أن يوهمو القضاء التركي بأننا مجرمون حتى إذا سلمتني تركيا إليهم أعدموني، وما قاموا بهذه المحاولة إلا بعد أن فشلت محاولتهم الأولى إذا أوضحت لهم تركيا عدم جواز تسليم المتهمين السياسيين.

لقد انفق الشعب الوف الجنيهات على دراستي وتنقيفي في معاهد الهند وأنكلترا، وتلقيت الدراسة في كليتي الأركان العراقية والأنكليزية حتى توليت القيادة العليا. ولم أرتكب جريرة طوال حياتي العسكرية التي دامت سبعة وعشرين سنة، فهل يتفق مع العقل والمنطق أن اعتبر الآن مجرماً؟

لو كنت أهدف نفعاً شخصياً لما شيت الأنكليز، فأصبحت الآن رئيساً لأركان الجيش، فقد عرض علي الأنكليز رئاسة أركان الجيش كما عرضها علي أعوانهم، بل أنني كنت بالفعل جديراً بهذا المنصب، أنا الذي أعيش اليوم فقيراً لأملك ما يسد الرمق. لقد وصلنا إلى هذه الحال، أنا وأصحابي، في سبيل الشعب والوطن. وما غاب عنا يوماً أن عملنا الذي نقدم عليه سيعود بالضرر على مصالحنا الشخصية، لكننا لم نأبه بذلك وضحيًا بمصالحنا في سبيل الشعب والوطن. وقدمنّا أنفسنا ومصالحنا فداء لبلادنا طائعين. وأنا وأفراد عائلتي المتشردة بين سوريا والعراق، وأطفال وزوجات الذين أعدموا من أصحابي، نعيش ببؤس وشظف بعد أن ضحينا في سبيل بلادنا بأمالنا العريضة وأيامنا المشرقة، وبأموالنا وأرواحنا.

لأدراهم عندي لتوكيل محام، وليس ورأئي حراب انكليزية تحميني، ولا أية قوة أخرى إلا الله، وعدالة قضيتي التي فديتها بكل شيء.

صلاح الدين الصباغ

«المحاكمة»

محكمة الجراء البدائية

إن العقيد العراقي صلاح الدين الصباغ، الموجود حالياً في بلادنا معتقلاً في سيواس، والذي كان قائداً للفرقة الثالثة في جيش رئيس الوزراء العراقي السابق رشيد عالي الكيلاني، والذي حاول توجيه السياسة العراقية على ضوء المعاهدة القائمة بين العراق وبريطانيا، والذي ناهض الانكليز وقاد المقاومة المسلحة ضدهم، والذي قام بقلب الحكومة، ثم غلب في الحرب ضد الانكليز فانسحب، وبالنظر للقرار الصادر بتاريخ ١٩٤٢/١/٦ عن المجلس العرفي العسكري المنعقد في بغداد والقاضي بالحكم عليه بالاعدام بموجب المادة (٨٠) من قانون العقوبات البغدادي، فقد ارسلت الحكومة المحلية كتابها المؤرخ ١٩٤٢/٦/٢ والمرقم ١٧٨/٤٨٦ إلى وزارة العدل التركية بطلب اعادته إليها لتنفيذ الحكم فيه.

وبالنظر إلى المادة (٩) من قانون الجراء التركي واستناداً إلى الصلاحيات التي خولها القانون للمحكمة بشأن طلب التنفيذ وبالنظر للأوراق السابقة، فإن قائد الفيلق في حكومة رشيد عالي الكيلاني الفعلية، يعتبر لاجئاً عسكرياً سياسياً تمنع المادة (٩) من قانون الجراء التركي تسليمه.

١٩٤٢/٦/٩

المدعي العام: بهاء سويسال

شهادة رقم (14)

الأفول المشرق

للشاعر العربي الكبير معروف الرصافي

عبراً في أفولها، كالشموس
في دياجير طالعٍ منحوس
تنجلي منه داجيات النحوس
ثم دسبوا جسومكم في الرموس
هربوا المال من جباة المكوس؟
فعلّة السوء منه بالتغليس
علم الجيش غير ما منكوس
أن تكونوا في ربقة «الأنكليس»
خاليات القرون في «ابليس»
شائع الذكر في بطون الطروس
في أسي من مصابها محسوس
بأجل التحميد والتقدّيس
هو تعظيمكم بخفض الرؤوس
شرف خالدٍ لكم قدموس
يوم يؤس كيوم «حرب البسوس»
وتلظى بحرّ نار المجوس
في شحوب وغبرة وعبوس
مثل تيار لجة القاموس
معرباً عن نشيجنا المهموس
يتأتى من صاخبات النحوس
إن نسي يوم شنقكم أو تُذرس

أيها الأنجم التي قد رأينا
إن هذا الأفول كان شروقاً
وسيأتي منه الزمان بسعدٍ
شنقوكم ليلاً على غير مهلٍ
أفكانوا في ظلمة الليل تُجرأ
هكذا الخائف المريب يُواري
شنقوكم لأنكم قد جعلتم
شنقوكم لأنكم قد أبيتم
فاستحقوا اللعن الذي كررته
سيديم الزمان لعناً عليهم
أيها الأنجم التي تركتنا
في سبيل الأوطان متّم ففرّتم
وستبقى الذكرى لكم ذات رمزٍ
وسيجري احتزامكم في مجاري
إن يوماً به نعيتم إلينا
قد حكاها طولاً وشؤماً وبغياً
فيه أبدت منا الوجوه كلوحاً
اذ سكنا وفي القلوب ارتجاج
وأطلنا عن الكلام سكوتاً
ووجمنا حزناً وربّ وجومٍ
برئت ذمّة المروءة منا

ألقيت هذه القصيدة في رثاء قادة عام ١٩٤١.

رابعاً:

إلى أولادي

أولادي الأعزاء نزار وربيعه وأنمار

لقد سلّمني الاتراك، فنقضوا عهد الشرف والقوانين المرعية في بلادهم. لقد سلّمني الاتراك إلى الانكليز على الحدود السورية، بمعونة الدرك السوري... في ميدان اكبس. إن رجال سوريا والعربية يشهدون بأنني لو كنت ذا نزعة عراقية اقليمية، لاصبحت الآن أعلى من نوري ومن عبد الاله مقاماً عند الأنكليز، وإن تضحياتي في سبيل فلسطين وسوريا المحبوتين، هي التي أوصلتني إلى هذه الحال.

ويعرف ذلك رجالات سوريا الوطنيين مثل القوتلي ومردم والجابري، الذين كانوا يلجأون في أيام المحنة إلى صلاح الدين واخوان صلاح الدين في العراق، لا إلى نوري وعبد الإله.

لاتأسوا عليّ وكونوا خير خلف، والله يحفظكم ويرعاكم يا أولادي الأعزاء.
تحيا العربية.

والدكم صلاح الدين الصباغ

ميدان اكبس: في قبضة الانكليز والعرب

يوم الأحد ٣٠ ايلول ١٩٤٥

شهادة رقم (15)

الوصية بخط يد الضابط (السجّان) عدنان محي الدين

وصية صدرت اليوم السبت

التاريخ ٨/١٢/١٩٤٠
سنة ١٩٤٠

زوجتي العزيزة والدتي نزار وربيعة

زوجتي العزيزة والدتي نزار

اولادي العزيز نزار نزار وربيعة

كنا متفقين قانعين بعيشنا البسيط الهنيئ ولا سوء لنا
في الدنيا ولا في الآخرة وقدّر الله ان يفرّق بيننا ابناً وهذه تقادير
الله لا اله الا الله وبما علينا الا طلب رحمته وبقي عائلتنا حبيبة
الشرع وبعيدة عن الطعن بغيرها وعزيزا وجلّ عابتي ان تبقى
عائلتي وصورة الكرامة بعيدة عن المكاره والأعمال التي تشين سمعتها
فاوصيتكم بتربية اطفالنا على منهج القومية الحقة والواجب الانساني
وان لا يؤذون بشراً منهما كانت قوميتهم كما اوصي زوجتي والدتي
انما شأني وانني اريد ان لا تحزن من اهلي وان تدع
ولديهما بمضانه ابوي.

وانني لا اريد ان ياتي اولادي العزيز وزوجتي لاني تركتكم لعلكم
داراً أو داراً وعدداً والله يعينكم وبني جلدتي كراماً وان
ما رواه عليهما.

ولدي نزار اوصيك باخوتك وان تجتمعوا في بلد واحد
واذا امكن في دار واحدة مع ازواجكم واولادكم وان تكون انت
الوصي على تربية اطفالك تربيةً تشرف سمعة العائلة التي انتم منها
واسكن بعيداً قرب بيروت ولا تكون مثلي انا بقيت وحيماً
بلا معين واخ ولا خال ولا أم واسكن صيداً وبذلك قد تنالون
موتة من اقربائكم وان كانت الصلة منطوعة منذ امد بعيد.

ملحق الصور



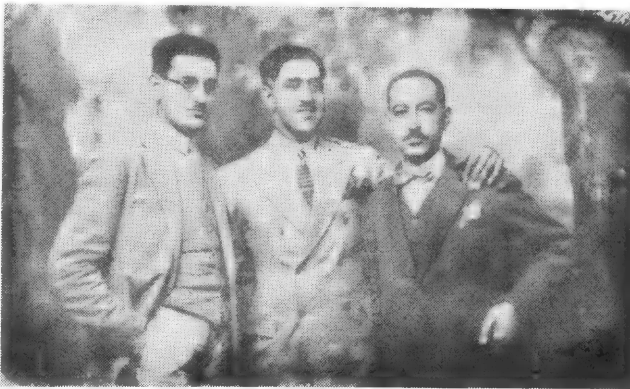
صلاح الدين الصَّبَّاح مديرًا للحركات العسكرية عام ١٩٣٩



الأستاذ سعيد الصباغ ابن عم الشهيد البطل



صورة عائلية
البطل الشهيد مع عمه السيد كامل إبراهيم الصباغ وأبناء عمه
السادة سعيد وإبراهيم وأمين كامل الصباغ في صيدا عام ١٩٢٨



صورة الشهيد في فلسطين . . في ميناء حيفا عام ١٩٢٧
وهو يقف بين ابن عمه السيد سعيد كامل الصباغ وابن عمته السيد أحمد فارس الياسيني



الشهید کامل شعیب،



هذه الصورة عام ١٩٢٨



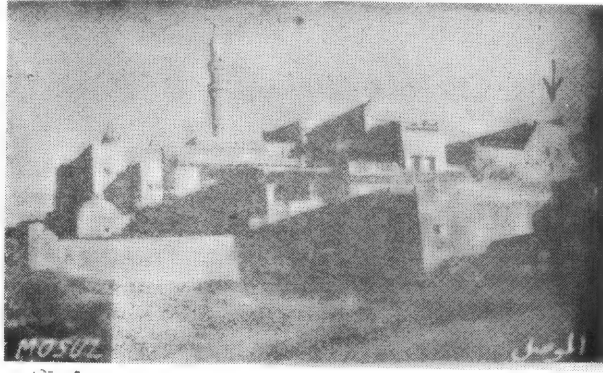
الشهيد في المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٠ مع الوفد العسكري.



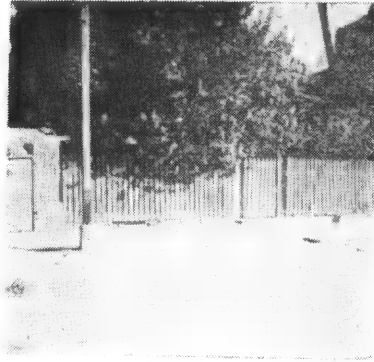
المرحوم حسن شوقي المصباح
شقيق الشهيد صلاح الدين



الشهيد محمود سلمان.



منظر عام لقرية « نينوى » في ضواحي الموصل . . ويبدو جامع النبي يونس ومثدنته . .
 وإلى جوار « السهم » توجد الدار التي أقامت فيها السيدة خديجة والددة الشهيد بعد
 وفاة ولدها حسن شوقي



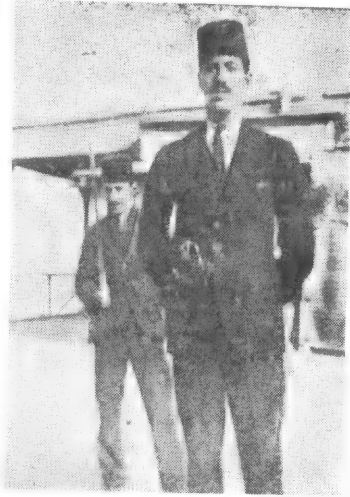
هذه صورة الدار الصغيرة رقم ١ ف ٤ بشارع العسكري
 « محلة العيوضية » في بغداد . .
 وفي هذه الدار كانت تتم الاجتماعات العربية التي كان يعقدها
 البطل العربي صلاح الصباغ مع زملائه



الشهيد فهمي سعيد



في الهند في عام ١٩٢٤



صلاح الدين وهبي سعيد ..
وقد أخذت لها هذه الصورة بعد عودتهما من الاقليم السوري
بعد معركة ميسلون التي اشتركا فيها معاً



صلاح الدين بعد التحاقه بالجيش العراقي ..
بعد معركة ميسلون التاريخية ..



أصدقاء الشهيد .. واحد من حلب والثاني من غزه ..
كانوا في جبهة الشريعة في القواء ١٤٦ في ١ مايو ١٩١٨ ..
الأول صلاح الصياغ والثاني عبده الخليل (حلب)
والثالث سعيد النوا (غزة) ورديق رابع ..



الشهيد محمد يونس السبعاري.



الرائد الركن (الرئيس الأول) محمود الدرة.



آخر صورة للشهيد صلاح الدين الصبّاغ،



مدير الدعاية العام، محمد صديق شنشل



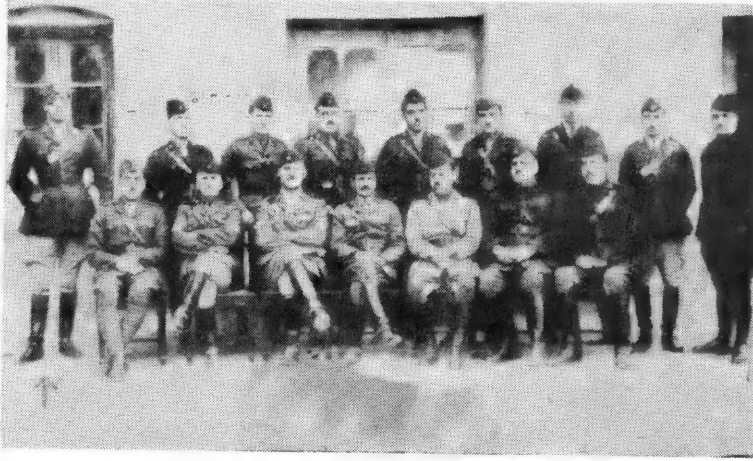
أثناء دراسته في كلية الأركان في كامبرلي في بريطانيا.



في ٣٠ نوفمبر ١٩٢٨



صلاح الدين الصبّاغ في سوريا- دمشق عام ١٩٢١.



دورة كلية أركان الحرب التي تخرج منها البطل ؛ ويبدو في الصورة ومعه زملاؤه وأساتذته . .
كما يظهر في الصورة البطل فهمي سعيد . .



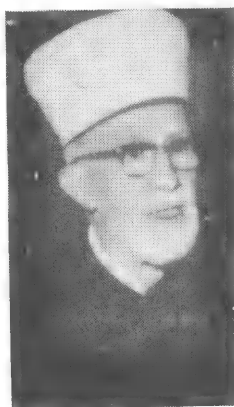
على حدود العراق الشمالية عام ١٩٣١ البطل الشهيد مع بعض زملائه
وقد أمسك كل واحد منهم بعصاه وبرجليه نوع معين من الاخفاف لتساعده على تسلق الجبال



الشهيد مع العقيد حسن مكّي، اللواء إبراهيم الراوي، الزعيم قاسم مقصود



لوصي على عرش العراق المرحوم شريف شرف (١٩٤١)



الحسيني مفتي فلسطين



محمد حسن الطريحي



الملك فيصل الثاني



افتتاح السورة النياية التاسعة لمجلس الامة العراق
عبد الأله الوصى على عرش العراق ،
الجنرال نوري السعيد



صاحب الجوهرة الملك غازى الاول يقود سيارته بنفسه

الفهرس

٣	المقدمة: فقه العروبة
٩	قصيدة يا صبيحة الصبأغ
١٥	الفصل الأول: الفاتحة
١٨	الأهداف
٢٣	السجل
٣٥	لماذا نستعمر؟
٣٩	العربي بين العقيدة والأثانية
٤٧	من قيود المعاهدة العراقية الإنكليزية
٥١	مبادئ الإنكليز في العراق
٦٠	رأي أجنبي
٦٦	في تعريف الخائن
٦٩	نحن والإنكليز
٧٥	نحن والألمان
٨٢	قصر أعمار الوزارات
	الفصل الثاني: ضحايا الوصاية على عرش العراق
٨٨	واستعداد بريطانيا للحرب
٨٩	الضحية الأولى
٩٧	الضحية الثانية
١٠٣	بين اقتراح صباح وشهادة عبد الله
١١٦	الاجتماع بالوصي
	الفصل الثالث: الوطنية والاستعمار لايتلفان
١٢٢	ولا يجتمعان في مكان إلا ويصطدمان
	قدوم الحسيني مفتي فلسطين إلى العراق وآراء السياسيين
١٢٨	حول موقف العراق من الحرب

١٤٢	إحالة حسين فوزي والعمرى على التقاعد
١٦٣	كيف وافق الكيلاني على تأليف الوزارة
١٧٠	نورى يشرع فى تطبيق حلوله
١٧٧	اللائحة
١٨٩	خصوصيات الحكام وتعلقها بالصالح العام
١٩٦	وقوف العراق على الحياى
٢٠٩	الاجتماع الأخير
٢١٧	الجيش والسياسة
٢٣٢	فشل الوصى فى تنفيذ المؤامرة
٢٤٨	ضغط الوصى على طه الهاشمى
٢٦٧	مصير وزارة طه الهاشمى
٢٧١	المؤامرة
٢٧٧	المنشور والملكة
٢٨٥	خلع عبد الإله وغدر الإنكليز
	الفصل الرابع: العنوان الانكليزي على العراق عام ١٩٤١
٢٩٥	الحرب العراقية الانكليزية
٢٩٦	دور الإنكليز والحالة المعنوية فى العراق
٣٠٠	قواعد الإنكليز فى العراق
٣٠٣	من وقائع قتالنا مع الإنكليز
٣٠٩	الفصل الخامس: الخاتمة
٣١١	ليلة النجاة
٣١٨	رسالة إلى حمدي الباجه جي
٣٢٠	العدل التركى - دفاع الضابط العراقي صلاح الدين الصباغ
٣٥٠	إلى أولادى

الشهادات

- ١- ايمان صلاح الدين ٤٣
- ٢- أهمية العاصمة العسكرية الكوفة أم بغداد ٥٨
- ٣- الميثاق القومي العربي ٧٨
- ٤- صور ووثائق ١١٣
- ٥- صلاح الدين الصباغ يكتب ١٢٥
- ٦- في الصحافة ١٥٧
- ٧- رسائل الصباغ ١٨٦
- ٨- الحنين إلى أهله ٢٠٥
- ٩- في صحيفة الجهاد الحلبية ٢٢٥
- ١٠- نزار الصباغ يلتقي الرئيس جمال عبد الناصر ٢٥٨
- ١١- في رده على كتاب المفوضية العراقية ٢٨٣
- ١٢- الحوار الأخير ٢٩٣
- ١٣- كيف حصل الابن على مذكرات أبيه ٣٠٧
- ١٤- الرئيس جمال عبد الناصر يقرأ مذكرات الشهيد ٣٤٩

مذكرات الشهيد صلاح الدين الصباغ

مأدا يفعل الايمان الصادق القوي في النفس البشرية

هذا هو السؤال الذي كان يتنقل امام عيني عند كل صفحة من صفحات تاريخ النطل العربي صلاح الدين الصباغ . لقد اشترك في عدد كبير من المعارك . في ميسلون . في فلسطين وفي جميع معارك الحرب العالمية . لم يترك معركة في أي مكان من وطنه العربي الا وتقدم لها مصحيا بكل عزيز وغال . وكانت أكبر معركة من معاركه تلك التي بدأها ضد القوات المستعمرية لبلاده وأثار هذه القوات وعملائها . فما ومن . وما ضعف وما أغراه منصب أو جاه أو مال . كان شاميا عربيا وكانت له آمال ومثل ومبادئ . كان في أوج مايكون الشباب بهاء وروعة . وكان في نفس الوقت في أقصى درجات الايمان ببلاده . يعرفه ويستقبل هذه العروبة وعزها وكرامتها

واسيشهد صلاح الدين الصباغ . وذهب جسده ليعلق فوق باب وزارة الدفاع . وطن البعض انه انتهى

ولجأة . وفي نفس المكان الذي وضع فيه جسد صلاح الدين وبعد ثلاثة عشرة عاما جرحه جسد قاتل صلاح الدين الى نفس المكان

وفي الوقت الذي كانت العيون تملأها الدموع والقلوب واجفة هلعة وهي تمر تحت جسد قاتلها وبطلها صلاح الدين . كانت الحجارة والاحجار تتبرى على جسد قاتله . وعاش صلاح الدين وبقيت روحه . وعرف الجميع ان الليالي لا تموت . وأن الايمان يستطيع أن يفعل الكثير . وأن يؤكد انتصار قوميتنا العربية

عادل ظاهر